

BOBST LIBRARY

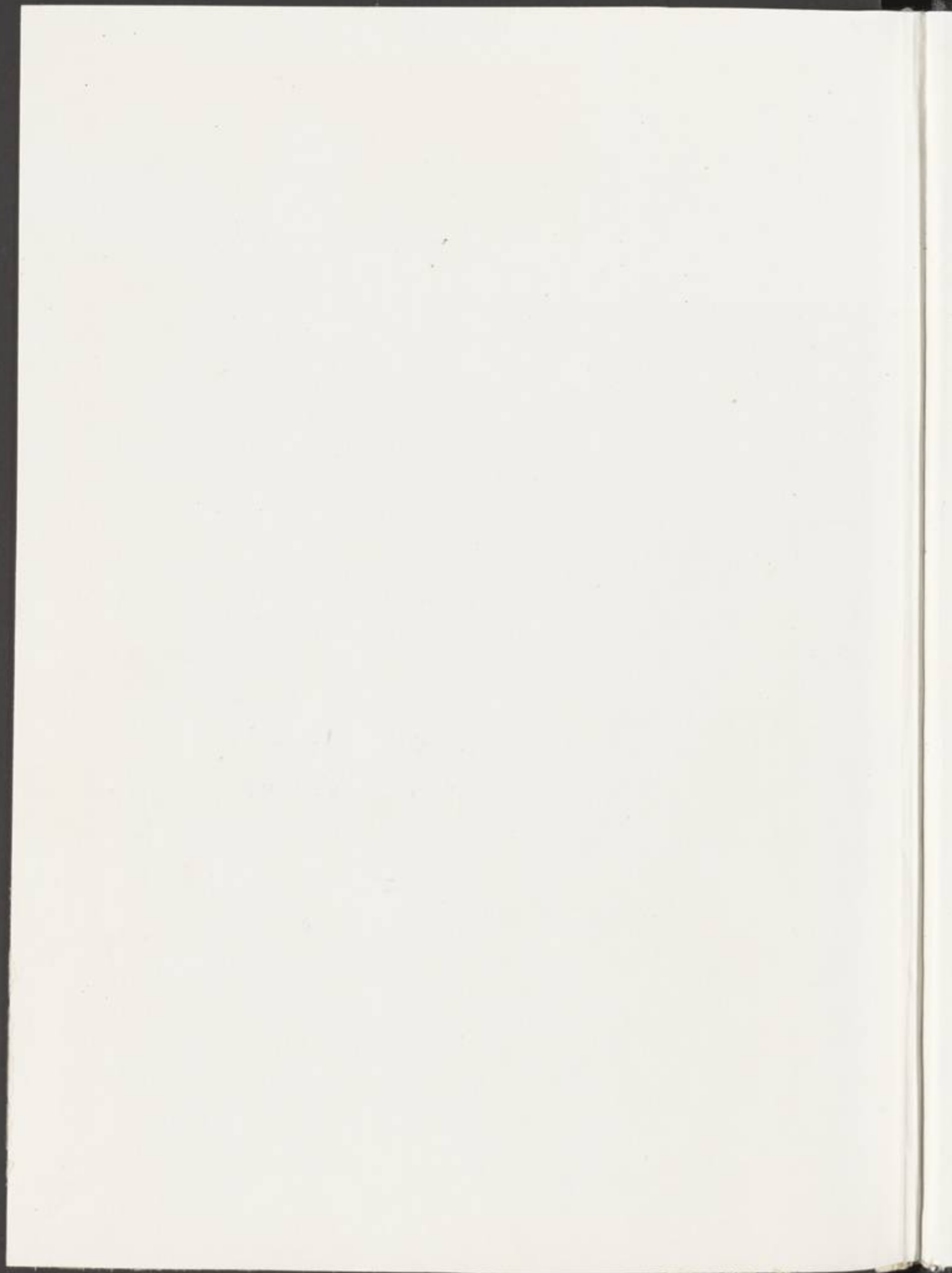


3 1142 00718 9486



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University









al-Tabarī, 838-923.

Jāmi' al-bayān |

جَامِعُ الْبَيَانِ

عن

نَافِلِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى ٣١٠ هـ

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

١٩٥٤ - ١٣٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة
كتاب الصلاة
كتاب الصلاة
كتاب الصلاة
كتاب الصلاة

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة BP

كتاب الصلاة 130

.4

.T3

كتاب الصلاة

1954

v. 9-11

c. 1

00718 9486

MAY 4 1995

فهارس الجزء التاسع من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٨	قال الملأ الذين استكبروا . . .	١	١١٢	يأتوك بكل ساحر عليم . . .	١٨
٨٩	قد افترينا على الله كذبا . . .	١	١١٣	وجاء السحرة فرعون . . .	١٨
٩٠	وقال الملأ الذين كفروا . . .	٣	١١٤	قال نعم وإنكم لمن المقربين . . .	١٩
٩١	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا . . .	٣	١١٥	قالوا يا موسى إما أن تُلِّقَ . . .	١٩
٩٢	الذين كذبوا شعيبا . . .	٥	١١٦	قال ألقوا فلما ألقوا . . .	٢٠
٩٣	فتولى عنهم وقال يا قوم . . .	٦	١١٧	وأوحينا إلى موسى أن ألق . . .	٢١
٩٤	وما أرسلنا فى قرية من نبي . . .	٦	١١٨	فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . . .	٢٢
٩٥	ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة . . .	٧	١١٩	فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . . .	٢٢
٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا . . .	٩	١٢٠	وأُلِّقِ السحرة ساجدين . . .	٢٢
٩٧	أفأمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩	١٢١	قالوا آمنا برب العالمين . . .	٢٢
٩٨	أو آمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩	١٢٢	رب موسى وهارون . . .	٢٢
٩٩	أفأمنوا مكر الله . . .	٩	١٢٣	قال فرعون آمنتم به . . .	٢٣
١٠٠	أو لم يهد للذين يرثون الأرض . . .	٩	١٢٤	لأقطعن أيديكم وأرجلكم . . .	٢٣
١٠١	تلك القرى نقص عليك . . .	١٠	١٢٥	قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . . .	٢٣
١٠٢	وما وجدنا لأكثرهم من عهد . . .	١٢	١٢٦	وما تنقيم منا إلا أن آمنا . . .	٢٣
١٠٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى . . .	١٣	١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون . . .	٢٤
١٠٤	وقال موسى يا فرعون . . .	١٣	١٢٨	قال موسى لقومه استعينوا . . .	٢٧
١٠٥	حقيق على أن لا أقول على الله . . .	١٣	١٢٩	قالوا أؤذينا من قبل أن . . .	٢٧
١٠٦	قال إن كنت جئت بآية . . .	١٣	١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون . . .	٢٨
١٠٧	فألقي عصاه فإذا هى ثعبان . . .	١٤	١٣١	فإذا جاءتهم الحسنة قالوا . . .	٢٩
١٠٨	ونزع يده فإذا هى بيضاء . . .	١٦	١٣٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية . . .	٣٠
١٠٩	قال الملأ من قوم فرعون . . .	١٦	١٣٣	فأرسلنا عليهم الطوفان . . .	٣٠
١١٠	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	١٦	١٣٤	ولما وقع عليهم الرجز قالوا . . .	٤٠
١١١	قالوا أرجه وأخاه . . .		١٣٥	فلما كشفنا عنهم الرجز . . .	٤١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣٦	فانتقمنا منهم فأغرقناهم . . .	٤٢	١٦٤	وإذ قالت أمة منهم . . .	٩٢
١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا . . .	٤٣	١٦٥	فلما نسوا ما ذكروا به . . .	٩٩
١٣٨	وجاوزنا ببني إسرائيل . . .	٤٤	١٦٦	فلما عتوا عما نهوا عنه . . .	١٠١
١٣٩	إن هؤلاء مستبّر ما هم فيه . . .	٤٦	١٦٧	وإذ تأذن ربك لبيعتن . . .	١٠١
١٤٠	قال أغير الله أبعيكم إله . . .	٤٦	١٦٨	وقطعناهم في الأرض أما . . .	١٠٣
١٤١	وإذ أنجبناكم من آل فرعون . . .	٤٧	١٦٩	فخلف من بعدهم خلف . . .	١٠٤
١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة . . .	٤٧	١٧٠	والذين يمسكون بالكتاب . . .	١٠٨
١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا . . .	٤٩	١٧١	وإذ نتقنا الجبل فوقهم . . .	١٠٨
١٤٤	قال يا موسى إني اصطفيتك . . .	٥٦	١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم . . .	١١٠
١٤٥	وكتبنا له في الألواح من كل شيء . . .	٥٦	١٧٣	أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا . . .	١١٨
١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين . . .	٥٩	١٧٤	وكذلك نفصل الآيات . . .	١١٩
١٤٧	والذين كذبوا بآياتنا . . .	٦١	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه . . .	١١٩
١٤٨	واتخذ قوم موسى من بعده . . .	٦٢	١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها . . .	١٢٤
١٤٩	ولما سقط في أيديهم . . .	٦٢	١٧٧	ساء مثلاً القوم الذين كذبوا . . .	١٣٠
١٥٠	ولما رجع موسى إلى قومه . . .	٦٣	١٧٨	من يهد الله فهو المهتدى . . .	١٣٠
١٥١	قال رب اغفر لي ولأخي . . .	٦٩	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا . . .	١٣١
١٥٢	إن الذين اتخذوا العجل . . .	٦٩	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه . . .	١٣٣
١٥٣	والذين عملوا السيئات ثم تابوا . . .	٧٠	١٨١	ومن خلقنا أمة يهدون بالحق . . .	١٣٥
١٥٤	ولما سكت عن موسى الغضب . . .	٧١	١٨٢	والذين كذبوا بآياتنا . . .	١٣٥
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلا . . .	٧١	١٨٣	وأملئ لهم إن كيدى متين . . .	١٣٥
١٥٦	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة . . .	٧٧	١٨٤	أو لم يتفكروا ما بصاحبهم . . .	١٣٦
١٥٧	الذين يتبعون الناس . . .	٨١	١٨٥	أو لم ينظروا في ملكوت السموات . . .	١٣٦
١٥٨	قل يأيها الناس . . .	٨٦	١٨٦	من يضلل الله فلا هادي له . . .	١٣٧
١٥٩	ومن قوم موسى أمة . . .	٨٧	١٨٧	يسألونك عن الساعة . . .	١٣٧
١٦٠	وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا . . .	٨٨	١٨٨	قل لأملك نفسي نفعا ولا ضرا . . .	١٤٢
١٦١	وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية . . .	٨٩	١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة . . .	١٤٣
١٦٢	فبدل الذين ظلموا منهم . . .	٩٠	١٩٠	فلما آتاهما صالحا . . .	١٤٥
١٦٣	واسألهم عن القرية التي كانت . . .	٩٠	١٩١	أيشركون ما لا يخلق شيئا . . .	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٩٢	ولا يستطيعون لهم نصرا . . .	١٥٠	١٣	ذلك بأنهم شاقبوا الله ورسوله . . .	١٩٩
١٩٣	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم . . .	١٥٠	١٤	ذلكم فذوقوه وأن للكافرين . . .	٢٠٠
١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله . . .	١٥١	١٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم . . .	٢٠٠
١٩٥	ألهم أرجل يمشون بها . . .	١٥١	١٦	ومن يؤلّهم يومئذ دُبُرُه . . .	٢٠٠
١٩٦	إن وليي الله الذي . . .	١٥٢	١٧	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . . .	٢٠٣
١٩٧	والذين تدعون من دونه . . .	١٥٢	١٨	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين . . .	٢٠٦
١٩٨	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا . . .	١٥٢	١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . . .	٢٠٦
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف . . .	١٥٣	٢٠	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا . . .	٢١٠
٢٠٠	وإما يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ . . .	١٥٦	٢١	ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا . . .	٢١٠
٢٠١	إن الذين اتقوا . . .	١٥٧	٢٢	إن شرّ الدوابّ عند الله . . .	٢١١
٢٠٢	وإخوانهم يمدّونهم في الغي . . .	١٥٩	٢٣	ولو علم الله فيهم خيرا . . .	٢١٢
٢٠٣	وإذا لم تأتهم بآية قالوا . . .	١٦٠	٢٤	يا أيها الذين آمنوا استجبوا . . .	٢١٣
٢٠٤	وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له . . .	١٦٢	٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن . . .	٢١٧
٢٠٥	واذكر ربك في نفسك . . .	١٦٦	٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل . . .	٢١٩
٢٠٦	إن الذين عند ربك . . .	١٦٨	٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا . . .	٢٢١
	سورة الأنفال		٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم . . .	٢٢٣
١	يسألونك عن الأنفال . . .	١٦٨	٢٩	يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا . . .	٢٢٤
٢	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله . . .	١٧٨	٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا . . .	٢٢٦
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٨٠	٣١	وإذا تُتلى عليهم آياتنا . . .	٢٣٠
٤	أولئك هم المؤمنون حقا . . .	١٨٠	٣٢	وإذ قالوا اللهم إن كان . . .	٢٣٢
٥	كما أخرجك ربك من بيتك . . .	١٨١	٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . . .	٢٣٣
٦	يجادلونك في الحق . . .	١٨١	٣٤	وما لهم ألاّ يعذبهم الله . . .	٢٣٣
٧	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين . . .	١٨٤	٣٥	وما كان صلاحهم عند البيت . . .	٢٤٠
٨	ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل . . .	١٨٩	٣٦	إن الذين كفروا ينفقون . . .	٢٤٤
٩	إذ تستغيثون ربكم . . .	١٨٩	٣٧	يُميّز الله الخبيث من الطيب . . .	٢٤٦
١٠	وما جعله الله إلا بشري . . .	١٩٢	٣٨	قل للذين كفروا إن ينتهوا . . .	٢٤٧
١١	إذ يغشيكم النعاس آمنّة . . .	١٩٣	٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . . .	٢٤٨
١٢	إذ يُوحى ربك إلى الملائكة . . .	١٩٣	٤٠	وإن تولوا فاعلموا أن الله . . .	٢٥٠

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٢ ما فعلته بنو إسرائيل من اتخاذ العجل بعد	١ من أرسل إليهم شعيب عليه السلام .
مفارقة موسى لهم .	٣ العذاب الذي عذبوا به .
٦٥ طرف مما كان في ألواح موسى من صفات	١٣ طَرَف من أمر فرعون حين أرسل إليه موسى
هذه الأمة .	عليه السلام وأتى عصاه .
٦٦ ما قيل في : من أى شيء كانت الألواح ؟	١٨ ما فعله فرعون من تعليم طائفة السحر ، لينظروا
٦٩ ما يجب تعميمه من آى الكتاب .	موسى .
٧١ خبر خروج موسى للميقات ، واختياره	٢٧ ما قالته بنو إسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون
السبعين من قومه .	٣٠ ما أرسل على فرعون وقومه من الآيات ، وما
٨٢ ما أخبر الله أن يجعله لبني إسرائيل ، فاختاروا	عذبوا به .
غيره ، فجعله لهذه الأمة .	٣٤ المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه
٩٠ القرية التى مُسِّخ أهلها بعدوانهم فى السبت ،	الآيات ، والسبب الذى من أجله أحدثها الله
وسوّق قصتهم .	فيهم .
١٠١ ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار إلى يوم	٤٣ بيان أن بنى إسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون ،
القيامة .	وأن مشارق الأرض ومغاربها التى ملكتها هى
١٠٤ ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرُّشا ،	الشام .
وحكمهم بغير الحقّ .	٤٤ بيان أن بنى إسرائيل حين خرجوا من البحر
١٠٨ ما فعلته بنو إسرائيل مع موسى حتى رُفِع	مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها ، فتمنوا
فوقهم الجبل .	أن يكون لهم منها ما يُعبّد .
١١٠ إخراج ذُرِّيَّة آدم من ظهره .	٤٧ خروج موسى إلى مناجاة ربه بعد غرق فرعون .
١١٩ قصة الذى آتاه الله آياته فانسلك منها .	٤٩ السبب فى سؤال موسى رؤية الله .
١٣١ صفة من خلقه للنار .	٥٠ طَرَف مما يقوله أهل الكتاب فى قصة موسى
١٤٥ قصة إبليس مع حواء فى أوّل حملها .	عند طلب الرؤية .
١٥٣ الأخلاق التى أمر النبى أن يأخذ بها .	٥٢ ما تمّ للجبل حين التجلّى .
	٥٧ ما قاله موسى لآدم ، وما قاله آدم له .

الصفحة	الصفحة
٢٠٠ ما يجب على المحارب من المصابرة ، وما يجوز له الفرار .	١٥٧ ما عليه أهل التقوى من تذكريهم عقاب الله ، عند ما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره .
٢٠٣ معجزة الرمي الذى فعله النبي في بدر .	١٦٢ المحال التى يجب الإنصات فيها لقراءة القرآن ، والخلاف فيها .
٢٢١ ما فعله بعض المنافقين فى مكاتبة المشركين حتى نزل «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا» ... الآية .	١٦٨ (تفسير سورة الأنفال)
٢٢٦ ما اتفق عليه المشركون فى دار الندوة من أذية رسول الله أو قتله .	١٧١ الصواب فى معنى الأنفال ، وما كان لهم من الاختلاف فى أمر الغنائم يوم بدر ، وكيف قسمة رسول الله لها .
٢٣٢ ما كان يدعو به المشركون .	١٨٩ غزوة بدر ، وما تم فيها من إمداد الملائكة .
٢٣٣ فوائد الاستغفار .	
٢٤٠ ما كان تفعله المشركون فى صلاتهم .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ق		ر		ب
١٠٩	تَتَقَا	٣٢	الْمَطَرُ	٥٧	عوازب
	ل	٧٥	الشَّجَرُ	٦٨	مُجَاب
١٧١	وَعَجَلُ	٢٤٣	كَمَرُ	٧٤	نَشَب
٧٤	السُّوْلُ	١٣٢	السُّرُ	١٠٥	الأجرب
٥	وَوَصَالِ	١٣٢	وَقَمْرٍ	٢٦	تنوبا
١١٠	الْأَنْقِلَا	٨٨	العَشْرِ		ت
٤	المَحَلَّةُ	١١٠	مِذْكَارِ	٢٦	ظَهْرَتِي
٤	ظَلَّةُ	١٥١	عَامِرٍ		ح
٤	كالمُضْمَحِلَّةِ	٢٤٠	الإِهَارِ	١٥٣	صُبْح
	م	٢٣٩	حَاذِرَا	٧١	يُصِيحَا
١٦	الأُرُومُ	٢٣٩	عُمَرَا	٢٠٠	ورمحا
٤٢	السِّمِ	١٠٠	بَيْسِ		د
٤٢	الروم	١٠٠	بَيْسَا	٣٢	والزُّودُ
٢٢٢	عَظِيمِ		القَوَاتِ	١٢٨	فَأَخْلَدُوا
٥٤	بِهِمِ		ع	٤	شَدَادِ
٧	كُومِ	١٧	فَاضْطَجَعُ	٤	الوادي
٢٤٠	الأعلم	٧٤	الزِعَاذُ	٤	أنجاد
	ن	١٠٤	تَابِعُ	٤	شديد
١٣٦	مَمَاتِينِ	١٣٢	تَمِيعُ	٦٧	المُخْلِيدِ
١٤٢	مُسْتَوَاسِينِ	١٣٢	الضُّلُوعُ	١٢٨	وَيَدَا
١٣٨	إِبَانَا	٢٤٤	وَمُقَنَّعُ	١٧	أفسدا
١٩١	الظُّنُونَا	٢٤٤	فَارْبَعُ	١٧	غَدَا
٧٥	تَمِينَةَ	٥	بِضْلُفَعَا	١٧	مَدَدَا
٧٥	تَمِينَةَ		ف	٣٢	بَرَدَا
	ي	١٥٨	وَشُعُوفُ	٣٢	مُؤَصَّدَا
٢	غَيْبِي	١٠٩	مَأْلُوفِ	٣٣	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله

* قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرَجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ

قَرِينِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، قَالَ : أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره (قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يعنى بالملاء : الجماعة من الرجال ، ويعنى بالذين استكبروا : الذين تكبروا عن الإيمان بالله ، والانتهاه إلى أمره ، واتباع رسوله شعيب ، لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به : (لِنُخْرَجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ) ومن تبعك وصدقك وآمن بك ، وبما جئت به معك ، من قريبتنا (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) يقول : لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه . قال شعيب مجيبا لهم : (أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) ؟

ومعنى الكلام : أن شعيبا قال لقومه : أخرجوننا من قريبتكم ، وتصددوننا عن سبيل الله ، ولو كنا كارهين لذلك ؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو « ولو » .

القول في تأويل قوله

قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)

يقول جل ثناؤه : قال شعيب لقومه ، إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم ، والدخول فيها ، وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم : (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) يقول : قد اختلقنا على الله كذبا ، ونخرصنا عليه من القول باطلا ، إن نحن عدنا في ملتكم ، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها ، بأن بصرتنا خطأها ، وصواب الهدى الذى نحن عليه ، وما يكون لنا أن نرجع فيها ، فندين بها ، ونترك الحق الذى

نحن عليه (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا) : إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبْقُ لَنَا فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَا نَعُودُ فِيهَا ، فَيَمْضِي فِينَا حِينَئِذٍ قَضَاءُ اللَّهِ ، فَيُنْفِذُ مَشِيئَتَهُ عَلَيْنَا (وَسَيَعَرَّبْنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : فَإِنَّ عِلْمَ رَبِّنَا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَأَحَاطَ بِهِ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ ، وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ ، فَإِنْ يَكُنْ سَبْقُ لَنَا فِي عِلْمِهِ أَنَا نَعُودُ فِي مِلَّتِكُمْ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ ، وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ ، فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَّا فِلَانَا غَيْرَ عَائِدِينَ فِي مِلَّتِكُمْ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا ، وَسَيَعَرَّبْنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) يقول : ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجَّانا الله منها ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا ، فَاللَّهُ لَا يَشَاءُ الشَّرْكَ ، وَلَكِنْ يَقُولُ : إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ شَيْئًا ، فَإِنَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَقَوْلُهُ (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) يَقُولُ : عَلَى اللَّهِ نَعْتَمِدُ فِي أُمُورِنَا ، وَإِلَيْهِ نَسْتَعِينُ ، فِيمَا تَعَدُّوْنَا بِهِ مِنْ شَرِّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ ، فَإِنَّهُ الْكَافِي مِنْ تَوَكُّلِ عَلَيْهِ . ثُمَّ فَرَعَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى رَبِّهِ بِالْدُعَاءِ عَلَى قَوْمِهِ ، إِذْ آيَسَ مِنْ فَلَاحِهِمْ ، وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُ مِنْ إِذْعَانِهِمْ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ مُؤْمِنِي قَوْمِهِ ، مَنْ فَسَقْتَهُمْ ، الْعَطْبَ وَالْهَلَكَةَ ، بِتَعْجِيلِ النِّقْمَةِ ، فَقَالَ : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) يَقُولُ : احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِحُكْمِكَ الْحَقِّ الَّذِي لَاجِبُورٌ فِيهِ وَلَا حَيْفٌ وَلَا ظَلَمٌ ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ (وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) : يَعْنِي : خَيْرَ الْحَاكِمِينَ ؛ ذَكَرَ الْفَرَاءُ أَنَّ أَهْلَ عَمَانَ يَسْمُونَ الْقَاضِيَّ : الْفَاتِحَ ، وَالْفَتْاحَ . وَذَكَرَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ مَرَادٍ ، وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ بَيْتًا ، وَهُوَ :

أَلَا أَبْلِغُ بِبَنِي عَصْمٍ رَسُولًا فِلَانِي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غَنِيًّا ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : ما كنت أدرى ما قوله : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول : تعال أفاتحك ، يعني : أقاضيك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) يقول : افض بيننا وبين قومنا .

(١) البيت (في اللسان : فتح) منسوباً للأشعر الجعفي ، شاهدنا على أن الفتاحة ، بكسر الفاء وضمها ، بمعنى الحكم بين خصمين . وقال الأزهري : الفتح أن تحم بين قوم يختصمون إليك ، كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . قال : والفتح : الحكومة . وأهل اليمن يقولون للقاضي : الفتاح ، ويقول أحدهم لصاحبه : تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح . ويقول : افتح بيننا : أي احكم . والرواية في الشطر الأول : « ألا من مبلغ عمرا رسولا » .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو دُكَيْنٍ ، قال : ثنا مِسْعَرٌ ، قال : سمعت قتادة يقول : قال ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول : تعالِ أَفَاتِحِكَ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) : أى اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) : اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله (افْتَحْ بَيْنَنَا) فيقول : احكم بيننا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الحسن البصرى : افتح : احكم بيننا وبين قومنا ، وإنا فتحنا لك فتحا مبينا : حكمنا لك حكما مبينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : افتح : اقض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : لم أكن أدري ما (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها : انطلقِ أَفَاتِحِكَ .

القول فى تأويل قوله

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ، إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب ، وهم الملاء الذين جحدوا آيات الله ، وكذبوا رسوله ، وتمادوا فى غيبيهم ، لآخريين منهم : لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول ، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه ، من توحيد الله ، والانتهاى إلى أمره ونهيه ، وأقررتم بنبوته (إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ) يقول : لمغبونون فى فعلكم ، وترككم ملتكم التى أنتم عليها مقيمون ، إلى دينه الذى يدعوكم إليه ، وهالكرون بذلك من فعلكم .

القول فى تأويل قوله

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ (٩١)

يقول : فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة ، وقد بينت معنى الرجفة قبل ، وأنها الزلزلة الحركية لعذاب الله ، (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ) على ركبهم ، مواتى هلكى . وكانت صفة العذاب الذى أهلكتهم الله به كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ،

قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وإلى مد بين آخاهم شعيباً) قال : إن الله بعث شعيباً إلى مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، والأيكة : هي الغيضة من الشجر ، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان ، فدعاهم فكذبوه ، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن ، وماردوا عليه ، فلما عتوا وكذبوه ، سأله العذاب ، ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم ، فأهلكهم الحرّ منه ، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء ، ثم إنه بعث سخابة فيها ريح طيبة ، فوجدوا برد الريح وطيبها ، فتنادوا : الظلّة ، عليكم بها ، فلما اجتمعوا تحت السخابة رجالهم ونساؤهم وصبياتهم ، انطبقت عليهم ، فأهلكتهم ، فهو قوله (فأخذهم عذاب يوم الظلّة) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي إسحاق ، قال : كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ، ما ذكر الله في القرآن . كانوا أهل بجنس للناس في مكابيلهم وموازينهم ، مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم نبيهم ، وكان يدعوهم إلى الله وعبادته ، وترك ظلم الناس ، وبخسهم في مكابيلهم وموازينهم ، فقال نصحا لهم وكان صادقا : (ما أريد أن أخاليفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب) . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيباً ، قال « ذاك خطيب الأنبياء » لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم ، فلما كذبوه وتوعده بالرجم والنفي من بلادهم ، وعتوا على الله ، أخذهم عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم ، فبلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال :

يا قوم إن شعيباً مرسل فدروا
عسكم سميراً وعمراً بن شداد
إني أرى غيمة ياقوم قد طلعت
تدعو بصوت على صمّانة الوادي
وانكم إن تروا فيها ضحاة غد
إلا الرقيم يمشی بين أنجاد

وسمير وعمران : كاهنهم ، والرقيم : كليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى أبو إسحاق ، قال : فبلغني والله أعلم : أن الله سلط عليهم الحرّ ، حتى أنضجهم ، ثم أنشأ لهم الظلّة ، كالسخابة السوداء ، فلما رأوها ابتدروها ، يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحرّ ، حتى إذا دخلوا تحتها ، أطبقت عليهم ، فهلكوا جميعاً ، ونجى الله شعيباً والذين آمنوا معه برحمته . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثني أبو عبد الله البجليّ ، قال : أبو جاد ، وهو ز ، وحطّى ، وسعفص ، وقرشت : أسماء ملوك مدين ، وكان ملكهم يوم الظلّة في زمان شعيب « كلمون » ، فقالت أخت كلمون تكيه :

كلمون هد ركني هلكه وسط المحلّة

(١) الأبيات الثلاثة أوردتها الثعلبي في كتابه : « عرائس المجالس » المعروف « بقصص الأنبياء » ، وفيها « شمير » بالتصغير ، وبالشين في موضع « سمير » بالسين ، و « حنّانة » في موضع : « صمّانة » . ورواية البيت الثاني فيه (ص ١٦٦) طبعة الحلبي ، في قصة شعيب عليه السلام :

فإنه لن يرى فيها ضحاة غد إلا الرقيم يمشی بين أنجاد

وقوله : « إنه » الضمير فيه راجع إلى شعيب . يريد أنه سيصيبهم الزلزال ، وقد لاحت أماراته ، وستصبح ديارهم مدمرة ، لا يرى فيها شعيب إلا الرقيم . . . الخ .

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْوَحْتَفُ : نَارٌ وَسَطَ ظِلِّهِ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كَالْمُنْضَمَحِلَّةِ^١

القول في تأويل قول

الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا، الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به ، فأبادهم ، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم ينزلوا قط ، ولم يعيشوا بها حين هلكوا ، يقال : غَنَى فلان بمكان كذا ، فهو يَغْنَى به غِنَىً وغِنْيًا : إذا نزل به ، وكان به ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهٖ جِيرَانُكَ الْـمُـسْكُو مِنْكَ بَعَهْدِ وَوِصَالِ^٢

وَعَهْدِ مَغْنَى دِمْنَةٍ يَضْلَفَعَا^٣

وقال رؤبة :

إنما هو مَفْعَلٌ مِنْ غَنَى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا

فيها) : كأن لم يعيشوا ، كأن لم ينعموا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (كَأَن

لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) :

كأن لم يكونوا فيها قط .

وقوله (الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) يقول تعالى ذكره : لم يكن الذين اتبعوا

(١) وهذه الأبيات الثلاثة أيضا رواها الثعلبي في « عرائس المجالس » ص ١٦٦) في قصة شعيب عليه السلام . وفي روايته : « كلن

هدد ركني » . ونسبها إلى أخت كلمون تبيكه .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥٨) . وروايته بأسباب الوصال و « أصحابك » في مكان :

« جيرانك » . وهو من شواهد التحوين (الخزنة ٣ : ٢٣٧ ، ٢٣٨) من قصيدة له . قال : وهو شاهد على أن الخليل استدل على أن

حرف التعريف (أل) لا اللام وحدها ، بفصل الشاعر إياها من المعرف بها ؛ ولو كانت اللام وحدها حرف تعريف ، لما جاز فصلها

من المعرف ، لاسيما واللام ساكنة . قال : وقد تقدم بيانه ونقصه في البيت قبله والمسكو : أصله : المسكون ، حذف نونه

تحقيقا . قال ابن جني في المنصف : قوله « المسكو » : أراد المسكون ، ولكنه حذف النون لطول الاسم ، لا للإضافة . اهـ .

وفي (اللسان : غنا) : وغنى القوم بالدار غنى : أقام . وتقول : غنى بالمكان يغنى . والمغنى : المنزل الذي غنى به أهله . ولم

ينقل صاحب اللسان من مصادره غير الغنى والمغنى . وقال المؤلف : غنى وغنيا .

(٣) البيت من مشطور الرجز ، وهو الرابع في أرجوزة له مطولة (٢١٣ بيتا) وفي ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٨٧)

وعهد : مرفوع علقا على حمارة في قوله قبله : « حاجت حمارة » . والدمنة : ما بقى من آثار الديار كالتوى والطلل والأثافي . . الخ

وضلفع : بوزن جعفر : قارة ببلاد بني أسد . وفي معجم ما استعجم للبكري في رسم « لبني » : ضلفع : ماء لبني عيس . اهـ .

شعيبا الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ، لأنه أخير عنهم جل ثناؤه : أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه : (لَسِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا لِّتَكْفُرُوا إِذْ أَنْتُمْ لَخَاسِرُونَ) فكذبهم الله ، بما أحل بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما خسر تباع شعيب ، بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين ، دون الذين صدقوا وآمنوا به .

القول في تأويل قوله

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَكَيْفَ آسَىٰ

عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : فأدبر شعيب عنهم ، شاخصا من بين أظهرهم ، حين أتاهم عذاب الله ، وقال : لما أيقن بنزول نعمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي) وأدبت إليكم ما بعثني به إليكم ، من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به ، وظلم الناس أشياءهم (ونصحت لكم) بأمرى إياكم بطاعة الله ، ونهيكم عن معصيته (فكيف آسى؟) يقول : فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله ، وكذبوا رسوله ، وأتوجع لهلاكهم ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فكيف آسى) يعني : فكيف أحزن ؟ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فكيف آسى) يقول : فكيف أحزن ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصاب شعيبا على قومه حزن ، لما يرى بهم من نعمة الله ، ثم قال يعزى نفسه فيما ذكر الله عنه (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) ، فكيف آسى على قوم كافرين ؟

القول في تأويل قوله

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته في الأمم التي قد خلت من قبل أمته ، ومذكر من كفر به من قريش ، لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين ، من الشرك بالله ، والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وما أرسلنا في قرية من نبي) قبلك (إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) وهو البؤس ، وشظف المعيشة وضيقها . والضراء : وهي الضر وسوء الحال ، في أسباب دنياهم (لعلهم يضرعون) :

يقول : فعلنا ذلك ، ليتضرّعوا إلى ربهم ، ويستكثروا إليه وينبئوا ، بالإفلاخ عن كفرهم ، والتوبة من تكذيب أنبيائهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) يقول : بالفقر والجوع ، وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضراء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ؛ وقيل : يضرعون ، والمعنى : يتضرعون ، ولكن أدغمت التاء في الضاد ، لتقارب مخرجهما .

القول في تأويل قوله

ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ،
فَأَخَذَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : ثم بدلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء ، مكان السيئة ، وهي البأساء والضراء ؛ وإنما جعل ذلك سيئة ، لأنه مما يسوء الناس ، ولا تسوءهم الحسنة ، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة . (حتى عَفَوْا) : يقول : حتى كثروا ، وكذلك كل شيء كثير ، فإنه يقال فيه : قد عفا ، كما قال الشاعر :

ولَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومٍ ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مكان السيئة الحسنة) قال : مكان الشدة رخاء (حتى عَفَوْا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مكان السيئة الحسنة) قال : السيئة : الشر ، والحسنة : الرخاء والمال والولد .

حدثنا المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مكان السيئة الحسنة) قال : السيئة : الشر ، والحسنة : الخير .

حدثني المنثري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) يقول : مكان الشدة الرخاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثم بدلنا مكان السيئة

(١) نغض : نجعل السيف يمض . . الخ . والبيت قد تقدم إيشاده وشرحه في ص ٣٦٦ من الجزء الثاني .

الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَّوْا) قال : بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا في الدنيا ، حتى عَفَّوْا من ذلك العذاب (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) .

واختلفوا في تأويل قوله (حَتَّى عَفَّوْا) فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (حَتَّى عَفَّوْا) يقول : حتى كثروا وكثرت أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (حَتَّى عَفَّوْا) قال : جَمَّوْا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حَتَّى عَفَّوْا) قال : كثرت أموالهم وأولادهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حَتَّى عَفَّوْا) حتى كثروا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (حَتَّى عَفَّوْا) قال : حتى جَمَّوْا وكثروا .
قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (حَتَّى عَفَّوْا) قال : حتى جَمَّوْا ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (حَتَّى عَفَّوْا) يعني جَمَّوْا وكثروا ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (حَتَّى عَفَّوْا) قال : حتى كثرت أموالهم وأولادهم .
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَتَّى عَفَّوْا) : كثروا كما يكثُر النبات والريش ، ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون .
وقال آخرون : معنى ذلك : حتى سُرَّوْا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى عَفَّوْا) : يقول : حتى سُرَّوْا بذلك ، وهذا الذي قاله قتادة في معنى عَفَّوْا ، تأويل لاوجه له في كلام العرب ، لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها ، إلا أن يكون أراد حتى سُرَّوْا بكثرتهم وكثرة أموالهم ، فيكون ذلك وجهها وإن بعد .

وأما قوله (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) : فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم ، الذين أبدلهم الحسنة السيئة ، التي كانوا فيها ، استدراجا وابتلاء ، أنهم قالوا : إذ فعل ذلك بهم : هذه أحوال قد أصابت مَنْ قبلنا من آبائنا ، ونالت أسلافنا ، ونحن لانعدو أن نكون أمثالهم ، يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعاش ، والرخص فيها ، وهي السراء ، لأنها تسر أهلها ، وجهل المساكين شكر نعمة الله ، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله

بالإنابة إلى طاعته ، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة ، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون ، يقول جل جلاله (فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، أتاهم على غرة منهم بمجيئه ، وهم لا يدرون ، ولا يعلمون أنه يجيئهم ، بل هم بأنه آتيتهم مكذوب حتى يعاينوه ويروه .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
بَيِّنًا ، وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ، وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨)

❖

القول في تأويل قوله

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)

❖ يقول تعالى ذكره : أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويحسدون آياته ، استدراج الله إياهم ، بما أنعم به عليهم في دنياهم ، من صحة الأبدان ، ورخاء العيش ، كما استدراج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم ، فإن مكر الله لا يأمنه ، يقول : لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم ، إلا القوم الخاسرون ، وهم المالكون .

القول في تأويل قوله

أَوَّلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ ، وَنَطْبَعُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

❖ يقول : أو لم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم (أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، فأخذناهم بذنوبهم ، وعجلنا لهم بأسنا ، كما عجلناه لمن كان قبلهم ، ممن ورثوا عنه الأرض ، فأهلكناهم بذنوبهم (وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) يقول : ونختم على قلوبهم (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

• إلى هنا جاء بآخر صفحة ١٤١ من المجلد العاشر من المخطوطة رقم ١٠٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ صفحة ١٤٢ منها بالقول في تأويل قوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) ، وسقط من النسخ تأويل الآيات الثلاث التي قبلها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو لم يهتد) قال : يبين .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أو لم يهتد) أو لم يبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أو لم يهتد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) يقول : أو لم يبين لهم ؟
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أو لم يهتد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) يقول : أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها : هم المشركون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو لم يهتد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أو لم نبين لهم ؟ (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قالوا : والهدى : البيان الذي بعث هاديا لهم : مبينا لهم ، حتى يعرفوا ، ولولا البيان لم يعرفوا .

القول في تأويل قوله

تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها ، يعني : قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب ، نقص عليك من أنبائها ، فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها ، وما كان من أمرهم ، وأمر رسل الله التي أرسلت إليهم ، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، على أعدائنا وأهل الكفر بنا ، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله ، فيرتدعوا عن تكذيبك ، ويُنَيَّبُوا إلى توحيد الله وطاعته (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) يقول : ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها ، رسلهم بالبينات ، يعني بالحجج البينات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكتناهم من أهل القرى ، ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذبوا من قبل ذلك ، وذلك يوم أخذ ميثاقهم ، حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمَنوا كُرها .
وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل ، بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كان في علمه يوم أقرؤا له بالميثاق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ، ويدعوا علم ما آخى الله عليهم ، فإن علمه نافذ فيما كان ، وفيما يكون ، وفي ذلك قال (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قال : نفذ علمه فيهم أتهم المطيع من العاصي ، حيث خلقهم في زمان آدم ، وتصديق ذلك حيث قال لنوح (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَّسْ سَنَمْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .
وقال في ذلك (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وفي ذلك قال (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) ، وفي ذلك قال (لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ، ولا حجة لأحد على الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعابنتهم ما عابنوا من عذاب الله ، ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم ، كما قال جل ثناؤه (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كقولهم (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .
قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية ، وأولاها بالصواب : القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب والربيع ، وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به ، فلن يؤمن أبدا ، وقد كان سبق في علم الله تعالى ، لمن هلك من الأمم التي قصّ نبأهم في هذه السورة ، أنه لا يؤمن أبدا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم ، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون ، في سابق علمه ، قبل مجيء الرسل ، وعند مجيئهم إليهم ، ولو قيل تأويله : فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يا محمد من مشركي قومك ، من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ، ووعدده ووعدده ، كان وجهها ومذهبها ، غير أني لأعلم قائلا قاله ، ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن . وأما الذي قاله مجاهد من أن

معناه : لو ردّوا ما كانوا ليؤمنوا ، فتأويل لادلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر عن الرسول صحيح . وإذ كان ذلك كذلك ، فأولى منه بالصواب ، ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل .
وأما قوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) فإنه يقول تعالى ذكره : كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم ، وعصوا رسله من هذه الأمم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة ، حتى جاءهم بأس الله ، فهلكوا به ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ، الذين كُتِبَ عليهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك .

القول في تأويل قوله

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ، وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكتناها ، واقتصنا عليك يا محمد نبأها ، من عهد ، يقول : من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وهجر عبادة الأوثان والأصنام . والعهد : هو الوصية ، وقد بيننا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته (وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) يقول : وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم ، تاركين عهده ووصيته . وقد بيننا معنى الفسق قبل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) قال : القرون الماضية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ) . . . الآية ، قال : القرون الماضية ، وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ) قال : في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ، وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) ، وذلك أن الله إنما أهلك القرى ، لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به .

القول في تأويل قوله

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ؟ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، موسى بن عمران، والهاء والميم اللتان في قوله (مِنْ بَعْدِهِمْ) هي كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام، التي ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع. (بآياتنا) يقول: بحججنا وأدلتنا. (إلى فرعون وملئه): يعني: إلى جماعة فرعون من الرجال، (فَظَلَمُوا بِهَا) : يقول: فكفروا بها، والهاء والألف اللتان في قوله «بها»: عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم، وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها، بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وقد دلت فيما مضى على أن ذلك معناه، بما أغنى عن إعادته؛ والكفر بآيات الله: وضع لها في غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عُنيت به. (فانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ؟): يقول جل ثناؤه لتبينه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض، يعني فرعون وملأه، إذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا في البحر.

القول في تأويل قوله

وَقَالَ مُوسَىٰ: يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤)

يقول جل ثناؤه: وقال موسى لفرعون: يا فرعون إني رسول من رب العالمين:

القول في تأويل قوله

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَرْسِلْ مَعِيَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ: إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَبَاتٍ، فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦)

اختلفت القراء في قراءة قوله (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ) فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة، حقيق على أن لا أقول، بإرسال الباء من على، وترك تشديدها، بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، فوجهوا معنى على إلى معنى الباء، كما يقال: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت على حال حسنة، وبحال حسنة. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرئ ذلك كذلك، فعناه: حريص على ألا أقول إلا بحق. وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ) بمعنى: واجب على أن لا أقول، وحق على أن لا أقول.

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ ، فصيب في قراءته الصواب .

وقوله (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) يقول : قال موسى لفرعون وملئه : قد جئتكم ببرهان من ربكم ، يشهد أيها القوم على صحة ما أقول ، وصدق ما أذكر لكم ، من إرسال الله إياي إليكم رسولا ، فأرسل يافرعون معي بنى إسرائيل . فقال له فرعون : (إن كنت جئت بآية) : يقول : بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول . فأت بها إن كنت من الصادقين .

القول في تأويل قوله

فَأَلْقَى عَصَاهُ ، فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَزَرَعَ يَدَهُ ، فَإِذَا هِيَ يَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ (١٠٨)

يقول جل ثناؤه (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ، فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال حية . مبين : يقول : تبين لمن يراها أنها حية .

وبما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : تحوّلت حية عظيمة ، وقال غيره : مثل المدينة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يقول : فإذا هي حية كادت تتسوّرهُ ، يعنى كادت تثب عليه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) والثعبان : الذكّر من الحيات ، فاتحة فاها ، واضعة لحيها الأسفل في الأرض ، والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذهُ ، فلما رآها ذُعر منها ، ووثب فأحدث ، ولم يكن يُحدث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى ، خذها وأنا مؤمن بك ، وأُرسلُ معك بنى إسرائيل ، فأخذها موسى ، فعادت عصا .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : ألقى العصا فصارت حية ، فوضعت فمّها لها أسفل القبة ، وفمّها لها أعلى القبة . قال عبد الكريم : قال إبراهيم : وأشار سفيان بأصبعه الإبهام والسبابة هكذا ، شبه الطاق ؛ فلما أرادت أن تأخذهُ ، قال فرعون : يا موسى خذها ، فأخذها موسى بيده ، فعادت عصا ، كما كانت أوّل مرّة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم

ابن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى عصاه ، فتحوّلت حية عظيمة

فاغرة فاها ، مسرعة إلى فرعون ؛ فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم عن سريره ، فاستغاث بموسى أن يكفها عنه ، ففعل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تُعْبَانُ مُبِينٌ) قال : الحية الذّكر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما دخل موسى على فرعون ، قال له موسى : أعرفك؟ قال : نعم ، قال : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) ؟ قال : فردّ إليه موسى الذي ردّ ، فقال فرعون : خذوه . فبادره موسى ، فألقى عصاه ، فإذا هي ثعبان مبین ، فحملت على الناس فأنهزموا ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ، قتل بعضهم بعضا ، وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) قال : ما بين لحيها أربعون ذراعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جوير ، عن الضحاك (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال : الحية الذّكر .

قال أبو جعفر : وأما قوله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) فإنه يقول : وأخرج يده ، فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس ، وكان موسى فيما ذكر لنا - آدم ، فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص ، له آية ، وعلى صدق قوله (لَأَنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حُجَّةٌ : وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أخرج يده من جيبه ، فرآها بيضاء من غير سوء ، يعني : من غير برص ، ثم أعادها إلى كفه ، فعادت إلى لونها الأوّل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) يقول : من غير برص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) قال : نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنَزَعَ يَدَهُ) : أخرجها من جيبه ، (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله

(وَتَزَعُ يَدَهُ) قال : نزع يده من جيبه (فإذا هي بيضاء للناظرين) وكان موسى رجلاً آدم ، فأخرج يده ، فإذا هي بيضاء أشدّ بياضاً من اللبن ، من غير سوء ، قال : من غير برص ، آية لفرعون .

القول في تأويل قوله

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ : إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)

يقول تعالى ذكره : قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم : (إنّ هذا) : يعنون موسى صلوات الله عليه (لساحيرٌ عليمٌ) يعنون : أنه يأخذ بأعين الناس ، بخداعه إياهم ، حتى يخيل إليهم العصا حية ، والآدم : أبيض ، والشئ بخلاف ما هو به . ومنه قيل : سمّ المطر الأرض : إذا جادها ، فقطع نباتها من أصوله ، وقلب الأرض ظهراً لبطن ، فهو يتسحرها سحراً ، والأرض مسحورة إذا أصابها ذلك ، فشبه سحر الساحر بذلك ، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشئ بخلاف ما هو به ؛ ومنه قول ذي الرمة في صفة السراب :
وساحرة العيون من الموائم ترقص في نواشيرها الأروم^١

وقوله (عليمٌ) يقول : ساحر عليم بالسحر ، يريد أن يخرجكم من أرضكم : أرض مصر معشر القبط السحرة ؛ وقال فرعون للملأ (فماذا تأمرون) يقول : فأى شئ تأمرون أن نفعل في أمره ، بأى شئ تشيرون فيه ؛ وقيل : فماذا تأمرون ، والخبر بذلك عن فرعون ، ولم يذكر فرعون . وقلما يجيء مثل ذلك في الكلام ، وذلك نظير قوله (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب ، من قول يوسف ، ولم يذكر يوسف . ومن ذلك أن يقول : قلت لزيد : قم ، فلاني قائم ، وهو يريد : فقال زيد : إني قائم .

القول في تأويل قوله

قَالُوا: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : قال الملأ من قوم فرعون لفرعون : أرجئه : أى أخره . وقال بعضهم : معناه : احبس . والإرجاء في كلام العرب : التأخير ، يقال منه : أرجيت هذا الأمر وأرجأته : إذا أخرته ، ومنه قول الله تعالى (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) : تؤخر ، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس ، يقولون : أرجأت هذا الأمر ، وترك الهمز من لغة تميم وأسد ، يقولون : أرجيته .

(١) البيت في (اللسان : أرم) قال ابن سيده : الإرم (بكر ففتح) والأرم (بفتح فكرر) : الحجارة ، والآرام : الأعلام . وخص به بعضهم أعلام عاد . والأروم أيضاً : الأعلام ، وقيل : هي قبور عاد ، وعم به أبو عبيدة في تفسير قول ذي الرمة . . . البيت ، فقال : هي الأعلام . ومعنى ترقص : ترتفع وتنخفض ، وفي بيت الراعي : «ترقصت المغازة» : أى ارتفعت وانخفضت ، وإنما يرفعها ويخفضها السراب . اهـ . وفي (اللسان : سحر) : قال الأزهري : وأصل السحر : صرف الشئ عن حقيقته إلى غيره .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ، وبعض العراقيين (أرجيه) بغير الهمز ، ويجز الهاء ، وقرأه بعض قراء الكوفيين (أرجيه) بترك الهمز ، وتسكين الهاء ، على لغة من يقف على الهاء في المكس في الوصل إذا تحرك ما قبلها ، كما قال الراجز :

أُنْحَى عَلَى الدَّهْرُ رَجُلًا وَيَدَا يُنْقَسِمُ لَا يُصْلِحُ إِلَّا أفسدَا
فِيصْلِحُ اليَوْمَ وَيُفسِدُهُ عَدَا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث ، فيقولون : هذه طلحة قد أقبلت ، كما قال الراجز :

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَةَ وَلَا شَبَعَ مَالٍ إِلَى أَرْطَاةٍ حِقْفٍ فَاضْطَجَعَ^٢

وقرأه بعض البصريين (أرجيه) بالهمز ، وضم الهاء ، على لغة من ذكرت من قيس .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها في كلام العرب ، وذلك ترك الهمز ، وجر الهاء ، وإن كانت الأخرى جائزة ، غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات ، وأكثرها على ألسن فصحاء العرب .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (أرجيه) فقال بعضهم : معناه : أخره .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عطاء الخراساني

عن ابن عباس ، قوله (أرجيه وأخاه) قال : أخره .

وقال آخرون : معناه : احبسه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرجيه وأخاه) : أي

احبسه وأخاه .

(١) الأبيات الثلاثة لدريد بن زيد بن نهد ، أحد المعمرين (ابن قتيبة : كتاب الشعر والشعراء ص ٣٦ طبعة ليدن سنة ١٩٠٢)

وأما السيد المرتضى (١ : ١٧٢) . والبيت الأول والثاني فيهما :

أَلْقَى عَلَى الدَّهْرُ رَجُلًا وَيَدَا وَالدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أفسدَا

والبيت الثالث في الشعر والشعراء :

يُصْلِحُهُ اليَوْمَ وَيُفسِدُهُ عَدَا

يُصْلِحُ مَا أفسدَهُ اليَوْمَ غدا

وفي أمالي السيد المرتضى :

(٢) البيت في (اللسان : ضجع) ونسبه للراجز . وروايته فيه : « فالطبع » أراد : فاضطجع ، فأبدل الضاد لاما ، وهو شاذ .

وقد روى : فاضطجع ، ويروى : فاطجع ، على إبدال الضاد طاء ، ثم إدغامها في الطاء ، ويروى أيضا : فاضجع ، بتشديد الضاد . أدغم الضاد في التاء ، فجعلها ضادا شديدة على لغة من قال : مصبر في مصطبر ، وقيل : لا ، يقال : اطجع ، لأنهم لا يدغمون الضاد في الطاء . وقال المازني : إن بعض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين ، فيقول : الطجع ، ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها ، وهو اللام ، وهو نادر . واستشهد المؤلف بقوله : (لادعه) على إجراء الوصل بجري الوقف ، بقلب تاء التأنيث هاء وإسكانها ، وأصله : (لادعة) .

وأما قوله (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) يقول: مَنْ يَحْشُرُ السَّحْرَةَ، فيجمعهم إليك، وقيل: هم الشُّرَطُ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا الحكم بن ظهير، عن السدي، عن ابن عباس (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال: الشُّرَطُ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال: الشُّرَطُ. قال: ثنا حميد، عن قيس، عن السدي (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال: الشُّرَطُ.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله (فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال: الشُّرَطُ.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفیان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال: الشُّرَطُ.

القول في تأويل قوله

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحْرَةَ فِرْعَوْنُ، قَالُوا: إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ؟ (١١٣)

وهذا خير من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون، أن يرسل في المدائن حاشرين، يحشرون كل ساحر عليم. وفي الكلام محذوف، اكتفى بدلالة الظاهر من إظهاره، وهو: فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة، فجاء السحرة فرعون (قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) يقول: إن لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك (إِنْ كُنَّا) يا فرعون (نَحْنُ الْغَالِبِينَ). وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا العباس، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا الأصمغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثنا سعيّد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: فأرسل في المدائن حاشرين، فحشر له كل ساحر متعلم؛ فلما أتوا فرعون، قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتى وحاميتى، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفیان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال فرعون: لا تغالبه، يعنى موسى، إلا بمن هو منه، فأعد علماء

(١) في اللسان: الهامة: خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته. وفي الأصل: حامى. تعريف.

من بنى إسرائيل ، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفَرَمَا ، يعلمونهم السحر ، كما يُعَلِّمُ الصبيان الكِتَابَ في الكِتَاب ، قال : فعلموهم سحرا كثيرا ، قال : وواعد موسى فرعون موعدا ؛ فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون ، فجاء بهم ، وجاء بمعلمهم معهم ، فقال له : ماذا صنعت ؟ قال : قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحرُ أهل الأرض ، إلا أن يكون أمرا من السماء ، فإنه لا طاقة لهم به . فأما سحر أهل الأرض ، فإنه لن يغلبهم ؛ فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ، قَالَ : نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) فحشروا عليه السحرة ، فلما جاء السحرة فرعون (قَالُوا . إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) يقول : عطية تعطينا (إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ، قَالَ : نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) : أي كائنه بالسحرة ، لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به ، وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه من سلطانه ، وبعث فرعون في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتى به ، فذكر لي والله أعلم ، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ؛ فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، وقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتمكم وفضلتكم ، وقربتكم على أهل مملكتي ، قالوا : وإن لنا ذلك إن غلبناه ؟ قال : نعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال : السحرة كانوا سبعين .

قال أبو جعفر : أحسبه أنا قال : ألفا ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن ابن المنذر ، قال : كان السحرة ثمانين ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن خيثمة ، عن أبي سرودة ، عن كعب ، قال : كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا .

القول في تأويل قوله

قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا : يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥)

يقول جل ثناؤه : قال فرعون للسحرة إذ قالوا له : إن لنا عندك ثوبا إن نحن غلبنا موسى ؟ قال : نعم ، لكم ذلك ، وإنكم لمن أقربوه وأدنيه مني ، (قالوا : يا موسى) يقول : قالت السحرة لموسى : يا موسى اختر أن تلقى عصاك ، أو تلقى نحن عصينا ، ولذلك أدخلت « أن » مع إما في الكلام ، لأنها في موضع أمر

بالاختيار ، فإن « أن » في موضع نصب لما وصفت من المعنى ، لأن معنى الكلام : اختر أن تلقى أنت ، أو تلقى نحن . والكلام مع « إما » إذا كان على وجه الأمر ، فلا بدّ من أن يكون فيه « أن » كقولك للرجل : إما أن تمضي ، وإما أن تقعد ، بمعنى الأمر : امض أو اقعدي ، فإذا كان على وجه الخبر ، لم يكن فيه « أن » كقوله (وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِمَا بَعَدَ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهذا هو الذي يسمى التخيير ، وكذلك كل ما كان على وجه الخبر ، وإما في جميع ذلك مكسورة .

القول في تأويل قوله

قَالَ الْقَوَا ، فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ ، وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة : (أَلْقُوا) ما أنتم ملقون ، فألقت السحرة ما معهم (فَلَمَّا أَلْقَوْا) ذلك (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) : خَيَّلُوا إِلَى أَعْيُنِ النَّاسِ بِمَا أَحْدَثُوا مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخَدَعِ ، أَنَّهُ تَسْعَى ، (وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ) يقول : وأسْتَرَهُبُوا النَّاسَ بِمَا سَحَرُوا فِي أَعْيُنِهِمْ ، حَتَّى خَافُوا مِنَ الْعَصَى وَالْحِبَالِ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا حَيَاتٌ (وَجَاءُوا) كما قال الله (بِسِحْرِ عَظِيمٍ) : بتخييل عظيم كثير ، من التخييل والخداع . وذلك كالذي حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ) يقول : فرقوهم ، فأوجس في نفسه خيفة موسى .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ألقوا حبالا غلاظا وخشبًا طوالا ، قال : فأقبلت تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكفي على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته ، ثم قالت السحرة (يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) قال : بل أَلْقُوا ، فإذا حبالهم وعصيهم ، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بَصَرَ مُوسَى وَبَصَرَ فِرْعَوْنَ ، ثُمَّ أَبْصَرَ النَّاسَ بَعْدَ ، ثُمَّ أَلْقَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْعِصَى وَالْحِبَالِ ، فَإِذَا هِيَ حَيَاتٌ كَأَمْثَالِ الْحِبَالِ ، قَدْ مَلَأَتْ الْوَادِي ، يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَأَوْجَسَ ، فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَعْنِيصِيَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَلَقَدْ عَادَتْ حَيَاتٌ ، وَمَا تَعْدُو هَذِهِ ، أَوْ كَمَا حَدَّثَ نَفْسَهُ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، وألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

القول في تأويل قوله

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها ، فإذا هي تلقف ما يسحرون ، كذبا وباطلا ، يقال منه : تلقفت الشيء ، فأنا ألقفنه تلقفا ولتقفانا .

وذلك كالذي حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) ، فألقى موسى عصاه ، فتحولت حية ، فأكالت سحرهم كله .

حدثنا عبد الكريم بن المهيم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يافكون لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرّوا سجداً و (قالوا : آمناً برب العالمين ، رب موسى وهارون) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أوحى الله إلى موسى : لا تخف ، وألق ما في يمينك تلقف ما يافكون . فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم ، فلما رأوا ذلك سجّداً ، وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك ، فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصبيهم ، وهي حيات ، في عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها : تبتلعها حية حية ، حتى ما يبرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه ، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً ، (قالوا : آمناً برب العالمين ، رب موسى وهارون) : لو كان هذا سحراً ما غلبنا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان فاغر فاه ، فابتلع حبالهم وعصبيهم ، فألقى السحرة عند ذلك سجّداً ، فارفعوا رؤوسهم ، حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يأفكون) قال : يكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فإذا هي تلقف ما يافكون) قال : يكذبون .

حدثنا إبراهيم بن المستمير ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا قرّة بن خالد السدوسي ، عن الحسن (تلقف ما يافكون) قال : حبالهم وعصبيهم تسترطها استراطاً .

القول في تأويل قوله

فَوَقَعَ الْحَقُّ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : فظهر الحق ، وتبين لمن شاهده وحضره في أمر موسى ، وأنه لله رسول ، يدعو إلى الحق (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من إفك السحر وكذبه ومخاييله .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَوَقَعَ الْحَقُّ) قال : ظهر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد في قوله (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : ظهر الحق ، وذهب الإفك الذي كانوا يعملون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (فَوَقَعَ الْحَقُّ) قال : ظهر الحق .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَوَقَعَ الْحَقُّ)
ظهر موسى .

القول في تأويل قوله

فَعَلَبُوا هُنَالِكَ ، وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ (١١٩)

يقول تعالى ذكره : فعلب موسى فرعون وجموعه (هُنَالِكَ) عند ذلك (وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ) يقول : وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين ، يقال منه : صَغُرَ الرجل يصغُرُ صِغْرًا وَصُغْرًا وَصَغَارًا .

القول في تأويل قوله

وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدِينَ (١٢٠) قَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وألقى السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله . ساقطين على وجوههم ، سجدًا لربهم ، يقولون : آمنا برب العالمين ، يقولون : صدقنا بما جاءنا به موسى ، وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والإنس وجميع الأشياء ، وغير ذلك ، ويدبر ذلك كله ، رب موسى وهارون ، لافرعون .

كالذي حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما رأَت السَّحْرَةَ مارأت ، عرفت أن ذلك أمر من السماء ، وليس بسحر ، خروا سجدًا ، وقالوا : آمنا برب العالمين : رب موسى وهارون .

القول في تأويل قوله

قَالَ فِرْعَوْنُ : ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرٌ تُؤْمَرُ فِي الْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره : (قال فرعون) للصحرة إذ آمنوا بالله ، يعني صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه : (آمنتم) يقول : أصدقتم بموسى ، وأقررتم بنبوته (قبل أن آذن لكم) بالإيمان به . (إن هذا) يقول : تصديقتكم إياه ، وإقراركم بنبوته (لمكر : مكرتموه في المدينة) ، يقول : خدعتم بها من في مدينتنا ، لتخرجوهم منها . (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم ، وتلقون من عقابي إياكم على صنيعهم هذا .

وكان مكرهم ذلك فيما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في حديث ذكره عن أبي مالك وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : التقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرايتك إن غلبت ، أتؤمن بي ، وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال السحرة : لا تين غدا بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمن بك ، ولأشهدن أنك حق ؛ وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) إذ التقيتا لتظاهرا ، فتخرجا منها أهلها .

القول في تأويل قوله

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ، ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل فرعون للصحرة إذ آمنوا بالله ، وصدقوا رسوله موسى ، (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين في القطع ، فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف . ويقال : إن أول من سن هذا القطع فرعون . (ثم لأصلبَنَّكم أجمعين) وإنما قال هذا فرعون ، لما رأى من خذلان الله إياه ، وغلبة موسى عليه السلام ، وقهره له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفري وحَبَّويه الرازي ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ، ثم لأصلبَنَّكم أجمعين) قال : أول من صلب ، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون .

القول في تأويل قوله

قَالُوا : إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِثَايِتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ثَنَا ،
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)

(١) في خلاصة الخزرجي : إبراهيم بن المختار التيمي ، أبو إسحاق الرازي ، حَبَّويه . . . صالح الحديث .

يقول تعالى ذكره : قال السحرة مجيبة لفرعون ، إذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ، والصلب (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) يعنى بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير . وقوله (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا) يقول : ماتنكر منا يا فرعون وما تجد علينا ، إلا من أجل أن آمنا : أى صدقنا بآيات ربنا ، يقول : بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ، ولا أحد سوى الله ، الذي له ملك السموات والأرض ، ثم فرغوا إلى الله ، بمسئلته الصبر على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) يعنون بقولهم : أفرغ : أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك ، عند تعذيب فرعون إيانا (وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ) يقول : واقبضنا إليك على الإسلام ، دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، لا على الشرك بك ، فحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (لَأَقُطَّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) فقتلهم وصلبهم ، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن عبيد بن عمير ، قال : كانت السحرة أول النهار سحرة ، وآخر النهار شهداء .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْقَيْ السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ) قال : ذكر لنا أنهم كانوا في أول النهار سحرة ، وآخره شهداء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا أول النهار سحرة ، وآخره شهداء .

القول في تأويل قوله

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ
قَالَ: سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون : أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في الأرض ، يقول : كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) يقول : ويلترك : ويدع خدمتك موسى ، وعبادتك وعبادة آلهتك .

وفي قوله (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) وجهان من التأويل : أحدهما أتدع موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك ؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل ، كان النصب في قوله (وَيَذَرَكَ) على الصرف ، لأعلى العطف به على قوله ليفسدوا . والثاني : أتدع موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، ويلينرك وآلهتك ، كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين ، وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب (وَيَذَرَكَ) على العطف على ليفسدوا .

والوجه الأول : أولى الوجهين بالصواب ، وهو أن يكون نصب (وَيَذَرُكَ) على الصرف ، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء .

وبعد ، فإن في قراءة أبي بن كعب الذي حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج عن هارون ، قال في حرف أبي بن كعب (وقد تركوك أن يعبدوك وأهنتك) دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف ، وقد روي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (وَيَذَرُكَ وَأَهْتَك) عطفًا بقوله (وَيَذَرُكَ) على قوله (أَتَذَرُ مُوسَى) كأنه وجه تأويله إلى : أتذُرُ موسى وقومه ويذُرُك وأهنتك ليفسدوا في الأرض ، وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها : أتذُرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، وهو يذُرُك وأهنتك ، فيكون يذُرُك مرفوعًا على ابتداء الكلام .

وأما قوله (وَأَهْتَك) فإن قرأه الأمصار على فتح الألف منها ومدّها ، بمعنى : وقد ترك موسى عبادتك وعبادة أهنتك التي تعبدها . وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرة يعبدها . وقد روي عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرأنها (وَيَذَرُكَ وَإَهْتَك) بكسر الألف ، بمعنى : ويذُرُك وعبودتك .

والقراءة التي لانرى القراءة بغيرها : هي القراءة التي عليها قرأه الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها . ذكر من قال : كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ (وَيَذَرُكَ وَأَهْتَك) :

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَذَرُكَ وَأَهْتَك) وآفته فيما زعم ابن عباس : كانت البقرة ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا وبقرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان لفرعون جمانة معلقة في نحره ، يعبدها ويسجد لها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا أبان بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : بلغني أن فرعون كان يعبد إلهًا في السر ، وقرأ (وَيَذَرُكَ وَأَهْتَك) .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : كان لفرعون إله يعبده في السر .

ذكر من قال معنى ذلك : ويذُرُك وعبادتك ، على قراءة من قرأ : وإلاهتتك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو ، عن الحسن ، عن ابن عباس (وَيَذَرُكَ وَإَهْتَك) قال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (وَيَذَرُكَ وَإَهْتَك) قال : وعبادتك ، ويقول إنه كان يُعبد ولا يعبد .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَذَرُكَ وَإَهْتَك) قال : يترك عبادتك .

حدثني المنني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (وَالْاِهْتِكَ) يقول : وعبادتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَذَرُكَ وَالْاِهْتِكَ) قال : عبادتك .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَيَذَرُكَ وَالْاِهْتِكَ) وقال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يُعبد . وقد زعم بعضهم : أن من قرأ (وَالْاِهْتِكَ) إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ (وَالْاِهْتِكَ) ، غير أنه أنث ، وهو يريد لها واحدا ، كأنه يريد (وَيَذَرُكَ وَالْاِهْتِكَ) ثم أنث الإله فقال : وَالْاِهْتِكَ . وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سُئِلَ عن الإلهة ، فقال : هي عِلْمَةٌ ، يريد علما ، فأنث العلم ، فكانه شيء نُصِبَ للعبادة يُعبد . وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي :

تَرَوِّحُنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَنْوَبَا

يعني بالإلهة في هذا الموضع : الشمس ، وكان هذا المتأول هذا التأويل ، وجه الإلهة ، إذا أدخلت فيها هاء التأنيث ، وهو يريد واحد الآلهة ، إلى نحو إدخالهم الهاء في وَلِدَتِي وَكَوْكَبَتِي وَأُمَّتِي ، وهو أهلة ذلك ، وكما قال الراجز :

يَا مُضَرَّ الْحَمْرَاءِ أَنْتِ أُسْرَتِي وَأَنْتِ مَلْجَاتِي وَأَنْتِ ظَهْرَتِي^٢

يريد : ظهري . وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرأ ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال ، مع بيانها عن أنفسهما ما ذهب إليه من معنى ذلك .

وقوله (قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ) يقول : قال فرعون : سنقتل أبناءهم الذكور ، من أولاد بني إسرائيل

(١) البيت في (اللسان : لعب وأله ، والمخصص : ١٧ : ١٣٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ١١٥٦) وبعده في اللسان بيت آخر ، وهو :

عَلَى مِثْلِ ابْنِ مَيْمَةَ فَانْعِيَاهُ تَشْتَقُّ نَوَاعِمَ الْبَشَرِ الْجُيُوبَا

ومعنى تروحنا : سرنا بعد الزوال ، أي عصرا ، وروى : قسرا ، وروى قسرا . والعباء ، كما قال ابن السكيت : موضع بين الريدة وأرض بني سليم ، وهي لفزارة وبني ثعلبة وبني أنمار بن بغيس . وقيل : أرض تنبت الغضاء لبني أبي بكر بن كلاب . وإلهة والإلهة : بكسر الهيمزة : اسم للشمس . ووروى الألاهة بالفتح عن ابن الأعرابي . يريد أنهم مضوا مسرعين من اللعياء عند العصر ، لما علموا بوفاة هذا الرجل ، فأدركوا غرضهم قبل مغيب الشمس . واختلف في قائل البيت . قال ابن بري : هو لية بنت أم عتبة بن الحارث . وقيل : هو لبنت عبد الحارث اليربوعي ، ويقال : لناثمة عتيبة بن الحارث . وقال أبو عبيدة : هو لأم البنين بنت عتيبة ابن الحارث تزنيته . وفي معجم ما استعجم للبكري : وقالت مية ، ويقال آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب : تروحنا . . . البيت . (٢) مضر بن زرار . في عمود النسب النبوي . ويقال فيه «مضر الحمراء» بالإضافة ، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه ، والحمراء الذهب ، يذكر ويؤنث . والأسرة : عشيرة الرجل ، وأهل بيته . وملجأتى : يريد ملجئى ، زاد فيه تاء التأنيث . وظهركى قال المؤلف : هو مؤنث الظهر ، وهذا يقتضى أنه بفتح الظاء . وفي اللسان : الظهرة (بالضم) ، والظهرة (بالكسر) عن كراع كالظهر . وهم ظهرة واحدة : أي يتظاهرون على الأعداء . ولم أجد الظهرة بالفتح إلا في قول المؤلف .

(وَنَسْتَحْيِي نَسَاءَهُمْ) يقول : ونستحي إناثهم (وَأَنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) يقول : وإنا عالمون عليهم بالقهر ، يعنى بقهر الملك والسultan ، وقد بينا أن كل شيء عال بقهر وغلبة على شيء ، فإن العرب تقول : هو فوقه .

القول في تأويل قوله

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ،
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه من بنى إسرائيل لما قال فرعون للملأ من قومه : سنقتل أبناء بنى إسرائيل ونستحي نساءهم : (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ) على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم ، (وَاصْبِرُوا) على مانالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون .

وكان قد تبع موسى من بنى إسرائيل على ما حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما آمنت السحرة ، اتبع موسى ست مئة ألف من بنى إسرائيل ، وقوله (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : إن الأرض لله ، لعل الله أن يورثكم إن صبرتم على مانالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك ، واستقمتم على السداد ، أرض فرعون وقومه ، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها ، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه ، فخافه باجتناب معاصيه ، وأدى فرائضه .

القول في تأويل قوله

قَالُوا: أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، قَالَ: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ ،
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)

يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى حين قال لهم ، استعينوا بالله واصبروا : (أَوْذَيْنَا) بقتل أبنائنا (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا) يقول : من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا ، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى ، على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا . وقوله (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) يقول : ومن بعد ما جئتنا برسالة الله ، لأن فرعون لما غلبت سحرته ، وقال للملأ من قومه ما قال ، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نساءهم . وقيل : إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون ، وهم منه هاربون ، وقد تراءى الجمعان ، فقالوا له : يا موسى (أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا) كانوا يذبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) من قبل إرسال الله إليك وبعده .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : فلما تراءى الجمعان ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردّ فهم ، قالوا : إنا لمدركون وقالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ، كانوا يذبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئنا ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفیان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سار موسى ببني إسرائيل ، حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا ، فإذا هم برهج دواب فرعون ، فقالوا : يا موسى ، أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئنا ، هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون بمن معه ، (قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض ، فينظرون كيف تعملون) . وقوله (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يقول جل ثناؤه : قال موسى لقومه : لعل ربكم أن يهلك عدوكم : فرعون وقومه . ويستخلفكم : يقول : يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم ، لا تخافونهم ، ولا أحدا من الناس غيرهم (فينظرون كيف تعملون) يقول : فيرى ربكم ما تعملون بعدهم ، من مسارعتم في طاعته ، وتناقلكم عنها .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه ، على ما هم عليه من الضلالة بالسنين ، يقول : بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط ، يقال منه : أسنت القوم : إذا أجذبوا (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) : يقول : واخترناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل (لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) يقول : عظة لهم ، وتذكيرا لهم ، لينزجروا عن ضلالتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) قال : سيني الجوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بالسنين) : الجائحة (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) : دون ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني القاسم بن دينار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن
حيوة في قوله (وَتَقْصُصُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) قال : حيث لا تحمل النخلة إلا ثمرة واحدة .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن حيوة ، عن كعب
قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن حيوة (وَتَقْصُصُ
مِّنَ الثَّمَرَاتِ) قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) : أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما (وَتَقْصُصُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) فأما السنين فكان
ذلك في باديتهم وأهل مواشيتهم ؛ وأما بنقص من الثمرات ، فكان ذلك في أمصارهم وقراهم .

القول في تأويل قوله

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ ، قَالُوا : لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ ، أَلَّا
إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)

يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ، ورأوا ما يحبون
في دنياهم ، (قَالُوا : لَنَا هَذِهِ) نحن أولى بها ، (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ) يعني : جدوب وقحوط وبلاء
(يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ) : يقول : يتشاءموا بهم ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا ، من الرخاء
والخصب والعافية ، مذ جاءنا موسى عليه السلام .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قوله (فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ) العافية والرخاء (قَالُوا : لَنَا هَذِهِ) نحن أحق بها (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ
سَيِّئَةٌ) بلاء وعقوبة (يَطَّيَّرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَىٰ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ)
قَالُوا : لَنَا هَذِهِ ، (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ) قالوا : ما أصابنا هذا إلا بك
يا موسى وبمن معك ، ما رأينا شرا ولا أصابنا حتى رأيناك ، وقوله (فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ) قَالُوا
لَنَا هَذِهِ) قال : الحسنة : ما يحبون ؛ وإذا كان ما يكرهون ، قالوا : ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء

الذين ظلموا، قال قوم صالح: (اطَّعِينَا نَأْتِيَنَّكُمْ وَإِنَّمَا كُفِّرُكُمْ عَنِ اللَّهِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ).

القول في تأويل قوله (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) :

يقول تعالى ذكره : ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم ، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والحصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر ، إلا عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك ، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيرون بموسى ومن معه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) يقول : مصائبهم عند الله ، قال الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) قال : الأمر من قبيل الله .

القول في تأويل قوله

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : يا موسى ، مهما تأتانا به من علامة ودلالة لتسحرنا : يقول : لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون (فَمَا نَخْنُكَ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : فما نحن لك في ذلك بمصدقين ، على أنك محق فيما تدعونا إليه . وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر ، بما أغنى عن إعادته .

وكان ابن زيد يقول في معنى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) ما حدثني يونس ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) قال : إن ما تأتانا به من آية ، وهذه فيها زيادة «ما» .

القول في تأويل قوله

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ، فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا ثَجْرَمِينَ (١٣٣)

اختلف أهل التأويل في معنى الطُّوفَانَ ، فقال بعضهم : هو الماء .

ذكر من قال ذلك :

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا حبشويه ، الرازي ، عن يعقوب القسبي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لما جاء موسى بالآيات ، كان أول الآيات الطُّوفَانَ ، فأرسل الله عليهم السماء .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي مالك ، قال : الطوفان : الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاري ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الطوفان : الماء .
قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الطوفان : الغرق .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الطوفان الماء والطاعون على كل حال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطوفان : الموت على كل حال .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الطوفان : الماء .

وقال آخرون : بل هو الموت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا المنهال بن خليفة ، عن الحجاج ، عن الحكم بن ميناء ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطوفان الموت » .
حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ما الطوفان ؟ قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن حدثه ، عن مجاهد ، قال : الطوفان : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن عبد الله بن كثير (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) قال : الموت .

قال ابن جريج : وسألت عطاء عن الطوفان ، قال : الموت . قال ابن جريج : وقال مجاهد : الموت على كل حال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن حجاج ، عن رجل ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الطوفان الموت » .

وقال آخرون : بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) قال : أمر الله الطوفان ، ثم قال (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن الطوفان من

(١) المراد بقوله « على كل حال » : أي بالغرق أو الوباء أو نحوهما يعمهم .

السيب البُعاق والدُّبَّاش ، وهو الشديد ، ومن الموت المتتابع الذريع السريع . وقال بعضهم : هو كثرة المطر والرياح . وكان بعض نحوِّي الكوفيِّين يقول : الطوفان ، مصدر مثل الرَّجْحَان والنَّقْصَان لا يجمع . وكان بعض نحوِّي البصرة يقول : هو جمع ، واحدها في القياس : الطوفانة .

والصواب من القول في ذلك عندي : ما قاله ابن عباس ، على ما رواه عنه أبو ظَبْيَان : أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول القائل : طاف بهم أمر الله يطوف طُوفَانًا ، كما يقال : نقص هذا الشيء ينقص نُقْصَانًا . وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد ، وجاز أن يكون الموت الذريع . ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا ، قول الحسن بن عرفة :
 غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ آيَاتِهَا خُرْقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرِ ١

ويروى : خرق الريح بطوفان المطر ؛ وقول الراعي :

تُضْحِي إِذَا العَيْسُ أَدْرَكْنَا نَكَائِشَهَا خَرَقَاءَ يَعْتَادُهَا الطُّوفَانُ وَالزُّؤُدُ ٢

وقول أبي النجم :

قَدَّ مَدَّ طُوفَانٌ قَبَّتْ مَدَدًا شَهْرًا شَتَّابِيَّ وَشَهْرًا بَرَدًا ٣

وأما القُمَّل ، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : هو السُّوس الذي يخرج من الحنطة . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب القُصَمِّي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : القُمَّل : هو السُّوس الذي يخرج من الحنطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : بل هو الدَّبِّي ، وهو صغار الجراد ، الذي لأجنحة له .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس ، قال : القمل : الدَّبِّي .

(١) البيت في (اللسان : طوف) ولم ينسبه ، وخرق الريح : اشتداد هبوبها ، يقال : خرقت الريح من بابي ظرف وفرح ، فهي خرقاء . والخرق بضمين : ضد الرفق ، وأصله بسكون الراء : اسم من خرق يخرق خرقا فهو أخرق : إذا حق وجهل . وطوفان المطر : المطر الغالب ، الذي يفرق من كثرتة . يريد أن الذي غير معالم هذه الدار ومحاطا شيطان : شدة هبوب الريح ، ثم دوام تهطل المطر عليها .

(٢) البيت في (اللسان : زأد) كرواية المؤلف . وفي (نكت) ونسبه للراعي في وصف ناقته . وفيه : « تسمى » في مكان « تصحى » . قال : ويقال : بلغت نكيسة البعير : أي أقصى مجهوده في السير . والخرقاء هنا : التي لا تحسن السير ، أولا قدرة لها عليه . والطوفان : لعله هنا العرق الكثير . والزؤد بسكون الهمزة وضمها مع ضم الزاي : الفزع . يريد أن ناقته تصحى أو تسمى غير قادرة على السير ، يفمرها العرق والفزع ، على حين أن غيرها من الإبل قد اشتد في سيره ، وبلغنا أقصى مجهوده .

(٣) الطوفان : المطر الغزير المفرق . والشَّابِيْب : جمع شُوبوب ، وهو الدفقة من المطر . والبرد بالتحريك : ما جمد من المطر ، ويسمى حب الغمام .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : الدَّبِّي : القُمَّل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القُمَّل : هو الدَّبِّي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : القُمَّل : الدَّبِّي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، قال : القُمَّل : هي الدَّبِّي ، وهي أولاد الجراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : القُمَّل : الدَّبِّي . قاله : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس عن ذكره ، عن عكرمة ، قال : القمل : بنات الجراد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : القمل : الدَّبِّي .

وقال آخرون : بل القُمَّل : البراغيث .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ) قال : زعم بعض الناس في القمل : أنها البراغيث . وقال بعضهم : هي دواب سود صغار .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا : القُمَّل : دواب سود صغار . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن القُمَّل عند العرب : الحُمَّنان ، والحُمَّنان : ضرب من القيردان ، واحدها : حُمَّنَانَةٌ فوق القُمَّمِامة ، والقُمَّل جمع ، واحدها : قُمَّلَةٌ ، وهي دابة تشبه القمل ، تأكلها الإبل فيما بلغني ، وهي التي عناها الأعشى في قوله :

قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ وَسَلَسِيلًا أُجْدًا ، وَبَابًا مُؤَصَّدًا

وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئاً ، فإن لم يكن جمعاً فواحدته : قامل ، مثل ساجد وراكع ، وإن يكن اسماً على معنى جمع ، فواحدته : قُمَّلَةٌ .

(١) البيت في ديوان الأعشى أبي بصير (طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٣١) ، وفي (لسان العرب : قمل) .
والرواية فيما ينصب « قوما » . وقبل البيت :

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادُ دَارَهَا تَكَرِّبَتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

الكاف هنا بمعنى مثل ، وقوما بالنصب بدل منها ، أو خبر بعد خبر ليس . يريد بهذا البيت : لسنا كإياد حراثين أذلاء ، قد اتخذوا تكريت مقاماً لهم ، فهن لاصقون بأرضهم ، ينتظرون حصاد الحب . وينشأ أبناؤهم حاملين ، يتشاغلون بقتل القمل المنتشر في أبدانهم ، وقد أوثقوا بالسلاسل المتينة الغليظة ، وغلقت دونهم أبواب مدينتهم ، من خوف أعدائهم . يعتز ببدوته ، وأنه لا يعانى ما يعانى أهل الحضر من الزراعة وما يتبعها .

ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات

والسبب الذي من أجله أحدثها الله فيهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما أتى موسى فرعون ، قال له : أرسل معي بنى إسرائيل ، فأبى عليه ، فأرسل الله عليهم الطوفان ، وهو المطر ، فصب عليهم منه شيئا ، فخافوا أن يكون عذابا ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ، لأن كشفت عنا الرجز لتؤمننَّ لك ، ولنرسلنَّ معك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فأنبئت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والتمر والكلأ ، فقالوا : هذا ما كنا نتمنى ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فسلطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ ، عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك ، فيكشف عنا الجراد ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فداسوا وأحرزوا في البيوت ، فقالوا : قد أحرزنا ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، وهو السوس الذي يخرج منه ، فكان الرجل يخرج عشرة آجرية إلى الرحي ، فلا يرد منها ثلاثة أفقرة ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القُمَّل ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل . فبينما هو جالس عند فرعون ، إذ سمع نقيق ضفدع ، فقال لفرعون : ما تلتى أنت وقومك من هذا ، فقال : وما عسى أن يكون كيد هذا ، فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ، ويهيم أن يتكلم فتنب الضفادع في فيه ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشف عنهم فلم يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار ، أو ما كان في أوعيتهم ، وجدوه دما عبيطا ، فشكوا إلى فرعون ، فقالوا : إنا قد ابتلينا بالدم ، وليس لنا شراب ، فقال : إنه قد سحركم ، فقالوا : من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا ، فأتوه فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جوبه الرازي ، عن يعقوب القُصَمي ، عن جعفر ، عن ابن عباس ، قال : لما خافوا الغرق ، قال فرعون : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر ، فنؤمن لك ، ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن يعقوب .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم إن الله أرسل عليهم ، يعني على قوم فرعون الطوفان ، وهو المطر ، فغرق كل شيء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشف الله عنهم ، ونبتت به زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أننا لم نمطر ، فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقي من زروعهم بقية ، فقالوا : لم تؤمنون وقد بقي من زرعا بقية تكفيننا؟ فبعث الله عليهم الدَّبَّ ، وهو القمل ، فلتحس الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم

وبين جلده فيعضه ، وكان لأحدهم الطعام فيمتملى دُبِي ، حتى إن أحدهم لبني الأُسْطُرَانَةَ بالخص ، فبزلقها ، حتى لا يرتقى فرقها شيء ، يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دَبِي ، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدَّبِي ، وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن أنه وقع عليهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه ، فيكشف عنهم ، ويؤمنوا به ، فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيليّ يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء هذا القبطي دما ، ويخرج للإسرائيليّ ماء ؛ فلما اشتدّ ذلك عليهم ، سألو موسى أن يكشفه ، ويؤمنوا به ، فكشف ذلك ، فأبوا أن يؤمنوا ، وذلك حين يقول الله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) قال : أرسل الله عليهم الماء ، حتى قاموا فيه قياما ، ثم كشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله ، فأرسل الله عليه الجراد ، فأكله إلا قليلا ، فلم يؤمنوا أيضا ، فأرسل الله القُمَّلَ وهي الدَّبِي ، وهي أولاد الجراد ، فأكلت ما بقي من زروعهم ، فلم يؤمنوا ، فأرسل عليهم الضفادع ، فدخلت عليهم بيوتهم ، ووقعت في آنيةهم وفرشهم ، فلم يؤمنوا ، ثم أرسل الله عليهم الدم ، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما ، قال الله : (آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) حتى بلغ مجرمين ، قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ، فدعوا موسى فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ، ثم أنبت أرضهم ، ثم أرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم وثمارهم ، ثم دعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم القُمَّلَ ، هذا الدبى الذى رأيت ، فأكل ما أبى الجراد من حروثهم ، فلحسه ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ، ثم أرسل الله عليهم الدم ، فكانوا لا يغترفون من ماثهم إلا دما أحمر ، حتى لقد ذُكر أن عدو الله فرعون ، كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد ، القبطي والإسرائيليّ ، فيكون مما يلي الإسرائيليّ ماء ، ومما يلي القبطي دما ، فدعرا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم في تسع آيات السنين ، ونقص من الثمرات ، وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وهو المطر ، حتى خافوا الهلاك ، فأتوا موسى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك ، أن يكشف عنا المطر ، فإننا نؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم المطر ، فأثبت الله به حرثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحبّ أن نلمّ نمطر بترك ديننا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد ، فإننا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم

الجراد ، وكان قد بقي من زروعهم ومعاشهم بقايا ، فقالوا : قد بقي لنا ما هو كافينا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل ، وهو الدَّبِّي ، فتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسوا بالهلاك ، قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الدبِّي ، فإننا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الدبِّي ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فلأبوتهم منها ، ولتقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، إنها كانت تنب في قدورهم ، فتفسد عليهم طعامهم ، وتطغى نيرانهم ، قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاء وأذى ، فإننا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الضفادع ، فقالوا : لانؤمن لك ، ولا نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الدم ، فجعوا لا يأكلون إلا الدم ، ولا يشربون إلا الدم ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم ، فإننا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم الدم ، فقالوا : يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فكانت آيات مفصَّلات ، بعضها على إثر بعض ، ليكون لله عليهم الحجة ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم في اليم :

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أرسل على قوم فرعون الآيات : الجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم (آيات مفصَّلات) قال : فكان الرجل من بنى إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون في السفينة ، فيغترف الإسرائيلي ماء ، ويغترف الفرعوني دما . قال : وكان الرجل من قوم فرعون ينام في جانب ، فيكثر عليه القُمَّل والضفادع ، حتى لا يقدر أن يتقلب على الجانب الآخر ، فلم يزالوا كذلك ، حتى أوحى الله إلى موسى (أن أسر بعبادي ، إنكم متبِعُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أتى موسى فرعون بالرسالة أتى أن يؤمن ، وأن يرسل معه بنى إسرائيل ، فاستكبر ، قال : لن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، أمطر عليهم السماء ، حتى كادوا يهلكون ، وامتنع منهم كل شيء ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لنكشف عنا هذا لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فدعا الله ، فكشف عنهم المطر ، فأثبت الله لهم حروثهم ، وأحيا بذلك المطر كل شيء من بلادهم ، فقالوا : والله ما نحب أن نكن أمطرنا هذا المطر ، ولقد كان خيرا لنا ، فلن نرسل معك بنى إسرائيل ، ولن نؤمن لك يا موسى . فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم ، فأسرع الجراد في فسادها ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فإننا مؤمنون لك ، ومرسلون معك بنى إسرائيل . فكشف الله عنهم الجراد ، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية ، فقالوا : قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا ، فما نحن بتاركى ديننا ، ولن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل ، والقُمَّل : الدَّبِّي ، وهو الجراد الذي ليست له أجنحة ، فتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم ،

وكل نبات كان لهم ، فكان القمل أشدّ عليهم من الجراد ، فلم يستطيعوا للقمل حيلة ، وجزعوا من ذلك وأتوا موسى ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا القُمَّل ، فإنه لم يبق لنا شيئا ، قد أكل ما بقي من حروثنا ، ولئن كشفت عنا القُمَّل لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فكشف الله عنهم القُمَّل فنكثوا ، وقالوا : لن نؤمننّ لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فامتألت منها البيوت ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع ، فلقوا منها شيئا لم يلقوه فيما مضى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك لنكشف عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، قال : فكشف الله عنهم فلم يفعلوا ، فأنزل الله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُورِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) . . . إلى (وكانوا عنها غافلين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تمّيلة ، قال : ثنا الحسن بن واقد ، عن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال كانت الضفادع برّية ، فلما أرسلها الله على آل فرعون ، سمعت وأطاعت ، فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلى ، وفي التناير وهي تفور ، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فرجع عدو الله ، يعنى فرعون ، حين آمنت السحرة مقلوبا مقلولا ، ثم أبى الإقامة على الكفر ، والتمادى في الشرّ ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذة بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القُمَّل ، ثم الضفادع ، ثم الدم (آيات مفصّلات) ، فأرسل الطوفان ، وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ، ثم ركد ، لا يقدرّون على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئا ، حتى جهّدوا جوعا ، فلما بلغهم ذلك ، قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك لنكشف عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فدعا موسى ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر فيما بلغنى ، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد ، حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، فدكر لى أن موسى أمر أن يمشى إلى كَثِيب ، حتى يضربه بعصاه ، فمضى إلى كَثِيب أهيل عظيم ، فضربه بها ، فانثال عليهم قملا ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ؛ فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فمألت البيوت والأطعمة والآنية ، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا إناء ، إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دما ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغيرّون من إناء إلا عاد دما عبيطا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدث أن المرأة من آل فرعون ، كانت تأتى المرأة من بنى إسرائيل ، حين جهّد هُم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرتها ، أو تصب لها من قربتها ، فيعود في الإناء دما ، حتى إن كانت

لتقول لها : اجعليه في فيك ، ثم مجيئه في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا مجته في فيها صار دما ، فمكثوا في ذلك سبعة أيام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الجراد يأكل زروعهم ونباتهم ، والصفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم ، والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومأثمهم وطعامهم . قال : ثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما سال النيل دما ، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا ، ويستقي الفرعوني دما ، ويشتركان في إناء واحد ، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا ، وما يلي الفرعوني دما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع : العصا : واليد ، ونقص من الثمرات ، والسنين ، قال : يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض ، وعتا في الأرض ، وبغى على ، وعلا عليك ، وعالى بقومه ، رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ، وتجعلها لقومي عظة ، ولن بعدى آية في الأمم الباقية ، فبعث الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة ، بعضها في بعض ، فامتلات بيوت القبط ماء ، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ، من حبس منهم غرق ، ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة ، فجعلت القبط تنادى موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك : لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بني إسرائيل ، قال : فوثقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهدهم ، وكان الماء أخذهم يوم السبت ، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر ، فدعا موسى ربه ، فرفع عنهم الماء ، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء ، فأقاموا شهرا في عافية ، ثم جحدوا وقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا ، وخصبا لبلادنا ، ما ننبأ أنه لم يكن ؛ قال : وقد قال قائل لابن عباس : إني سألت ابن عمر عن الطوفان ، فقال : ما أدري موتا كان أو ماء ، فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح ، فقال : (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) أ رأيت لو ماتوا إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟ قال : فقال موسى : يا رب إن عبادك قد نقضوا عهدك ، وأخلفوا وعدى ، رب خذهم بعقوبة ، تجعلها لهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولن بعدهم آية في الأمم الباقية ، قال : فبعث الله عليهم الجراد ، فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلا أكلها ، حتى لم يسبق جنى ، حتى إذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب ، حتى أكل الأبواب ، وسقوف البيوت ، وابتسلى الجراد بالجوع ، فجعل لا يشبع ، غير أنه لا يدخل بيوت بني إسرائيل ، فعمجوا وصاحوا إلى موسى ، فقالوا : يا موسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك : لأن كشفت عنا الرجز ، لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بني إسرائيل ، فأعطوه عهد الله وميثاقه ، فدعا لهم ربه ، فكشف الله عنهم الجراد ، بعد ما أقام عليهم سبعة أيام ، من السبت إلى السبت ، ثم أقاموا شهرا في عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم ، ولأعمالهم أعمال سوء ، قال : فقال موسى : يا رب عبادك قد نقضوا عهدى ، وأخلفوا موعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولن بعدى آية في الأمم الباقية . فأرسل الله عليهم القمل ، قال أبو بكر : سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان : كان إلى جنبهم كتيب

أعقر، بقرية من قُرى مصر تدعى عين شمس، فشئ موسى إلى ذلك الكثيب، فضربه بعصاه ضربة صار قملا تدب إليهم، وهى دواب سود صغار، فدب إليهم القمّل، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم، كأنه الجدرى عليهم، فصرخوا وصاحوا إلى موسى: إنا نتوب ولا نعود، فادع لنا ربك، فدعا ربه فرفع عنهم القمّل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا فى عافية، ثم عادوا وقالوا: ما كنا قطّ أحقّ أن نستيقن أنه ساحر، منا اليوم، جعل الرمل دواب، وعزة فرعون لانصدقه أبدا، ولا تبعه، فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم. فدعا موسى عليهم، فقال: يارب إن عبادك نقضوا عهدي، وأخلفوا وعدى، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة، ولقوى عظة، وإن بعدى آية فى الأمم الباقية. فأرسل الله عليهم الضفادع، فكان أحدهم يضطجع، فتركبه الضفادع، فتكون عليه ركاما، حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشق الآخر، ويفتح فاه لأكلته، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينا إلا تشدخت فيه، ولا يطبخ قدرا إلا امتلأت ضفادع، فعذبوا بها أشدّ العذاب. فشكوا إلى موسى عليه السلام، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ عهدهم وميثاقهم، ثم دعا ربه، فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا، من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا فى عافية، ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم، وقالوا: قد تبين لكم سحره، ويجعل التراب دواب، ويجيء بالصفادع فى غير ماء، فأدوا موسى عليه السلام. فقال موسى: يارب إن عبادك نقضوا عهدي، وأخلفوا وعدى، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة، ولقوى عظة، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية. فابتلاه الله بالدم، فأفسد عليهم معاشهم، فكان الإسرائيليّ والقبليّ يأتیان النيل فيستقيان، فيخرج للإسرائيلى ماء، ويخرج للقبليّ دما، ويقومان إلى الحبّ فيه الماء، فيخرج للإسرائيلىّ فى إنائه ماء، وللقبليّ دما.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا ابن سعد، قال: سمعت مجاهدا، فى قوله (فأرسلنا عليّهم الطوفان) قال: الموت والجراد، قال: الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم، والقمّل، هو الدبّ، سلطه الله عليهم بعد الجراد، قال: والصفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم. وقال بعضهم: الدم الذى أرسله الله عليهم كان رُعافا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أحمد بن خالد، قال: ثنا أيحيى بن أبى بكير، قال: ثنا زهير، قال: قال زيد بن أسلم: أما القمّل: فالقمّل؛ وأما الدم: فسلط عليهم الرعايف. وأما قوله (آيات مفصّلات) فإن معناه: علامات ودلالات على صحة نبوة موسى، وحقية ما دعاهم إليه. مفصّلات، قد فُصِّل بينها، فجعل بعضها يتلو بعضها، وبعضها فى إثر بعض.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة،

عن ابن عباس ، قال : فكانت آيات مفصّلات ، بعضها في إثر بعض ، ليكون لله الحجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم في اليم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (آياتٍ مُفصّلات) قال : يتبع بعضها بعضا ليكون لله الحجة عليهم ، فينتقم منهم بعد ذلك ، وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترفع عنهم شهرا ، قال الله عز وجل (فانتقمنا منهم ، فأغرقناهم في اليم) ... الآية . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، قال : قال ابن إسحاق (آياتٍ مُفصّلات) : أي آية بعد آية ، يتبع بعضها بعضا .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصّلات ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول : في آيات مفصّلات ، قال : معلومات . القول في تأويل قوله (فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين)

يقول تعالى ذكره : فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج ، عن الإيمان بالله ، وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما دعاهم إليه ، وتعظّموا على الله ، وعتّوا عليه (وكانوا قوماً مجرمين) يقول : كانوا قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتّوا وتمردوا .

القول في تأويل قوله

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا : يَا مُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَنْ نَكْشِفَ عَنْكَ الرِّجْزَ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ ، وَ لَنْ نُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولما وقع عليهم الرجز : ولما نزل بهم عذاب الله ، وحلّ بهم سخطه . ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم ، فقال بعضهم : كون ذلك طاعونا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : وأمر موسى قومه من بني إسرائيل ، وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس : الطوفان ، وما ذكر الله في هذه الآية ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فقال : ليذبح كل رجل منكم كبشاً ، ثم ليخضب كفه في دمه ، ثم ليضرب به على بابه ، فقالت القبط لبني إسرائيل : لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم ؟ فقالوا : إن الله يرسل عليكم عذابا ، فنسلم وتهلكون . فقالت القبط : فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات ؟ فقالوا : هكذا أمرنا به نبينا ، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا ، فأمسوا وهم لا يتدافعون ، فقال فرعون عند ذلك : (اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ : لَنْ نَكْشِفَ عَنْكَ الرِّجْزَ) وهو الطاعون

(لَسْتُؤْمِينَ لَكَ وَلَسْتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فدعا ربه فكشفه عنهم ، فكان أوفاهم كلهم فرعون ، فقال لموسى : اذهب ببني إسرائيل حيث شئت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حَبِيبُ الرَّازِي ، وأبو داود الحفري ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : حبويه عن ابن عباس (لَسِينَ كَشَفْتَنَا عَنَّا الرَّجْزَ) قال : الطاعون . وقال آخرون : هو العذاب .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الرجز العذاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ) أي العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) يقول : العذاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزَ) قال : الرجز : العذاب الذي سلط الله عليهم من الجراد والقُمَّل وغير ذلك ، وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون . وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا ، بشواهد المغنية عن إعادتها .

وأولى القولين بالصواب في هذا الموضوع : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه : أنهم لما وقع عليهم الرجز ، وهو العذاب والسخط من الله عليهم ، فزعوا إلى موسى ، بمسألته ربه كشف ذلك عنهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم ، لأن كل ذلك كان عذابا عليهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ، ولم يخبرنا الله أي ذلك كان ، ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي ذلك كان خبر ، فنسلم له .

فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمنع فيه بين أهل التأويل ، وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه (قَالُوا : يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) يقول : بما أوصاك وأمرك به ، وقد بينا معنى العهد فيما مضى (لَسِينَ كَشَفْتَنَا عَنَّا الرَّجْزَ) يقول : لأن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه (لَسْتُؤْمِينَ لَكَ) يقول : لنصدقن بما جئت به ، ودعوت إليه ، ولنقرن به لك (وَلَسْتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول : ولنخلكن معك بني إسرائيل ، فلا تمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا .

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)

يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه ، فأجابه ، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم (إلى أجلٍ هُمُ بِالْغُوهِ) ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم (إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) يقول : إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضالهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (إلى أجلٍ هُمُ بِالْغُوهِ) قال : عدد مسمى لهم من أيامهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمُ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) قال : ما أُعْطُوا من العهود ، وهو حين يقول الله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) وهو الجوع (وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ) .

القول في تأويل قوله

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)

يقول تعالى ذكره : فلما نكثوا عهودهم ، انتقمنا منهم ، يقول : انتصرنا منهم بإحلال نعمتنا بهم ، وذلك عذابه ، فأغرقناهم في اليم ، وهو البحر ، كما قال ذو الرمة :

داوئيةٌ ودجى لَيْسَلٍ كَأَنَّهُمَا يَمٌّ تَرَاظِنُ فِي حَافَتَيْهِ الرُّومُ^١

وكما قال الراجز :

كباذِخِ السِّيمِ سَقَاهُ السِّيمُ^٢

(بأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) يقول : فعلنا ذلك بهم ، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها . (وكانوا عَنْهَا غَافِلِينَ) يقول : وكانوا عن النعمة التي أحللتها لهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة ، والهاء والألف في قوله (عَنْهَا) كناية من ذكر النعمة ، فلو قال قائل : هي كناية من ذكر الآيات ، ووجه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين ، فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم ، إذ لم يقبلوها ، كان مذهبا ، يقال من الغفلة ، غَفَلَ الرجل عن كذا يَغْفُلُ عنه غَفْلَةً وَغَفُولًا وَغَفْلًا .

(١) هذا البيت الخامس والثلاثون في قصيدة ذي الرمة المشهورة التي مطلعها : « أن توذمت من خرقاه منزلة » . والداوية ، ويروي الدوية : الفلاة . واليم : البحر . والدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة . والرطانة : كلام العجم والروم وما ليس يعرب من اللغات . وحافاته : جوانبه ، شبه البرية وما تراكم عليه من سواد الليل بالبحر وأمواجه .

(٢) هذا البيت للمعاج ، هو الرابع والعشرون من أرجوزة له يذكر فيها مسعود بن عمر العتكي من الأزدي (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٦٣) والباذخ : العالى ، يقال : شرف باذخ . واليم : يطلق على البحر الملح ، كما يطلق على النهر الكبير العذب ، كنهير النيل .

القول في تأويل قوله

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ،
وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمُهُ ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)

يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم ، فيذبحون أبناءهم ،
ويستحيون نساءهم ، ويستخذمونهم تسخيروا واستعبادا من بني إسرائيل ، مشارق الأرض : الشام ، وذلك ما يلي
الشرق منها ، ومغاربها التي باركنا فيها ، يقول : التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها . وإنما قال جل ثناؤه
(وأورثنا) ، لأنه أورث ذلك بني إسرائيل ، بمهلك من كان فيها من العمالقة .
وبمثل الذي قلنا في قوله (مشارق الأرض ومغاربها) قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن فترات القزاز ، عن الحسن ، في قوله
(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) قال : الشام
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فترات القزاز ، قال :
سمعت الحسن يقول ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن فترات القزاز ، عن الحسن : الأرض التي باركنا
فيها ، قال : الشام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) هي أرض الشام .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (مشارق
الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) قال : التي بارك فيها : الشام . وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق
الأرض ومغاربها نصب على المحل ، يعني : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض
ومغاربها . وأن قوله (وأورثنا) إنما وقع على قوله (التي باركنا فيها) ، وذلك قول لامعنى له ، لأن بني
إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز ،
والأمر كذلك أن يقال : الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها .

فإن قال قائل : فإن معناه : في مشارق أرض مصر ومغاربها ، فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب ،
مع خروجه عن أقوال أهل التأويل ، والعلماء بالتفسير .

وأما قوله (وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ) فإنه يقول : وفي وعد الله الذي وعد بني إسرائيل

بتمامه، على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض، ونصره إياهم على عدوهم فرعون. وكلمته الحسنی قوله جل ثناؤه (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمُ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ).

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم في الأرض، وما ورثهم منها:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه. وأما قوله (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) فإنه يقول: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانوا يعبرشون) يقول: وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخربنا جميع ذلك. وقد بينا معنى التعريش فيما مضى بشواهد. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (وَمَا كَانُوا يَعْبَرِشُونَ) يقول: يبنون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (يَعْبَرِشُونَ) يبنون البيوت والمساكن ما بلغت، وكان عندهم غير معروش.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. واختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (يَعْبَرِشُونَ) بكسر الراء، سوى عاصم بن أبي النجود، فإنه قرأه بضمها، وهما لغتان مشهورتان في العرب، يقال: عرَّش يعرِّش ويعرِّش، فإذا كان ذلك كذلك، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، لانفاق معنى ذلك، وأنهما معروفان من كلام العرب، وكذلك تفعل العرب في «فَعَمَلٌ» إذا ردت إلى الاستقبال، تضم العين منه أحيانا، وتكسره أحيانا، غير أن أحب القراءتين إلى كسر الراء، لشهرتها في العامة، وكثرة القراءة بها، وأنها أصح اللغتين.

القول في تأويل قوله

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَمٍ لَهُمْ، قَالُوا: يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)

يقول تعالى ذكره: وقطعنا بني إسرائيل البحر، بعد الآيات التي أريناهموها، والعبر التي عاينوها، على يدي نبي الله موسى، فلم تزرهم تلك الآيات، ولم تعظم تلك العبر والبيئات، حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج، ما يحق أن يذكر معها البهائم، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول: يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله: اجعل لنا يا موسى إلها، يقول: مثالا لعبده، وصنما نتخذه إلها، كما هؤلاء القوم أصنام يعبدونها، ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله، وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله، الذي له ملك السموات والأرض.

وذكر عن ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ) قال ابن جريج: على أصنام لهم، قال: تماثيل بقر، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أول شأن العجل، (قَالُوا: يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) وقيل: إن القوم الذين كانوا عكوفاً على أصنام لهم، الذين ذكرهم الله في هذه الآية، قوم كانوا من لحم: ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا بشر بن عمر، قال: ثنا العباس بن المفضل، عن أبي العوام، عن قتادة (فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ) قال: على لحم، وقيل لهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتلهم.

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: أن أبا واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل حنين، فمررنا بسيدرة، قلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط، كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسيدرة يعكفون حولها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، هذا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، إِنَّكُمْ سَتَرَكِبُونَ سُنَنِ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سنان ابن أبي سنان، عن واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل حنين، فمررنا بسيدرة، فقلنا: يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط، فذكر نحوه.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن سنان ابن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحوه.

حدثنا ابن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد الليثي، أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، قال: وكان للكفار يسدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا

بسدرة خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، قال : قُلْتُمْ وَالَّذِي نَنْتَسِبُ
بِيَدِهِ مَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا لَهَا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قال : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أَتَيْتُمُوهَا
السُّنِينَ ، لَتَرَنَّ كَثِيرًا مِّنْ سُنِينَ مَن كَانَ قَبْلُكُمْ » .

القول في تأويل قوله

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل ، يقول تعالى ذكره : قال لهم موسى :
إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام ، الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده ، ومُخْتَسِرهم فيه ، بإثابته إياهم عليه
العذاب المهين ، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها ، فمضمحل ، لأنه غير نافع عند مجيء أمر الله
وحلوله بساحتهم ، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم ، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم في القيامة ،
فهو في معنى ما لم يكن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، وحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو
ابن حماد ، قال جميعا : حدثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ) يقول : مهلك
ما هم فيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قال : (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ) يقول : خسران .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ
مَا هُمْ فِيهِ ، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : هذا كله واحد ، كهيئة غفور رحيم ، غفور غفور .
قال : والعرب تقول : إنه البائس المتببر ، وإنه البائس الخسر .

القول في تأويل قوله

قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه : أسوى الله أئمتكم لها ، وأجعل لكم معبودا تعبدونه ، والله
الذي هو خالقكم ، فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم ، يقول : أفأبغيتكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم ،
تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ، إيمانكم هذا لجهل .

القول في تأويل قوله

وَإِذْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)

يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل، الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذكروا مع قبلكم هذا الذي قلموه لموسى، بعد رؤيتكم من الآيات والعبء، وبعد النعم التي سلفت مني إليكم، والأيدى التي تقدمت فعلكم ما فعلتم، (إِذْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وهم الذين كانوا على مينهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا، ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه (يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) الذكور من أولادهم (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) يقول: يستبقون إناهم (وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم وتعهد عظيم.

القول في تأويل قوله

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ، فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)

يقول تعالى ذكره: وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة، وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذي القعدة. (وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال، تنمة أربعين ليلة. وقيل: إن العشر التي أتمها به أربعين، عشر ذي الحجة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة، ففي ذلك اختلفوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) هو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، فذلك قوله (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن الثلاثين التي كان واعد موسى ربه، كانت ذا القعدة والعشر من ذي الحجة، التي تم الله بها الأربعين. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا

مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) قال : ذو القعدة (وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرِينَ) قال : عشر ذى الحجة ، قال ابن جريج : قال ابن عباس ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، في قوله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرِينَ) قال : ذو القعدة ، والعشر الأول من ذى الحجة . قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق (وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرِينَ) قال : عشر الأضحى .

وأما قوله (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) فإنه يعني : فكمل الوقت الذي واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) قال : فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة .

القول في تأويل قوله (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره : لما مضى لموعد ربه ، قال لأخيه هارون : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) يقول : كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع ، يقال منه : خَلَفَهُ يَخْلُفُهُ خِلاَفَةً . وأصلح : يقول : وأصلحهم ، بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال موسى لأخيه هارون : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) وكان من إصلاحه ألا يدع العجل يُعْبَد .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم ، ومعرتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم ، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم ، فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ، ونجى منه بني إسرائيل ، فيما قال أهل العلم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى الحجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) . . . الآية ، قال : يقول : إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون ، وقبل الطور لما نجى الله

موسى عليه السلام من البحر ، وغرق آل فرعون ، وخلص إلى الأرض الطيبة ، أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى ، وأمره ربه أن يلقاه ، فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه ، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين

ليلة ميعادا من قبيله ، من غير أمر ربه ولا ميعاده ، فتوجه ليلتي ربه ، فلما تمت ثلاثون ليلة ، قال عدو الله السامري : ليس يأتيكم موسى ، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه ، فناشدهم هارون ، وقال : لاتفعلوا ، انظروا

ليلتكم هذه ، ويومكم هذا ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ؛ فقالوا : نعم ؛ فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى ، عاد السامري لمثل قوله بالأمس ، قال : وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذي جعله بينهم عشرا ، فتم

مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فعاد هارون فناشدهم إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضا ، فإن جاء ، وإلا فعلتم ما بدا لكم ، ثم عاد السامري الثالثة لمثل قوله لهم ، وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا ؛ فلما لم يروه .

قال القاسم : قال الحسن : حدثني حجاج ، قال : ثني أبو بكر بن عبد الله الهذلي ، قال : قام السامري إلى هارون حين انطلق موسى ، فقال : يا نبي الله ، إنا استعزنا يوم خرجنا من القبط حلياً كثيراً من زينتهم ، وإن الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه وينفقونه ، وإنما كان عاريتة من آل فرعون ، فليسوا بأحياء فرددتها عليهم ، ولا ندرى ، لعل أخاك نبي الله موسى إذا جاء ، يكون له فيها رأى ، إما يقرّبها قربانا فتأكلها النار ، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء ، فقال له هارون : نِعِمُّ ما رأيت وما قلت ! فأمر منادياً فنادى : من كان عنده شيء من حلي آل فرعون ، فليأتنا به ، فأتوه به ، فقال هارون : يا سامري ، أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة ، فقبضها السامري ، وكان عدو الله الخبيث صائغاً ، فصاغ منه عجلاً جسداً ، ثم قذف في جوفه تُرْبَةً من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام ، إذ رآه في البحر ، فجعل يخور ، ولم يخِر إلا مرة واحدة ، وقال لبي إسرائيل : إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا ؛ هذا إلهكم وإله موسى فنسى ، يقول : إن موسى عليه السلام نسي ربه .

القول في تأويل قوله

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ : رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ : لَن تَرَانِي وَلَكِنِ
أَنْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَىٰ صَعِقًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه ، وكلمه ربه وناجاه ، قال موسى لربه : (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قال الله له مجيباً (لَن تَرَانِي ، وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) . كان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه ، ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه ، أحب أن ينظر إليه (قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ : لَن تَرَانِي ، وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فحفت حول الجبل ، وحفت حول الملائكة بنار ، وحفت حول النار بملائكة ، وحفت حول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : ثني من لسي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قرّبه الرب ، حتى سمع صريف القلم ، فقال عند ذلك من الشوق إليه : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ : لَن تَرَانِي ، وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثني الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لما تخلف موسى

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب . والذي في عرائس المجالس للثعلبي من رواية السدي : فحفت حول الجبل بالملائكة .

عليه السلام بعد الثلاثين ، حتى سمع كلام الله ، اشتاق إلى النظر إليه ، فقال : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ لَنْ تَرَانِي) وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلى في الدنيا ، من نظراً إلى مات ، قال : إلهي سمعت منطلقك ، واشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموت ، أحب إلى من أن أعيش ولا أراك ، قال : فانظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قال : أعطني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استخلف موسى هارون على بني إسرائيل ، وقال : إني متعجل إلى ربي ، فاخلفني في قومي ، ولا تتبع سبيل المفسدين ؛ فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقائه ، شوقاً إليه ، وأقام هارون في بني إسرائيل ، ومعه السامري ، يسير بهم على أثر موسى ، ليلحقهم به ؛ فلما كلم الله موسى ، طمع في رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال الله لموسى (إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي ، وَأَنْتَ كِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) . . . الآية . قال ابن إسحاق : فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى ، لما طلب النظر إلى ربه ، وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة ، أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة ، لم تأت في كتاب الله ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأول بأحاديث أهل الكتاب ، أنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى ، حين طلب ذلك إلى ربه ، أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته ، وطلب ذلك منه ، ورد عليه ربه منه ما رد : أن موسى كان تطهرّ وطهرّ ثيابه ، وصام للقاء ربه ؛ فلما أتى طور سيناء ، ودنا الله له في الغمام فكلمه ، سبحانه وحده ، وكبره وقدسّه ، مع تضرّع وبكاء حزين ، ثم أخذ في مدحته ، فقال : ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله ! من عظمتك أنه لم يكن شيء من قبلك ، فأنت الواحد القهار ، كان عرشك تحت عظمتك ، نار تو قد لك ، وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور ، فما أعظمك ربّ ، وأعظم ملكك ! جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمس مئة عام ، فما أعظمك ربّ ، وأعظم ملكك في سلطانك ! فإذا أردت شيئاً تقضيه في جنودك الذين في السماء ، أو الذين في الأرض ، وجنودك الذين في البحر ، بعثت الريح من عندك ، لا يراها شيء من خلقك إلا أنت إن شئت ، فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك ، فبلغوا لما أردت من عبادك ، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك ، ولا من عرشك ، ولا يسمع صوتك ، فقد أنعمت عليّ ، وأعظمت عليّ في الفضل ، وأحسنّت إليّ كلّ الإحسان ، عظمتني في أمم الأرض ، وعظمتني عند ملائكتك ، وأسمعتني صوتك ، وبذلت لي كلامك ، وآتيتني حكمتك ، فإن أعدّ نعماك لأحصيها ، وإن أردت شكرك لأستطيعها ، دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام ، والعقوبة الشديدة ، فضربت بعصاى التي في يدي البحر ، فانفلق لي ولمن معي ، ودعوتك حين جرّت البحر ، فأغرقت عدوك وعدوى ، وسألتك الماء لي ولأمّتي ، فضربت بعصاى التي في يدي الحجر ، فنه أرويتني وأمّتي ، وسألتك لأمّتي طعاماً لم يأكله أحد كان قبلهم ، فأمرتني أن أدعوك من قبيل المشرق ، ومن قبيل المغرب ، فناديتك

من شرق أمتي ، فأعطيهم المن من مشرقى لنفسي ، وآتيتهم السلوى من غربهم من قبيل البحر ، واشتكت الحر فناديتك ، فظلت عليهم بالغمام ، فما أطيق نعماك على أن أعدّها ولا أحصيها ، وإن أردت شكرها لأستطيعها ، فجتتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرعا ، لتعطيني ما منعت غيري ، أطلب إليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان ، أن تربي أنظر إليك ، فإنني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقك ، قال له ربّ العزة : فلا ترى يا بن عمران ما تقول ، تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لا يراني أحد فيحيا ، أليس في السموات معمري ، فإنهن قدضعفن أن يحملن عظمي ، وليس في الأرض معمري ، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندي ، فلست في مكان واحد ، فأجئني لعين تنظر إلي . قال موسى : يا ربّ أن أراك وأموت ، أحبّ إليّ من أن لا أراك ولا أحيأ ، قال له ربّ العزة : يا بن عمران ، تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لا يراني أحد فيحيا ، قال : ربّ تمم عليّ نعماك ، وتمم عليّ فضلك ، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ، ليس لي أن أراك فأقبض ، ولكن أحبّ أن أراك فيطمئن قلبي . قال له : يا بن عمران ، لن يراني أحد فيحيا ، قال موسى : ربّ تمم عليّ نعماك وفضلك ، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ، ليس لي أن أراك ، فأموت عليّ أثر ذلك أحبّ إليّ من الحياة . فقال الرحمن المترحم على خلقه : قد طلبت يا موسى ، وأعطيتك سؤالك ، إن استطعت أن تنظر إليّ ، فاذهب فاتخذ لوحيد ، ثم انظر إلى الحجر الأكبر في رأس الجبل ، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا بن عمران ، ثم انظر فإنني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير . ففعل موسى كما أمره ربه ، نحت لوحين ، ثم صعد بهما إلى الجبل ، فجلس على الحجر : فلما استوى عليه ، أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا ، فقال : ضعي أكنافك حول الجبل ، فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره ، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى ، أربعة فراسخ من كل ناحية ، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى ، فاعترضوا عليه ، فمروا به طيران النعّرات تبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة ، كصوت الرعد الشديد ، فقال موسى بن عمران عليه السلام : ربّ إني كنت عن هذا غنيا ، ما ترى عينا شيئا ، قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصنف على ملائكة ربي ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن أهبطوا على موسى : فاعترضوا عليه ، فهبطوا أمثال الأُسُد ، لهم لُحُب بالتسبيح والتقديس ، ففزع العبد الضعيف ابن عمران ، مما رأى ومما سمع ، فاقشعرت كل شعرة في رأسه وجلده ، ثم قال : ندمت على مسئلتى إياك ، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا موسى اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت . ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة : أن أهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصف^٢ ورَجْفٌ وِلْحَبٌ شديد ، وأفواههم تبع بالتسبيح والتقديس ، كلَّجَب الجيوش العظم ، أو كلهب النار ، ففزع موسى ، وأيست نفسه ، وأساء ظنه ، وأيس من الحياة ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : مكانك يا بن عمران ، حتى ترى ما لاتصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة : أن أهبطوا ، فاعترضوا على موسى بن عمران ، فأقبلوا وهبطوا عليه ، لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ، ألوانهم

(١) في اللسان : النغر : فراخ العصافير ، واحده نغرة (بضم ففتح) . وقيل ضرب من الحمر ، حمر المناقير وأصول الأحنك .
وجمعها : نغران . وهو البلبل عند أهل المدينة .
(٢) قصف : أي صوت ، كذا في عرائس المجالس للعلبي ، وفي المخطوطة رقم ١٠٠ (١٠ : ١٧٢ ظ) . وفي المطبوعة الثانية : نحف ، وهو الصوت من الأنف .

كلهب النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض ، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس ، لا يقاربههم شيء من أصوات [الذين مرّوا به قبلهم ، فاضطكت ركبته ، وأرعد قلبه ، واشتدّ بكاؤه ، فقال خير الملائكة ورأسهم : يابن عمران ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا ، فاعترضوا على موسى ، فهبط عليه سبعة ألوان ، فلم يستطع موسى أن يتبّعهم طرفه ، ولم ير مثلهم ، ولم يسمع مثل أصواتهم ، وامتلاً جوفه خوفاً ، واشتدّ حزنه ، وكثّر بكاؤه ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : يابن عمران ، مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة : أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى ، موسى بن عمران ، واعترضوا عليه ، فهبطوا عليه ، فى يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نار أشدّ ضوءاً من الشمس ، ولباسهم كلهب النار ، إذا سبحوا وقد سوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم ، يقولون بشدة أصواتهم : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، ربّ العزة أبداً لا يموت ، فى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه . فلما رآهم موسى رفع صوته ، يسبح معهم حين سبحوا ، وهو يبكى ويقول : ربّ اذكرنى ، ولا تنس عبدك ، لا أدرى أنقلب مما أنا فيه أم لا ؟ إن خرجت أحرقت ، وإن مكثت متّ . فقال له كبير الملائكة ورئيسهم : قد أوشكت يابن عمران أن يملى جوفك ، وينخلع قلبك ، ويشتدّ بكاؤك ، فاصبر للذى جلست لتنظر إليه يابن عمران . وكان جبل موسى جبلاً عظيماً ، فأمر الله أن يُحمّل عرشه ، ثم قال : مرّوا بى على عبدى ليرانى ، فقليل من كثير ما رأى ، فانفجر الجبل من عظمة الربّ ، وغشّى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً ، فارتجّ الجبل فاندكّ ، وكلّ شجرة كانت فيه ، وخرّ العبد الضعيف ، موسى بن عمران صعباً على وجهه ، ليس معه روحه ، فأرسل الله الحياة برحمته ، فتغشاها برحمته ، وقلب الحجر الذى كان عليه ، وجعله كالمعدة ، كهيئة القبة ، لئلا يحترق موسى ، فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يُصرّع . قال : فقام موسى يسبح الله ويقول : آمنت أنك ربى ، وصدقت أنه لا إله إلا الله ، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه ، فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك ! أنت ربّ الأرباب ، وإله الآلهة ، وملك الملوك ، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك ، وتأمّر السماء وما فيها فتطيعك ، لانستنكف من ذلك ، ولا يعدّ لك شيء ، ولا يقوم لك شيء ، ربّ تبت إليك ، الحمد لله الذى لا شريك له ، ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين !

القول فى تأويل قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) :

يقول تعالى ذكره : فلما اطلع الربّ للجبل ، جعل الله الجبل دكاً : أى مستويا بالأرض ، وخرّ موسى صعباً : أى مغشياً عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العنقرى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر . جعله دكا : قال : ترابا (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قال : تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكا ، وخر موسى صعقا ، فلم يزل صعقا ما شاء الله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : انقعر بعضه على بعض (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أي ميتا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أي ميتا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (دَكًّا) قال : دكّ بعضه بعضا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت سفيان يقول ، في قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : ساخ الجبل في الأرض ، حتى وقع في البحر ، فهو يذهب معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، عن حجاج ، عن أبي بكر الهذلي (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) : انقعر ، فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلى يوم القيامة .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرّة بن عيسى ، قال : ثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ، أَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ ، فَجَعَلَهُ دَكًّا » وأرانا أبو إسحاق بإصبعه السبابة .

حدثني المثنى ، قال : ثني الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : هكذا بأصبعه ، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفضل الأعلى من الخنصر ، فساخ الجبل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا هذبة بن خالد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : وضع الإبهام قريبا من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل ، فقال حميد لثابت : تقول هذا ؟ قال : فرقع ثابت يده ، فضرب صدر حميد ، وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس ، وأنا أكتمه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (فَلَمَّا

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِيمًا) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور ، صار مثل ذلك من الدكات .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَمَا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أِنِّي أَنْظَرُ إِلَيْكَ ، قَالَ لَنْ نَتْرَأَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) فإنه أكبر منك وأشد خلقا (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) فنظر إلى الجبل لايتالك ، وأقبل الجبل يندك على أوله ؛ فلما رأى موسى ما يصنع الجبل خر صعبا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (دَكًّا) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (دَكًّا) مقصورا بالتنوين ، بمعنى : ذلك الله الجبل دَكًّا : أى فتنه ، واعتبارا بقول الله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) ، وقوله (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) . واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد :

يَدُكُّ أَرْضَكَ الْجِبَالُ هَزْمُهُ تَخْطِرُ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ بُهْمُهُ ١

وقراءته عامة قراء الكوفيين (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) : بالمدّ وترك الجرّ والتنوين ، مثل حمراء وسوداء ، وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة ، ويقول فيه ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن يزيد بن حازم ، عن عكرمة ، قال : دكاء من الدكاوات ، وقال لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صحفه ترابا .

واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك ، فقال بعض نحويي البصرة : العرب تقول : ناقة دكاء : ليس لها سنام ، وقال : الجبل مذكر ، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء ، حذف مثل ، وأجراه مجرى (واسأل القريّة) . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضا دكاء ، ثم حذف الأرض ، وأقيمت الدكاء مقامها ، إذ أدت عنها ١ .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي : قراءة من قرأ جعله دكاء بالمدّ ، وترك الجرّ ، لدلالة الخبر الذي روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته . وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فسأخ الجبَلُ » ولم يقل ، فتفتتت ، ولا تحول ترابا ، ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ، ظهر وجه الأرض ، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها ، وصارت دكاء بلا سنام . وأما إذا دكّ بعضه ، وإنما يكسر بعضه بعضا ، ويفتتت ولا يسوخ . وأما الدكاء ، فإنها خلتف من الأرض ، فلذلك أتت على ما قد بينت .

فعنى الكلام إذن : فلما تجلى ربه للجبل ساخ ، فجعل مكانه أرضا دكاء .

وقد بيننا معنى الصّعيق بشواهد في ما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

(١) لم أجد البيهقي في ديوان حميد بن ثور الهلال طبعة دار الكتب المصرية . ولم أجد في اللسان ولا في التاج . والحزم والاهترام والتهمز : الصوت . ولعله يريد أصوات الأبطال في الحرب ، والكلام في وصف جيش . وتخطر : تتمايل وتمشي مشية العجب وسيوفهم تهتر ، وهي البيض الرقاق . والبهيم : جمع بهيمة ، بضم الباء وفتح الهاء ، وهم الأبطال الذين لا يدرى طالبهم من أين يصيبهم .

القول في تأويل قوله (فَلَسَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) :
يقول تعالى ذكره : فلما تاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيتته ، وذلك هو الإفاقة من الصعقة
التي خرت لها موسى صلى الله عليه وسلم ، قال : (سُبْحَانَكَ) : تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد
في الدنيا ثم يعيش ، (تَبْتُ إِلَيْكَ) من مسألتي إياك لما سألتك من الرؤية (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) بك من
قومي ، ألا يراك في الدنيا أحد إلا هلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن
أبي العالية ، في قوله (تَبْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا
أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال :
لما رأى موسى ذلك وأفاق ، عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له ، فقال (سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) قال أبو العالية : عني أني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان : قال أبو سعد ، عن عكرمة
عن ابن عباس (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) فررت به الملائكة وقد صعق ، فقالت : يابن النساء الحنيفة ، لقد
سألت ربك أمرا عظيما ؛ فلما أفاق قال : سبحانك لا إله إلا أنت ، تبث إليك ، وأنا أول المؤمنين . قال :
أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك ، يعني في الدنيا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(قَالَ سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ)
قال : من مسألتي الرؤية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (قَالَ سُبْحَانَكَ تَبْتُ
إِلَيْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد
(سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عيسى بن ميمون
عن مجاهد ، في قوله (سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ) قال : تبث إليك من أن أسألك الرؤية .

وقال آخرون : معناه قوله (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) بك من بني إسرائيل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنتمزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين) قال : أول من آمن بك من بني إسرائيل .
حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين) يعني : أول المؤمنين من بني إسرائيل .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قول الله (وأنا أول المؤمنين) : أنا أول قومي إيماناً .
حدثنا ابن وكيع والثنئي ، قالوا : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن
مجاهد (وأنا أول المؤمنين) يقول : أول قومي إيماناً .
حدثني الثنئي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأنا أول
المؤمنين) قال : أنا أول قومي إيماناً .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله (وأنا
أول المؤمنين) قال : أول قومي آمن .
❦ وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله (وأنا أول المؤمنين) على قول من قال : معناه : أنا أول
المؤمنين من بني إسرائيل ، لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء ، منهم ولد إسرائيل لصلبه ،
وكانوا مؤمنين وأنبياء ، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل .

القول في تأويل قوله

قَالَ : يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ رِسَالَتِي وَاكَلَمَنِي ، فَخَذْتُ مَاءَ آتَيْتُكَ وَكُنُّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)

❦ يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (يا موسى إِنِّي أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) يقول : اخترتك على
الناس (بِرِسَالَاتِي) إلى خلقي ، أرسلتك بها إليهم (وَبِكَلِمَتِي) كلمتك وناجيتك ، دون غيرك من خلقي .
(فَخَذْتُ مَاءَ آتَيْتُكَ) يقول : فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيي ، وتمسك به ، واعمل به ، يريد (وَكُنُّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على ما آتاك من رسالته ، وحصل به من النجوى ، بطاعته في أمره ونهييه ، والمسارة
إلى رضاه .

القول في تأويل قوله

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ ،
وَأَمْرُ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ، سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)

يقول تعالى ذكره : وكتبنا لموسى فى ألواحہ ، وأدخلت الألف واللام فى الألواح بدلا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحلامُ غَسِيرٌ عَوَازِبُ

وكما قال جل ثناؤه (فإن الجنة هي المآوى) يعنى : هى مأواه .
وقوله (مِنَ كُلِّ شَيْءٍ) يقول من التذكير والتنبية على عظمة الله وعز سلطانه ، (مَوْعِظَةً) لقومه ،
ومن أمر بالعمل بما كتب فى الألواح (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول : وتبيننا لكل شىء من أمر
الله ونبيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك ؛

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أو
سعيد بن جبير ، وهو فى أصل كتابى : عن سعيد بن جبير فى قول الله (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال :
ما أمروا به ونهوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وكتبنا
له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء) من الحلال والحرام .
حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله
(وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء) قال عطية : أخبرنى
ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كثر به الموت قال : هذا من أجل آدم ، قد كان الله جعلنا
فى دار مَثْوَى لانموت ، فخطأ آدم أنزلنا ههنا . فقال الله لموسى : أبعث إليك آدم فتخاصمه ؟ قال : نعم ؛
فلما بعث الله آدم ، سأله موسى ، فقال أبونا آدم عليهما السلام : يا موسى ، سألت الله أن يعثنى لك ،
قال موسى : لولا أنت لم نكن ههنا ، قال له آدم : أليس قد آتاك الله من كل شىء موعظة وتفصيلاً ،
أفلمست تعلم أنه ما أصاب فى الأرض من مصيبة ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ؟ قال موسى :
بلى ، فخصمته آدم صلى الله عليهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الصمد بن معقل ،
أنه سمع وهبا يقول فى قوله (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء)
(١) يريد : وأحلامهم غير عوازب . وهذا جزء من بيت للناطقة الذبياني ، من قصيدة له يمدح آل جفنة من غسانة الشام . والبيت بتمامه
كان فى (مختار الشعر الجاهل ص ١٦٢) :

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَسِيرَهُمْ
مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَسِيرُ عَوَازِبِ

شيءٍ) قال : كتب له لا تشرك بي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، فإن كل ذلك خلقي ، ولا تخلف باسمي كاذبا ، فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزيهه ، ووَقَّرَ والديك .
القول في تأويل قوله (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) :

يقول تعالى ذكره : وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء : خذ الألواح بقوة . وأخرج الخبر عن الألواح ، والمراد ما فيها .
واختلف أهل التأويل في معنى القوة في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : بجِدِّ .
ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة عن ابن عباس (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) قال : بجِدِّ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) قال : بجِدِّ واجتهاد .
وقال آخرون : معنى ذلك : فخذها بالطاعة لله .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، في قوله (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) قال : بالطاعة .

وقد بيننا معنى ذلك بشواهد ، واختلاف أهل التأويل فيه ، في سورة البقرة ، عند قوله (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا) :

يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى : وأمر قَوْمَكَ بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها ، يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا) : بأحسن ما يجدون فيها .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا) قال : أمر موسى أن يأخذها بأشدَّ مما أمر به قومه .

فإن قال قائل : وما معنى قوله (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا) ؟ أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن ؟ قيل : لا ، ولكن كان فيها أمر ونهي ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ، ويتركوا ما نهاهم عنه ، فالعمل بالمأمور به ، أحسن من العمل بالمنهي عنه .

القول في تأويل قوله (سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) :

يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب في الألواح من كل شيء : خذها بجِدِّ في العمل بما فيها واجتهاد ،

وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وإنهم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي ، فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم ، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إلى ، دار الفاسقين ، وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه ، وإنما قال (سأوريكم دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غدا إلام يصير إليه حال من خالف أمري ؟ على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره .
وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك :

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سأوريكم دار الفاسقين) قال : مصيرهم في الآخرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، في قوله (سأوريكم دار الفاسقين)

قال : جهنم .

وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها ، من

الجبابرة والعمالقة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سأوريكم دار الفاسقين) :

منازلهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دار الفاسقين)

قال : منازلهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهي مصر .

ذكر من قال ذلك ١ :

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ، لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه (سأوريكم دار

الفاسقين) أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يحتم ذلك

بالوعيد على من ضيعه ، وفرط في العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخير عما قد انقطع الخير عنه ،

أو عما لم يجز له ذكر .

القول في تأويل قوله

سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً
لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)

(١) هكذا بياض بالأصل بمقدار خمسة أسطر في النسخة رقم ١٠٠ ، والذي في الدر عن قتادة : دار الفاسقين ، قال : مصر . اه . قال

العراق : إنه تصحيف .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سأنزِع عنهم فهم الكتاب .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن منصور المَرْوَزِيُّ ، قال : ثنى محمد بن عبد الله بن بكر ، قال : سمعت ابن عيينة يقول في قول الله (سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) قال : يقول : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصْرِفُهم عن آياتي . وتأويل ابن عيينة هذا ، يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ، ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى ، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون موسى عليه السلام .

وقال آخرون في ذلك : معناه : سأصْرِفُهم عن الاعتبار بالحجج .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي) : عن خلق السموات والأرض والآيات فيها ، سأصْرِفُهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده ، وفرض عليهم من طاعته ، في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه ، والسموات والأرض ، وكل موجود من خلقه فن آياته ، والقرآن أيضا من آياته . وقد عمَّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق ، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته ، والاعتبار والادِّكارها مصروفون ، لأنهم لو وفَّقوا لفهم بعض ذلك ، فهتدوا للاعتبار به ، اتعظوا وأناهوا إلى الحق ، وذلك غير كائن منهم ، لأنه جل ثناؤه قال (وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا) ، فلا تبديل لكلمات الله .

القول في تأويل قوله (وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا) ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذلك بأبصارهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) :

يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وتكبرهم فيها بغير الحق ، تجبرهم فيها ، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله ، والإذعان لأمره ونهيه ، وهم لله عبيد ، يغدوهم بنعمته ، ويريح عليهم رزقه بكره وعشيا (كل آية) : يقول : كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته ، وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره . (لا يؤمنوا بها) يقول : لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة ، ولكنهم يقولون : هي سحر وكذب (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يقول : وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والستاد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب ، وصاروا إلى نعيم الأبد ، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا ، جهلا منهم وحسيرة . وإن يروا سبيل الغي ، يقول : وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلُّوا وهلكوا . وقد بيَّنا معنى الغي فيما

مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته . (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يقول : يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقا ، لصرف الله إياهم عن آياته ، وطبعه على قلوبهم ، فهم لا يفلقون ولا ينجحون . (ذلكَ بَأْتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها ، فيعتبروا بها ، ويذكروا فينبوا ، عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا . وكانوا عنها غافلين : يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيّة ما أمرناهم به ، ونهيناهم عنه ، غافلين : لا يتفكّرون فيها ، لاهين عنها ، لا يعتبرون بها ، فحقّ عليهم حينئذ قول ربنا ، فعطبوا .

واختلف القراء في قراءة قوله (الرُّشْدُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين : (الرُّشْدُ) بضم الراء وتسكين الشين . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين (الرُّشْدُ) بفتح الراء والشين .

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه ، وفيه إذا فتحتا جميعا . فذكر عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه كان يقول : معناه ، إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : الصلاح ، كما قال الله (فَإِنْ آتَسَّمْ مِنْهُمْ رُشْدًا) بمعنى : صلاحا ، وكذلك كان يقرؤه هو . ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه (الرُّشْدُ) في الدين ، كما قال جل ثناؤه (تَعَلَّمْنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا) بمعنى الاستقامة والصواب في الدين . وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل السَّقْمِ والسَّقَمِ ، والحَزْنِ والحَزَنِ ، وكذلك الرُّشْدُ والرُّشْدُ .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان القراءة بهما في قرأة الأمصار ، متفقتهما المعنى ، فأبتهما قرأ القارئ ، فصيب الصواب بها .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق ، وكلّ مكذب حُجِّجَ الله ورسله وآياته ، وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكر لقاء الله في آخرته ، ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبّتت ، لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضي الله ، فصارت أعمالهم عليهم وبالاً . يقول الله جل ثناؤه (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ؟ يقول : هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون ، فصارت ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها ، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان ، دون طاعة الرحمن ، نعوذ بالله من غضبه . وقد بينّا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله

وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ
لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ، اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)

يقول تعالى ذكره : واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقتهم موسى ، ماضيا إلى ربه لمناجاته ، ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده ، من حلبيهم عجلا ، وهو ولد البقرة ، فعبدوه . ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال : (جَسَدًا لَهُ خُورٌ) والحرار : صوت البقر . يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل ، وذلك أن الرب جل جلاله ، الذي له ملك السموات والأرض ، ومدبر ذلك ، لا يجوز أن يكون جسدا له خوار ، لا يكلم أحدا ، ولا يرشد إلى خير . وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك : هذا إلهنا وإله موسى ، فعكفوا عليه يعبدونه ، جهلا منهم ، وذهابا عن الله وضلالا . وقد بيننا سبب عبادتهم إياه ، وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وفي الحلي لغتان : ضم الحاء ، وهو الأصل ، وكسرها ، وكذلك ذلك في كل ما شاكله من مثل صلي وجسي وعسي ، وبأيتهما قرأ القاري فمصيب الصواب ، لاستفاضة القراءة بهما في القراءة ، لاتفارق بين معنيهما .

وقوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) يقول : ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حلبيهم يعبدونه ، أن العجل لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا ، يقول : ولا يرشدهم إلى طريق ، وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقا ، بل صفة أنه يكلم أنبياءه ورسله ، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهلاك والردى ، يقول الله جل ثناؤه (اتَّخَذُوا الْعِجْلَ لَهَا (وَكَانُوا) بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ رَبًّا مَعْبُودًا (ظَالِمِينَ) لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة . وقد بيننا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ، قَالُوا : آتَيْنَا لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)

يعني تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ) : ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جل ثناؤه صفته ، عند رجوع موسى إليهم ، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم ، وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف ، وعاجز عن شيء : قد سقط في يديه وأسقط : لغتان فصيحتان ، وأصله من الاستسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه ، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره ، فيكتفه ،

فالمرجى به مسقوط في يدي الساقط به ، فقيل لكل عاجز عن شيء ، ومصارع لعجزه ، متندم على ما فاتته : سَقِطَ في يديه وأَسْقِطَ . وَعَنَى بقوله (وَ أَوْ أَاتَهُمْ قَدْرًا ضَلُّوا) : ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل ، وذهبوا عن دين الله ، وكفروا بربهم ، قالوا تائبين إلى الله ، منيبين إليه من كفرهم به : (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا) بالرفع على وجه الخبر ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) بالنصب ، بتأويل لئن لم ترحمنا ياربنا ، على وجه الخطاب منهم لربهم . واعتل قارئو ذلك كذلك ، بأنه في إحدى القراءتين قالوا (لَسَيْنَ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا) ، وذلك دليل على الخطاب .

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك : القراءة على وجه الخبر ، بالياء في يرحمنا ، وبالرفع في قوله رَبَّنَا ، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها إلى الخطاب ، والقراءة التي حُكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا : (لَسَيْنَ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) لانعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه . ومعنى قوله (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) : لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ، ويتغمد بها ذنوبنا ، لنكونن من الهالكين ، الذين حبطت أعمالهم .

القول في تأويل قوله

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ، أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل ، رجع غضبان أسفا ، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه ، وأن السامري قد أضلهم ، فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك ، والأسف : شدة الغضب ، والتغيظ به على من أغضبه .

كما حدثني عمران بن بكَّار الكلاعي ، قال : ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي ، قال : ثنا شريح بن يزيد ، قال : سمعت نصر بن علقمة يقول : قال أبو الدرداء : قول الله (غَضْبَانَ أَسِفًا) ، قال : الأسف : منزلة وراء الغضب ، أشد من ذلك ، وتفسير ذلك في كتاب الله : ذهب إلى قومه غضبان ، وذهب أسفا .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أسفا ، قال : حزينا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) يقول: أسفا: حزينا . وقال في الزخرف (فَلَمَّا آسَفُونَا) يقول: أغضبونا . والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا سليمان بن سليمان ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) قال : غضبان حزينا .

وقوله (قَالَ بَيْنَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي) يقول : بئس الفعل فعلتم بعد فراقى إياكم ، وأوليتموني فيمن خلفت من ورأى من قومي فيكم ، وديني الذي أمركم به ربكم ، يقال منه : خلفه بخير وخلفه بشر : إذا أولاه في أهله أو قومه ، ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم ، خيرا أو شرا . وقوله (أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) يقول : أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم ، وذهبتم عنه ، يقال منه : عجل فلان هذا الأمر : إذا سبقه ، وعجل فلان فلانا إذا سبقه ، ولاتعجلتني يا فلان : لاتذهب عني وتدعني ، وأعجلتته : استحثته . القول في تأويل قوله (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) ، قال ابن أمّ إن القَوْمَ اسْتَضَعَمُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) :

يقول تعالى ذكره : وألقى موسى الألواح . ثم اختلف أهل العلم في سبب إلقائه إياها ، فقال بعضهم : ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح من الغضب .

وحدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما رجع موسى إلى قومه ، وكان قريبا منهم ، سمع أصواتهم ، فقال : إني لأسمع أصوات قوم لاهين ؛ فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ، ألقى الألواح فكسرهما ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخذ موسى الألواح ، ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، فقال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا . . . إلى قوله (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) ، قال : يا ابن أمّ لاتأخذ بليحيتي ولا برأسي) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما انتهى موسى إلى قومه ، فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ، يقول : (مامنعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تكبيعين ، أفعصيت أمرى) ؟

وقال آخرون : إنما ألقى موسى الألواح ، لفضائل أصابها فيها لغير قومه ، فاشتد ذلك عليه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَخَذَ الْأَلْوَا حَ) قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون : أي آخرون في الخلق ، سابقون في دخول الجنة ، رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظراً ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه ، قال قتادة : وإن الله أعطاكم أيها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم ، قال : رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول ، وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون فصول الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعداء الكذّاب ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ، ثم يؤجرون عليها ، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة قبلت منه ، بعث الله عليها نارا فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع ، قال : وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم ، قال : رَبِّ اجعلهم أمتي ؛ قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها ، كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ، رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبيون والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم المشفقون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح ، وقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد . قال : فأعطى نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي ، قال الله (يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) قال : فرضى نبي الله ، ثم أعطى الثانية (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : فرضى نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما أخذ موسى الألواح ، قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم خير الأمم ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ ، إلا أنه قال في حديثه : فألقى موسى عليه السلام الألواح ، وقال : اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك : أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح ، كان من أجل غضبه على قومه ، لعبادتهم العجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه ، فقال (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ، أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمُ الْأَلْوَا حَ

وأخذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ) وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام في الألواح التوراة ، أدناه منه حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي عمارة ، عن علي عليه السلام ، قال : لما كتب الله الألواح لموسى عليه السلام ، وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أدناه ، حتى سمع صريف الأقلام . وقيل : إن التوراة كانت سبعة أسباع ؛ فلما ألقى موسى الألواح تكسرت ، فرفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء ، الذي قال الله (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ) وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي ، وهو الذي قال الله (أَخَذَ الْأَلْوَابِ فِي نَسْخَتِهَا هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهَبُونَ) . وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقُرْ بغير ، يقرأ منها الجزء في سنة . كما حدثني المثني ، قال : ثنا محمد بن خالد المكفوف ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أنزلت التوراة وهي سبعون وقُرْ بغير ، يقرأ منها الجزء في سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ، وعيسى ، وعزير ، ويوشع بن نون ، صلوات الله عليهم .

واختلفوا في الألواح ، فقال بعضهم : كانت من زمرد أخضر . وقال بعضهم : كانت من ياقوت . وقال بعضهم : كانت من برّاد .

ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك :

حدثني أحمد بن إبراهيم الدوري ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى ابن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى موسى الألواح فتكسرت ، فرفعت إلا سدسها قال ابن جريج : وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة .

وحدثني موسى بن سهل الرملي وعلي بن داود وعبد الله بن أحمد بن شيبويه وأحمد بن الحسن الترمذي ، قالوا : أخبرنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كانت ألواح موسى عليه السلام من برّاد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي الجعيد ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أي شيء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة ، كتابة الذهب ، كتبها الرحمن بيده ، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن محمد بن أبي الوضاح ، عن خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، قال : كانت الألواح زمردا ، فلما ألقى موسى الألواح بيتي الهدى والرحمة ، وذهب التفصيل ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الأشجعي ، عن محمد بن مسلم ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : كانت الألواح من زمرد أخضر . وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين ، فإن كان الذي

قال كما قال ، فإنه قيل (وكتبنا له في الألواح) وهما لوحان ، كما قيل (فإن كان له إخوة) وهما أخوان .

وأما قوله (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) : فإن ذلك من فعل نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعه ، وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه ، كما قال جل ثناؤه ، مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له : (مانتعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تنبيني ، أفعصيت أمرى) ؟ حين أخبره هارون بعذره ، فقيل عذره ، وذلك قبله لموسى (لا تأخذ بليحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول : فرقت بيني وبين إسرائيل ولم ترقب قولي) ، و (قال) يا (بن أم) إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء . . . الآية .

واختلفت القراء في قراءة قوله يا (بن أم) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة (يا بن أم) بفتح الميم من الأم . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يا (بن أم) بكسر الميم من الأم . واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره ، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب . فقال بعض نحوى البصرة : قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلتا اسما واحدا ، كما قيل : يا بن عم ، وقال : هذا شاذ لا يقاس عليه ، وقال : من قرأ ذلك : يا بن أم ، فهو على لغة الذين يقولون : هذا غلام قد جاء ، جعله اسما واحدا آخره مكسور ، مثل قوله خازباز . وقال بعض نحوى الكوفة : قيل : يا بن أم ويا بن عم ، فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات ، فيقال : يا حسرتا ، يا ويلتا ، قال : فكأنهم قالوا : يا أمه ويا عمه ، ولم يقولوا ذلك في أخ ، ولو قيل ذلك لكان صوابا ، قال : والذين خفضوا ذلك فإنه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء . قال : ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادى إلى نفسه ، إلا قولهم : يا بن أم ، ويا بن عم ، وذلك أنهما يكثر استعمالهما في كلامهم ، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء ، فقالوا : يا بن أمي ، ويا بن أختي وأخي ، ويا بن خالتي ، ويا بن خالي .

والصواب من القول في ذلك أن يقال إذا فتحت الميم من ابن أم ، فراد به التذبة : يا بن أمه ، وكذلك من ابن عم ، فإذا كسرت ، فراد به الإضافة ، ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم الخبر عن نفسه ، وكان بعض من أنكر نسبته كسر ذلك إذا كسر ، ككسر الزاي من خازباز ، لأن خازباز لا يعرف الثاني إلا بالأول ، ولا الأول إلا بالثاني ، فصار كالأصوات . وحكى عن يونس النحوى تأنيث أم وتأنيث عم ، وقال : لا يجعل اسما واحدا إلا مع ابن المذكر . قالوا : وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح ، فلهذا من قال : يا بن أمي بإثبات الياء ، كما قال أبو زبيد :

يا بن أمي ويا شقيق نفسي أنت خلقتني ليدهر شد يد

(١) يونس النحوى : هو ابن حبيب الضبى مولاها ، وهو من شيوخ سيبويه . مات سنة ١٨٣ هـ . والجزمى : تحريف .
(٢) البيت لأبي زبيد الطائي حرمله بن المنذر في مرثية أخيه (شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ٢ : ٢٢٦) وهو شاهد على أن العرب لا يكادون يثبتون ياء الضمير في (يا بن أم) ولا الألف المنقلبة عنهما في (يا بن أم) إلا في الضرورة ، كقول أبي زبيد هذا . وقول أبي النجم الفضل بن قدامة العجل :

يا بن أمي وعمي لا تلومي وأهجمي لا تحرق اللوم حجاب مسمعي

وكما قال الآخر:

يَابْنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدَّ عُو تَمِيمًا وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابٍ ١

وإنما أثبت هؤلاء الياء في الأم، لأنها غير مناداة، وإنما المنادى هو الابن دونها، وإنما تسقط العرب الياء من المنادى إذا أضافته إلى نفسها، لا إذا أضافته إلى غير نفسها، كما قد بينا. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: يا بن أمّ، ولم يقل: يا بن أبي، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافا له على نفسه برحيم الأم، وقوله (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) يعنى بالقوم: الذين عكفوا على عبادة العجل، وقالوا: هذا إلها وإله موسى، وخالفوا هارون. وكان استضعافهم إياه، تركهم طاعته، واتباع أمره، وكادوا يقتلونني، يقول: قاربوا ولم يفعلوا.

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَلَا تُشْمِتُ) فقرأ قراء الأمصار ذلك (فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ) بضم التاء من تُشْمِتُ، وكسر الميم منها، من قولهم: أشمت فلان فلانا بفلان، إذا سره فيه بما يكرهه المُشْمِتُ به: ورؤى عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فَلَا تَشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ).

حدثني بذلك عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: قال حميد بن قيس قرأ مجاهد (فَلَا تَشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ).

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن حميد، قال: قرأ مجاهد (فَلَا تَشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ).

حدثت عن يحيى بن زياد القراء، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن رجل^٢، عن مجاهد أنه قال: (لَا تُشْمِتُ). وقال القراء: قال الكسائي: ما أدري، فاعلمهم أرادوا (فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ) فإن تكن صحيحة فلها نظائر، العرب تقول: فَرَعْتُ وَفَرَعْتُ، فمن قال: فَرَعْتُ قال: أنا أَفْرَعُ، ومن قال: فَرَعْتُ قال: أنا أَفْرَعُ، وكذلك رَكِنْتُ وَرَكِنْتُ، وشملتهم أمر وشملتهم، في كثير من الكلام، قال: والأعداء رفع، لأن الفعل لهم. لمن قال تَشْمِتُ أو تَشْمِتُ.

والقراءة التي لا أستجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ (فَلَا تُشْمِتُ) بضم التاء الأولى وكسر الميم من أَشْمِتُ به عَدُوّه أَشْمِتُهُ به، ونصب الأعداء، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها، وشذوذ ما خالفها من القراء، وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها. هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب: شَمِتَ فلان فلانا بفلان، وشَمِتَ فلان بفلان يَشْمِتُ به، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شامة الرجل بعدوه: شَمِتَ به، بكسر الميم، يَشْمِتُ به بفتحها في الاستقبال^٣.

(١) هذا الشاهد كالمثل قبله، ولم نقف على مثله. (٢) في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ الورقة ١١٥): أظنه الأعرج. (٣) الخلاصة: أن الوارد في المعاجم من أفعال الشبابة، هو: شمت به يشمت (بكسر الميم في الماضي وفتحها في المضارع). ويعلى بالهمزة وحدها، لا بالتضعيف، فيقال: أشمته به إثمنا: إذا جعل عدوه يشمت به، وعليه قراءة الجمهور أما شمت به يشمت (بفتح الميم في الماضي، وضمها في المستقبل) فلم يسمع عن العرب، ولكن أثبت الكسائي في تعليقه على قراءة مجاهد التي بهذا الضبط، قياساً على نظائره (فرغ، وركن، وشمل) في كثير من نظائرها، من بابي علم ونصر. والقراءات المنسوبة إلى مجاهد في هذا الحرف، ثلاث أو أربع، وبعضها لا وجه له في العربية (انظر تفسيرى القرطبي والشوكاني، ومعاني القرآن للفراء، ولسان العرب).

وأما قوله (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فإنه قول هارون لأخيه موسى ، يقول : لا تجعلني في موجدتك على وعقوبتك لي ، ولم أخالف أمرك ، محل من عصاك ، فخالف أمرك وعبدت العجل بعدك ، فظلم نفسه ، وعبد غير من له العبادة ، ولم أشايهم على شيء من ذلك .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : أصحاب العجل .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . بمثله .

القول في تأويل قوله

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلا أَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لما تبين له عذر أخيه ، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله ، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبادة العجل (رَبِّ اغْفِرْ لِي) مستغفرا من فعله بأخيه ، ولأخيه من سالف له بينه وبين الله ، تَغَمَّدُ ذُنُوبَنَا بِسِتْرٍ مِنْكَ تَسْتُرُهَا بِهِ (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ) يقول : وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين ، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئا .

القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ (١٥٢)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلهاً (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ) بتعجيل الله لهم ذلك (وَذِلَّةٌ) وهي الهوان ، لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في عاجل الدنيا قبل أجل الآخرة .

وكان ابن جريج يقول في ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وكذلك نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ) قال : هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ، ومن فر منهم ، حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا ، وهذا الذي قاله ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فإن ظاهر كتاب الله ، مع تأويل أكثر أهل التأويل ، بخلافه ، وذلك أن الله عم بالخبر عن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا . وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين ، بأن الله ، إذ رجع إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام ، تاب على عبادة العجل من فعلهم ، بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام في كتابه ، وذلك قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ ، فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ففعلوا ما أمرهم به نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، فكان أمر الله إياهم بما أمرهم به ، من قتل بعضهم أنفسهم ، عن غضب منه عليهم بعبادتهم

العجل ، فكان قتل بعضهم بعضا هو انا لهم ، وذلكة اذ لهم الله بها في الحياة الدنيا ، وتوبة منهم إلى الله قبيلها ، وليس لأحد أن يجعل خيرا جاء الكتاب بعمومه ، في خاص مما عمه الظاهر ، بغير برهان ، من حجة خبر أو عقل ، ولا نعلم خيرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) إلى باطن خاص ، ولا من العقل عليه دليل ، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه .

ويعنى بقوله (وكذلك تجزى المفسرين) وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل لها من إحلال الغضب بهم ، والإذلال في الحياة الدنيا ، على كفرهم ربهم ، وردتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله ، وكذلك تجزى كل من افتري على الله ، فكذب عليه ، وأقر بالوهية غيره ، وعبد شيئا سواه من الأوثان ، بعد إقراره بوحدانية الله ، وبعد إيمانه به ، وبأنبيائه ورسله ، وقيل ذلك إذ لم يتب من كفره قبل قتله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، قال : تلا أبو قلابة (سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) . . . الآية ، قال : فهو جزاء كل مفتر يكون إلى يوم القيامة ، أن يذله الله عز وجل .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وكذلك تجزى المفسرين) قال : هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت أن حميد بن قيس بن عباد وحارثة بن قدامة دخلا على علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، فقالا : رأيت هذا الأمر الذي أنت فيه ، وتدعو إليه ، أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى رأيتك ؟ قال : مالكما ولهذا ؟ أعرضا عن هذا ، فقالا : والله لا نعرض عنه حتى نخبرنا ، فقال ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابا في قيراب سبني هذا ، فاستلته ، فأخرج الكتاب من قيراب سيفه ، وإذا فيه : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا لَهُ حَرَمٌ » ، ولاتي حرمت المدينة كما حرمت إبراهيم عليه السلام مكة ، لا يحمّل فيها السلاح ليقبال ، من أحدث حديثا ، أو أوى محمدا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه : أما ترى هذا الكتاب ؟ فرجعا وتركاه ، وقالوا : إنا سمعنا الله يقول (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) . . . الآية ، وإن القوم قد افتروا فرية ، ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، في قوله (وكذلك تجزى المفسرين) قال : كل صاحب بدعة ذليل .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣)

﴿ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب إليه من ذنب أتاه ، صغيرة كانت معصيته أو كبيرة ، كفرًا كانت أو غير كفر ، كما قبل من عبادة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم . يقول جل ثناؤه : والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلى طلب رضا الله بإنابتهم إلى ما يجب مما يكره ، وإلى ما يرضى مما يسخط من بعد سبب أعمالهم ، وصدقوا بأن الله قابل توبة المذنبين ، وتائب على المنيين ، بإخلاص قلوبهم ، ويقين منهم بذلك ، لغفور لهم ، يقول : لساتر عليهم أعمالهم السيئة ، وغير فاضحهم بها ، رحيم بهم ، وبكل من كان مثلهم من التائبين .

القول في تأويل قوله

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ

يَرْهَبُونَ (١٥٤)

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) ولما كف موسى عن الغضب ، وكذلك كل كفاً عن شيء ساكت عنه . وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت : لكفه عنه . وقد ذكر عن يونس النحوى أنه قال : يقال سكت عنه الحزن وكل شيء فيما زعم ؛ ومنه قول أبي النجم :

وَهَمَّتِ الْأَفْعَى بِيَانُ تَسْبِيحًا وَسَكَتَ الْمَكَاءُ أَنْ يُضْبِحًا^٢

(أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) يقول : أخذها بعدما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب (وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ) يقول : وفيها نسخ فيها : أى منها هدى : بيان للحق ورحمة (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) : يقول : للذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على معاصيه .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) مع استقبال العرب أن يقال في الكلام : رهبت لك : بمعنى رهبتك ، وأكرمت لك : بمعنى أكرمتك ، فقال بعضهم : ذلك كما قال جل ثناؤه (إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) ، أوصل الفعل باللام . وقال بعضهم : من أجل ربههم يرهبون . وقال بعضهم : إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لرهبهم وراهبو ربههم ؛ ثم أدخلت اللام على هذا المعنى ، لأنها عقيب الإضافة ، لأعلى التعليق . وقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدم الفعل ، فحسن إدخال اللام . وقال آخرون : قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله (رَدِّفَ لَكُمْ بَعْضُ النَّدَى تَسْتَعْجِلُونَ) وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال : سمعت الفرزدق يقول : نقدت له مئة درهم ، يريد نقدته مئة درهم ، قال : والكلام واسع .

القول في تأويل قوله

﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِجَالًا لِمِيقَاتِنَا ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ

(١) هو يونس النحوى الضبى (مولاهم) لا الجرمى ، كما تكرر تحريفه بأيدى النساخ في هذا التفسير . توفى سنة ١٨٣ هـ .
(٢) سكت الشيء يسكت سكوتاً : سكتت حركته . والمكاء : طائر شبه القنبرة ، إلا أن في جناحيه بلقا ، سمى بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً . وهو طائر يألف الريف ، وجمعه المكأكي ، وهو فعال من مكأ : إذا صفر . وضح : بتشديد الباء : صاح بأقصى طاقته . ولعله محرف عن « صبحا » . إذ لا وجود لضح بالتشديد في معاجم اللغة .

أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيِّنَا ، فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)

يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه
بهم ، للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل .

كما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن
الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعدا ،
فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان ، قالوا : لن
نؤمن لك يا موسى ، حتى نرى الله جهرة ، فلذلك قد كلمته ، فأرنا ، فأخذتهم الصاعقة ، فماتوا ، فقام موسى
يبكي ويدعو الله ويقول : ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ لو شئت أهلكتهم
من قبل وإياي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا
الخير فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من
قومكم ، صوموا ، وتطهّروا ، وطهّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سينا ، لميقات وقته له ربه ، وكان
لايأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال السبعون فيما ذكر لي ، حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه ،
لموسى : اطلب لنا نسمة كلام ربنا ، فقال : أفعل ؛ فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام
حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه الله ، وقع
على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرّب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى
إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا ، فسمعه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل ؛ فلما
فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام ، أقبل إليهم ، فقالوا لموسى : (لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى
نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) وهى الصاعقة ، فالتقت أرواحهم ، فماتوا جميعا ، وقام موسى
عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ، ويقول : ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، قد سفهوا ،
أفهل لك منّ ورأى من بني إسرائيل ؟ !

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قوله (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا) لميقاتنا) قال : كان الله أمره أن يختار من
قومه سبعين رجلا ، فاختار سبعين رجلا ، فبرز بهم ، ليدعوا ربهم ، فكان فيما دعوا الله أن قالوا : اللهم
أعطنا ما لم تعطه أحدا بعدنا ، فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة ، قال موسى (ربّ لو شئت
أهلكتهم من قبل وإياي) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر ، عن ميمون (واختر موسى قومه سبعمين رجلاً لميقاتينا) قال : لموعدهم الذي وعدهم
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سبعمين رجلاً لميقاتينا) قال : اختارهم تمام الوعد .
 وقال آخرون : إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون .
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن
 عمارة بن عبد السلولى ، عن علي رضي الله عنه ، قال : انطلق موسى وهارون ، وشبر وشبير ، فانطلقوا
 إلى سفح جبل ، فنام هارون على سرير ، فتوفاه الله ؛ فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين
 هارون ؟ قال : توفاه الله ، قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا على خلقة وليته ، أو كلمة نحوها . قال : فاخترنا
 من شتم ، قال : فاخترنا سبعين رجلاً ، قال : فذلك قوله (واختر موسى قومه سبعمين رجلاً لميقاتينا)
 قال : فلما انتهوا إليه ، قالوا : يا هارون من قتلك : قال : ماقتلني أحد ، ولكنني توفاني الله .
 قالوا : يا موسى لن نعصى بعد اليوم ، قال : فأخذتهم الرجفة ، قال : فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ،
 وقال : يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ إن
 هي إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء) قال : فأحياهم الله ، وجعلهم أنبياء كلهم .
 حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من
 بني سائل ، أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول في هذه الآية (واختر موسى قومه سبعمين رجلاً لميقاتينا)
 قال : كان هارون حسن الخلق ، محببا في بني إسرائيل ، قال : فلما مات دفنه موسى ، قال :
 فلما أتى بني إسرائيل ، قالوا له : أين هارون ؟ قال : مات ، فقالوا : قتلته ؛ قال : فاختر منهم سبعين
 رجلاً ؛ قال : فلما أتوا القبر ، قال موسى : أقتلت أو مت ؟ قال : مت ، قال : فأصعقوا . فقال موسى
 رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت ؟ يقولون : أنت قتلهم ، قال : فأحيوا ، وجعلوا أنبياء .
 حدثني عبد الله بن الحجاج بن المهال ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الربيع بن حبيب ، قال : سمعت
 أبا سعيد ، يعنى الرقاشى ، وقرأ هذه الآية (واختر موسى قومه سبعمين رجلاً لميقاتينا) فقال : كانوا
 أبناء ما عدا عشرين ، ولم يتجاوزوا الأربعين ، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه ، وأن من لم
 يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئا .

وقال آخرون : إنما أخذت القوم الرجفة ، لتركهم فراق عبدة العجل ، لأنهم كانوا من عبدة .
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واختر موسى قومه سبعمين رجلاً لميقاتينا) فقرأ حتى بلغ (السفهاء منا) ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم
 الرجفة ، لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعوه عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمِّيَاتِنَا) ممن لم يكن قال ذلك القول ، على أنهم لم يجامعوه عليه ، فأخذتهم الرجفة ، من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل ، قال : فلما خرجوا ودعوا ، أماتهم الله ، ثم أحياهم (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَبَيِّ ، أُنْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : قال مجاهد (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمِّيَاتِنَا) والميقات : الموعد ، فلما أخذتهم الرجفة ، بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه ، يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء ، فلم يستجب لهم ، علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم ؛ قال ابن سعد : فحدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : لم يُسْتَجِبْ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْمُرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، قَالَ : فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ، فَاتُوا ، ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عون ، عن سعيد بن حيان ، عن ابن عباس : أن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، إنما أخذتهم الرجفة أنهم لم يرضوا ، ولم ينهوا عن العجل . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا سعيد بن حيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمِّيَاتِنَا) فقال بعض نحويي البصرة : معناه : واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، فلما نزع من ، أعمل الفعل ، كما قال الفرزدق .
وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِعُ ١
وكما قال الآخر :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ
فَقَدَّ تَرَكَتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ ٢
وقال الراعي :

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَشَّتْ خَلَائِقُهُمْ ٣
وَاعْتَلَّ مَنْ كَانَ يَرْجَى عِنْدَهُ السُّوْلُ ٣

- (١) هذا البيت لفرزدق ، وهو من شواهد التحوين على أن الرجال منصوب بنزع الخافض ، والأصل من الرجال ، وهو المفعول الثاني المقيد بحرف الجر لاختار ، فإنه يتعدى إلى الأول بنفسه ، وإلى الثاني بحرف الجر . والمفعول الأول هنا هو نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذي . وهذا الحذف كثير الاستعمال (انظر غزاة الأدب للبغدادى ٣ : ٦٧٣) . ويقال : سمح بكذا يسمح سموحا وسماحا وسماحة : جاد وأعطى ، أو وافق على ما أريد منه . والجود : الكرم . والزعازع : جمع زعزع كجعفر ، وهى الريح التى تهب بشدة ، وعنى بذلك الشتاء ، وفيه نقل الألبان ، وتعدم الأزواد ، ويخجل الجواد . اهـ (عن الخزانة) .
- (٢) البيت لعمر بن مديكرب الزبيدي (الخزانة ٣ : ٦٧٣) وهو شاهد على أن « أمرتك الخير » أصله « أمرتك بالخير » ، ثم حذف منه حرف التعدية ، فنصب الاسم على المفعولية . والنشِب : المال الأصيل الثابت ، أى العقار كالدور والضياع . ورواه أبوعل المجرى في نوادره « ذا نسب » بالسین المهمله ، يقول : تركتك غنيا حسيبا . وينسب البيت لأعشى طرود ، ولعباس بن مرداس ، ولزرة بن السائب ، ولخفاف بن نديبة .
- (٣) وهذا البيت كالشاهدين قبله . وأصل الكلام : اخترتك من الناس ، فحذف حرف التعدية ، ونصب الاسم بسقوط الخافض . وغشت : فسدت . وفي المخطوطة ١٠٠ : عشت ، بالعين . يريد : أئني اخترتك من الناس ، لأنك سمح كريم ، سهل الخليقة ، =

وقال بعض نحوِّي الكوفة : إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت من ، لأنه مأخوذ من قولك : هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فإذا جازت الإضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى ، استجازوا أن يقولوا : اخترتكم رجلا ، واخترت منكم رجلا ؛ وقد قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرَهَا قَلْبُوصًا سَمِينَةً^١

تَحْتَ التِّي اخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرَ^٢

وقال الراجز :

بمعنى : اختارها له الله من الشجر .

وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب ، لدلالة الاختيار على طلب « من » التي بمعنى التبويض ، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه ، وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذف ، فهذا من ذلك إن شاء الله .

وقد بيننا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدنا ، وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم ، وحركهم وأهلكهم بعد ، فأماهم أو أصعبهم ، فسلب أفهامهم . وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع ، وقول من قال : إنها كانت صاعقة أماتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ، ثم أحياهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) اختارهم موسى لتمام الموعد (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ، ثم أحياهم الله .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) قال : رَجِيفَ بِهِمْ .

= وتركت كل من حالت طبيعته وحرصه دون كرمه . وأنشد القرطبي في تفسيره البيت (٧ : ٢٩٤) وفيه : « رثت » في مكان : « عنت » ، و « اختل » في مكان : « اعتل » .

(١) هذا صدر بيت من قصيدة للراعي النميري قالها وقد نزل به رجل من بني كلاب في ركب معه ليلا ، في سنة مجدية ، وقد عزبت عن الراعي إبلة ، فخر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبلة ، فأعطى رب الناب نابا مثلها ، وزادها ناقة ثنية . ورواية المؤلف للبيت نقلها عن معاني القرآن للفراء ، وهي تختلف عن رواية أبي تمام لها في باب الهجاء (٤ : ٣٧) من شرح التبريزي للحماسة طبعة الأميرية) والبيت بتمامه في الحماسة كما يأتي :

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا تَنْيِيَةً^١ وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلَ نَابِكَ فِي الْحَيَا

والناب : الناقة المستة . والحيا : الشحم والسمن ، وهم يسمون الثبت حيا لأنه بالمطر يكون ، ثم تسمى الشحم حيا لأنه بالثبت يكون . ومعناه : قلت لرب الناب : خذها ثنية فضلا عن نابك ، وناب علينا واجب مثل نابك في السمن ، عوضا عما نخرناها ، فخذها مع الثنية . وعلى هذه الرواية لاشاهد في البيت . أما رواية البيت في معاني القرآن للفراء فهي :

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرَهَا قَلْبُوصًا سَمِينَةً^٢ وَنَابًا عَلَيْنَا مِثْلَ نَابِكَ فِي الْحَيَا

ولا نجد في هذه الرواية على فرض صحتها شاهدا للمؤلف ، لأن كلمة « قلوبصا » منصوبة على الحال من (ها) في اختارها ، وليس أصلها « من قلوبص » ثم أسقط الحار .

(٢) البيت للمجاج (ديوانه ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبد الله بن معمر . يريد بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة .

القول في تأويل قوله (أَمْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيِّنَا ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) :
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا : أي بعبادة من عبد العجل ، قالوا : وكان الله إنما أهلكتهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل ، وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَمْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) فأوحى الله إلى موسى : أن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى (إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) .
وقال آخرون : معنى ذلك : أن إهلاك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفت إليهم ، وليسوا معي ، والسفهاء على هذا القول ، كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يرهبهم رهبهم .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أخذت الرجفة السبعين ، فاتوا جميعا ، قام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ، يقول : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، قد سفهوا ، أفهلك من ورثي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا : أي إن هذا لهم هلاك ، قد اخترت منهم سبعين رجلا ، الخبير فالخير ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ؟ فما الذي يصدقوني به ، أو يأمونني عليه بعد هذا ؟
وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَمْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) : أتواخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ؟ ولا استبدل بك غيرك ؟

وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله : (أَمْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) وأنه إنما عني بالسفهاء : عبادة العجل ، وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ، ما أراه أن يسأل لهم ، إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل ، واتخذة دون الله إلها .

قال : فإن قال قائل : فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم ، فيقول : أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ، ونحن من ذلك برآء ؟ قيل : جائز أن يكون معنى الإهلاك : قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّ امْرُؤًا هَلَكًا) يعني : مات ، فيقول : أتميتنا بما فعل السفهاء منا .

وأما قوله (إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) فإنه يقول جل ثناؤه : ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك ، إلا فتنة منك أصابهم ، ويعني بالفتنة : الابتلاء والاختبار ، يقول : ابتليتهم بها ، ليتبين

الذي يضلّ عن الحقّ بعبادته إياه ، والذي يهتدى بترك عبادته ، وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله ، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جلّ ثناؤه .

وبنحو ما قلنا في الفتنة ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع عن أبي العالية (إن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) قال : بليتك . قال : ثنا جبويه الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير (إِلَّا فِتْنَتُكَ) : إلا بليتك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا ابن جعفر ، عن الربيع ابن أنس (إن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) قال : بليتك .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (إن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ) إن هو إلا عذابك تصيب به من تشاء ، وتصرفه عن تشاء . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) : أنت فتنهم .

وقوله (أَنْتَ وَلِيْنَا) يقول : أنت ناصرنا (فَاغْفِرْ لَنَا) يقول : فاستر علينا ذنوبنا بترك عقابنا عليها (وَأَرْحَمْنَا) : تعطف علينا برحمتك (وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) يقول : خير من صفح عن جرم ، وستر على ذنب .

القول في تأويل قوله

* وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِئَايَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)

يقول تعالى ذكره محبوا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام ، أنه قال فيه : (وَأَكْتُبُ لَنَا) : أي اجعلنا ممن كتبت له (فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) وهي الصالحات من الأعمال (وَفِي الْآخِرَةِ) ممن كتبت له المغفرة لذنوبه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : مغفرة .

وقوله (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : إنا تبنا إليك .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، وقال عمران ، عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : إنا تبنا إليك .

قال : ثنا زيد بن حبيب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : تبنا إليك .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي رَوْق عن الضحاک ، عن ابن عباس قال : تبنا إليك .

قال : ثنا عبد الله بن بكر ، عن حاتم بن أبي مغيرة ، عن سيّاح ، أن ابن عباس قال في هذه الآية (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أحسبه عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثني يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفیان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

قال : ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح ، قالوا : ثنا سفیان عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن سعيد ابن جبير بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن ابن الأصبهاني ، عن سعيد بن جبير ، مثله ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : تبنا إليك .

قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي ، قال : تبنا إليك .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) : أي إنا تبنا إليك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك .

قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك .

وحدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فذكر مثله . قال : ثنا أبي وعبيد الله ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا جوييه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، مثله . قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن علي عليه السلام ، قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا (هُدْنَا إِلَيْكَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إننا هُدْنَا إِلَيْكَ) يعني : تبنا إليك .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : سمعت رجلاً يسأل سعيداً (إننا هُدْنَا إِلَيْكَ) قال : إننا تبنا إليك .

وقد بينا معنى ذلك بشواهد في ماضي قبل ، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله (قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) : يقول تعالى ذكره (قَالَ) الله لموسى : هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة (عَدَايَ) أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) من خلقي ، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) يقول : ورحمتي عمت خلقي كلهم .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص ، والمراد به : ورحمتي وسعت المؤمنين في من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستشهد بالذي بعده من الكلام ، وهو قوله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو سلمة المنقري ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس أنه قرأ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : جعلها الله لهذه الأمة .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان ، قال أبو بكر الهذلي : فلما نزلت : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قال إبليس : أنا من الشيء ، فنزعها الله من إبليس ، قال : (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فقال اليهود : نحن نتقى ونؤتي الزكاة ، ونؤمن بآيات ربنا ، فنزعها الله من اليهود ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) . . . الآيات كلها ، قال : فنزعها الله من إبليس ومن اليهود ، وجعلها لهذه الأمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت (وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قال إبليس : أنا من كل شيء ، قال الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية ، فقالت اليهود : ونحن نتقى ونؤتي الزكاة ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) قال : نزعها الله عن إبليس وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد ، سأكتبها للذين يتقون من قومك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَدَّآبِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) فقال إبليس : أنا من ذلك الشيء ، فأنزل الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصي الله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فتمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطا وثيقا بيدها ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) فهو نبيكم كان أميا لا يكتب ، صلى الله عليه وسلم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا خالد الخذاء ، عن أنيس بن أبي العريان ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) ، إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : فلم يعطها ، فقال : (عَدَّآبِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) إلى قوله (الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيْبَةَ وعبد الأعلى ، عن خالد ، عن أنيس بن أبي العريان ، قال عبد الأعلى ، عن أنيس بن أبي العريان وقال : قال ابن عباس (وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : فلم يعطها موسى (قَالَ عَدَّآبِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كان الله كتب في الألواح ذكر محمد وذكر أمته ، وما دخر لهم عنده ، وما يسر عليهم في دينهم ، وما وسع عليهم فيما أحل لهم ، فقال (عَدَّآبِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعني : الشرك ، الآية .

وقال آخرون : بل ذلك على العموم في الدنيا ، وعلى الخصوص في الآخرة .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله (وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قالوا : وسعت في الدنيا البر والفاجر ، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة .

وقال آخرون : هي على العموم ، وهي التوبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) ، وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) فقال : سأل موسى هذا ، فقال الله : عذابي أصيب به من أشاء ، العذاب الذي ذكر ، ورحمتي : التوبة . وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون . قال : فرحمته : التوبة التي سأل موسى عليه السلام ، كتبها الله لنا . وأما قوله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) فإنه يقول : فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شيء ، ومعنى اكتب في هذا الموضع : اكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة ، للذين يتقون : يقول للقوم الذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على الكفر به ، والمعصية له في أمره ونهيه ، فيؤدون فرائضه ، ويحبتون معاصيه . وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه ، فقال بعضهم : هو الشرك . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعني : الشرك . وقال آخرون : بل هو المعاصي كلها . ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصي الله . وأما الزكاة وإيتاؤها ، فقد بيننا صفتها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . وقد ذكر عن ابن عباس في هذا الموضع أنه قال في ذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : يطيعون الله ورسوله ، فكان ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يركي النفس ويطهرها ، من صالحات الأعمال . وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فإنه يقول : وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا ، يصدقون ويقرون .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)

وهذا القول إبانة من الله جل ثناؤه ، عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التي

وصفها جل ثناؤه بقوله (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة ، أعنى الأئمة ، غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَسَأَ كَتَبْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : ثنا زيد بن حبيب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (فَسَأَ كَتَبْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال موسى عليه السلام : ليتنى خلقت في أمة محمد .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (فَسَأَ كَتَبْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن نوف الحميري ، قال : لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه ، قال الله لموسى : أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا ، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم ، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم ، يقرؤها الرجل منكم والمرأة ، والحر والعبد ، والصغير والكبير ، فقال موسى لقومه : إن الله قد يجعل لكم الأرض طهورا ومسجدا ، قالوا : لا نريد أن نصلى إلا في الكنائس ، قال : ويجعل السكينة معكم في بيوتكم ، قالوا : لا نريد إلا أن تكون كما كانت في التابوت ، قال : ويجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم ، يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير ، قالوا : لا نريد أن نقرأها إلا نظرا ، فقال الله (فَسَأَ كَتَبْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البيكالي ، قال : لما انطلق موسى بوفد بني إسرائيل كلمه الله ، فقال : إني قد بسطت لهم الأرض طهورا ومساجد ، يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة ، إلا عند مباحض أو قبر أو حمام ، وجعلت السكينة في قلوبهم ، وجعلتهم يقرءون التوراة عن ظهر ألسنتهم . قال : فذكر ذلك موسى لبني إسرائيل ، فقالوا : لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ، فاجعلها لنا في تابوت ، ولا نقرأ التوراة إلا نظرا ، ولا نصلى إلا في الكنيسة . فقال الله (فَسَأَ كَتَبْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . قال : فقال موسى عليه السلام : يا رب اجعلني نبيهم ، قال : نبيهم منهم ، قال : رب اجعلني منهم ، قال : لن تدركهم ، قال : يا رب أتيتك بوفد بني إسرائيل ، فجعلت وفادتنا لغيرنا ، فأنزل الله (وَمِن قَوْمٍ

مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال نوف البيكالي ، فاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم ، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البيكالي بنحوه ، إلا أنه قال : فإني أنزل عليكم التوراة تقرءونها عن ظهر السننكم ، رجالكم ونساؤكم وصبيانكم ، قالوا : لانصلي إلا في كنيسة ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (فَسَأَ كَتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَسَأَ كَتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قيل (فَسَأَ كَتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) تمنها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطاً بيننا وبيننا ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم ، كان أمياً لا يكتب . وقد بينا معنى الأمي فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) فإن الهاء في قوله : (يَجِدُونَهُ) عائدة على الرسول ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) هذا محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني ابن المثني ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ، وحرزا للأمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فنفتح به قلوباً غلظت وأذاناً صمًا ، وأعيناً عميًا . قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلفنا حرفاً ، إلا أن كعباً قال : بلغته : قلوباً غلظت ، وأذاناً صمومياً ، وأعيناً عمومياً .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، قال : ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، قال : ثنى عطاء ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فذكر نحوه . إلا أنه قال في كلام كعب : أعينا عموماً ، وأذاناً صموماً ، وقلوباً غلظت .

قال ثنا موسى ، قال : ثنا عبد العزيز بن سلمة ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بنحوه ، وليس فيه كلام كعب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (الَّذِي يَجِدُ وَنَهْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ) يقول : يجدون نعمته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم .

القول في تأويل قوله (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْحَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ) : يقول تعالى ذكره : يأمر هذا النبي الأُمِّي أتباعه بالمعروف ، وهو الإيمان بالله ، ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك المعروف الذي يأمرهم به ، وينهاهم عن المنكر ، وهو الشرك بالله ، والانتها عما نهاهم الله عنه . وقوله (وَيُحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ) وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه ، من البحائر والسواحب والوصائل والحوامي ، (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْحَبَائِثَ) وذلك لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب ، التي حرّمها الله .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْحَبَائِثَ) وهو لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرّمات ، من المآكل التي حرّمها الله .

وأما قوله (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : يعنى بالإصر : العهد والميثاق الذي كان أخذه على بني إسرائيل ، بالعمل بما في التوراة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم ، قال : ثنا الحارثي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : عهدهم .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عليّ ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ) قال : اليهود التي أعطوها من أنفسهم ، قال : ثنا ابن نمير ، عن موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ) يقول : يضع عنهم عهدهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ) ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم ، يقول : يضع ذلك عنهم . وقال بعضهم : عنى بذلك أنه يضع عن اتباع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالة منه ، وتجاوز عنه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : البول ونحوه ، مما غلظ على بني إسرائيل ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : شدة العمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب ، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : قال أبو هريرة لابن عباس : ما علينا في الدين من حرج أن نزني ونسرق ؟ قال : بلى ، ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضع عنكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : إصرهم الذي جعله عليهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الإصر : هو العهد .

وقد بيننا ذلك بشواهد في موضع غير هذا بما فيه الكفاية ، وأن معنى الكلام : يضع النبي الأمي العهد الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل ، من إقامة التوراة ، والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة ، كقطع الجلد من البول ، وتحريم الغنائم ، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة ، فنسخها حكم القرآن .
وأما الأغلال التي كانت عليهم ، فكان ابن زيد يقول بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب عنه ، في قوله (وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : الأغلال ، وقرأ (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) قال : تلك الأغلال ، قال : ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبي ، فيضع ذلك عنهم .

القول في تأويل قوله (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

يقول تعالى ذكره : فالذين صدقوا بالنبي الأمي ، وأقروا بنبوته . وعزروه ، يقول : وقروه وعظموه ، وحموه من الناس .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَعَزَّرُوهُ) يقول : حموه ووقروه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنى موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) قال : عزروه : سدّوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه . وقوله (نَصَرُوهُ) يقول :

وأعانوه على أعداء الله وأعدائه ، بجهادهم ونصب الحرب لهم (وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) :
يعنى القرآن والإسلام (أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها
جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، هم المنجحون ، المدركون ما طلبوا ، ورجوا بفعلهم ذلك .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فما نقموا ، يعنى اليهود ،
إلا أن حسدوا نبي الله ، فقال الله (الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) فأما نصره وتعزيره ، فقد
سبقت به ، ولكن خياركم من آمن بالله ، واتبع النور الذي أنزل معه ، يريد قتادة بقوله : فما نقموا إلا أن حسدوا
نبي الله : أن اليهود ، كان محمد صلى الله عليه وسلم ، بما جاء به من عند الله ، رحمة عليهم لو اتبعوه ، لأنه جاء
بوضع الإصر والأغلال عنهم ، فحملهم الحسد على الكفر به ، وترك قبول التخفيف ، لغلبة خيذلان الله عليهم .

القول في تأويل قوله

قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَتَمَانِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ،
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس كلهم : (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا) لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلي من الرسل ، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض ، فمن
كان منهم أرسل كذلك ، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ، ولكنها إلى جميعكم . وقوله (الَّذِي) :
من نعت اسم الله .

وإنما معنى الكلام : قل يا أيها الناس ، إني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض ، إليكم .
ويعنى جل ثناؤه بقوله : (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : الذي له سلطان السموات والأرض
وما فيهما ، وتدبير ذلك وتصريفه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل
ثناؤه ، دون سائر الأشياء غيره ، من الأنداد والأوثان ، إلا لمن له سلطان كل شيء ، والقادر على إنشاء خلق
كل ماشاء ، وإحيائه وإفناؤه ، إذا شاء إمامته (فَتَمَانِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) : يقول جل ثناؤه : قل لهم :
فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته ، وأقرؤوا بوحدانيته ، وأنه الذي له الألوهة والعبادة ، وصدقوا
برسوله محمد صلى الله عليه وسلم : أنه مبعوث إلى خلقه ، داعٍ إلى توحيدهِ وطاعته .

القول في تأويل قوله (النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) :
وأما قوله (النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بينت معنى النبي فيما
مضى ، بما أغنى عن إعادته . ومعنى قوله (الْأُمِّيِّ) : الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) يقول : الذي يصدق بالله وكلماته .
ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَكَلِمَاتِهِ) فقال بعضهم : معناه : وآياته .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) يقول : آياته .

وقال آخرون : بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) قال : عيسى بن مريم .

وحدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) فهو عيسى بن مريم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض ، بل أخبرهم عن جميع الكلمات ، فالحق في ذلك أن يعم القول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها ، على ما جاء به ظاهر كتاب الله .

وأما قوله (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) : فاهتدوا به أيها الناس ، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله . لعالمكم تهتدون ، يقول : لكي تهتدوا فترشدوا ، وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه .

القول في تأويل قوله

وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)

يقول تعالى ذكره (وَمِن قَوْمِ مُوسَى) يعني بني إسرائيل (أُمَّةٌ) يقول : جماعة (يَهْدُونَ بِالْحَقِّ) يقول : يهتدون بالحق : أي يستقيمون عليه ويعملون (وَبِهِ يَعْدِلُونَ) : أي وبالحق يعطون ، يأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون . وقد قال في صفة هذه الأمة التي ذكرها الله في الآية جماعة أقوالا ، نحن ذاكروا ما حضرنا منها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة أبي الهذيل ، عن السدي (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهيد^١ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا ، وكانوا

(١) قوله « نهر من شهيد » : كذا بالأصل ، وابن كثير ، وفي الدر : « نهر من سهل » : أي من رمل يجرى ؛ وفي روح المعاني : « بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى » . وقال : ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه ، إلى آخر ما قال .

اثني عشر سبطاً ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نَفَقًا في الأرض ، فساروا فيه ، حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حُنَفَاءُ مسلمون ، يستقبلون قبلتنا . قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله (وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا لَأَرْضَ ، فإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) . ووعد الآخرة : عيسى بن مريم يخرجون معه . قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا في السَّرْبِ سنة ونصفاً .

القول في تأويل قوله

وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَمَهُ قَوْمُهُ : أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ شَرَّهُمْ ، وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ، كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَاسْكُنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)

يقول تعالى ذكره : فرقناهم ، يعني قوم موسى من بني إسرائيل ، فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى ، اثنتي عشرة قبيلة . وقد بينا معنى الأسباط فيما مضى ، ومن هم .

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والأسباط : جمع مذكر ، فقال بعض نحويي البصرة : أراد اثنتي عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفِرَقَ أسباط ، ولم يجعل العدد على أسباط . وكان بعضهم يستحكي على هذا التأويل ويقول : لا يخرج العدد على عين الثاني ، ولكن الفِرَقَ قبل الاثنتي عشرة ، حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها ، ويكون الكلام : وقطعناهم فِرَقًا اثنتي عشرة أسباطا ، فيصح التأنيث لما تقدم . وقال بعض نحويي الكوفة ، إنما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبب مذكر ، لأن الكلام ذهب إلى الأُمم ، فغلب التأنيث ، وإن كان السبب ذكرًا ، وهو مثل قول الشاعر :

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ

(١) البيت في (اللسان : بطن) قال : البطن دون القبيلة . وقيل : هو دون الفخذ ، وفوق العمارة ، مذكر . والجمع : أبطن وبطنون . فأما قوله : وإن كلابا . . الخ ، فإنه أنث على معنى القبيلة ، وأبان ذلك بقوله : « من قبائلها العشر » . وفي خاتمة المصباح : البطن مذكر ولا يؤنث . وفي نهاية الأرب للتوري (٢ : ٣٣٨) : وأما كلاب بن ربيعة بن عامر ، فأعقب من عشر أبطن . قال الشاعر : وإن كلابا . . البيت

يعني شمر بن ذي الجوشن الضبائي ، والعشر أبطن لصلب كلاب ، وهم جعفر ، وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية ، وهو الضباب بن كلاب ، و عامر ، وربيعة ، والأصبط ، وعمرو ، وعبد الله ، ورؤاس (قيل بالفتح وواو بدل الهمز) ، وكعب . وقال العيني في شرح شواهد شروح الألفية (هامش ج : من خزنة الأدب للبغدادى) : قائله رجل من بني كلاب ، يسمى الواح . والشاهد في قوله « عشر أبطن » . وكان القياس « عشرة أبطن » ، لأن البطن مذكر ، لكنه كنى عن الأبطن بالقبائل ، بدليل قوله « من قبائلها العشر » .

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة ، فلذلك جمع البطن بالتأنيث .

وكان آخرون من نحوى الكوفة يقولون : إنما أنثت الاثنتا عشرة ، والسبط ذكراً ، لذكر الأمم .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن الاثنتى عشرة أنثت لتأنيث القطعة . ومعنى الكلام : وقطعناهم قطعاً اثنتى عشرة ، ثم ترجم عن القطع بالأسباط ، وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتى عشرة وهى جمع ، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع ، والأسباط جمع لا واحد ، وذلك كقولهم : عندي اثنتا عشرة امرأة ، ولا يقال : عندي اثنتا عشرة نسوة ، ففي ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للثنتى عشرة ، وإن القول في ذلك على ما قلنا . وأما الأمم فالجماعات ، والسبط فى بنى إسرائيل نحو القرن . وقيل : إنما فرقوا أسباطاً : لاختلافهم فى دينهم .

القول فى تأويل قوله (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومُهُ : أن اضرب بعصاك الحجرَ ، فانبجست منه اثنتا عشرة عييناً ، قد علم كلُّ أناسٍ مشربهم ، وظللنا عليهم الغمامَ ، وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى ، كلُّوا من طيباتِ ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) :

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى إذ فرقنا بنى إسرائيل قومه اثنتى عشرة فرقة ، وتبيناهم فى التيه ، فاستسقا موسى من العطش وغيور الماء (أن اضرب بعصاك الحجرَ) وقد بينا السبب الذى كان قومه استسقوه ، وبيننا معنى الوحي بشواهد ، (فانبجست) فانصببت وانفجرت من الحجر (اثنتا عشرة عييناً) من الماء (قد علم كلُّ أناسٍ) يعنى : كل أناس من الأسباط الاثنتى عشرة (مشربهم) : لا يدخل سبط على غيره فى شربه . (وظللنا عليهم الغمامَ) . وإذاها . وقد بيننا معنى الغمام فيما مضى قبل ، وكذلك المنَّ والسلوى (وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى) طعاماً لهم . (كلُّوا من طيباتِ ما رزقناكم) يقول : وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس ، وطيبناه لكم (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ، وفى الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما ترك ، وهو فأجمعوا ذلك . وقالوا : لن نصبر على طعام واحد ، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير (وما ظلمونا) يقول : وما أدخلوا علينا نقصاً فى ملكنا وسلطاننا ، بمسألهم ما سألوا ، وفعلهم ما فعلوا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) : أى ينقصونها حظوظها ، باستبدالهم الأدنى بالخير ، والأرذل بالأفضل .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ، وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ ، وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ، سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم ، وخلافهم على ربهم ، وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام ، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم (اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) وهي قرية بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا) يقول : من ثمارها وحبوبها ونباتها (حَيْثُ شِئْتُمْ) منها ، يقول : أنى شئتم منها (وَقُولُوا حِطَّةٌ) يقول : وقولوا : هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا (تَغْفِرْ لَكُمْ) : يتغمّد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم ، فيغفو لكم عنها ، فلا يؤخذكم بها (سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) منكم ، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا . وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك ، باختلاف المختلفين ، والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ

بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)

يقول تعالى ذكره : فغير الذين كفروا بالله منهم ، ما أمرهم الله به من القول ، فقالوا : وقد قيل لهم : قولوا : هذه حطة : حطة في شعيرة ، وقولهم ذلك كذلك ، هو غير القول الذي قيل لهم قولوه ، يقول الله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ) : بعثنا عليهم عذابا أهلكتهم ، بما كانوا يغيرون ما يؤمرون به ، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ، ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله . وقد بينا معنى الرجز فيما مضى .

القول في تأويل قوله

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثُ تَأْتِيهِمْ

يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا ، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)

يقول تعالى ذكره : وأسأل يا محمد هؤلاء اليهود ، وهم مجاوروك ، عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر ، يقول : كانت بحضرة البحر : أى بقرب البحر ، وعلى شاطئه .

واختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هي أيلة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : هي قرية يقال لها أيلة ، بين مدين والطور .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، في قوله (وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : سمعنا أنها أيلة .

حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس ، والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ، جعلني الله فداك ؟ فقال : وبلك ، وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر ؟ فقلت : تلك أيلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَسُئِلَهُمْ * عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ) قال : هي أيلة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة ، يقال لها أيلة .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هم أهل أيلة ، القرية التي كانت حاضرة البحر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ، في قوله (وَسُئِلَهُمْ * عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : أيلة .

وقال آخرون : معناه : ساحل مدين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاسْتُئِلَهُمْ * عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر ، يقال لها أيلة .

وقال آخرون : هي مقنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاسْتُئِلَهُمْ * عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : هي قرية يقال لها مقنا ، بين مدين وعينوني^١ .

وقال آخرون : هي مدين .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هي قرية بين أيلة والطور ، يقال لها مدين .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : هي قرية حاضرة البحر ، وجائز أن تكون أيلة ، وجائز أن تكون مدين ، وجائز أن تكون مقنا^٢ ، لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع العذر بأن ذلك من أي ، والاختلاف فيه على ما وصفت ، ولا يوصل إلى علم ما قد كان فضي ، مما لم نعاينه ، إلا بخبر يوجب العلم ، ولا خبر كذلك في ذلك .

وقوله (إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ) يعني به أهله : إذ يعتدون في السبت أمر الله ، ويتجاوزونه إلى ما حرمه الله عليهم ، يقال منه : عدا فلان أمري واعتدى : إذا تجاوزه ، وكان اعتداؤهم في السبت : أن الله كان حرم عليهم السبت ، فكانوا يصطادون فيه السمك (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَتُهُمْ * يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا) :

(١) في معجم ما استعجم : عينون . وفي التاج : عينون ، ويقال عينوني . (٢) في تفسير القرطبي ٧ : ٣٠٥ : مقنا .

يقول: إذ تأتيتهم حينئذ يوم سبتهم الذي نهوا فيه عن العمل، شرعاً، يقول: شارعة ظاهرة على الماء، من كل طريق وناحية، كشوارع الطرق.

كالذي حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک عن ابن عباس (إذ تأتيتهم حينئذ يوم سبتهم شرعاً) يقول: ظاهرة على الماء.
حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (شرعاً) يقول: من كل مكان.

وقوله (ويوم لا يسبئون) يقول: ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت، لا تأتيتهم الحيتان (كذلك نبأوهم بما كانوا يفسقون) يقول: كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا، بإظهار السمك لهم على ظهر الماء، في اليوم الحرام عليهم صيده، وإخفاؤها عنه في اليوم المخلل صيده، كذلك نبأوهم ونخبروهم، بما كانوا يفسقون، يقول: بفسقهم عن طاعة الله، وخروجهم عنها.

واختلفت القراء في قراءة قوله (ويوم لا يسبئون) فقرأى بفتح الياء من يسبتون، من قول القائل: سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا: إذا عظم السبت. وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (ويوم لا يسبئون) بضم الياء، من أسبت القوم يسبتون: إذا دخلوا في السبت، كما يقال أجمعنا: مرت بنا جمعة، وأشهرنا: مرتنا شهر، وأسبتنا: مرت بنا سبت، ونصب يوم من قوله (ويوم لا يسبئون) بقوله (لا تأتيتهم)، لأن معنى الكلام: لا تأتيتهم يوم لا يسبتون.

القول في تأويل قول

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ قَالُوا: مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا محمد، إذ قالت أمة منهم، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت، ونهاهم عن معصية الله فيه (لم تعظون قوماً الله مهلكهم) في الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرم عليهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) في الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبينهم عن قولهم: عظتنا إياهم: (معذرة إلى ربكم) نودى فرضه علينا، في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر (ولعلهم يتقون) يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعديه على ما حرم عليهم، من اعتدائهم في السبت.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس (قَالُوا: مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ) لسخطنا أعمالهم. (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ): أى ينزعون عما هم عليه.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) قال : يتركون هذا العمل الذي هم عليه .

واختلفت القرآء في قراءة قوله (قَالُوا : مَعذِرَةٌ) فقرأ ذلك عامة قرآء الحجاز والكوفة والبصرة (مَعذِرَةٌ) بالرفع ، على ما وصفت من معناها ، وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة (مَعذِرَةٌ) نصبا ، بمعنى : إعدارا وعظناهم ، وفعلنا ذلك .

واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة ؟ فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السبت .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ : لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) هي قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة ، يقال لها أيلة ، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر ، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها ، فمكثوا بذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة وقالوا ، تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ، فلم يزدادوا إلا غيبا وعتوا ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة : تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) ، وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا : معذرة إلى ربكم ، ولعلمهم يتقون ، وكل قد كانوا يهون ، فلما وقع عليهم غضب الله ، نجت الطائفتان اللتان قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) ، والذين قالوا (مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ) ، وأهلك الله أهل معصيته ، الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة وخنازير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ، يقول : إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا ، يعني من كل مكان (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) ، وأهم قالوا : لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ، ما يكفيننا فيما سوى ذلك من الأيام ، فوعظهم قوم مؤمنون ونههم ، وقالت طائفة من المؤمنين : إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه ، والله مخزيهم ، ومعذبهم عذابا شديدا . قال المؤمنون بعضهم لبعض : (مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ) ، ولعلهم يتقون (إن كان هلاك فلعلنا ننجو ؛ وإما أن ينتهوا ، فيكون لنا أجرا ، وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوما يعبدونه ، ويتفرغون له فيه ، وهو يوم الاثنين ، فتعدى الخبيثاء من الاثنين إلى السبت ، وقالوا : هو يوم السبت ، فنهاهم موسى ، فاختلفوا فيه ،

فجعل عليهم السبت ، ونهاهم أن يعملوا فيه ، وأن يعتدوا فيه ، وإن رجلا منهم ذهب ليحتطب ، فأخذه موسى عليه السلام ، فسأله : هل أمرك بهذا أحد ؟ فلم يجد أحدا أمره ، فرجعه أصحابه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال بعض الذين نهوهم لبعض : (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ، أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا) يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم (مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هاني ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا) ؟ قال : ما أدري أنجا الذين قالوا (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) أم لا ؟ قال : فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا ، فكساني حلته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس ، هذه الآية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : فما زلت أبصره ، حتى عرف أنهم قد نجوا .

حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس ، والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ جعلني الله فداءك ، قال : فقرأ (وَسئَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال ابن عباس : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت ، نخاف أن نكون مثلهم ، فقلت : أما تسمع الله يقول : (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ) فسررى عنه ، وكساني حلته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : ثنى رجل ، عن عكرمة ، قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت ، فجلست ، فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ؟ جعلني الله فداءك ، فقال : هؤلاء الورقات ، قال : وإذا هو في سورة الأعراف ، قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه كان حتى من يهود ، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لا يقدرون عليها ، حتى يفضوا بعد كد ومؤنة شديدة . كانت تأتيهم يوم السبت شرعا ، بيضا سياتا ، كأنها الماخض ، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيهم وأبنيهم ، فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم ، فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، واكلوها في غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة منهم : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت ، وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتحت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت ، وقال : الأيمنون : الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله ، وقال الأيسرون : (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا) ؟ قال : الأيمنون (مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : أي ينتهون ، فهو أحب إلينا ألا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فعذرة إلى ربكم ، ففضوا

على الخطيئة ، فقال الأيمنون : قد فعلتم يا أعداء الله ، والله لانبأيتكم الليلة في مدينتكم ، والله ما نراكم تصبحون ، حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف ، أو بعض ما عنده بالعذاب ؛ فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلما وأعدوا سور المدينة رجلا ، فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قردة والله تعاوى لها أذنان ، قال : ففتحوها فدخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس ، فتشم ثيابه وتبكي ، فتقول لهم : ألم نهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها : نعم ، ثم قرأ ابن عباس (فَلَئِمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، أَتَجِئْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال : فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ، فلا نقول فيها ؟ قال : قلت : أي جعلني الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه ، وقالوا (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ) قال : فأمرني ، فكسيت برؤدين غليظين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان ، حتى تنتطح على سواحلهم ، وأفنيهم ، لما بلغها من أمر الله في الماء ، فإذا كان في غير يوم السبت بعثت في الماء حتى يطلبها طلبهم ، فأتاهم الشيطان ، فقال : إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت ، فاصطادوها يوم السبت ، واكلوها فيما بعد . قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا ؟ قَالُوا : مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فصار القوم ثلاثة أصناف : أما صنف ، فأمسكوا عن حرمة الله ، ونهوا عن معصية الله . وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله . وأما صنف فأنهك الحرمة ، ووقع في الخطيئة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله (حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : حرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا ، بلاء ابتلوا به ، ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوها ، بلاء أيضا بما كانوا يفسقون ، فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية ، فقال الله لهم : كونوا قردة خاسئين ، إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوا ، فقال بعضهم لبعض : (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : لعلمهم بترك ما هم عليه ، قال : كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم ، وكانوا يسئبتون في يوم السبت ، ولا يعملون فيه شيئا ، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعا ، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد ، قال : وكانوا قوما قد قرنوا بحب الحيتان ، ولقوا منه بلاء ، فأخذ رجل منهم حوتا ، فربط في ذنبه خيطا ، ثم ربطه إلى خسفة ، ثم تركه في الماء ، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجتره بالخيط ، ثم شواه ، فوجد جار له

ريح حوت ، فقال : يا فلان ، إني أجد في بيتك ريح نون ، فقال : لا ، قال : فتطلع في تنوره فإذا هو فيه ، فأخبره حينئذ الخبر ، فقال : إني أرى الله سيعذبك ، قال : فلما لم يره عَجَلَّ عذابا ، فلما أتى السبت الآخر ، أخذ اثنين فربطهما ، ثم اطلع جار له عليه ، فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه ، فاطلع أهل القرية عليهم ، فهاهم الذين ينهون عن المنكر ، فكانوا فرقتين : فرقة تنهاهم وتكف ، وفرقة تنهاهم ولا تكف ، فقال الذين تنهوا وكفوا : للذين ينهون ولا يكفون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) فقال الآخرون : (مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فقال الله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَتَجَنَّبُنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) . قال الله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُنبِئُوهَا عَنَّهُ ، قُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) . وقال لهم أهل تلك القرية : عملتم بعمل سوء ، من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء ، قال : فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم ، وضربوا بينهم سورا ، فجعلوا في ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم إلى بعض ؛ قال : فلما كان الليل طرقتهم الله بعذابه ، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدا ، فدخلوا عليهم ، فإذا هم قرود ، الرجل وأزواجه وأولاده ، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه ، فيقولون : يا فلان ألم نخذرك سَطَوَاتِ اللَّهِ؟ ألم نخذرك نَقِمَاتِ اللَّهِ؟ ونخذرك ونخذرك؟ قال : فليس إلا بكاء ، قال : وإنما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك . قال : وأما الذين نهوا فكلهم قد نهي ، ولكن بعضهم أفضل من بعض ، فقرا (أَتَجَنَّبُنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس هذه الآية (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : لأدرى أنجا القوم أو هلكوا؟ فما زلت أبصره حتى عرف أنهم تنجوا ، وكساني حُلَّةً .

حدثني يونس ، قال : أخبرني أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك ، قال : زعم ابن رومان أن قوله (تَأْتِيهِمْ حِينًا نُهْمُ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) قال : كانت تأتيتهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى السبت ، فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتيدا ، فربط حوتا منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد ، أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به ، حتى قال لهم : فإنه جلد حوت وجدناه . فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ، ولا أدرى لعله قال : ربط حوتين ، فلما أمسى من ليلة الأحد ، أخذه فاشتواه ، فوجدوا ريحه ، فجاءوا فسألوه ، فقال لهم : لو شئتم صنعتم كما أصنع ، فقالوا له : وما صنعت؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك ، وكانت لهم مدينة لها ربض ، فغلقوها عليهم ، فأصابهم من المسخ ما أصابهم ، فغدا إليهم جيرانهم ، ممن كان يكون حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ،

فنادوا فلم يجيبوهم ، فسوروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ، ويتمسح به .

وقال آخرون : بل الفرقة التي قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) كانت من الفرقة الهالكة . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (شُرْعًا) قال : قال ابن عباس : ابتدعوا السبت ، فابتلوا فيه ، فحرمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انقضى السبت ذهبت ، فلم تر حتى السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شرعا ، فكثروا ما شاء الله أن يكثروا كذلك ، ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أنفه ، ثم ضرب له وتدا في الساحل ، وربطه وتركه في الماء ، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ، ولا ينهاه منهم أحد ، إلا عصبه منهم تنهوه ، حتى ظهر ذلك في الأسواق ، وفعل علانية . قال : فقالت طائفة للذين ينهون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) أو مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ؟ قالوا : معذرة إلى ربكم) في سخطنا أعمالهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ، فلما نسوا ما ذكروا به) . . . إلى قوله (قُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) قال ابن عباس : كانوا أثلاثا : ثلث تنهوا ، وثلث قالوا : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) ؟ وثلث أصحاب الخطيئة ، فأنجا إلا الذين تنهوا ، وهلك سائرهم ، فأصبح الذين تنهوا عن سوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم ، فغلقوا عليهم دورهم ، فجعلوا يقولون : إن للناس لشأنا ، فانظروا ما شأنهم ؟ فاطلعوا في دورهم ، فإذا القوم قد مسخوا في ديارهم قردة ، يعرفون الرجل بعينه ، وإنه لقرد ، ويعرفون المرأة بعينها ، وإنها لقردة ، قال الله (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْتَهُونَ عَنِ السُّوءِ) . . . الآية . قال ابن عباس : نجا الناهون ، وهلك الفاعلون ، ولا أدري ما صنع بالساكيتين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هم ثلاث فرق : الفرقة التي وعظت ، والموعوظة التي وعظت ، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) . وقال الكلبي : هما فرقتان : الفرقة التي وعظت ، والفرقة التي قالت : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هي الموعوظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس ، قال : لأن أكون علمتُ مَنْ هؤُلاءِ الذين قالوا (لَمْ تَعِظُون قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) : أحبّ إلىّ مما عدل به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : قال ابن عباس (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : أسمع الله يقول (أَتَجِئِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَنَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا (لَمْ تَعِظُون قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ماهان الحنفيّ أبي صالح ، في قوله (تَأْتِيهِمْ حَيْثُ تَشَاءُونَ) : قال : كانوا في المدينة التي على ساحل البحر ، وكانت الأيام ستة ، الأحد إلى الجمعة ، فوضعت اليهود يوم السبت ، وسبّتوه على أنفسهم ، فسبّته الله عليهم ، ولم يكن السبت قبل ذلك ، فوكده الله عليهم ، وابتلاهم فيه بالحيتان ، فجعلت تشرع يوم السبت ، فيتقون أن يصيبوا منها ، حتى قال رجل منهم : والله ما السبت بيوم وكّده الله علينا ، ونحن وكدناه على أنفسنا ، فلو تناولت من هذا السمك ، فتناول حوتا من الحيتان ، فسمع بذلك جاره ، فخاف العقوبة ، فهرب من منزله ؛ فلما مكث ما شاء الله ، ولم تصبه عقوبة ، تناول غيره أيضا في يوم السبت ، فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت ، واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمر ، ويلعبون فيه بالمعازف ، فقال لهم خيارهم وصلحائهم : ويحكم ! انتهوا عما تفعلون ، إن الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا ، أفلا تعقلون ، ولا تعدوا في السبت ، فأبوا ، فقال خيارهم : نضرب بيننا وبينهم حائطا ، ففعلوا ، وكان إذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف ، حتى إذا كانت الليلة التي مسخوها فيها ، سكنت أصواتهم أول الليل ، فقال خيارهم : ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة ؟ فقال بعضهم : لعل الخمر غلبتهم فناموا ؛ فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حيسا ، فقال بعضهم لبعض : مالنا لا نسمع من قومكم حيسا ؟ فقالوا لرجل اصعد الحائط ، وانظر ماشأئهم ؟ فصعد الحائط فرآهم يمجج بعضهم في بعض ، قد مسخوا قرده ، فقال لقومه : تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لئقوا ، فصعدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الرجل ، فيتوسمون فيه ، فيقولون : أي فلان ، أنت فلان ؟ فيومي بيده إلى صدره : أي نعم بما كسبت يداي .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، قال : تلا الحسن ذات يوم (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثُ تَشَاءُونَ) فقال : كان حوتا حرّمه الله عليهم في يوم ، وأحله لهم فيما سوى ذلك ، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرّمه الله عليهم ، كأنه الخفاص ، لا يمنع من أحد ، وقام ما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه ، قال : فجعلوا يهيمون ويمسكون ، حتى أخذوه ، فأكلوا أوحم أكلة أكلها قوم قط ، أنقله خزيا في الدنيا ، وأشدّه عقوبة في الآخرة ، وإيم الله

ماحوت أخذه قوم فأكلوه ، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن ، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ، ولكن الله جعل موعد قوم الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الحسن ، قال : جاءهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها الخفاض ، فأكلوا والله أوحم أكلة أكلها قوم قط ، أسوأه عقوبة في الدنيا ، وأشدّه عذابا في الآخرة . وقال الحسن : وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كنت جالسا في المسجد ، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إليه ، فقالوا : هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فقال : قال ابن مسعود (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، قال : لما حرّم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت ، وتأمين وتجيء فلا يستطيعون أن يمسوها ، وكان إذا ذهب السبت ذهبت ، فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس ؛ فلما أرادوا أن يبعثوا في السبت ، اصطادوا ، فهاهم قوم من صالحهم ، فأبوا ، وكثرتهم الفجار ، فأراد الفجار قتالهم ، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله ، أبوأحدهم وأخوه أو قريبه ؛ فلما نههم وأبوا ، قال الصالحون : إنا نباينهم ، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطا ، ففعلوا ، فلما فقدوا أصواتهم ، قالوا : لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا ؟ فنظروا فإذا هم قد مسخوا قرده ، يعرفون الكبير بكبره ، والصغير بصغره ، ففعلوا ليكون إليهم ، وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ

بِئْسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)

يقول تعالى ذكره : فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به ، من ترك الاعتداء فيه ، وضيعت ما وعظمتها الطائفة الواعظة ، وذكّرتها ما ذكّرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها ، فتقدمت على استحلال ما حرّم الله عليها ، أجمى الله الذين ينهون منهم عن السوء ، يعنى عن معصية الله ، واستحلال حرمه (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت ، فاستحلوا فيه ما حرّم الله من صيد السمك وأكله ، فأحلّ بهم بأسه ، وأهلكهم (بَعْدَ آبٍ) شديد (بئس) بما كانوا يفسقون : يخالفون أمر الله ، فيخرجون من طاعته إلى معصيته ، وذلك هو الفسق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، فى قوله (فَلَمَّا نَسُوا) ما ذكّروا به أجمىنا الذين ينهون عن السوء) قال : فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم ، الذين قالوا (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا) .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا حريز ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَتَجَسَّنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) قال : يا ليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه ؟ وأما قوله (بَعْدَ آبِ بَيْتِيسِ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (بَعْدَ آبِ بَيْتِيسِ) بكسر الباء ، وتخفيف الياء ، بغير همز ، على مثال فِعِيلٍ . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (بَعْدَ آبِ بَيْتِيسِ) على مثل فَعِيلٍ من البؤس ، بنصب الباء ، وكسر الهمزة ، ومدّها ، وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين ، غير أنه كسر باء (بَيْتِيسِ) على مثال فِعِيلٍ ، وقرأه بعض الكوفيين (بَيْتِيسِ) بفتح الباء ، وتسكين الياء ، وهمزة بعدها مكسورة ، على مثال « فَيَعِيلٍ » وذلك شاذّ عند أهل العربية ، لأن « فَيَعِيلٍ » إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح في عينه : الفصيح في كلام العرب ، وذلك مثل قولهم في نظيره من سالم : صَيَّقَلٌ ، وَتَيَّرَبٌ ، وإنما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو ، كقولهم : سيد ، وميت . وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

كِيْلَاهُمَا كَانَ رَمِيْسَا بَيْتِيسَا
يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الْهِيَاجِ الْقَوْنَسَا^١

بكسر العين من فِعِيلٍ ، وهي الهمزة من بَيْتِيسِ ، فلعل الذي قرأ ذلك كذلك ، قرأه على هذه . وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه (بَيْتِيسِ) نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه ، وذلك بفتح الباء ، وتسكين الياء ، وفتح الهمزة بعد الياء ، على مثال فَيَعِيلٍ مثل صيقل . وروى عن بعض البصريين أنه قرأه بَيْتِيسِ بفتح الباء ، وكسر الهمزة ، على مثال فَعِيلٍ ، كما قال ابن قيس الرقيات :

لَيْتَنِي أَلْقَى رُقَيْسَةَ فِي خَلْوَةٍ مِّنْ غَيْرِ مَا بَيْتِيسَا^٢

وروى عن آخر منهم أنه قرأ بَيْتِيسَا ، بكسر الباء ، وفتح السين ، على معنى بَيْتِيسِ العذاب .

وأولى هذه القراءات عندي بالصواب : قراءة من قرأه (بَيْتِيسِ) بفتح الباء ، وكسر الهمزة ومدّها ، على مثال فَعِيلٍ ، كما قال ذو الأصبغ العدواني :

حَنَّاقًا عَلِيًّا وَلَكِنْ تَرَى لِي فِيهِمْ أَثْرًا بَيْتِيسَا^٣

(١) في تاج العروس : البيأس كفعيل : الشديد . والأسد ، كاليهس لشدة ، وعذاب بئس بالكسر (لهمزة) ، وبئس كأبير ، وبئاس : كجبال : شديد . وفي التنزيل العزيز : «عذاب بئس بما كانوا يفسقون» ، قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي وهمزة : «عذاب بئس» كأبير . وقرأ ابن كثير «بئس» على فعيل بالكسر . وكذلك قرأها شبل وأهل مكة . وقرأها ابن عامر : «بئس» على «فعل» بالهمزة والكسر . وقرأها نافع وأهل المدينة «بئس» بغير همزة . ونقل القرطبي فيها (٧ : ٣٠٨) إحدى عشرة قراءة . (٢) البيت أورده العيني في شواهد الكبرى «هامش خزنة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٧٩» ولم يشرحه ، وبعده بيت آخر من شواهد النحويين ، وهو قوله :

كَيْ لَتَقْضِيَنِي رُقَيْسَةَ مَا وَعَدْتَنِي غَيْرَ مُخْتَلَسِ

ولم أجد في ديوانه غير مطلع القصيدة ص ٢٦٧ . وأوردتها البغدادى في خزنة الأدب (٣ : ٥٨٧) . وفي روايته : «من غير ما أنس» والأنس بالتحريك : لغة في الإنس بكسر الهمزة وسكون النون ، والأنس أيضا : الحى المقيمون . وأما رواية المؤلف : «من غير ما بئس» بفتح الباء وكسر الهمزة ، فهي لغة في البأس ، بفتح الباء وسكون الهمزة ، بمعنى الشدة ، كما في لسان العرب . (٣) الحنق : الغيظ . والبئس : الشديد . وانظر تفسير القرطبي (٧ : ٣٠٨) فقد نقل فيها إحدى عشرة قراءة .

لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد ، فدل ذلك على صحة ما اخترنا .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني رجل عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ) : أليم وجميع .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِعَدَابِ بَيْتِيسَ) قال : شديد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِعَدَابِ بَيْتِيسَ) : أليم شديد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِعَدَابِ بَيْتِيسَ) قال : موجع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (بِعَدَابِ بَيْتِيسَ) قال : بعذاب شديد

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما تمردوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السب ، واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) : أي بعداء من أخير .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ) يقول : لما مرد القوم على المعصية (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فصاروا قردة لها أذنان تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن المشيخة صاروا خنازير .
حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، عن أبي مالك أو سعيد بن جبير ، قال : رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصباً يوم السبت ، فضرب عنقه .

القول في تأويل قوله

وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧)

(١) المشيخة : جمع شيخ ، وهو الطاعن في السن .

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ) واذكر يا محمد إذ أذن ربك فأعلم ، وهو تَفَعَّلَ من الإيذان ، كما قال الأعمش ميمون بن قيس :

آذَنَ الْيَوْمَ جِيسِرَتِي بِخُصُوفٍ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفٍ

يعنى بقوله آذن : أعلم ، وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

وقوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) يعنى : أعلم ربك لَيَبْعَثَنَّ على اليهود من يسومهم سوء العذاب ، قيل : إن ذلك العرب ، بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ، ولم يعط الجزية ، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى بن إبراهيم وعلى بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : هى الجزية ، والذين يسومونهم : محمد صلى الله عليه وسلم وأمه إلى يوم القيامة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) فهى المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

(١) البيت للأعمش ميمون أبى بصير (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين من ٣١٣) وآذن بالثى : أعلم به ، ومنه قول الحارث بن حلزة : « آذنتنا بينها أسماء » : أى أعلمتنا . والخفوف : سرعة الذهاب فى الرحيل . وصرموا : قطعوا . وآلف مألوف : محب محبوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : بعث عليهم هذا الحي من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة . وقال عبد الكريم الجزري : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سَوْءَ الْعَذَابِ) قال : الخراج . وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام ، فجبي الخراج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سَوْءَ الْعَذَابِ) قال : الخراج . وأول من وضع الخراج موسى ، فجبي الخراج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ) قال : هم أهل الكتاب ، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة ، فهو سوء العذاب ، ولم يجب نبي الخراج قط إلا موسى ، صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك ، وإلا النبي ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ) قال : يبعث عليهم هذا الحي من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة . قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني عبد الكريم ، عن ابن المسيب ، قال : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ) يقول : إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب ، فيسومونهم سوء العذاب : يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَّبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) : ليعبثن على يهود .

القول في تأويل قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، فأنا ب ، وراجع طاعته يستر عليها بغفوه عنها ، رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها ، لأنه يقبل التوبة ويقبل العثرة .

القول في تأويل قوله

وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الْأَصْلِحُونَ ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَبَلَّوْنَاهُمْ بِأَحْسَنَاتِ

وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)

يقول تعالى ذكره : وفرقنا بني إسرائيل في الأرض أما ، يعني جماعات شتى متفرقين .
كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس (وَقَطَعْنَاَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا) قال : في كل أرض يدخلها قوم من اليهود .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(وَقَطَعْنَاَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا) قال : يهود .

وقوله (مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ) يقول : من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني إسرائيل الصالحون ،
يعنى : من يؤمن بالله ورسله (وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ) يعنى : دون الصالح ، وإنما وصفهم الله جل ثناؤه
بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل أن يُبعث فيهم عيسى بن
مريم صلوات الله عليه .

وقوله (وَبَنَوْا لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : واختبرناهم بالرخاء
في العيش ، والخفض في الدنيا ، والدَّعَاةِ والسعة في الرزق ، وهى الحسنات التى ذكرها جل ثناؤه . ويعنى
بالسيئات : الشدة في العيش ، والشظف فيه ، والمصائب والرزايا فى الأموال (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)
يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، وينيبوا إليها ، ويتوبوا من معاصيه .

القول فى تأويل قوله

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ
سَيَغْفِرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ، أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)

يقول تعالى ذكره : فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف ، يعنى خلف سوء ، يقول :
حدث بعدهم وخلافهم ، وتبدل منهم بدل سوء ، يقال منه : هو خلف صدق ، وخلف سوء ، وأكثر
ما جاء فى المدح بفتح اللام ، وفى الذم بتسكينها ، وقد تحرك فى الذم ، وتسكن فى المدح ، ومن ذلك
فى تسكينها فى المدح قول حسان :

لنا القدام الأولى إليك وخلفنا لأولنا فى طاعة الله تابعاً

وأحسب أنه إذا وجه إلى الفساد مأخوذ من قولهم : خلف اللبن : إذا حمض من طول تركه فى السقاء ، حتى

(١) البيت لحسان بن ثابت ، أنشده صاحب اللسان فى « خلف » شاهداً على أن الخلف يسكون اللام بمعنى الباقى بعد الهالك ، قال :
ويكون محموداً ومذموماً ، فشاهد محمود قول حسان : لنا القدام . . . البيت . فأنخلف ههنا : هو التابع لمن مضى ، وليس من معنى
الخلف ، الذى هو البدل . قال : وقيل الخلف هنا : المتخلفون عن الأولين : أى الباقون . وعليه قوله عز وجل : « فخلف من بعدهم
خلف ، فسمى بالمصدر . فهذا قول ثعلب . قال : وهو الصحيح . قال : وشاهد المذموم قول لبيد : « وبقيت فى خلف كجلد الأجرى » .

يفسد ، فكأن الرجل الفاسد مشبه به ، وقد يجوز أن يكون منه قولهم : خَلَفَ فَمُ الصَّامُ : إذا تغيرت ريحه . وأما في تسكين اللام في الدم ، فقول ليبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجَلْدِ الْأَجْرَبِ

وقيل : إن الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خَلَفُوا من قبلهم : هم النصارى .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) قال : النصارى .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى إنما وصف أنه خَلَفَ القوم الذين قصَّ قصصهم في الآيات التي مضت ، خَلَفَ سَوْءَ رَدِيءٍ ، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه ، وقصصهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى . وبعد ، فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل ، وما بعده كذلك ، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه ، إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم ، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به .

فتأويل الكلام إذن : فتبدل من بعدهم بدال سوء . ورثوا كتاب الله : تعلموه ، وضيعوا العمل به ، فخالقوا حكمه ، يَرشُون في حكم الله ، فيأخذون الرشوة فيه من عَرَضَ هذا العاجل الأدنى ، يعني بالأدنى : الأقرب ، من الآجل الأبعد ، ويقولون إذا فعلوا ذلك : إن الله سيغفر لنا ذنوبنا ، تمنيا على الله الأباطيل ، كما قال جل ثناؤه فيهم (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لَيْشَسْرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) . (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) يقول : وإن شرع لهم ذنب حرام مثله ، من الرشوة بعد ذلك ، أخذوه واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه . يخبر جل ثناؤه عنهم : أنهم أهل إصرار على ذنوبهم ، وليسوا بأهل إنابة ولا توبة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عنه عباراتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : يعملون الذنب ثم يستغفرون الله ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : من الذنوب .

(١) البيت لليبيد بن ربيعة (اللسان : خلف) ، وقد سبقت الإشارة إليه في شرح بيت حسان بن ثابت . ولم أجده في ديوان ليبيد طبع ليدين سنة ١٨٩١ م ، ولا في ملحقاته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) قال : يعملون بالذنوب (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) : قال : ذنب آخر يعملون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : الذنوب (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : الذنوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : ما أشرف لهم من شيء في اليوم من الدنيا : حلال أو حرام يشتهونه ، أخذوه ، ويبتغون المغفرة ، فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : يتمنون المغفرة .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالا كان أو حراما ، ويتمنون المغفرة (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) وإن يجدوا عرضا مثله يأخذوه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ) : إى والله لخلف سوء ، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلمهم ، ورثهم الله وعهد إليهم . وقال الله في آية أخرى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال : (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ) لا يشغلهم شيء عن شيء ، ولا ينههم عن ذلك ، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه ، لا يباليون حلالا كان أو حراما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : يأخذونه إن كان حلالا ، وإن كان حراما (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ) قال : إن جاءهم حلال ، أو حرام أخذوه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ) . . . إلى قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا ، إلا ارتشى في الحكم ، وأن خيارهم اجتمعوا ، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ، ولا يرتشوا ، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشى في الحكم ؟ فيقول : سيغفر لي ، فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات أوتزِع ، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فبرتشى . يقول : وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذوه . وأما عَرَضُ الْأَدْنَى ، فعرض الدنيا من المال .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ، يَا خُدُونَ عَرَّضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) يقول : يأخذون ما أصابوا ، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ، ويقولون : سيغفر لنا . وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا خُدُونَ عَرَّضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : الكتاب الذي كتبه ، ويقولون (سَيُغْفَرُ لَنَا) لانشرك بالله شيئا . (وَإِنْ يَا تَيْهِمُ عَرَّضَ مِثْلُهُ يَا خُدُوهُ) : يأتيهم الحق برشوه ، فيخرجوا له كتاب الله ، ثم يحكموا له بالرشوة ، وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة ، وهو الكتاب الذي كتبه ، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة ، فهو فيها محق ، وهو في التوراة ظالم ، فقال الله : (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ .)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَا خُدُونَ عَرَّضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : يعملون بالذنوب (وَيَقُولُونَ : سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَا تَيْهِمُ عَرَّضَ مِثْلُهُ يَا خُدُوهُ) قال : الذنوب . القول في تأويل قوله (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ؟) .

يقول تعالى ذكره : ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم ، القائلين : سيغفر الله لنا فعلنا هذا ، إذا عوتبوا على ذلك ، ميثاق الكتاب ، وهو أخذ الله اليهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة ، والعمل بما فيها ، فقال جل ثناؤه هؤلاء الذين قص قصتهم في هذه الآية ، مؤبدا لهم على خلافهم أمره ، ونقضهم عهده وميثاقه ، ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ، (إِلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى ، صلى الله عليه وسلم في التوراة ، وألا يكذبوا عليه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) قال : فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم ، التي لا يزالون يعودون فيها ، ولا يتوبون منها .

وأما قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) فإنه معطوف على قوله (وَرِثُوا الْكِتَابَ) ومعناه : فخلف من بعدهم خالف ورثوا الكتاب ، ودرسوا ما فيه . ويعنى بقوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) قرعوا ما فيه ، يقول : ورثوا الكتاب ، فعلموا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) : قال : علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله ، وقرأ (بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) . (وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يقول جل ثناؤه : وما في الدار الآخرة ، وهو ما في المعاد عند الله مما أعد لأولياته ، والعاملين بما أنزل في كتابه ، المحافظين على حدوده ، (خير للذين يتقون) الله ، ويخافون عقابه ، فيراقبونه في أمره ونهيه ، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم ، ويقولون : سيغفر لنا ، أن

ما عند الله في الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس في أحكامهم ، خبير من هذا العرض القليل الذي يستعجلونه في الدنيا على خلاف أمر الله ، والقضاء بين الناس بالبحر .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (يُمَسِّكُونَ) بتخفيف الميم وتسكينها ، من أمسك بمسك . وقرأه آخرون : (يُمَسِّكُونَ) بفتح الميم وتشديد السين ، من مَسَّكَ يُمَسِّكُ ، ويعنى بذلك : والذين يعملون بما في كتاب الله ، وأقاموا الصلاة بخدودها ، ولم يضيعوا أوقاتها . (إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) : يقول تعالى ذكره : فمن فعل ذلك من خلقي ، فإني لأضيع أجر عمله الصالح .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) : قال : كتاب الله الذي جاء به موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) من يهود أو نصارى (إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) .

القول في تأويل قوله

* وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ،
وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ اقتلنا الجبل ، فرفعناه فوق بني إسرائيل ، كأنه ظلَّة سمام من الظلال ، وقلنا لهم : (خذوا ما آتيناكم بقوة) من فرائضنا ، وألزمناكم من أحكام كتابنا ، فاقبلوه ، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه ، من غير تقصير ولا توان ، (واذكروا ما فيه) ، يقول : ما في كتابنا من العهود والمواثيق ، التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يقول : كي تتقوا ربكم ، فتخافوا عقابه ، بترككم العمل به ، إذا ذكرتم ما أخذنا عليكم فيه من المواثيق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) فقال لهم موسى : خذوا ما آتيناكم بقوة ، يقول : من العمل بالكتاب ، وإلا خسر عليكم الجبل ، فأهلككم ، فقالت : بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ، ثم نكتوا بعد ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) فهو قوله (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثَاقِهِمْ) فقال : (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) وإلا أرسلته عليكم .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : إني لأعلم خلق الله ، لأى شيء سجدت اليهود على حرف وجوههم لما رُفِعَ الجبل فوقهم ، سجدوا وجعلوا ينظرون إلى الجبل ، مخافة أن يقع عليهم ، قال : فكانت سجدة رضيها الله ، فاتخذوها سنة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) ، خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) : أى سجدوا (وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) جبل نزهه الله من أصله ، ثم جعله فوق رؤوسهم ، فقال : لتأخذن أمرى ، أو لأرمينكم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ) قال : كما تَنَتَّقُ الرَّبْدَةَ ، قال ابن جريج : كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها ، أو يؤمنوا بها (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) قال : يقول : لتؤمنن بالتوراة ، ولتقبِلنَّها ، أو ليقعنَّ عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : هذا كتاب الله ، أتقبلونه بما فيه ؟ فإن فيه بيان ما أحل لكم ، وما حرّم عليكم ، وما أمركم وما نهاكم ، قالوا : انشروا علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها يسيرة ، وحدودها خفيفة قبلناها ، قال : اقبلوها بما فيها ، قالوا : لا ، حتى نعلم ما فيها : كيف حدودها وفرائضها ؟ فراجعوا موسى مرارا ، فأوحى الله إلى الجبل ، فانقلع ، فارتفع في السماء ، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء ، قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربى : لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها ، لأرمينكم بهذا الجبل . قال : فحدثني الحسن البصرى ، قال : لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل ، فترقا من أن يسقط عليه ، فلذلك ليس في الأرض يهودى يسجد إلا على حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التى رُفِعَتْ عنها العقوبة . قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده ، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز ، فليس اليوم يهودى على وجه الأرض صغير ولا كبير ، تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ، ونغص لها رأسه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله (نَتَقْنَا) فقال بعض البصريين : معنى نتقنا : رفعنا ،

واستشهد بقول العجاج :
يَنْتَقِي أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتَقًا

(١) البيت للعجاج (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٤٠) وروايته فيه : « يفتاد رحل والشليل نقا » . وفي لسان العرب : التتق : الزعزعة والهمز والحذب والتقص . وفي التزليل : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم » : أى زعزعناه ورفعناه . وجاء في الخبر أنه

وقال : يعنى بقوله : ينتق : يرفعها عن ظهره . وبقول الآخر :

وَنَتَّقُوا أَحْلَامَنَا الْأَثَاقِيلَا

وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر ، وهو أن أصل النتق والتتوق : كل شئ قلعته من موضعه ، فرميت به ، يقال منه : نتقت نتقا ، قال : ولهذا قيل للمرأة الكبيرة : ناتق ، لأنها ترمى بأولادها رميا ، واستشهد بيت النابغة :

لَمْ يُجْرَمُوا حُسْنَ الْغِيذَاءِ وَأُمَّهُمْ دَحَقَّتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارٍ^٢

وقال آخر : معناه في هذا الموضع : رفعناه . وقال : قالوا : نتقتى السير : حركتنى . وقال : قالوا : ما نتق برجله لا يركض ، والنتق : نتق الدابة صاحبها حين تعدو به ، وتتعبه حتى يربو ، فذلك النتق والتتوق ، ونتقتى الدابة ، ونتقت المرأة نتقا : كثر ولدها . وقال بعض الكوفيين : نتقنا الجبل : علقنا الجبل فوقهم فرفعناه . نتنقه نتقا ، وامرأة ميتاق : كثيرة الولد ، قال : سمعت : أخذ الجراب ونتاج مافيه : إذا نثر مافيه .

القول في تأويل قوله

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ : أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)

يقول تعالى ذكره لتبنيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقرّرهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك ، وإقرارهم به .

كما حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن

أقطع من مكانه . ونتاجت الدابة راحتها ، وبراكها تنتق (بضم التاء وكسرها) نتقا ونتاجا : إذا نزعته وألعبته ، حتى يأخذه لذلك ربو . ثم قال : وكان نتق الجبل أن قطع منه شئ على قدر عسكر موسى ، فأظل عليهم ، قال لهم موسى : إما أن تقبلوا التوراة ، وإما أن يسقط عليكم . والنتد : خشب الرجل ؛ وقيل : هو من أدوات الرجل . وقيل : جميع أدواته . والجمع : أقتاد وأقتد وأقتود . والشليل والشلل : الدرع ، أو غلالة تلبس فوق الدرع . وقيل : ما يلبس تحت الدرع من درع صغيرة أو ثوب . وقيل : هي الدرع ما كانت .

(١) البيت أحد أبيات ثلاثة أنشدها في (اللسان : نتق) من مشطور الرجز قالها شاعر ، وهي :

قَدْ جَرَّبُوا أَخْلَاقَنَا الْجَلَالِيَا وَتَتَّقُوا أَحْلَامَنَا الْأَثَاقِيلَا

فَلَسَمَ يَرَى النَّاسُ لَنَا مُعَادِلَا

وهو شاهد على أن معنى النتق كما في الشاهد السابق .

قال : وقال الفراء في ذلك : رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ . ونتاجنا : رفعنا .

(٢) البيت في ديوان شعر النابغة (مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ١٦٨) ، وفي (لسان العرب : نتق) وفي روايتهما : « طنقت » في مكان : « دحقت » ، وأنشده أيضا في (اللسان : دحق) كرواية المؤلف . والنوا في « لم يجرموا » راجعة إلى الأقوام الذين ذكرهم في أبيات القصيدة (بني جذيمة ، والغاضريين) . ودحقت المرأة بولدها : ولدت بعضهم في إر بعض . والدحوق من النساء : ضد المقاتل ، وهن المتئات . والنتاق : التي أخرجت ما عندها من الولد . ومذكار : تلد الذكور . يقول : إنهم غفوا غفاه حسنا ، فتموا وكثروا .

كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانِ » يعني عرفة « فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا ، فَتَنَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ، فَتَلَا فَقَالَ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا . . . الآية » إلى « ما فعل المبطون » .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، قال : سألت سعيد بن جبيرة عن قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ؟ قال : سألت عنها ابن عباس ، فقال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان . هذا ، وأشار بيده ، فأخذ موافقهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ؟ وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) . اللفظ لحديث يعقوب .

وحدثني يعقوب قال : ثنا ابن علية ، قال ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه في هذا الحديث ، قالوا : بلى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أول ما أهبط الله آدم ، أهبطه بدجني : أرض بالهند ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) ، ثم تلا (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فجفف القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن ابن عباس ، قال : مسح الله ظهر آدم ، فأخرج كل طيب في يمينه ، وأخرج كل خبيث في الأخرى .

(١) لعل المقصود بهذه الكلمة : هضبة الدكن من بلاد الهند .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم ، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ؟ قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجنى ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قالوا بلى (قال : فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه ، فمسح ظهره ، فأخذ ذريته كهيئة الذر ، فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى) . قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن المسعودي ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ؟ قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ومصائبه ، واستخرج ذريته كالذر ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر ، عن أبيه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى شهدنا) . قال : ثنا أنفسيهم) قال : مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو بطن نعمان ، واد إلى جنب عرفة ، وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ، ثم أشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى شهدنا) . قال : ثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن أبي حمزة الضبعي ، عن ابن عباس ، قال : أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذر ، وهو في آذي من الماء .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مسعود ، عن جوير ، قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام ، قال : فقال : يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده ، فأبرز وجهه ، وحل عنه عقده ، فإن ابني مجلس ومستول ، ففعلت به الذي أمرني ، فلما فرغت ، قالت : يرحمك الله ! عم يسئل ابنك ؟ قال : يسئل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام . قلت : يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : ثنى ابن عباس : أن الله مسح صلب آدم ، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر ، فوفى به ، نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به ، لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأول ، على الفطرة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني السري بن يحيى ، أن الحسن ابن أبي الحسن ، حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم أربع غزوات ، قال : فتناول القومُ الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتد عليه ، ثم قال : « ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : إن خياركم أولاد المشركين ، ألا إنما ليستت نسمة تولد ، إلا ولدت على الفطرة ، فما تزال عليتها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهود أنها أو ينصر أنها » قال الحسن : والله لقد قال الله ذلك في كتابه ، قال (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) .

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : ثنا أحمد بن أبي ظبية ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك ، وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ألتست بربكم ؟ قالوا بلى ، قالت الملائكة : شهيدنا أن تقولوا يوم القيامة : إننا كنا عن هذا غافلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، في قوله (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال : أخذهم كما يأخذ المشط عن الرأس . قال ابن حميد : كما يؤخذ بالمشط .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا روح بن عبادة ، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني ، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، ويعمل أهل الجنة يعملون ؛ ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، ويعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ قال : إن الله إذا خلق العبد للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة ، فيدخله الجنة ؛ وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من عمل أهل النار ، فيدخله النار . »

حدثنا إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن المصنف ، عن بقية ، عن عمرو بن جعتم القرشي ، قال : ثنا زيد

به وبأمره بنى آدم كلهم ، فأشهدهم على أنفسهم ، فأمنوا وصدقوا ، وعرفوا وأقروا ، وبلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل . قال ابن جريج عن مجاهد ، قال : إن الله لما أخرجهم قال : يا عباد الله ، أجيئوا الله ، والإجابة : الطاعة ، فقالوا : أطعنا ، اللهم أطعنا ، اللهم أطعنا ، اللهم لبيك ، قال : فأعطاها إبراهيم عليه السلام في المناسك : لبيك اللهم لبيك ، قال : ضرب متن آدم حين خلقه ، قال : وقال ابن عباس : خلق آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الدر ، فكلهم ، ثم أعادهم في صلبه ، فليس أحد إلا وقد تكلم ، فقال : ربى الله ، فقال : وكل خلق خلق فهو كائن إلى يوم القيامة ، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها . قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبير : أخذ الميثاق عليهم بنعمان ، ونعمان : من وراء عرفة ، أن يقولوا يوم القيامة (إِنَّا كُنْنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) عن الميثاق الذى أخذ عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم استنطقهم ، وأخذ عليهم الميثاق (وأشهدهم على أنفسهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) قالوا بلى شهدنا ، أن يقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنْنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أو يقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) ؟ قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع ، والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رب غيرى ، ولا تشركوا بى شيئا ، وسأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقى ، وسأنزل عليكم كتيبى . قالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، فأقرؤا له يومئذ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم ، فنظر إليهم ، فرأى منهم الغنى والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب لولا ساويت بينهم ؟ قال : فإني أحب أن أشكر ، قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج . وخص الأنبياء بميثاق آخر ، قال الله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا) وهو الذى يقول تعالى ذكره (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) وفى ذلك قال : (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى) يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى ، ومن ذلك قوله (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ، ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبْنَا مِنْ قَبْلُ) قال : كان فى علمه يوم أقروا به ، من يصدق ، ومن يكذب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال فعرضوا على آدم ، فرأى رجلا من ذريته له نور فأعجبه ، فسأل عنه ، فقال : هو داود ، قد جعل عمره ستين سنة ،

فجعل له من عمره أربعين سنة ؛ فلما احتضر آدم ، جعل يخاصمهم في الأربعين سنة ، فقيل له : إنك أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجالتهم ، قال : فعرض عليه روح داود في نور ساطع ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذريتك نبي خليفة ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمري أربعين سنة ، قال : والأقلام رطبة تجري ، فأثبت لداود الأربعون ، وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة ؛ فلما استكملها إلا الأربعين سنة ، بعث إليه ملك الموت ، فقال : يا آدم أمرت أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى ربه ، فقال : إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود ، والأقلام رطبة ، فأثبت لداود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن نحوه .
قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردهم في صلبه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر بن عيسى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردهم في صلبه . قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن أبي بسطام ، عن الضحاک ، قال : حيث ذرأ الله خلقه لآدم ، قال : خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : قال ابن عباس : خلق الله آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره ، فكلهم الله وأنطقهم ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم أعادهم في صلبه ، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم ، فقال : ربى الله ، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن طلحة ، عن أسباط ، عن السدى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، وذلك حين يقول تعالى ذكره (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وذلك حين يقول (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعني : يوم أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم عليه السلام . قال : ثنا عمر ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ، ولم يهبط من السماء ، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال :

أدخلوا النار ولا أبالي ، فذلك حين يقول (وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال) ثم أخذ منهم الميثاق ، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) ، فأطاعه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين ، على وجه التقيية .
حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمر ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي بنحوه ، وزاد فيه بعد قوله : وطائفة على وجه التقيية ، فقال : هو والملائكة ، (شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو يقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم) ، فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) والأمة : الدين (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ) ، وذلك حين يقول الله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَىٰ) وذلك حين يقول (وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وذلك حين يقول (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعنى يوم أخذ منهم الميثاق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : مسح الله على صلب آدم ، فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون إلى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم ، فأعطوه ذلك ، ولا يسأل أحد كافر ولا غيره من ربك ؟ إلا قال : الله . وقال الحسن مثل ذلك أيضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي بن حسين : أنه كان يعزله ١ : ويتأول هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أقرت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها .

حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي ، قال : ثنا بقرية بن الوليد ، قال : ثنا الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم : « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! ابتداء الأعمال أم قد قضى القضاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيته ، ثم قال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة مبسرون ليعمل أهل الجنة ، وأهل النار مبسرون ليعمل أهل النار » .

حدثني محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا حيوة بن يزيد ، قال : ثنا بقرية ، عن الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .
حدثني أحمد بن شبيب ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، قال : ثنا عبد الله

(١) كذا في الدر المنثور للسيوطي (٣: ١٤٤) وفي الأصل : يقول . تحريف . والعزل : ألا يقر الرجل ماء في رحم المرأة عند اندفاعه .

ابن مسلم ، عن الزبيدي ، قال : ثنا راشد بن سعد : أن عبد الرحمن بن قتادة ، حدثه أن أباه حدثه أن هشام ابن حكيم حدثه أنه قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل . . . » ، فذكر مثله .
حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .
واختلف في قوله (شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) فقال السدي : هو خبر من الله عن نفسه وملائكته ، أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته ، إذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم : ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى .

فتأويل الكلام على هذا التأويل : وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى . فقال الله وملائكته : شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى ، والخبر الآخر الذي روى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل ذلك .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قبيل بعض بني آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعض ، وقالوا : معنى قوله (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) وأشهد بعضهم على بعض ، بإقرارهم بذلك ، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عن قاله قبل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحا ، ولا أعلمه صحيحا ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدثوا بهذا الحديث عن الثوري ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي ظبية عنه . وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا ، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله ، عن قبيل بني آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ؟) قالوا : بلى شهدنا ، فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا ، فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقرتم به على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين .

القول في تأويل قوله

أَوْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

الْمُبْطِلُونَ ؟ (١٧٣)

يقول تعالى ذكره : شهدنا عليكم أيها المقررون بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، إنا كنا لانعلم ذلك ، وكنا في غفلة منه ، (أَوْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) اتبعنا منهاجهم (أَفَتُهْلِكُنَا) بإشراك من أشرك من آبائنا ، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق .

ويعنى بقوله (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) : بما فعل الذين أَبْطَلُوا في دعواهم إلهاً غير الله .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين والبصريين : أن يقولوا بالياء ، بمعنى : شهدنا لثلاث
يقولوا على وجه الخبر عن الغيب ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة ، أن تقولوا ، بالياء ، على وجه
الخطاب من الشهود للمشهود عليهم .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتان المعنى ، متفقتا التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهما ،
لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية ، كما قال الله (لَسُبُّنَا لِلنَّاسِ ، وليبينه) ، وقد بينا نظائر ذلك فيما
مضى ، بما أغنى عن إعادته

القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ ، وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)

يقول تعالى ذكره : وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة ، وبيئنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة
قبل قومك ، وأحللنا بهم من المثالات بكفرهم ، وإشراكهم في عبادتي غيري ، كذلك نفصل الآيات غيرها
ونبينها لقومك ، لينزجروا ويرتدعوا ، فينبوا إلى طاعتي ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى
الإيمان ، والإقرار بتوحيدي ، وإفراد الطاعة لي ، وترك عبادة ماسواي .

القول في تأويل قوله

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الغافرين (١٧٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتينا آياتنا ، يعنى
خبره وقصته ، وكانت آيات الله للذي آتاه الله إياها فيما يقال : اسم الله الأعظم ، وقيل : النبوة .

واختلف أهل التأويل فيه ، فقال بعضهم : هو رجل من بني إسرائيل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ،
عن مسروق ، عن عبد الله في هذه الآية (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)
قال : هو بلعم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ،
مثله . قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال :
هو بلعم بن أير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ،

في قوله (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) قال: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر. حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عدي، قالوا: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، أنه قال في هذه الآية، فذكر مثله، ولم يقل: ابن أبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عمران بن الحارث، عن ابن عباس، قال: هو بلعم بن باعرا.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . إلى (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) هو بلعم بن أبر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، مثله، إلا أنه قال ابن أبر، بضم الباء.

حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال: بلعم بن باعرا، من بني إسرائيل.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول، فذكر مثله. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، أنه سمع مجاهدا يقول، فذكر مثله.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا عبد الرحمن وابن أبي عدي، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال في الذي (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال: هو بلعم.

وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر، قال: ثنا شعبة، عن حصين، قال: سمعت عكرمة يقول: هو بلعم.

حدثنا الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن حصين، عن مجاهد، قال: هو بلعم.

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بَلَعَم .

وقال آخرون : كان بَلَعَم هذا من أهل اليمن .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل يدعى بَلَعَم من أهل اليمن . وقال آخرون : كان من الكنعانيين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال له بَلَعَم .

وقال آخرون : هو أمية بن أبي الصلت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن السائب ، عن غضيف بن أبي سفيان ، عن يعقوب ونافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، قال : أنبأنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، قال : قال عبد الله بن عمرو : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير ، قالوا : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو بمثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : هو أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو صاحبكم ، يعنى أمية بن أبي الصلت .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن رجل عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية بن أبي الصلت قال : ثنا يزيد ، عن شريك ، عن عبد الملك ، عن فضالة ، أو ابن فضالة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : تذاكروا في جامع

دمشق هذه الآية (فَانسَلَخَ مِنْهَا) فقال بعضهم : نزلت في بَلْعَمَ بن باعوراء ، وقال بعضهم : نزلت في الراهب ، فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقالوا : فيمن نزلت هذه ؟ قال : نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو أمية بن أبي الصلت ، وقال قتادة : يشك فيه ، يقول بعضهم : بَلْعَمَ ، ويقول بعضهم : أمية بن أبي الصلت .

واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيتها ، التي قال جل ثناؤه : (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) فقال بعضهم : كانت اسم الله الأعظم .
ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله لما انقضت الأربعون سنة ، يعنى التي قال الله فيها (إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) بعث يوشع بن نون نبياً ، فدعا بني إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبي ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل ، يقال له بَلْعَمَ ، وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم المكتوم ، فكفر وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بني إسرائيل ، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم ، أدعو عليهم دعوة فيهلكون ، وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يعظمن ، فكان ينكح أتاناً له ، وهو الذي يقول الله : (وَآتَلَ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا) : أي تَنَصَّلَ ، فانسَلَخَ منها ، إلى قوله (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَآتَلَ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) قال : هو رجل يقال له : بَلْعَمَ ، وكان يعلم اسم الله الأعظم .
حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآتَلَ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا) قال : كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .
وقال آخرون : بل الآيات التي كان أوتيتها كتاب من كتب الله .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس ، قال : كان في بني إسرائيل بَلْعَمَ بن باعير أوتي كتاباً .
وقال آخرون : بل كان أوتي النبوة .
ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن غيره ، قال : الحارث قال :

عبد العزيز ، يعنى عن غير نفسه ، عن مجاهد ، قال : هو نبي في بني إسرائيل ، يعنى بلسعهم ، أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ، ففعل وتركهم على ما هم عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فحدثت عن سيّار ، أنه كان رجلا يقال له بلسعام ، وكان قد أوتى النبوة ، وكان مجاب الدعوة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته ، وهى الآيات .

وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، وجائز أن يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلسعهم ، جائز أن يكون أمية ، وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحججة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه ، فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية ، وعناها بها ، فجائز أن يكون الذى كان أوتىها بلسعهم ، وجائز أن يكون أمية ، لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب ، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه السلام ، أن يتلو على قومه نبأه ، أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أو بمعنى النبوة ، فغير جائز أن يكون معنياً به أمية ، لأن أمية لا تختلف الأمة فى أنه لم يكن أوتى شيئاً من ذلك ، ولا خبر بأى ذلك المراد ، وأى الرجلين المعنى يوجب الحججة ، ولا فى العقل دلالة على أن ذلك المعنى به من أى .

فالصواب : أن يقال فيه ما قال الله ، ويقرّ بظاهر التنزيل ، على ما جاء به الوحي من الله .

وأما قوله (فَاَنْسَلَخَ مِنْهَا) فإنه يعنى : خرج من الآيات التى كان الله آتاه إياها ، ففتبراً منها .

وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل موسى عليه السلام ، يعنى بالخبارين ومن معه . آتاه ، يعنى بلسعهم بنوعه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادعُ الله أن يردّ عنا موسى ومن معه ، قال : إني إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ، ذهبت دنياى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلكه الله مما كان عليه ، فذلك قوله (فَاَنْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان الله آتاه آياته فتركها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس (فَاَنْسَلَخَ مِنْهَا) قال : نزع منه العلم ، وقوله (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) يقول : فصيره لنفسه تابعا ، ينتهى

إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن ، وقوله (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول : فكان من المهالكين لضلاله ، وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ،
 إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ
 الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)

يقول تعالى ذكره : ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا ، بآياتنا التي آتيناه ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، يقول : سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ، ومال إليها ، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة ، واتبع هواه ، ورفض طاعة الله ، وخالف أمره .

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية ، على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَاتَّبَعُوا عَلِيَّهِمْ نَبِيًّا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا) ، فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلسعام ، وكان قد أوتى النبوة ، وكان مجاب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلسعام ، أو قال الشام ، قال : فرعب الناس منه رعبا شديدا ، قال : فأتوا بلسعاما ، فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ، قال : حتى أوامر ربي ، أو حتى أوامر ، قال : فآمر في الدعاء عليهم ، فقبل له : لا تدع عليهم ، فإنهم عبادي ، وفيهم نبيهم . قال : فقال لقومه : إني آمرت ربي في الدعاء عليهم ، وإني قد نهيته . قال : فأهدوا إليه هدية فقيلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم ، فقال : حتى أوامر ربي ، فآمر ، فلم يأمره بشيء . قال : فقال : قد وامت فلم يأمرني بشيء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك ، كما نهاك في المرة الأولى ، قال : فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه ؛ وإذا أراد أن يدعو أن يفتتح لقومه ، دعا أن يفتتح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحو من ذلك إن شاء الله . قال : فقالوا : ما نراك تدعو إلا علينا ، قال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء لتستقبلهم ، وإنهم قوم مسافرون ، فعمسى أن يزنوا فيهلكوا . قال : ففعلوا ، وأخرجوا النساء لتستقبلهم ، قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، قال : فقال أبوها أو بلسعام : لا تمكني نفسك إلا من موسى قال : ووقعوا في الزنا ، قال : وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل ، فأرادها على نفسه ، قال : فقالت : ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى . قال : فقال : إن من منزلي كذا وكذا ، وإن من حالي كذا وكذا . قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : مكنته . قال :

ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح ، فيطعنهما ، قال : وأيدّه الله بقوّ ، فانظّمهما جميعاً ، ورفعهما على رمحه ، قال : فرآهما الناس ، أو كما حدث . قال : وسلط الله عليهم الطاعون ، قال : فمات منهم سبعون ألفاً ، قال : فقال أبوالمعتمر : فحدثني سيار أن بلعاماً ركب حمارة له ، حتى إذا أتى المعلولى ، أو قال : طريقاً من المعلولى ، جعل يضربها ولا تتقدّم ، قال : وقامت عليه ، فقالت : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ قال : فإذا الشيطان بين يديه ، قال : فنزل فسجد له ، قال الله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقَكُرُونَ) قال : فحدثني بهذا سيار ، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطبعه ، وأن يجعله من أهل النار ، قال : ففعل الله ، قال : أنبئت أن موسى قتله بعد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النضر ، أنه حدث أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام ، أتى قومٌ بسّعم إلى بسّعم ، فقالوا له : يا بلعم إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ، ويحلها بني إسرائيل ويسكنها ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم . فقال : ويلكم ! نبيّ الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم ؟ وأنا أعلم من الله ما أعلم ، قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون إليه حتى فتتوه ، فافتتن ، فركب حمارة له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حسان ؛ فلما سار عليها غير كثير ربضت به ، فنزل عنها ، فضربها ، حتى إذا أدلقتها ، قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أدلقتها أذن الله لها ، فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا ! أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها ، فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك . قال : فانطلقت به ، حتى إذا أشرفت على رأس جبل حسان ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشرّاً إلا صرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل . قال : فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ! قال : فهذا ما لأملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه . قال : واندلج لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهب مني الآن الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والخيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جملوا النساء ، وأعطوهن السّلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنهن فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنى منهم واحد كفيتموهم ، ففعلوا ؛ فلما دخل النساء العسكر ، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها ، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها ، حتى وقف بها على

موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك ستقول: هذه حرام عليك؟ فقال: أجل، هي حرام عليك لا تقرر بها، قال: فوالله لأطيعك في هذا. فدخل بها قبته، فوقع عليها، وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق، وقوة في البطش، وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة، وهما متضاجعان، فانظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى تحييه، وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهم هكذا فعل بمن يعصيك. ورُفِع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون، فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا، والمقلل يقول: عشرون ألفا في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص ابن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها، الفشة والذراع واللمحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى تحييه، والبكر من كل أمواهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ففي بئسهم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) يعني بئسهم، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقَرُونَ).

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: انطلق رجل من بني إسرائيل يقال له: بئسهم، فأتى الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم، فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه، وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل، دعا على الجبارين. فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا. فيقول: إنما أردت بني إسرائيل؛ فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذبذبات الأتان، فأمسكها، فجعل يجر كرها فلا تتحرك، فلما أكثر ضررها تكلمت، فقالت: أنت تنكحني بالليل، وتركيني بالنهار، وبلى منك! ولو أني أطق الخروج لخرجت، ولكن هذا الملك يحبسني. وفي بئسهم يقول الله: (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . الآية.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنى رجل سمع عكرمة، يقول: قالت امرأة منهم: أروني موسى، فأنا أفتنه، قال: فتطيت، فررت على رجل يشبه موسى، فواقعها، فأتى ابن هارون فأخبر، فأخذ سيفاً، فظعن به في إحليله، حتى أخرجه من قبلها، ثم رفعها حتى رأها الناس، فعلم أنه ليس موسى، ففضّل آل هارون في القربان على آل موسى، بالكثيف والعصد والفيخذ، قال: فهو الذي آتينا آياتنا، فانسلخ منها، يعني بلعم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) فقال بعضهم: معناه: لرفعناه بعلمه بها.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَرْفَعَتِنَا) لرفعه الله تعالى بعلمه .

وقال آخرون : معناه لرفعنا عنه الحال التي صار إليها من الكفر بالله بآياتنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَرْفَعَتِنَا) : لرفعنا عنه بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَرْفَعَتِنَا) : لرفعنا عنه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عمّ الخبر بقوله (وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَرْفَعَتِنَا) : أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها ، والرفع يعمّ معاني كثيرة ، منها الرفع في المنزلة عنده ، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع . وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعه ، فأعطاه كل ذلك ، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاه إياها . وإذا كان ذلك جائزا ، فالصواب من القول فيه : أن لا يخصّ منه شيء ، إذ كان لادلالة على خصوصه من خبر ولا عقل .

وأما قوله (فِيهَا) فإن ابن زيد قال في ذلك ، كالذي قلنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَرْفَعَتِنَا) : بتلك الآيات .

وأما قوله (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبيرة (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) : يعني : ركن إلى الأرض .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبيرة (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) : قال : نزع إلى الأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أخلد : سَكَنَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو ميمونة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان في بني إسرائيل بلسعام بن باعر ، أوتى كتابا ، فأخلد إلى شهوات الأرض ، ولذتها وأموالها ، لم ينتفع بما جاء به الكتاب .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أما أخلد إلى الأرض : فاتبع الدنيا ، وركن إليها . وأصل الإخلاق في كلام العرب : الإبطاء والإقامة ، يقال منه : أخلد فلان بالمكان : إذا أقام به ، وأخلد نفسه إلى المكان : إذا أتاه من مكان آخر ، ومنه قول زهير :

لَمَنْ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِالْغَرِّ قَدِ
كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلَدِ^١
يعنى المقيم ، ومنه قول مالك بن نويرة :

بِأَنْبَاءِ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ
وَعَمْرٍو بْنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا^٢

وكان بعض البصريين يقول : معنى قوله : أخلد : لزم وتقاعس وأبطأ ، وأخلد أيضا : هو الذي يبطئ شبيهه من الرجال ، وهو من الدواب الذي تبقى ثنياه حتى تخرج رباعيته .
وأما قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) كان ابن زيد قال في تأويله : ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : كان هواه مع القوم .

القول في تأويل قوله (فَهَشَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِذَا تَحْمَلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَسْرُكُهُ يَلْهَثُ) : يقول تعالى ذكره : هَشَلَهُ هذا الذي آتينا آياتنا فانسخ منها ، مَثَلِ الْكَلْبِ الذي يلهث ، طرده أو تركته . ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مَثَلَهُ كمثل الكلب ، فقال بعضهم : مثله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاه إياه ، وإعراضه عن مواظب الله ، التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئا من ذلك فقال جل ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره ، وُعِظَ بِآيَاتِ اللَّهِ التي آتاه إياه ، أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها ، ولا يترك الكفر به ، فَهَشَلَهُ مثل الكلب ، الذي سواء أمره في لهثه ، طُرِدَ أو لم يطرد ، إذ كان لا يترك اللهث بحال .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِذَا تَحْمَلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ) قال : تطرده ، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (فَهَشَلَهُ)

(١) البيت لزهير أنشده صاحب اللسان في (خلد) . قال : وخذ بالمكان يخذ خلود ، وأخذ : أقام ، وهو من ذلك ، قال زهير :

... البيت . والوحي هنا : المكتوب ، والخط . أراد ما يكتب في الحجارة وينقش عليها (اللسان : وحي) .

(٢) البيت لمالك بن نويرة من قصيدة عدتها ٢٦ بيتا (الأصمعيات : ١ : ٢٥) وقيله في أولها :

إِلَّا أَكُنْ لَأَقِيْتُ يَوْمَ مَحْطَطٍ
فَقَدَّ حَبْرَ الرِّكْبَانِ مَا أَتَوَدَّدُ
أَتَانِي بِتَقْرِ الْحُسْبِرِ مَا قَدَّ لَقِيَّتُهُ
رَزِينٌ وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَّصِعِدُ
يَسْلُونَ عُمَارًا إِذَا مَا تَغَوَّرُوا
وَلَا قَوْا قَرِيْشًا خَبَرُوهَا فَأُنْجَدُوا

الشاهد في قوله : « فأخلدوا » : أي أقاموا ، كالشاهد قبله .

كَمَثَلِ الْكَلْبِ : إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ) قال : تطرده بدابتك ورجلك يلهث ، قال : مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه .

قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد ، لافؤاده له ، إن حملت عليه يلهث ، أو تركه يلهث ، قال : مثل الذي يترك الهدى لافؤاده له ، إنما فؤاده منقطع .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن توبة ، عن معمر ، عن بعضهم (فَشَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ : إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) فذلك هو الكافر ، هو ضال إن وعظته ، وإن لم تعظه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَشَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ) الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضاً لهث ، وإن طرد لهث .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : آتاه الله آياته فتركها ، فجعل الله مثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تركه يلهث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) . . . الآية ، هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى ، فأبى أن يقبله وتركه .

قال : وكان الحسن يقول : هو المنافق (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَشَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) قال ، هذا مثل الكافر ميت الفؤاد .

وقال آخرون : إنما مثله جل ثناؤه بالكلب ، لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَشَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) وكان يلتمس يلهث كما يلهث الكلب . وأما تحمّل عليه : فتشدد عليه . قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من قال : إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله ، التي آتاها إياه ، وإن معناه : سواء وعظ أو لم يؤعظ ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه ، كما سواء حمل على الكلب وطرده ، أو ترك فلم يطرد : في أنه لا يدع الله في كلتا حالتيه .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بالصواب ، لدلالة قوله تعالى (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) ، فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، قد علمنا أن اللهات ليس في خلقه كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل .

القول في تأويل قوله (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ، فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) :

يقول تعالى ذكره : هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آياتناه آياتنا فانسلخ منها : مثل القوم الذين كذبوا بحجبنا وأعلامنا وأدلتنا ، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك .

وأما قوله (فاقْصُصِ الْقَصَصَ) : فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك ، من نأ الذي آتيناه آياتنا ، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة ، وقصصت عليك نبأهم ، ونبأ أشباههم ، وما حل بهم من عقوبتنا ، ونزل بهم ، حين كذبوا رسلنا من نعمتنا على قومك من قريش ، ومن قبلك من يهود بني إسرائيل ، ليتفكروا في ذلك ، فيعتبروا وينبئوا إلى طاعتنا ، لئلا يحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم والمثلات ، ويتدبره اليهود من بني إسرائيل ، فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك ، إذ كان نأ الذي آتيناه آياتنا من خفي علومهم ، ومكنون أخبارهم ، لا يعلمه إلا أخبارهم ، ومن قرأ الكتب ودرسها منهم ، وفي علمك بذلك وأنت أمي ، لا تكتب ولا تقرأ ، ولا تدرس الكتب ، ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول ، وأنت لم تعلم ما علمت من ذلك ، وحالك الحال التي أنت بها ، إلا بوحى من السماء .

وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، عن سالم أبي النضر : (فاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يعني : بني إسرائيل ، إذ قد جثتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك ، لعلهم يتفكرون ، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء .

القول في تأويل قوله

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِنَايَاتِنَا ، وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧)

يقول تعالى ذكره : ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته ، فجحدها ، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ، ويخسونها منافعتها بتكذيبهم بها لا غيرها . وقيل : ساء مثلا من الشر ، بمعنى : بئس مثلا ، وأقيم القوم مقام المثل ، وحذف المثل ، إذ كان الكلام مفهوما معناه ، كما قال جل ثناؤه (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) فإن معناه : ولكن البر من آمن بالله . وقد بيننا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ، وَمَنْ يُضِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ (١٧٨)

يقول تعالى ذكره : الهداية والإضلال بيد الله ، والمهتدي وهو السالك سبيل الحق ، الراكب قصد

المحجة في دينه، من هداه الله لذلك، فوفقه لإصابته؛ والضالّ من خذله الله، فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر : يعنى المالك . وقد بيّنا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَأَنَّهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَأَنَّهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَانُوا فِي السَّعِيرِ (١٧٩)

يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، يقال منه : ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرءا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ،
في قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) قال : مما خلقنا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن مبارك ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ) قال : خلقنا .

قال : ثنا زكريا ، عن عتّاب بن بشير ، عن علي بن زيد بن عتيبة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : أولاد الزنا
مما ذرأ الله لجهنم .

قال : ثنا زكريا بن عدى وعثمان الأحول ، عن مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن معاوية
ابن إسحاق ، عن جليس له بالطائف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن
الله لمّا ذرأ لجهنم ما ذرأ ، كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ) يقول : خلقنا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله
(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) قال : لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ) خلقنا . وقال جل ثناؤه (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) لِنفاد علمه
فيهم ، بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم .

وأما قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) فإن معناه : هؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب
لا يفكرون بها في آيات الله ، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ، ولا يعتبرون بها حججه لرسله ،

فيعلموا توحيد ربهم، ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم، فوصفهم ربنا جل ثناؤه، بأنهم لا يفقهون بها، لإعراضهم عن الحق، وتركهم تدبر صحة الرشد، وبطول الكفر. وكذلك قوله (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله، فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق، بأنهم لا يبصرون بها. وكذلك قوله (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: لاتسمعوا لهذا القرآن والغرأ فيه، لعلكم تغلبون. وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله (صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعْمَىٰ إِذَا مَا جَارِي خَرَّجَتْ حَتَّىٰ يُوَارِي جَارِي السَّيْرُ
وَأَصَمَّ سَعْمًا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرٍ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم، ومنه قول الآخر:

وَعَوْرَاءِ اللَّثَامِ صَمَمَتْ عَنْهَا وَإِنِّي لَوَ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعٌ
وَبَادِرَةٍ وَزَعَتْ النَّفْسَ عَنْهَا وَلَوَ بَيِّنَتْ مِنَ الْعَصَبِ الضُّلُوعُ^٢

وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول، في قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) قال: لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) الهدى (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) الحق، ثم جعلهم كالأنعام، ثم جعلهم شرًا من الأنعام، فقال: (بَلْ هُمْ أَصْلٌ)، ثم أخبر أنهم هم الغافلون.

يعنى جل ثناؤه بقوله (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، فتميز

(١) العمى: ذهاب البصر. والصمم: ذهاب السمع. ومراد الشاعر هنا: أنه يكف نظره وسمعه عن جاراته، فلا ينظر إليهن، ولا يسمع ما يكون بينهن من حديث، كأنه أعمى، أصم هذا على حين أنه ليس به عمى ولا صمم، وإنما هو الأدب، ورعاية حرمة الجار. (٢) في اللسان (عور) العوراء: الكلمة القبيحة، أو الفعلة القبيحة، كأنها تعور العين، فيمتها ذلك من الطموح وحدة النظر، ثم حولوها إلى الكلمة أو الفعلة على المثل، وإنما يريدون في الحقيقة صاحبها. قال ابن علقمة الفزاري يمدح ابن عمه عميلة، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر.

إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أُغْضِي كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ

والبادرة: الكلمة العوراء، وهي الغضبية السريعة أيضا، يقال: احذروا بادوته. والوزع: كف النفس. ولم تقف على قائلها.

بينهما ، فشبهم الله بها ، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه ، ثم قال (بَلْ هُمْ أَضَلّ) يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشدّ ذهابا عن الحقّ ، وألزم لطريق الباطل من البهائم ، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز ، فتختار وتميز ، وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضارّ ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلاح ، والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية ، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضارّ ، ترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها ، وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسدّ ، وهي منها أضلّ ، كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، القوم الذين غفلوا ، يعنى سهوا عن آياتي وحججي ، وتركوا تدبرها والاعتبار بها ، والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها ، لا البهائم التي قد عرفها ربها ما سخرها له .

القول في تأويل قوله

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ، فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)

يقول تعالى ذكره (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) ، وهي كما قال ابن عباس : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) ومن أسمائه : العزيز الجبار ، وكلّ أسماء الله حسن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عثية ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأما قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) فإنه يعنى به المشركين ، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه ، فسَمَّوْا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، فسموا بعضها اللات ، اشتقاقا منهم لها من اسم الله ، الذي هو الله ، وسموا بعضها العزى ، اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يُلْحِدُونَ) ، فقال بعضهم : يكذبون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَذَرُّوا
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : الإلحاد : التكذيب .
وقال آخرون : معنى ذلك : يشركون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُلْحِدُونَ) قال : يشركون
وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدول عن القصد ، والحوّور عنه ، والإعراض ، ثم يستعمل في كل معوج
غير مستقيم ، ولذلك قيل للحد القبور : الحد ، لأنه في ناحية منه ، وليس في وسطه . يقال منه : ألحد فلان
يلحد إلحادا ، ولحد يلحد لحدًا ولحوذا . وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرق بين الإلحاد والاحد ، فيقول
في الإلحاد : إنه العدول عن القصد ، وفي الاحد : إنه الركون إلى الشيء ، وكان يقرأ جميع ما في القرآن يلحدون
بضم الياء وكسر الحاء ، إلا التي في النحل ، فإنه كان يقرأها يُلْحِدُونَ ، بفتح الياء والحاء ، ويزعم أنه بمعنى
الركون . وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب ، فيرون أن معناه واحد ، وأنهما لغتان جاءتا في حرف
واحد ، بمعنى واحد .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين (يُلْحِدُونَ) ،
بضم الياء وكسر الحاء ، من ألحد يلحد في جميع القرآن . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يُلْحِدُونَ) ،
بفتح الياء والحاء ، من لحد يلحد .

والصواب من القول في ذلك : أنهما لغتان بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فصيحا الصواب في ذلك ،
غير أني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال : ألحد ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .
وكان ابن زيد يقول في قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) : إنه منسوخ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)
في أسمايه) قال : هؤلاء أهل الكفر ، وقد نسخ ، نسخه القتال ، ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من
أنه منسوخ ، لأن قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له في قتالهم ، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمايه ،
ووعيد منه لهم ، كما قال في موضع آخر (ذَرُّهُمْ يَا كُفُورًا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ) . . .
الآية ، وكقوله (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وهو كلام خرج مخرج
الامر ، بمعنى الوعيد والتهديد ، ومعناه : إن تمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ،
فسوف يُجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجله إليهم ، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك ، من الكفر
بالله ، والإلحاد في أسمايه ، وتكذيب رسوله .

القول في تأويل قوله

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)

يقول تعالى ذكره : ومن الخلق الذين خلقنا أمة ، يعنى جماعة . يهديون ، يقول : يهتدون بالحق ، وبه يعدلون ، يقول : وبالحق يقضون وينصفون الناس ، كما قال ابن جريج .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال ابن جريج : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هَذِهِ أُمَّتِي . قَالَ ، بِالْحَقِّ يَا خُذُونَ وَيَعْمُطُونَ وَيَقْمُضُونَ » .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها : « هَذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلَهَا ، وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ » .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَتَسُدُّرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)

يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا ، فجحدها ، ولم يتذكروا بها ، ستمهله بغيرته ، ونزبن له سوء عمله ، حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن ، وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل ، ثم يأخذ بأعماله السيئة ، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له ، وذلك استدراج الله إياه ، وأصل الاستدراج ، اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسن ، حتى يورطه مكروها .

وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)

يقول تعالى ذكره : وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ملاءة (بالكسر والضم والفتح) من الدهر ، وهي الحين ، ومنه قيل : انتظرتك مليا ، ليلغوا بمعصيتهم ربهم ، المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ، ثم يقبضهم إليه (إِنَّ كَيْدِي) والكيد : هو المكر ، وقوله (مَتِينٌ) يعنى : قوى شديد ، ومنه قول الشاعر :

عَدَلْنَ عُدُولَ النَّاسِ وَأَقْبَحَ يَبْتَلِي أَفَاسٍ مِّنَ الْهَرَابِ شَدَّ مِمَّا تِنًا

يعنى : سيرا شديدا باقيا لا يقطع .

القول فى تأويل قوله

أَوْ لَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤)

يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ، ويعلموا أن رسولنا الذى أرسلناه إليهم ، لا جنّة به ولا حبل ، وأن الذى دعاهم إليه هو الدين الصحيح القويم ، والحق المبين ، ولذا نزلت هذه الآية فيما قبل . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا ، فدعا قريشا ، فجعل يفخذهم فخذوا فخذاً : يا بنى فلان ، يا بنى فلان ، فحذّروهم بأس الله ، ووقائع الله ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا لجنون بات بصوت إلى الصباح ، أو حتى صبح ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَوْ لَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) . ويعنى بقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) : ما هو إلا نذير منذركم عقاب الله على كفركم ، به إن لم تنبئوا إلى الإيمان به . ويعنى بقوله (مُّبِينٌ) : قد أبان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به .

القول فى تأويل قوله

أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنْ عَسَىٰ

أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)

يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله فى ملك الله وسلطانه فى السموات وفى الأرض وفيما خلق جل ثناؤه من شىء فيهما ، فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك ممن ، لانظير له ولا شبيه ، ومن فعّل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به ، ويصدقوا رسوله ، وينبئوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله ، وأليم عقابه .

وقوله (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) يقول : فبأى تخويف وتحذير ، وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم ، وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه ، يصدقون ؟ إن لم يصدقوا بهذا الكتاب ، الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ، من عند الله تعالى .

(١) لم أعرّج على هذا البيت ، ولا على قوله . وأثبتته كما رأيت فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ بدار الكتب ، وهو محرف غامض .

القول في تأويل قوله

مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)

يقول تعالى ذكره : إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، التاركى النظر في حجج الله والفكر فيها ، لإضلال الله إياهم ، ولو هذا هم الله لا اعتبروا وتدبروا ، فأبصروا ورشدوا ، ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشداً ، ولا يهتدون سبيلاً ، ومن أضله عن الرشاد ، فلا هادى له ، ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم ، وتمردهم في شركهم ، يترددون ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله .

القول في تأويل قوله

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِمْهُمَاءٌ رَبِّي ، لَا يُحْلِيهَا لَوْ قَتَبَهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ : إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

يختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله : (يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) فقال بعضهم : عني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

وقال آخرون : بل عني به قوم من اليهود .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال حمّل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً ، كما تقول ؟ فإننا نعلم متى هي ؟ فأنزل الله تعالى (يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي) . . . إلى قوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن مخارق بن شهاب ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة ، حتى نزلت (يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكون كانوا من قريش ، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أى ذلك كان .

فتأويل الآية إذن : يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ؟ يقول : متى قيامها ؟ ومعنى أيان : متى ؟ فى كلام العرب ، ومنه قول الراجز :

أيانَ تَقْضِي حاجَتِي أيانًا أما تَرَى لِنُجْحِهَا إِيانًا

ومعنى قوله (مرُساها) : قيامها ، من قول القائل : أرساها الله ، فهى مرسة ، وأرساها القوم : إذا حبسوها ، ورست هى ترسو رؤسوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيانَ مَرُساها) يقول : متى قيامها .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيانَ مَرُساها) : متى قيامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : مُسْتَهَاها ، وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : قيامها ، لأن انتهاءها : بلوغها وقتها . وقد بيننا أن أصل ذلك الحبس والوقوف .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيانَ مَرُساها) يعنى : مُسْتَهَاها .

وأما قوله (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّئُهَا لِيَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ) فإنه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بأن يجيب سائليه عن الساعة ، بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذى يعلم الغيب ، وأنه لا يظهرها لوقتها ، ولا يعلمها غيره ، جل ذكره .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّئُهَا لِيَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ) يقول : علمها عند الله ، هو يجليها لوقتها ، لا يعلم ذلك إلا الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَا يُجَلِّئُهَا) : يأتى بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : (لَا يُجَلِّئُهَا) : لا يأتى بها (إِلَّا هُوَ) .

(١) البيت أنشده صاحب اللسان فى (أبن) قال : إبان كل شىء بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذى يكون فيه ، يقال : جنته على إبان ذلك ، أى على زمنه ، وأخذ الشىء بإبانته ، أى يزمانه . . . قال الراجز : إيان . . . البيت وإيان : قال فى اللسان معناه : حين ، وهو سؤال عن زمان ، مثل متى . وفى التزويل العزيز : « إيان مرساها ؟ ابن سيده : إيان : بمعنى متى ؟

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لا يُجَلِّئُهَا لَوْ قَتَبَهَا إِلَّا هُوَ) يقول : لا يرسلها لوقتها إلا هو .

القول في تأويل قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْثَةً) :
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ، لخفاؤها عنهم ، واستئثار الله بعلمها .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلم يعلم قيامها متى تقوم ، ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن بعض أهل التأويل (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض ، أنهم لا يعلمون .
وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعني : إذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الأرض ، يقول : كبرت عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله ، فذلك ثقلها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال بعض الناس في ثقلت : عظمت .
وقال آخرون : معنى قوله (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : على السموات والأرض .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : أي على السموات والأرض .

قال أبو جعفر : وأولى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يُطْلِعْ عليه منهم أحدا ، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْ قَتَبَهَا إِلَّا هُوَ) ، وأخبر

بعده أنها لاتأتى إلا بغتة ، فالذى هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا ، خبرا عن خفاء علمها عن الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك .

وأما قوله (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) : فإنه يقول : لاتجىء الساعة إلا فجأة ، لاتشعرون بمجيئها . كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) يقول : يبعثهم قيامها ، تأتيمهم على غفلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) قضى الله أنها لاتأتيكُم إلا بغتة ، قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن الساعة تهيج بالناس ، والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ ، والرَّجُلُ يُسْقِي مَاشِيَتَهُ ، والرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي السُّوقِ ، والرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ » .

القول في تأويل قوله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا ، قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) :

يقول تعالى ذكره : يستلك هؤلاء القوم عن الساعة ، كأنك حقي عنها ، فقال بعضهم : يستلونك عنها كأنك حقي بهم . وقالوا : معنى قوله : عنها : التقديم ، وإن كان موخرا . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا) يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حقي بهم ، فأوحى الله إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يُطْلِع عليها ملكا ولا رسولا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا) : أي حقي بهم ، قال : قالت قريش : يا محمد أسر إلينا علم الساعة ، لما بيننا وبينك من القرابة : لقرابتنا منك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا) قال : حقي بهم حين يسألونك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيٌّ عِنْدَهَا) قال : قربت منهم ، وتحنى عليهم . قال : وقال أبو مالك : كأنك حقي بهم ، قال : قريب منهم ، وتحنى عليهم . قال : وقال أبو مالك : كأنك حقي بهم ، فتحدثهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيَّ عَنْهَا) كأنك صديق لهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنك قد استحفيت المسئلة عنها ، فعلمتها .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) استحفيت عنها السؤال حتى علمتها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد في قوله (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) قال : استحفيت عنها السؤال ، حتى علمت وقتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيَّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها .

قال : ثنا حامد بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيَّ عَنْهَا) قال : كأنك تعلمها .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيَّ عَنْهَا) يقول : يستلونك عن الساعة ، كأن عندك علما منها ، (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) : كأنك عالم بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها . وقال : أئني علمها على خلقه ، وقرأ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) ، حتى ختم السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقِيَّ عَنْهَا) يقول : كأنك يعجبك سؤالهم إياك (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ) .

وقوله (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) يقول : لطيف بها .

فوجه هؤلاء تأويل قوله (كأنك حَقِيَّ عَنْهَا) إلى حقي بها ، وقالوا : تقول العرب : تحفيت له في المسئلة ، وتحفيت عنه ، قالوا : ولذلك قيل : أتينا فلانا نسأل به ، بمعنى نسأل عنه .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : كأنك حقي بالمسئلة عنها ، فتعلمها .

فإن قال قائل : وكيف قيل (حَقِيَّ عَنْهَا) ولم يقل حقي بها ، إن كان ذلك تأويل الكلام ؟ قيل : إن

ذلك قيل كذلك ، لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة ، وهي البشاشة للمسئول عند المسئلة ، والإكثار من السؤال عنه ، والسؤال يوصل بعن مرة ، وبالباء مرة ، فيقال : سألت عنه ، وسألت به ؛ فلما وضع قوله حتى موضع السؤال ، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال ، وهو « عن » كما قال الشاعر :

سُؤَالَ حَقِي عَنْ أَخِيهِ كَأَنَّهُ يُذَكِّرُهُ وَسَنَانٌ أَوْ مُتَوَاسِنٌ ١

وأما قوله (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ) فإن معناه : قل يا محمد لسائلك عن وقت الساعة ، وحين مجيئها : لا أعلم لى بذلك ، ولا يعلم به إلا الله ، الذي يعلم غيب السموات والأرض (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله ، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه .

القول في تأويل قوله

قُلْ: لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ

مِنَ الْخَيْرِ، وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ، إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) *

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لسائلك عن الساعة أيان مرساها ؟ (لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) يقول : لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي ، ولا دفع ضرر يحل بها ، عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك ، بأن يقوييني عليه ، ويعينني (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) يقول : لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ، لاستكثرت من الخير ، يقول : لأعددت الكثير من الخير . ثم اختلف أهل التأويل في معنى الخير الذي عناه الله بقوله (لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لاستكثرت من العمل الصالح .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) قال : الهدى والضلالة (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) قال : أعلم الغيب متى أموت ؟ لاستكثرت من العمل الصالح .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) في (اللسان : حتى) : وقوله تعالى : « يسألونك كأنك حق عنها » : قال الزجاج : يسألونك عن أمر القيامة ، كأنك فرح بسؤالهم . وقيل معناه : كأنك أكثرت المسئلة عنها . وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ، معناه : يسألونك عنها ، كأنك حق بها . قال : ويقال في التفسير كأنك حق عنها : كأنك عالم بها ، معناه : حاف عالم . وقيل : كأنك معني بها . وأنشد للأعشى :

فَإِنْ تَسَأَلْنِي عَنِّي فَيَا رَبِّ سَائِلٍ حَقِي عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا

معناه : معني ، وبالأعشى ، بالسؤال عنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْبَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) قال : لاجتنبت ما يكون من الشرِّ واتقيته .
وقال آخرون : معنى ذلك : ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجيدة من المحضبة ، ولعرفت الغلاء من الرُّخص ، واستعددت له في الرخص .

وقوله (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) يقول : وما مسني الضرُّ (إنَّ أنا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) : يقول : ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم ، أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره ، وأبشر بثوابه وكرامته ، من آمن به وأطاعه منكم . وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) : يقول : يصدقون بأني لله رسول ، ويقرون بحقيقة ما جئتهم به من عنده .

القول في تأويل قوله

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتَ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾

يقول تعالى ذكره : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) : يعني بالنفس الواحدة : آدم . كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) قال : آدم عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) من آدم ، ويعني بقوله (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : وجعل من النفس الواحدة ، وهو آدم ، زوجها حواء .

كما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : حواء ، فجعلت من ضلع من أضلاعه ، ليسكن إليها .

ويعني بقوله (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) : ليأوي إليها ، لقضاء الحاجة ولدته . ويعني بقوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) : فلما تدرها لقضاء حاجته منها ، ففضى حاجته منها (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) وفي الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ) وإنما الكلام : فلما تغشاه ، ففضى حاجته منها حملت . وقوله (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) يعني : بخفة الحمل : الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم ، أنه كان حملا خفيفا ، وكذلك هو حمل المرأة ، ماء الرجل خفيف عليها . وأما قوله (فَامْرَأَتُ بِهِ) : فإنه يعني : استمرت بالماء : قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي عمير ، عن أيوب ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ) قال : لو كنت امرأة عربيا لعرفت ماهي ، إنما هي فاستمرت به . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ) : استبان حملها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : استمرت حملها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا) قال : هي النطفة . وقوله (فَمَرَّتْ بِهِ) يقول : استمرت به . وقال آخرون : معنى ذلك : فشكت فيه . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : فشكت أحملت أم لا ؟ ويعني بقوله (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفا ثقيلًا ، ودنت ولادتها ، يقال منه : أثقلت فلانة : إذا صارت ذات ثقل بحملها ، كما يقال : أتمر فلان : إذا صار ذا تمر .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : كبر الولد في بطنها .

قال أبو جعفر : (دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمْ) : يقول : نادى آدم وحواء ربهما ، وقالوا : يا ربنا ، لئن آتيتنا صالحا لنكوننَّ من الشاكرين .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحواء عليهما السلام ، أنه إن آتاها صالحا في حمل حواء لنكوننَّ من الشاكرين ، فقال بعضهم : ذلك هو أن يكون الحمل غلاما . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (لَئِن آتَيْنَا صَالِحًا) قال : غلاما .

وقال آخرون : بل هو أن يكون المولود بشرا سويًا مثلهما ، ولا يكون بهيمة . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن زيد بن جبیر الحسبي ، عن أبي البختري في قوله (لَئِن آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) قال : أشفقا أن يكون شيئا دون الإنسان .

قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن زيد بن جبیر ، عن أبي البختري ، قال : أشفقا أن لا يكون إنسانا .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : لما حملت امرأة آدم فأثقلت ، كانا يشفقان أن يكون بهيمة (فَدَعَا رَبَّهُمَا لَسُنَّ آتَيْتُنَا صَالِحًا) . . . الآية .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أشفقنا أن يكون بهيمة . حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبير : لما هبط آدم وحواء ، أُلقيت الشهوة في نفسه فأصابها ، فليس إلا أن أصابها حملت ، فليس إلا أن حملت تحرك في بطنها ولدها ، قالت : ما هذا ؟ فجاءها إبليس ، فقال : أتريين في الأرض إلا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ؟ هو بعض ذلك ، قالت : والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك ، قال : فأطعيني وسميه عبد الحارث ، تلدى شبيهكما مثلكما . قال : فذكرت ذلك لآدم عليه السلام ، فقال : هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة ، فمات . ثم حملت بآخر ، فجاءها فقال : أطعيني وسميه عبد الحارث ، وكان اسمه في الملائكة الحارث ، وإلا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو قتلته ، فإني أنا قتلت الأول . قال : فذكرت ذلك لآدم ، فكأنه لم يكرهه ، فسمته عبد الحارث ، فذلك قوله (لَسُنَّ آتَيْتُنَا صَالِحًا) يقول : شبيها مثلنا ، فلما آتاها صالحا ، قال : شبيهما مثلهما .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : كبير الولد في بطنها ، جاءها إبليس ، فخوفها وقال لها : ما يدريك ما في بطنك ، لعله كلب أو خنزير أو حمار ، وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من قبلك ، أو ينشق بطنك فيقتلك ، فذلك حين (دَعَا رَبَّهُمَا لَسُنَّ آتَيْتُنَا صَالِحًا) يقول : مثلنا (لَسُنَّ كُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما : لئن أعطاهما في بطن حواء صالحا ل يكونان لله من الشاكرين . والصلاح قد يشمل معاني كثيرة : منها الصلاح في استواء الخلق . ومنها الصلاح في الدين ، والصلاح في العقل والتدبير . وإذا كان ذلك كذلك ، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل ، وجب أن يعم كما عمه الله ، فيقال : إنهما قالا : لئن آتيتنا صالحا ، بجميع معاني الصلاح . وأما معنى قوله (لَسُنَّ كُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فإنه ل تكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا .

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا ، جعل له شركاء فيما آتاها ورزقهما . ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلها فيما أوتيا من المولود ، فقال بعضهم : جعل له شركاء في الاسم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كَانَتْ حَوَاءُ لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَتَنْدَرَتْ لَيْتِنُ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُسَمِّيَنَّهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَعَاشَ لَهَا وَلَدٌ ، فَسَمَّيْتُهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ » .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو العلاء ، عن سمرة بن جندب أنه حدث : أن آدم عليه السلام سمي ابنه عبد الحارث ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشَّخِير ، عن سمرة بن جندب ، قال : سمي آدم ابنه : عبد الحارث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم ، فتعبد لهم الله ، وتسميه عبد الله ، وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس وآدم ، فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش ، فولدت له رجلا ، فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله في آدم (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (فَفَرَّتْ بِهِ) ، فشككت ، أحببت أم لا ؟ (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتُنَا صَالِحًا) . . . الآية ، فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون : أهبمة تكون أم لا ؟ وزين لهما الباطل ، إنه غوى مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فاتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويًا ، ومات كما مات الأولان ، فسميا ولدهما عبد الحارث ، فذلك قوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : لما وُلِدَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَدٌ ، أتاه إبليس فقال : إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا ، تسميه عبد الحارث ، فقال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، قال ابن عباس : وكان اسمه في السماء الحارث . قال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، إني أطعتك في أكل الشجرة ، فأخرجتني من الجنة ، فلن أطيعك . فمات ولده ، ثم وُلِدَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَدٌ آخَرَ ، فقال : أطعني ، وإلا مات كما مات الأول ، فعصاه ، فمات . فقال : لأزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث . فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث ، فذلك قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) : أشركه في طاعته في غير عبادة ، ولم يشرك بالله ، ولكن أطاعه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن هارون ، قال : أخبرنا الزبير بن الحرث ، عن عكرمة ،

قال : ما أشرك آدمُ ولا حوآءُ ، وكان لا يعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال : إن سرّكما أن يعيش لكما ولد ، فسمياه عبد الحارث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا) قال : كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات ، فجاءه الشيطان ، فقال : إن سرّك أن يعيش ولدك هذا ، فسمه عبد الحارث ، ففعل ، قال : فأشركا في الاسم ، ولم يُشركا في العبادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَعْيشُ لهُمَا وَلَدٌ ، فَأَتَاهُمَا الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ لهُمَا : سَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، وَكَانَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ ، وَكَانَ شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِهِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا فَتَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : كان لا يعيش لآدم وأمراته ولد ، فقال لهما الشيطان : إذا ولد لكما ولد ، فسمياه عبد الحارث ، ففعلوا وأطاعاه ، فذلك قول الله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن سعيد بن جبیر ، قوله (أَثْقَلْتِ دَعْوَا اللَّهِ رَبَّهُمَا) . . . إلى قوله تعالى (فَتَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : لما حملت حوآء في أول ولد ولدته حين أثقلت ، أتاه إبليس قبل أن تلد ، فقال : يا حوآء ، ما هذا الذي في بطنك ؟ فقالت : ما أدري ، فقال : من أين يخرج ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من أذنك ؟ قالت : لا أدري ، قال : أرايت إن خرج سلينا أطيعيني أنت فيما أمرك به ؟ قالت : نعم ، قال : سميه عبد الحارث ، وقد كان يسمى إبليس الحارث ، فقالت : نعم ، ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتاني آت في النوم فقال لي : كذا وكذا ، فقال : إن ذلك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ؛ ثم أتاه إبليس ، فأعاد عليها ، فقالت : نعم فلما وضعته أخرجته الله سلينا ، فسمته عبد الحارث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهَا ، فَتَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبیر ، قال : قيل له : أشرك آدم ، قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ، ولكن حوآء لما أثقلت ، أتاه إبليس فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقتطها ، ثم قال : أرايت إن خرج سويا ، زاد ابن فضيل : لم يضرّك ولم يقتلك أطيعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسميه عبد الحارث ، ففعلت . زاد جرير : فإنما كان شركه في الاسم .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فولدت غلاما ، يعني حوآء ، فأتاهما إبليس فقال : سموه عبدي ، وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك وأخرجتني من الجنة ، فأبى أن يطيعه ، فساه عبد الرحمن ، فسلط الله عليه إبليس فقتله . فحملت بآخر ؛ فلما ولدته

قال لها : سميه عبدى وإلا قتلته ، قال له آدم : قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة ، فأبى ، فسماه صالحا فقتله ، فلما أن كان الثالث ، قال لهما : فإذا غلبتم فسموه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس ؛ وإنما سمى إبليس حين أبلس ، ففعلوا ، فذلك حين يقول الله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) يعنى : فى التسمية .

وقال آخرون : بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم ، جعللا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد ، وقالوا : معنى الكلام : هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها : أى هذا الرجل الكافر ، حملت حملا خفيفا ، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما ، قالوا : وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ، ثم رد إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) . وقد بيننا نظائر ذلك بشواهد فيها مضى قبل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : عانى بهذا ذرية آدم ، ممن أشرك منهم بعده ، يعنى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولادا فهو دوا ونصروا .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب : قول من قال : عانى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) : فى الاسم ، لافى العبادة ، وأن المعنى بذلك آدم وحواء ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . فإن قال قائل : فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنى بها آدم وحواء ، وفى قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أهو استنكاف من الله ، أن يكون له فى الأسماء شريك ، أو فى العبادة ؟ فإن قلت فى الأسماء دل على فساده قوله (أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ) وإن قلت فى العبادة ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول فى تأويل قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ليس بالذى ظننت ، وإنما القول فيه ، فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) ، ثم استؤنف قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (شُرَكَاءَ) فقرأ ذلك عامة قرأ أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين

(جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) بكسر الشين ، بمعنى الشركاء . وقرأه بعض المكيين وعامة قرآء الكوفيين وبعض البصريين (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) بضم الشين ، بمعنى : جمع شريك . وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب ؛ لأن القراءة لو صحت بكسر الشين ، لوجب أن يكون الكلام : فلما آتاهما صالحا ، جعلنا لغيره فيه شركا ، لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدتهما من عطية إبليس ، ثم يجعلنا لله فيه شركا ، لتسميتهما إياه بعبد الله ، وإنما كانا يدينان لاشك بأن ولدتهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه عبد الحارث ، فجعلنا لإبليس فيه شركا بالاسم ، فلو كانت قراءة من قرأ (شُرَكَاءَ) صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام : جعلنا لغيره فيه شركا ، وفي نزول وحى الله بقوله (جَعَلَا لَهُ) ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة (شُرَكَاءَ) بضم الشين على ما بينت قبل .

فإن قال قائل : فإن آدم وحواء إنما سميا ابنيهما عبد الحارث ، والحارث واحد ، وقوله (شُرَكَاءَ) جماعة ، فكيف وصفهما جل ثناؤه بأتهما جعلنا له شركاء ، وإنما أشركا واحدا ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة ، إذا لم تقصد واحدا بعينه ، ولم تسمه ، كقوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ) ، وإنما كان القائل ذلك واحدا ، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة ، إذ لم يقصد قصده ، وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها . وأما قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) فتزيه من الله تبارك وتعالى نفسه ، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ، ويدعون معه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : هو الإنكاف ، أنكف نفسه جل وعز ، يقول : عظم نفسه ، وأنكفته الملائكة وماسيح له . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، قال : سمعت صدقة يحدث عن السدي ، قال : هذا من الموصول والمفصول قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا) في شأن آدم وحواء ، ثم قال الله تبارك وتعالى (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : عما يشرك المشركون ، ولم يعنهما .

القول في تأويل قوله

أُشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ (١٩١)

يقول تعالى ذكره : أشركون في عبادة الله ، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئا ، والله يخلقها وينشئها ، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : ولد لآدم وحواء ولد ، فسمياه عبد الله ، فأتاهما إبليس فقال : ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما ؟ قال : وكان ولدا لهما قبل ذلك ولد ، فسمياه عبد الله ، فمات ؛ فقالا : سمياه عبد الله ، فقال إبليس : أنتظنان

(١) لعل لفظة قال هذه : زيادة من قلم الناسخ ، وقد وقع مثلها كثيرا فيما مضى .

أن الله تارك عبده عند كما؟ لا ، والله ليذهبن به ، كما ذهب بالآخر ، ولكن أدلكما على اسم يبق لكما ما بقيتا ، فسمياه عبد شمس ، قال : فذلك قول الله تبارك وتعالى (أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) الشمس تخلق شيئا حتى يكون لها عبد؟ إنما هي مخلوقة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَدَّعَهُمَا مَرَّتَيْنِ : خَدَّعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ ، وَخَدَّعَهُمَا فِي الْأَرْضِ » . وقيل : (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) ، فأخرج مكنيهم مُخْرَج مَكْنَى بنى آدم ، وقد قال : أيشركون ما ، فأخرج ذكرهم بما ، لا بمن مُخْرَج الْخَبْر عن غير بنى آدم ، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا ، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها « بما » لا « بمن » ، فقيل لذلك « ما » ، ثم قيل : وهم ، فأخرجت كناية عن كناية بنى آدم ، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها ، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا .

القول في تأويل قوله

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ، وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢)

يقول تعالى ذكره : أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئا من خلق الله ، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءا ، أو أحل بهم عقوبة ، ولا هو قادر إن أراد به سوءا نصر نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، وإنما العابد يعبد ما يعبد ، لا اجتلاب نفع منه ، أو لدفع ضرر منه عن نفسه ، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله ، لا تنفعهم ولا تضرهم ، بل لا تجلب إلى نفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرا ، فهي من نفع غير أنفسها ، أو دفع الضرر عنها أبعد ، يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ، سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)

يقول تعالى ذكره في وصفه وعييه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم إياه : ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم ، والأمر الصحيح السديد ، لا يتبعوكم ، لأنها ليست تعقل شيئا ، فترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا ، وترك ما كان مستقيا سديدا . وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنيبهم على عظيم خطيئهم ، وقبح اختيارهم ، يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دُعِيَ إلى الرشاد ، وعرفه لم يعرفه ، ولم يفهم رشادا من ضلال ، وكان سواء دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته ، لأنه لا يفهم دعاءه ، ولا يسمع صوته ، ولا يعقل ما يقال له . يقول : فكيف يُعبد من كانت هذه صفته ، أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلها؟ وإنما الرب المعبود هو النافع من عبده ، الضار من يعصيه ، الناصر وليه ، الخاذل عدوه ، الهادي إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه . وقيل (سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) فعطف بقوله : صامتون ، وهو اسم ، على قوله : أدعوتموهم ، وهو فعل ماض ، ولم يقل أم صمتم ، كما قال الشاعر :

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْفَقْرُ أَمْ بَيْتٌ لَيْلَةٌ ۖ

بَاهِلِ الْقِيَابِ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ

وقد ينشد : أم أنت بائت .

القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ (١٩٤)

يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام : إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله ، وتعبدهونها شركا منكم ، وكفرا بالله ، عباد أمثالكم ، يقول : هم أملاك لربكم ، كما أنتم له ممالك ، فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع ، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم ، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتهم ، فإن لم يستجيبوا لكم ، لأنها لا تسمع دعاءكم ، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر ، لأن الضر والنفع إنما يكونان من إذا سئل سمع مسألة سائل ، وأعطى وأفضل ؛ ومن إذا شكى إليه من شيء سمع ، فضر من استحق العقوبة ، ونفع من لا يستوجب الضر .

القول في تأويل قوله

الَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا ؟ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَآ تُنظَرُونَ (١٩٥)

يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه ، معرفهم جهل ما هم عليه مقيمون ، الأصنامكم هذه أيها القوم (أرجل يمشون بها) فيسعون معكم ولكم في حوائجكم ، ويتصرفون بها في منافعكم (أم لهم أيدي يبطشون بها) ، فيدفعون عنكم ، وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشر ومكروه (أم لهم أعين يبصرون بها) فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا ، مما تغيبون عنه فلا ترونه (أم لهم آذان يسمعون بها) فيخبروكم بما سمعوا دونكم ، مما لم تسمعه . يقول جل ثناؤه : فإن كانت آلهتكم التي تعبدهونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها ، والمعظم من الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع ، التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدهونها ، وهي خالية من كل هذه الأشياء ، التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر .

وقوله (قل : ادعوا شركاءكم ثم كيدوا) أنتم وهن (فلا تنظرون) يقول : فلا تؤخرون

(١) البيت من شواهد الكسائي ، نقله الفراء في كتابه (معاني القرآن ص ١١٦ من مصورة جامعة القاهرة) قال : وقوله «سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون» ، ولم يقل : أم صمتم ؛ وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا : سواء على أقت أم قعدت . ويجوز : سواء على أقت أم أنت قاعد ، قال الشاعر : سواء عليك الفقر . . . البيت . وأنشده بعضهم : أو أنت بائت . وجاز فيها (أو) لقوله : «الفقر» ، لأنك تقول : سواء عليك الخير والشر . ويجوز مكان الواو «أو» ، لأن المعنى جزاء ، كما تقول : اضربه قام أو قعد . (فأو) تذهب إلى معنى العموم ، كذهب الواو .

بالكيد والمكر ، ولكن عجلوا بذلك ، يعلمه جل ثناؤه بذلك أنهم لم يضروه ، وأنه قد عصمه منهم ، ويعرف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرته من بغى أولياءهم بسوء .

القول في تأويل قوله

إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان : إن وليي : نصيري ومعيني وظهرى عليكم ، الله الذي نزل الكتاب على بالحق ، وهو الذي يتولى من صالح عمله بطاعته من خلقه .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧)

وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى : قل لهم : إن الله نصيري وظهرى . والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة ، لا يستطيعون نصركم ، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم ، يقدرتون على نصره أنفسهم ، فأى هذين أولى بالعبادة ، وأحق بالألوهة ، أم من ينصر وليه ، ويمنع نفسه ممن أراده ، أم من لا يستطيع نصر وليه ، ويعجز عن منع نفسه ممن أراده ، وبغاه بمكروه ؟

القول في تأويل قوله

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين : وإن تدعوا أيها المشركون آهتكم إلى الهدى ، وهو الاستقامة إلى السداد ، لا يسمعوا ، يقول : لا يسمعوا دعاءكم ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون . وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . يقول : وترى يا محمد آهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، ولذلك وحده ، ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال : وتروهم ينظرون إليكم .

وقد روى عن السدي في ذلك ، ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : هؤلاء المشركون ، وقد يحتمل قول السدي هذا ، أن يكون أراد بقوله : هؤلاء المشركون : قول الله (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا) .

وقد كان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،

عن مجاهد (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ماتدعوهم إلى الهدى ، وكان مجاهدا وجه معنى الكلام ، إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، فهو وجه ، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة ، فهو بوصفها أشبه .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما معنى قوله (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ، ولا يراه . قيل : إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئا أو حاذاه : هو ينظر إلى كذا ، ويقال : منزل فلان ينظر إلى منزلي : إذا قابله . وحكى عنها : إذا أتيت موضع كذا وكذا ، فنظر إليك الجبل ، فخذ يمينا أو شمالا . وحديث عن أبي عبيد ، قال : قال الكسائي : الحائط ينظر إليك : إذا كان قريبا منك حيث تراه ، ومنه قول الشاعر :

إِذَا نَظَرْتَ بِلَادَ بَنِي تَمِيمٍ
بِعَيْنٍ أَوْ بِلَادَ بَنِي صُبَّاحٍ

يريد : تقابل نبيها وعشبتها وتحاذي ،

فمعنى الكلام : وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، يقابلونك ويحاذونك ، وهم لا يبصرونك ، لأنه لا أبصار لهم . وقيل : وتراهم ، ولم يقل : وتراها ، لأنها صور مصورة على صور بني آدم .

القول في تأويل قوله

خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : خذ العفو من أخلاق الناس ، وهو

الفضل ، وما لا يجهدهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ،

في قوله (خُذِ الْعَفْوَ) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

حدثنا يعقوب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله (خُذِ الْعَفْوَ) قال :

عفو أخلاق الناس ، وعفو أمورهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،

(١) أراد بقوله « نظرت » : معنى قابلت . يقال : تناظرت الداران : تقابلتا . ونظر إليك الجبل : قابلك . وإذا أخذت في طريق

كذا فنظر إليك الجبل ، فخذ عن يمينه أو يساره . وقوله تعالى : « وترام ينظرون إليك وهم لا يبصرون » : ذهب أبو عبيدة إلى أنه أراد الأصنام : أي تقابلك ، وليس هناك نظر ، لكن لما كان النظر لا يكون إلا بمقابلة حسن ، وقال : وترام ، وإن كانت لاتعقل ، لأنهم يضعونها موضع من يعقل . وقال الفراء في معاني القرآن (ص ١١٧ مصورة جامعة القاهرة) : وقوله « وترام ينظرون إليك » : يريد الآلهة ، إنها صور لاتبصر ، ولم يقل : وتراها ، لأن لها أجساما وعيونا . والعرب تقول للرجل القريب من الشيء : هو ينظر وهو لا يراه . والمنازل تتناظر : إذا كان بعضها يجدها بعض . اهـ . وقال في التاج : بنوصباح بالضم : بطون : منها بطن في عبد القيس ، وبطن في ضبة ، وبطن في غني ، وبطن في غفرة .

في قوله (خُذِ الْعَفْوَ) . . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) . . . الآية . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد (خُذِ الْعَفْوَ) : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن أبي الزبير (خُذِ الْعَفْوَ) قال من أخلاق الناس ، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، قال : إنما أنزل الله (خُذِ الْعَفْوَ) من أخلاق الناس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خُذِ الْعَفْوَ) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس ، أو تحسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (خُذِ الْعَفْوَ) من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسخ .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (خُذِ الْعَفْوَ) يعنى : خذ ما عفالك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذ ، فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت الصدقات إليه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (خُذِ الْعَفْوَ) أما العفو : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله (خُذِ الْعَفْوَ) يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم ، قبل أن يفرض قتالهم عليه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خُذِ الْعَفْوَ) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة ، قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مرصد ، وأن يحصرهم . ثم قال : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) الآية كلها ، وقرأ (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلبهم)

عَلَيْهِمْ) قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ؛ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) بعد ما كان أمرهم بالعفو ، وقرأ قول الله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس : واترك الغلظة عليهم . وقال : أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام ، وذلك قوله (قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ) ، وعقبه بقوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ . وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتُمَهَا) فما بين ذلك ، بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ، أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين .

فإن قال قائل : أفسوخ ذلك ؟ قيل : لادلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزا أن يكون ، وإن كان الله أنزله على نبيه عليه السلام في تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين ، مرادا به تأديب نبي الله والمسلمين جميعا في عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل ، تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا ، لم يجب استعمال الغلظة والشدّة في بعضهم ، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمال الواجب ، فيكون قوله (خُذِ الْعَفْوَ) : أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو ، فإذا وجب غيره ، أخذ الواجب وغير الواجب ، إذا أمكن ذلك ، فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة ، لما قد بيننا ذلك في نظائر في غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم بما حدثني الحسن بن الزبير قال النخعي ، قال : ثنى حسين الجعفي ، عن سفیان بن عيينة ، عن رجل قد سماه ، قال : لما نزلت هذه الآية (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل ما هذا ؟ قال : ما أدرى حتى أسأل العالم ، قال : ثم قال جبريل : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتُعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن أبي ، قال : لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتُعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

وقال آخرون بما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) يقول : بالمعروف .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : (وأمرٌ بالعرفِ)
قال : أما العرفُ : فالمعروف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « وأمرٌ بالعرفِ » : أي بالمعروف .
قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر
الناس بالعرفِ ، وهو المعروف في كلام العرب ، مصدر في معنى المعروف ، يقال : أوليته عرُفاً وعارفاً
وعارفةً ، كل ذلك بمعنى المعروف ، فإذا كان معنى العرف ذلك ، فمن المعروف صلة رحم من قُطِع . وإعطاء
من حُرِّم ، والنفوس ممن ظلمت ، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من العرف ، ولم يخص
الله من ذلك معنى دون معنى ؛ فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده
بالمعروف كله ، لا ببعض معانيه دون بعض .

وأما قوله (وأعرضُ عن الجاهلين) : فإنه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عن
جهل ، وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه ، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه ، باحتمال من ظلمهم ، أو اعتدى
عليهم ، لا بالإعراض عن جهل الواجب عليه من حق الله ، ولا بالصفح عن كفر بالله ، وجهل وحدانيته ،
وهو للمسلمين حرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خذِ العفو ، وأمرُ بالعرفِ
وأعرضُ عن الجاهلين) قال : أخلاقُ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودله عليها .

القول في تأويل قوله

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) : وإما يغضبنك من الشيطان غضب ،
يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم . (فاستعِذْ بِاللَّهِ) : يقول : فاستجِرْ بالله من
نزغه . (إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) : يقول : إن الله الذي تستعِذ به من نزغ الشيطان ، سميع لجهل الجاهل عليك ،
ولاستعادتك به من نزغه ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، لا يخفى عليه منه شيء ، عليم بما يُدْهَبُ عنك نَزْغُ
الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خذِ العفو ، وأمرُ
بالعرفِ ، وأعرضُ عن الجاهلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَكَيْفَ بِالْغَضَبِ يَارَبِّ ؟ »

قال : (وَإِمَامًا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .
 حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِمَامًا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال : علم الله أن هذا العدو منيع ومريد ، وأصل النزغ : الفساد ، يقال : نزغ الشيطان بين القوم : إذا أفسد بينهم ، وحمل بعضهم على بعض ، ويقال منه : نَزَغَ يَنْزَغُ ، وَنَعَزَ يَنْعِزُ .^١

القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ، فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله من خلقه ، فخافوا عقابه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا ألم بهم طيف من الشيطان ، من غضب أو غيره ، مما يصد عن واجب حق الله عليهم ، تذكروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق ، فعملوا به ، وانبهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .

واختلفت القراء في قراءة قوله (طَآئِفٌ) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والكوفة (طَآئِفٌ) على مثال فاعل ، وقراه بعض المكيين والبصريين والكوفيين (طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) .

واختلف أهل العلم بكلام العرب ، في فرق ما بين الطائف والطيف . قال بعض البصريين : الطائف والطيف : سواء ، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك . قال : ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طَآئِفٌ ، مثل ميئت وميئت . وقال بعض الكوفيين : الطائف : ما طاف بك من وسوسة الشيطان : وأما الطيف : فإنما هو من اللمس والمس . وقال آخر منهم : الطيف : اللمس . والطائف : كل شيء طاف بالإنسان . وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : الطيف : الوسوسة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه (طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) ، لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب ، والزلة تكون من المتطيف به . وإذا كان ذلك معناه ، كان معارفاً إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل : طاف يتطيف ، أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان ، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه ، وذلك كالغضب والوسوسة ، وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه ، أو ليوسوس له ، والوسوسة والاستزلال : هو الطائف من الشيطان ، وأما الطيف : فإنما هو الخيال ، وهو مصدر من طاف يتطيف ، ويقول : لم أسمع في ذلك طاف يتطيف ، ويتأوله بأنه بمعنى الميت ، وهو من الواو . وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب : طاف يتطيف ، وطيفت أطفيف ، وأنشدوا في ذلك :

(١) في التاج : قال القراء : نغز بينهم : أغرى ، وحمل بعضهم على بعض ، كنزغ . قلت : ولم يضبط المضارع ، وقد يفهم قوله كنزغ أنه مثله في المعنى والصفة ، فيكون من باب منع . أما إذا كان التثنية للمعنى وحده ، فإنه يجوز فيه كونه من باب نصر وكونه من باب ضرب ، كما في شرح الرضي على شافية ابن الحاجب .

أَنِّي أَلَمَّ بِكَ الْخِيَالَ يُطَيِّفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفٌ ۝

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : ذلك الطائف : هو الغضب .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (إذا
مَسَّهُمْ طَائِفٌ) قال : الطيف : الغضب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد ، في قوله إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ (قال : هو الغضب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ،
قال : الغضب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قوله (وَإِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) قال : هو الغضب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قول الله (طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) قال : الغضب .

وقال آخرون : هو اللمة ، والزلة من الشيطان .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) الطائف : اللمة من
الشيطان (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) يقول : تَنَزَّغَ من الشيطان (تَذَكَّرُوا) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا زلوا تابوا .

قال أبو جعفر : وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن الغضب من استزلال الشيطان ، واللمة من الخطيئة
أيضا منه ، وكان ذلك من طائف الشيطان . وإذا كان ذلك كذلك ، فلا وجه لخصوص معنى منه دون
معنى . بل الصواب أن يَعْمَ كما عمه جل ثناؤه ، فيقال : إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب
الشيطان ما كان ذلك العارض ، تذكروا أمر الله ، وانتهوا إلى أمره .

(١) البيت في (اللسان : طيف) . قال : وطاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : ألم في النوم . قال كعب بن زهير : أني ألم . . .
البيت . قال : وأطاف : لغة . والطييف والطييف (بفتح الطاء المشددة وكسرهما) : الخيال نفسه . الأخيرة عن كراخ . والشعوف بالضم :
مصدر شعفه الحب : إذا اشتد عليه . أو جمع شعف (يسكون العين) ، والمصدر شعف ، بفتحهما .

وأما قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) : فإنه يعنى : فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه ، فنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) يقول : إذا هم منتهون عن المعصية ، آخذون بأمر الله ، عاصون للشيطان .

القول فى تأويل قوله

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

يقول تعالى ذكره : وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين فى الغىِّ ، يعنى بقوله (يَمُدُّوهُمْ) : يزيدونهم . (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان ، وإنما هذا خبر من الله عن فريق الإيمان والكفر ، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله ، إذا استزهم الشيطان ، تذكروا عظمة الله وعقابه ، فكفتمهم رهبتهم عن معاصيه ، وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله ، مما كان منهم من زلة ، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم ، إذا ركبوا معصية من معاصى الله ، ولا يحجزهم تقوى الله ، ولا خوف المعاد إليه ، عن التمادى فيها ، والزيادة منها ، فهو أبداً فى زيادة من ركوب الإثم ، والشيطان يزيده أبداً ، لَا يُقْصِرُ الْإِنْسَى عَنْ شَيْءٍ مِنْ رُكُوبِ الْفَوَاحِشِ ، ولا الشيطان من مده منه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ، ولا الشياطين تمسك عنهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) يقول : هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس ، ثم لا يقصرون ، يقول : لا يسأمون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ) إخوان الشياطين من المشركين ، يمدهم الشيطان فى الغىِّ (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير وإخوانهم من الجن ، يمدون إخوانهم من الإنس ، ثم لا يقصرون ، ثم يقول لا يقصر الإنسان . قال : والمد الزيادة ، يعنى : أهل الشرك ، يقول : لا يقصر أهل الشرك ، كما يقصر الذين اتقوا ، لأنهم لا يحجزهم الإيمان . قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَإِخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ) ، ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) استجهالاً يمدون أهل الشرك . قال ابن جريج : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : فهؤلاء الإنس يقول الله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قال : إخوان الشياطين يمدّهم الشياطين في الغي ، ثم لا يقصرون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ) استجهالا .
وكان بعضهم يتأول قوله (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) بمعنى : ولا الشياطين يقصرون في مدّهم إخوانهم من الغي .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) عنهم ، ولا يرموهم .

قال أبو جعفر : وقد بينا آولى التأويلين عندنا بالصواب ، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك ، على ما بيناه ، لأن الله وصف في الآية قبلها أهل الإيمان به ، وارتداعهم عن معصيته ، وما يكرهه إلى محبته ، عند تذكيرهم عظمتهم ، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين ، وركوبهم معاصيه ، وكان الأولى وصفهم بتأديهم فيها ، إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها .

وأما قوله (يَمُدُّوهُمْ) فإن القراءة اختلفت في قراءته ، فقرأه بعض المدنيين (يَمُدُّوهُمْ) بضم الياء من أمدت ، وقراءته عامة قرآء الكوفيين والبصريين (يَمُدُّوهُمْ) بفتح الياء من مدت .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : (يَمُدُّوهُمْ) بفتح الياء ، لأن الذى يمدّ الشياطين إخوانهم من المشركين ، إنما هو زيادة من جنس الممدود ، وإذا كان الذى مدّ من جنس الممدود ، كان كلام العرب : مدت لا أمدت .

وأما قوله (يُقْصِرُونَ) فإن القراءة على لغة من قال : أقصرت أقصير ، وللعرب فيه لغتان : قصرت عن الشيء ، وأقصرت عنه .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ ، قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ؛ قُلْ : إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ؛
هَذَا بَصَآرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا لم تأت بهم بناية ، وإذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله (قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقولون : هلا اخترتها واصطفتها ، من قول الله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ) يعنى : يختار ويصطفى . وقد بينا ذلك في مواضعه بشواهد .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : هلا افتعلتها من قبيل نفسك واختلقها ؟ بمعنى : هلا اجتبيتها اختلاقا ؟ كما تقول العرب : لقد اختار فلان هذا الأمر ، وتخيره اختلاقا .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا كَمْ تَأْتِيهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أى لولا أتيننا بها من قبيل نفسك ؟ هذا قول كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قوله : (وَإِذَا كَمْ تَأْتِيهِمْ بآيَةٍ قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا : لولا اقتضبتها ، قالوا : نخرجها من نفسك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا كَمْ تَأْتِيهِمْ بآيَةٍ قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا : لولا تقولتها ، جئت بها من عندك .

حدثني المنثى ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : لولا تلقيتها . وقال مرة أخرى : لولا أحدثتها فأنشأتها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : لولا أحدثتها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قال : لولا جئت بها من نفسك .

وقال آخرون : معنى ذلك : هلا أخذتها من ربك ، وتقبلتها منه .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : لولا تقبلتها من الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : لولا تلقيتها من ربك .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : لولا أخذتها أنت ، فجئت بها من السماء .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من قال تأويله : هلا أحدثتها من نفسك ، لدلالة قول الله (قُلْ : إِنَّمَا أَنْتَبِيعُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِنِّي مِنْ رَبِّي ، هَذَا بَصَائِرُ مِّنْ رَبِّكُمْ) بين ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه ، أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ، ويوحيه إليه ، لأنه يحدث من قبيل نفسه قولا ، وينشئه ، فيدعو الناس إليه .

وحكى عن الفراء أنه كان يقول : اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته : إذا افتعلته من قبيل نفسك .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا القاسم عنه ، قال أبو عبيد ، وكان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام بيديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه . قال أبو عبيد : واخترعه مثل ذلك .
القول في تأويل قوله (قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ، هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) :

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل : يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية : هلا أحدثتها من قبيل نفسك : إن ذلك ليس لي ، ولا يجوز لي فعله ، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده ، وإنما أتبع ما يوحى إلي من ربي ، لأني عبده ، وإلى أمره أنهي ، وإياه أطيع ، (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : هذا القرآن والوحي الذي أتولوه عليكم بصائر من ربكم ، يقول : حُجِّجْ عَلَيْكُمْ ، وبين لكم من ربكم ، وأحدثها : بصيرة ، كما قال جل ثناؤه (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ، وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وإنما ذكر هذا ووحد في قوله (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي ، وقوله (وَهَدَىٰ) يقول : وبين يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ، ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين ، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : هو بصائر من الله وهُدَىٰ ورحمة لمن آمن ، يقول : لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه ، وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده ، وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزي .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، المصدقين بكتابه ، الذين القرآن لهم هدى ورحمة : (إِذَا قُرِئَ) عليكم أيها المؤمنون (الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) يقول : أصغوا له سمعكم ، لتتفهّموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه . وأنصتوا إليه لتعقلوه وتدبروه ، ولا تلتغووا فيه ، فلا تعقلوه . (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبيّره ، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيه .
ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له ، فقال بعضهم : ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلت إمام يأمّ به ، وهو يسمع قراءة الإمام ، عليه أن يسمع لقراءته ، وقالوا : في ذلك أنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيّب بن رافع ، قال : كان عبد الله يقول : كنا يُسَلَّمُ بعضنا على بعض في الصلاة ، سلام على فلان ، وسلام على فلان ، قال : فجاء القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن إبراهيم الهجري عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا

يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) والآية الأخرى ، أمروا بالإنصات .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري ، قال : نزلت هذه الآية في قتي
من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئا قرأه ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المخاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن بشير بن جابر ، قال : صلى ابن
مسعود ، فسمع ناسا يقرءون مع الإمام ، فلما انصرف ، قال : أما أن لكم أن تفقهوا ، أما أن لكم أن تعقلوا !
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) كما أمركم الله .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا الحريري ، عن طلحة بن عبيد الله بن
كريز ، قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقاص يقص ، فقلت : ألا تستمعان
إلى الذكر ، وتستوجبان الموعد ؟ قال : فنظرا إلى ، ثم أقبلنا على حديثهما ، قال : فأعدت ، فنظرا إلى ، ثم أقبلنا
على حديثهما ، قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلى ، فقالا : إنما ذلك في الصلاة (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت الأوزاعي ، قال : ثنا عبد الله بن عامر ،
قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا
لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : نزلت في رفع الأصوات ، وهم حلتف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن
مجاهد في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن رجل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت حميدا الأعرج ، قال :
سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .
قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا حميد ، عن مجاهد بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا المخاربي ، عن ليث ، عن مجاهد ، وعن حجاج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، وعن
ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال :
في الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد في الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا المحاربي وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : في الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : في الصلاة المكتوبة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : كانوا يتكلمون في صلاتهم بجوائهم أول ما فرضت عليهم ، فأنزل الله ما تسمعون (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم : كم صليتم ؟ كم بقي ؟ فأنزل الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) وقال غيره : كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار ، فأنزل الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربي ، عن أشعث ، عن الزهري ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، ورجل يقرأ ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الهجري عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : هذا في الصلاة . قال : ثنا أبي ، عن حريث ، عن عامر ، قال : في الصلاة المكتوبة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : إذا قرئ في الصلاة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) يعني : في الصلاة المفروضة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : هذا في الصلاة في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) .

قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو بآية رحمة ، أن يقول أحد من خلفه شيئاً ، قال : السكوت .

قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) قال : هذا إذا قام الإمام للصلاة ، فاستمعوا له وأنصتوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته ، ولكنهم يقرءون فيما لم

يجهر به سرّاً في أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّاً ولا علانية ، قال الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن هبيرة ، عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه (وَأَذْكَرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) : هذا في المكتوبة . وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك ، فلإنما هي نافلة ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة ، وقرأ أصحابه وراءه ، فخلطوا عليه ، قال : فنزل القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ، فهذا في المكتوبة .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة ، إذا قرئ القرآن في خطبة .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد وابن أبي عتبة ، عن العوام ، عن مجاهد ، قال في خطبة يوم الجمعة وقال آخرون : عنى بذلك : الإنصات في الصلاة ، وفي الخطبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت إبراهيم ابن أبي حمزة ، يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة ، والخطبة يوم الجمعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : وجب الصموت في اثنتين : عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي ، وعند الإمام وهو يخطب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) وجب الإنصات . قال : وجب في اثنتين : في الصلاة والإمام يقرأ ، والجمعة والإمام يخطب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال هشيم ، أخبرنا من سمع الحسن يقول : في الصلاة المكتوبة ، وعند الذكر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : وجب الإنصات في اثنتين : في الصلاة ، ويوم الجمعة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبيرة يقول في قوله : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات : يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الربيع بن صبيح عن الحسن ، قال :
في الصلاة ، وعند الذكر .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن جريج ، عن
عطاء بن أبي رباح ، قال : أوجب الإنصات يوم الجمعة قول الله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفي الصلاة مثل ذلك .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا
قرأ الإمام ، وكان من خلفه ممن يأتّم به يسمعه ، وفي الخطبة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا
قرأ الإمام فأنصتوا » ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام من عليه الجمعة ، الاستماع والإنصات
لها ، مع تنابع الأخبار بالأمر بذلك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع
القرآن ، والإنصات لسامعه من قارئه ، إلا في هاتين الحالتين ، على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن
يكون خلف إمام مؤتمّ به ، وقد صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله « إذا قرأ
الإمام فأنصتوا » فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته ، بعموم ظاهر القرآن ،
والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قول

وَإِذْ كَرَّرَ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا
تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)

يقول تعالى ذكره : واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن ، إذا قرئ في صلاة ، أو خطبة (رَبُّكَ
فِي نَفْسِكَ) يقول : انعظ بما في آي القرآن ، واعتبر به ، وتذكر معاذك إليه عند سماعك : (تَضَرُّعًا) .
يقول : أفعال ذلك تخشعا لله ، وتواضعا له (وَخِيفَةً) يقول : وخوفا لله من أن يعاقبك على تقصير يكون
منك ، في الانتعاض به والاعتبار ، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ، (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) يقول :
ودعاء باللسان لله في خفاء لاجهار . يقول : ليكن ذكر الله عند سماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير
جهار ، ولكن في خفاء من القول .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ كَرَّرَ رَبُّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) لا يجهر بذلك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله
(وَإِذْ كَرَّرَ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) . . . الآية ، قال :
أمروا أن يذكره في الصدور تضرعا وخيفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن حيان بن عمير ، عن عبيد بن عمير ، في قوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) قال : يقول الله : إذا ذكرني عبدي في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي ، وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في أحسن منهم وأكرم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) قال : يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء .

وأما قوله (بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) فإنه يعني بالبُكْرِ والعشيات . وأما الآصال فجمع .

واختلف أهل العربية فيها ، فقال بعضهم : هي جمع أصيل ، كما الأيمان جمع يمين ، والأسرار جمع سرير . وقال آخرون منهم : هي جمع أصل ، والأصل : جمع أصيل . وقال آخرون منهم : هي جمع أصل وأصيل . قال : وإن شئت جعلت الأصل جمعاً للأصيل ، وإن شئت جعلته واحداً . قال : والعرب تقول : قد دنا الأصل ، فيجعلونه واحداً .

وهذا القول أولى بالصواب في ذلك ، وهو أنه جائز أن يكون جمع أُصِيل وأصل ، لأنهما قد يجمعان على أفعال . وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب .

وأما قوله (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) فإنه يقول : ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعيبره ، وما فيه من عجائبه ، ولكن تدبر ذلك وتفهمه ، وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له ، وخوف من قدرة الله عليك ، إن أنت غفقت عن ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : بالبُكْرِ والعشي (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا معرف بن واصل السعدي ، قال : سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس : أصلنا بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، قوله (بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : الغدو : آخر الفجر صلاة الصبح ، والآصال : آخر العشي صلاة العصر ، قال : وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره ، وذلك مثل قوله في سورة آل عمران (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا ، وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) وقيل : العشي : ميل الشمس إلى أن تغيب ، والإبكار : أول الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن صلاة الفجر ، فقال : إنها لني كتاب الله ، ولا يقوم عليها ، ثم قرأ (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) . . . الآية .

(١) قوله ولا يقوم عليها : كذا بالأصل ، ولعل الساقط : إلا مؤمن ، أو نحو ذلك ، وحرر الرواية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) . . . إلى قوله (بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ) أمر الله بذكره ، ونهى عن الغفلة . أما بالعدو : فصلاة الصبح « والآصال : بالعشى .

القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) *

يقول تعالى ذكره : لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن ، عن عبادة ربك ، واذكره إذا قرئ القرآن تضرعًا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته ، لا يستكبرون عن التواضع له ، والتخشع ، وذلك هو العبادة (وَيُسَبِّحُونَهُ) يقول : ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) يقول : ولله يصلون ، وهو سجدتهم ، فصلوا أنتم أيضا له ، وعظموه بالعبادة ، كما يفعله من عنده من ملائكته .

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)

اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال التي ذكرها الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هي الغنائم ، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمها أنت وأصحابك يوم بدر : لمن هي ؟ فقل : هي لله ولرسوله .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن عكرمة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأنفال : المغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)
قال : الغنائم .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (الأنفال) قال : يعني الغنائم .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) الأنفال : الغنائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)
قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الأنفال : الغنائم .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الغنائم .
وقال آخرون : هي أنفال السرايا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علي بن صالح بن حبي ، قال : بلغني في قوله
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : السرايا .

وقال آخرون : الأنفال ما شذت من المشركين إلى المسلمين ، من عبد أو دابة وما أشبه ذلك .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَنْفَالِ) قُلْ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : هو ما شذت من المشركين إلى المسلمين بغير قتال : دابة
أو عبد أو متاع ، ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، يصنع فيه ما شاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال :
هي ما شذت من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، من عبد أو أمة أو متاع أو نَفَل ، فهو للنبي صلى الله عليه
وسلم ، يصنع فيه ما شاء .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، أن ابن عباس سئل عن الأنفال ، فقال : السلب
والفرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
ويقال : الأنفال : ما أخذ مما سقط من المتاع ، بعد ما تقسم الغنائم ، فهي نَفَل لله ولرسوله .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عثمان بن أبي سليمان ، عن محمد بن شهاب ، أن رجلا قال لابن عباس : ما الأنفال ؟ قال : الفرس والدرع والرمح . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : الأنفال : الفرس الشاذ ، والدرع ، والثوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن عباس ، قال : كان ينقل الرجل فرس الرجل وسلبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن القاسم بن محمد ، قال : سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الأنفال ، فقال ابن عباس : الفرس من النفل ، والسلب من النفل ، ثم عاد لسأله ، فقال ابن عباس ذلك أيضا ، ثم قال الرجل : الأنفال التي قال الله في كتابه : ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم ابن محمد ، قال : قال ابن عباس : كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء ، قال : لا أمرك ولا أنهاك ، ثم قال ابن عباس : " والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجرا أمرا محملا محرما " ، قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل ينقل فرس الرجل ، وسلاحه ، فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر ، حتى سالت الدماء على عقيقه ، أو على رجليه ، فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء : (يسألونك عن الأنفال) قال : يسألونك فيما شدد من المشركين إلى المسلمين في غير قتال ، من دابة أو عبد ، فهو نفل للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : النفل : الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس .

ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يسألونك عن الأنفال) قال : هو الخمس ، قال : المهاجرون : لم يرفع عنا هذا الخمس ؟ لم يخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت (يسألونك عن الأنفال) .

(١) هو صبيغ كأمير بن شريك بن المنذر بن ربوع التميمي ، كان يعنت الناس بالفوامض والسؤالات من متشابه القرآن ، ففناه عمر إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى معنى الأنفال : قول من قال : هى زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أجمعهم ، إما من سلبه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالنفل ، أو ببعض أسبابه ، ترغيبا له ، وتحريضا لمن معه من جيشه ، على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين ، وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس : من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء : من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الإمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة وقهر ، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن النفل فى كلام العرب : إنما هو الزيادة على الشيء ، يقال منه : نفلت كذا ، وأنفلتك : إذا زدتك ، والأنفال : جمع نفل ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلٌ^١

فإذا كان معناه ما ذكرنا ، فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ، إن كان ذلك لبلاء أبلاه ، أو لغناء كان منه عن المسلمين ، بتفيل الوالى ذلك إياه ، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القتال ، فهو نفل ما زيد من ذلك ، لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة فى بعض الأحوال بحق ، فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة ، وكذلك كل ما رُضخ لمن لاسهم له فى الغنيمة فهو نفل ، لأنه وإن كان مغلوبا عليه ، فليس مما وقعت عليه القسمة ، فالفصل ، إذ كان الأمر على ما وصفنا ، بين الغنيمة والنفل : أن الغنيمة هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر ، نفل منه مستعمل ، أو لم ينفل ، والنفل : هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة . وإذا كان ذلك معنى النفل ، فتأويل الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة ، من غنيمة كفارقريش الذين قتلوا ببدر ، لمن هو؟ قل لهم يا محمد : هو لله ولرسوله دونكم ، يجعله حيث شاء .

واختلف فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى غنائم بدر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواما على بلاء ، فأبلى أقوام وتخلّف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب ، فأنزل الله هذه الآية على رسوله ، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاض جائر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود بن أبى هند يحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَتَى مَكَانَ كَنْدَا وَكَنْدَا ، فَلَهُ كَنْدَا وَكَنْدَا ، أَوْ فَعَلَ كَنْدَا وَكَنْدَا ، فَلَهُ كَنْدَا وَكَنْدَا ، فَتَسَارِعْ إِلَيْهِ الشَّبَانُ ، وَبَقِيَ الشُّبُوحُ عِنْدَ

(١) البيت فى ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٨٩١ ص ١١) و (اللسان : نفل) قال : النفل بالتحريك : الغنيمة والهبة ، قال لبيد : إن تقوى . . . البيت ، والجمع : أنفال ونفال . والرِيث : البطء ، وهو ضد العجل .

الرايات ، فلما فتح الله عليهم ، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الأشياخ : لاتذهبوا به دوننا ، فأنزل الله عليه الآية (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذًّا وَكَذًّا ، فَلَهُ كَذًّا وَكَذًّا » قال : فتسارع في ذلك شبان الرجال ، وبقيت الشيوخ تحت الرايات ؛ فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقالت الشيوخ : لاتستأثروا علينا ، فإننا كنا رداء لكم ، وكنا تحت الرايات ، ولو انكشفتم لفتحتم إلينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَعَلَ كَذًّا فَلَهُ كَذًّا وَكَذًّا (مِنَ النَّفْلِ) » قال : فتقدم الفتيان ، ولزم المشيخة الرايات ، فلم يبرحوا ، فلما فتح عليهم ، قالت المشيخة : كنا رداء لكم ، فلو انهزمتم انخرتم إلينا ، لاتذهبوا بالمغرم دوننا ، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : فكان ذلك خيرا لهم ،^٢ وكذلك أيضا أطيعوني فإني أعلم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في هذه الآية : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : لما كان يوم بدر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذًّا فَلَهُ مِنْ النَّفْلِ كَذًّا ، فخرح شبان من الرجال ، فجعلوا يصنعونه ، فلما كان عند القسمة ، قال الشيوخ : نحن أصحاب الرايات ، وقد كنا رداء لكم ، فأنزل الله في ذلك (قُلِ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب الزبيري ، قال : ثنى المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول مولى هذيل ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : أنزل الله حين اختلف القوم في الغنائم يوم بدر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأسدی ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ وفي القرطبي (٧ : ٣٦٤) : لاتذهبون ، بالنق .

(٢) المعطوف هنا لم يسبقه معطوف عليه ، وفي العبارة شيء ساقط ، ولكنها كذلك جاءت في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ .

من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن سواء ، يقول : على سواء ، فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاح ذات البين .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية ، لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئاً قبل قسمتها ، فلم يعطه إياه ، إذ كان شيراً كما بين الجيش ، فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني إسماعيل بن موسى السدي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف ، فقلت : يا رسول الله هذا السيف قد شقني الله به من المشركين ، فسألته إياه ، فقال : ليس هذا لي ولا لك ، قال : فلما وليت ، قلت : أخاف أن يعطيه من لم يبذل بلائاً ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفي ، قال : فقلت : أخاف أن يكون نزل في شيء ، قال : إن السيف قد صار لي ، قال : فأعطانيه ، ونزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر ، جئت بسيف ، قال : فقلت : يا رسول الله ! إن الله قد شقني صدرى من المشركين أو نحو هذا ، فهب لي هذا السيف ، فقال لي : هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، فرجعت فقلت : عسى أن يعطى هذا من لم يبذل بلائاً ، فجاءني الرسول ، فقلت : حَدَّثَ فِي حَدَثٍ ، فلما انتهيت ، قال : يَا سَعْدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ ، وَلَيْسَ لِي ، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي ، فَهَوُوكَ . ونزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلْ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : أصبت سيفاً يوم بدر ، فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله هبه لي ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلْ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع ، قال ابن المثنى ، ثنى معاوية ، وقال ابن وكيع : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الشيباني ، عن محمد بن عبيد الله ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير ، وقتلت سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه ، وكان يسمى ذا الكتيفة ، فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قل : « اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبْضِ ، فَطَرَحْتَهُ وَرَجَعْتَ ، وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، مَنْ قَتَلَ أَخِي ، وَأَخَذَ سَلْبِي ، قَالَ : فَمَا جَاوَزْتَ إِلَّا قَرِيْبًا ، حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ » . ولفظ الحديث لابن المثنى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة جميعاً ، عن محمد ابن إسحاق ، قال : ثنى عبد الله بن أبي بكر ، عن قيس بن ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد بن مالك بن

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : الأنفال : المغنم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، ليس لأحد منها شيء ، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به ، فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها ، قال الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ؟ قُلِ الْأَنْفَالُ) لي ، جعلتها لرسولي ، ليس لكم فيها شيء (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، ثم أنزل الله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) ، ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن سمي في الآية .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا ، قال : واختلفوا فكانوا أثلاثا ، قال : فنزلت : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ؟ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) وملكه الله رسوله ، فقسمه كما أراه الله .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنم يوم بدر ، فنزلت : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

قال : ثنا عباد بن العوام ، عن جوير ، عن الضحاک (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : يسألونك أن تُنقلهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : يسألونك الأنفال .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله ، وأنه جعلها لرسوله ، وإذا كان ذلك معناه ، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه ، وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسّم ذلك بين الجيش .

واختلفوا فيها ، أمسوخة هي أم غير منسوخة ؟ فقال بعضهم : هي منسوخة ، وقالوا : نسخها قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، قالوا : كانت الأنفال لله وللرسول فنسخها (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : أصاب سعد بن أبي وقاص يوم بدر سيفا ، فاختم فيه وناس معه ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فقال الله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) . . . الآية ، فكانت الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، فنسخها الله بالخمسة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني سليم مولى أم محمد ، عن مجاهد ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : نسخها (وَأَعْلَمُوا أَلْتَمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، أو عكرمة وعامر ، قالا : نسخت الأنفال (وَأَعْلَمُوا أَلْتَمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . وقال آخرون : هي محكمة وليست منسوخة .

وإنما معنى ذلك : قل الأنفال لله ، وهي لاشك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة ، ولرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها .
ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) فقرأ حتى بلغ (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فسلموا لله ولرسوله ، يحكمان فيها بما شاء ، ويضعانها حيث أراد ، فقالوا : نعم ، ثم جاء بعد الأربعين (وَأَعْلَمُوا أَلْتَمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية ، ولكم أربعة أخماس . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « وَهَذَا الْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَى فُقَرَائِكُمْ ، يَتَصَنَّعُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي ذَلِكَ الْخُمُسِ مَا أَحَبَّ ، وَيَضَعَانِهِ حَيْثُ أَحَبَّ ، ثُمَّ أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِالَّذِي يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ (لِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ ، كَيْلًا بِكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) » .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبه صلى الله عليه وسلم يُنْقَلُ من شاء ، فنقل القاتل السائب ، وجعل للجيش في البداية الربع ، وفي الرجعة الثلث بعد الخمس ، ونقل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا في بعض المغازي ، فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ينقل على ما يرى ، مما فيه صلاح المسلمين ، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته في ذلك ، وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ ، لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذي وصفت ، وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا ، على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ، ينفيه من كل معانيه ، أو يأتي خبر يوجب الحججة أن أحدهما ناسخ الآخر . وقد ذكر عن سعيد بن المسيب ، أنه كان ينكر أن يكون التنزيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تأويلا منه لقول الله تعالى (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، قال : أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء ، فقال : إنكم أرسلتم إلىّ تسألوني عن الأنفال ، فلا نقبل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بينّا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيهم بفعله ، فينقلوا على نحو ما كان ينقل ، إذا كان التنفيل صلاحاً للمسلمين .

القول في تأويل قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ، وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ إن كنتم مؤمنين) :

يقول تعالى ذكره : فخافوا الله أيها القوم ، واتقوه بطاعته ، واجتنبوا معاصيه ، وأصلحوا الحال بينكم .

واختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) فقال بعضهم : هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ، وشهدوا الواقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا اختلفوا في الغنيمة ، أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض . ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : كان نبي الله ينقل الرجل من المؤمنين ، سلب الرجل من الكفار إذا قتله ، ثم أنزل الله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : أهرم أن يرد بعضهم على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان ينقل الرجل على قدر جده وغنائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر وملا الناس أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (قُلِ الْاَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ليرد أهل القوة على أهل الضعف .

وقال آخرون : هذا تحريج من الله على القوم ، ونهي لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه ، من أمر الغنيمة وغيره .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا خالد بن يزيد ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد ، في قول الله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : حرّج عليهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفیان بن حسين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : هذا تحريج من الله على المؤمنين ، أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم ، قال عباد ، قال سفیان : هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : أي لا تَسْبُوا .

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث البين ، فقال بعض نحويي البصرة : أضاف ذات إلى البين ، وجعله ذاتا ، لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضها يذكر نحو الدار والحائط ، أنت الدار وذكر الحائط . وقال بعضهم : إنما أراد بقوله (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : الحال التي للبين ، فقال : وكذلك ذات العشاء ، يريد الساعة التي فيها العشاء . قال : ولم يضعوا مذكرا للمؤنث ، ولا مؤنثا لمذكر إلا المعنى .

قال أبو جعفر : هذا القول أولى القولين بالصواب ، لعلته التي ذكرتها له .

وأما قوله (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فإن معناه : وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال ، إلى أمر الله وأمر رسوله ، فيما أفاء الله عليكم ، فقد بين لكم وجوهه وسبيله (إن كنتم مؤمنين) يقول : إن كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إن كنتم مؤمنين) فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاء ، ويضعانها حيث أرادا .

القول في تأويل قوله

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من ، حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره ، خوفا منه ، وقرقا من عقابه ، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها ، وأيقن أنها من عند الله ، فزاد بتصديقه بذلك ، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك ، تصديقا ، وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وباللهم يوقنون ، في أن قضاءه فيهم ماض ، فلا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا

يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) فَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) يَقُولُ : تصديقا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يَقُولُ : لا يرجون غيره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فبرقت .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) يقول : إذا ذكر الله وجل قلبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فبرقت .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) : فرقت .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : سمعت السدي يقول في قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : هو الرجل يريد أن يظلم ، أو قال : يهيم بمعصية ، أحسبه قال : فينزِع عنه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي الدرداء ، في قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : الوجَل في القلب كالحراق السعفة ، أما تجده له قشعريرة ؟ قال : بلى ، قال : إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله ، فإن الدعاء يذهب بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فبرقا من الله ، ووجلا من الله ، وخوفا من الله تبارك وتعالى . وأما قوله (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) فقد ذكرت قول ابن عباس فيه .

وقال غيره فيه : ما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) قال : خشية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نعتهم ووصفهم ، فأثبت صفهم .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها ، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال ، فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه ، من زكاة وجهاد ، وحج وعمرة ، ونفقة على من تجب عليهم نفقته ، فيؤدّون حقوقهم . (أَوْلَئِكَ) يقول : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال ، (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ) لا الذين يقولون بألسنتهم : قد آمننا ، وقلوبهم منظوية على خلافه نفاقا ، لا يقيمون صلاة ، ولا يؤدّون زكاة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ ، عن ابن عباس (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : الصلوات الخمس (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : زكاة أموالهم (أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) يقول : برئوا من الكفر . ثم وصف الله النفاق وأهله ، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ) . . . إلى قوله (أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا ، وجعل الكافر كافرا حقا ، وهو قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، قَبْلُكُمْ كَافِرِينَ ، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) قال : استحقوا الإيمان بحق ، فأحقه الله لهم .

القول في تأويل قوله (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) :

يعنى جل ثناؤه بقوله (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ، درجات ، وهى مراتب رفيعة .

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التى ذكر الله أنها لهم عنده ما هى ؟ فقال بعضهم : هى أعمال رفيعة ، وفضائل قدموها فى أيام حياتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القسّات ، عن مجاهد (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : أعمال رفيعة .

وقال آخرون : بل ذلك مراتب فى الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن جبّلة ، عن عطية ، عن

ابن محيريز (كَلَّمُ دَرَجَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال: الدرجات سبعون درجة، كل درجة حُضِرَ الفرس الجواد المضمَر سبعين سنة. وقوله (وَمَغْفِرَةٌ) يقول: وعفو عن ذنوبهم، وتغطية عليها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قيل: الجنة، وهو عندي ما أعدَّ الله في الجنة لهم من مزيد الماء كل والمشارب، وهنيء العيش. حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، عن هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة (وَمَغْفِرَةٌ) قال: لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قال: الجنة.

القول في تأويل قوله

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ (ه) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ)، وما الذي شبه بإخراج الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق، فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق... الآية: أي إن هذا خير لكم، كما كان لإخراجك من بيتك بالحق خيرا لك. وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق، على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) قال: كذلك يجادلونك في الحق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) كذلك يجادلونك في الحق: القتال.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ)، قال: كذلك أخرجك ربك.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أنزل الله في خروجه، يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، ومجادلتهم إياه، فقال (كَمَا أَخْرَجَكَ

رَبِّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) لطلب المشركين (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) .

اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفيين : ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضى لأمره في الغنائم ، على كرهه من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون . وقال آخرون منهم : معنى ذلك : يستلونك عن الأنفال مجادلة ، كما جادلوك يوم بدر ، فقالوا : أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالا فنستعد له . وقال بعض نحوي البصرة : يجوز أن يكون هذا الكاف في (كَمَا أَخْرَجَكَ) على قوله (أَوْلَيْكَ دَمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) وقيل : الكاف بمعنى على .

وقال آخرون منهم : هي بمعنى القسم . قال : ومعنى الكلام . والذي أخرجك ربك .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال في ذلك بقول مجاهد ، وقال معناه : كما أخرجك ربك بالحق ، على كرهه من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، لأن كلا الأمرين قد كان ، أعنى خروج بعض من خرج من المدينة كارها ، وجدا لهم في لقاء العدو عند ذنوب القوم بعضهم من بعض ، فتشبيه بعض ذلك ببعض ، مع قرب أحدهما من الآخر : أولى من تشبيهه بما بعد عنه . وقال مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه ، هو القتال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) قال : القتال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (مِنْ بَيْتِكَ) : فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي بزة (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ) المدينة إلى بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني محمد بن عباد

ابن جعفر ، في قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) قال : من المدينة إلى بدر .

وأما قوله (وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) فإن كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد ، قال :

ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن مسلم الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن

أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، قالوا :

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ، ندب إليهم المسلمين ، وقال : هذه عير

قريش فيها أمواهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلتكموها ، فانتدب الناس ، فخفت بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حربا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) : لطلب المشركين .

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عسوا بقوله (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) فقال بعضهم : عنى بذلك : أهل الإيمان من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء القوم ، وقال له سعد بن عباد ما قال ، وذلك يوم بدر أمر الناس ، فتعبوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، وكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين كما أتتسايقون إلى الموت وهم ينظرون) .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر القوم ، يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عرف القوم أن قريشا قد سارت إليهم ، وأنهم إنما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة ، فقال (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) . . . إلى قوله (لكارهون) أى كراهية للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم . وقال آخرون : عنى بذلك المشركون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) ، كما أتتسايقون إلى الموت وهم ينظرون) قال : هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كما أتتسايقون إلى الموت ، حين يدعون إلى الإسلام . وهم ينظرون : قال : وليس هذا من صفة الآخرين ، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثني عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أخي الزهري ، عن عمه ، قال : كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : كما أتتسايقون إلى الموت وهم ينظرون ، خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العير .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : ما قاله ابن عباس وابن إسحاق ، من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين ، أنهم كرهوا لقاء العدو ، وكان جداهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : لم يعلمنا أنا تلقى العدو ، فنستعد لقتالهم ، وإنما خرجنا للعير . ومما يدل على صحة قوله (وإذ يعدكم الله لإحدى

الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ، فف ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله ، أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين ، وأن جدالهم كان في القتال ، كما قال مجاهد كراهية منهم له ، وأن لامعنى لما قال ابن زيد ، لأن الذى قبل قوله (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) خبر عن أهل الإيمان ، والذى يتلوه خبر عنهم ، فأن يكون خبراً عنهم ، أولى منه بأن يكون خبراً عن من لم يجر له ذكر .
وأما قوله (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به .

وقال آخرون : معناه يجادلونك فى القتال بعد ما أمرت به .

ذكر من قال ذلك :

روى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وأما قوله (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) فإن معناه : كأن هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء ، العدو من كراهتهم للقاءهم ، إذا دعوا إلى لقاءهم للقتال ، يساقون إلى الموت .
وينحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) : أى كراهة للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكٰفِرِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها التوم (إِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) يعنى : إحدى الفرقتين : فرقة أبي سفيان بن حرب والعير ، وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم : وقوله (أَنهَآ لَكُمْ) يقول : أن ما معهم غنيمة لكم ، (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) : يقول : وتحبون أن تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة ، يقول : ليس لها حد ، ولا فيها قتال ، أن تكون لكم ، يقول : تودون أن تكون لكم العير التى ليس فيها قتال لكم ، دون جماعة قريش ، الذين جاءوا لمنع عيرهم ، الذين فى لقاءهم القتال والحرب ، وأصل الشوكة : من الشوك :

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا علي بن نصر ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ، قالا : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش ، مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم ، وهي ما أنزل الله (وتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني ، بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلتكموها ، فانتدب الناس ، فحفظ بعضهم ، وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حربا . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفا من الناس ، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، حتى بلغ واديا يقال له ذفيران ، فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه ، نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ، ليمنعوا عيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله ، فنحن معك ، والله لائقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لننصركننا إلى بئر الغمام ، يعني : مدينة الحبشة ، لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم دعا له بخير ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة ، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصات إلينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ، ونساءنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، قال : فلما قال ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فقد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثقتنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته ، لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقانا عدونا غدا ، إنا لـصُبرٌ عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيرُوا على بركة الله وأبشِرُوا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنني أنظرُ الآن إلى مصارع القوم غداً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أن أبا سفيان أقبل في غير من الشام فيها تجارة قريش ، وهي اللطيمة ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس ، فخرجوا معه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً ، فبعث عيناً له من جهينة ، حليفاً للأَنْصار ، يُدعى ابن الأريقط ، فأناه بخير القوم ، وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم ، فبعث رجلاً من بني غفار ، يُدعى ضمضم بن عمرو ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يشعر بخروج قريش ، فأخبره الله بخروجهم ، فتخوف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا : إنا عاهدنا أن نمنعك إن أردك أحد بيلدنا ، فأقبل على أصحابه ، فاستشاروهم في طلب العير ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : إني قد سلكت هذا الطريق ، فأنا أعلم به ، وقد فارقه الرجل بمكان كذا وكذا ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد فشاورهم ، فجعلوا يشيرون عليه بالعير ، فلما أكثر المشورة ، تكلم سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أراك تشاور أصحابك ، فيشيرون عليك ، وتعود فتشاورهم ، فكأنك لاترضى ما يشيرون عليك ، وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الأنصار ، أنت رسول الله ، وعليك أنزل الكتاب ، وقد أمرك الله بالقتال ، ووعدك النصر ، والله لا يخاف الميعاد ، امض لما أمرت به ، فوالذي بعثك بالحق ، لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ، ثم قام المقداد بن الأسود الكندي ، فقال : يا رسول الله ، إنا لانقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكننا نقول : أقدم فقاتل ، إنا معك مقاتلون ، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال : « إن ربي وعدني القوم وقد خرجوا ، فسيرُوا إليهم ، فساروا » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) قال : الطائفتان : إحداهما أبو سفيان بن حرب ، إذ أقبل بالعير من الشام ، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش ، فكره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يلقوا العير ، وأراد الله ما أراد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) قال : أقبلت عير أهل مكة ، يريد : من الشام

فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فساروا السير إليها ، لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين ، فكانوا أن يلقوا العير ، أحب إليهم ، وأيسر شوكة ، وأحضر مغنا ؛ فلما سبقت العير ، وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين ، يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم ، لشوكة في القوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أُنْهَبَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : أرادوا العير ، قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأول ، فأغار كرز بن جابر الفهري ، يريد سرح المدينة ، حتى بلغ الصفراء ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب في أثره ، فسبقه كبريز بن جابر ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقام سنته ، ثم إن أبا سفيان أقبل من الشام في عير لقريش ، حتى إذا كان قريبا من بدر ، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوحى إليه (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أُنْهَبَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين ، وهو يومئذ ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا ، منهم سبعون ومئتان من الأنصار ، وسائرهم من المهاجرين ، وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطنم ، فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة ، فنفرت قريش وغضبت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريح (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أُنْهَبَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : كان جبريل عليه السلام قد نزل ، فأخبره بمسير قريش ، وهي تريد عيرها ، ووعدته : إما العير ، وإما قريشا ، وذلك كان ببدر ، وأخذوا السقاة وسألوهم ، فأخبروهم ، فذلك قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) هم أهل مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) . . . إلى آخر الآية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش ، قال : وخرج الشيطان في صورة سراقه بن جعشم ، حتى أتى أهل مكة ، فاستغواهم وقال : إن محمدا وأصحابه قد عرضوا لعيركم ، وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس من مثلكم ، وإني جار لكم ، أن تكونوا على ما يكره الله ، فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرؤحاء عينا للقوم ، فأخبره بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدكم العير أو القوم ، فكانت العير أحب إلى القوم من القوم ، كان القتال في الشوكة ، والعير ليس فيها قتال ، وذلك قول الله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : الشوكة : القتال ، وغير الشوكة : العير .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أبي حبيب ، عن أبي عمران ، عن أبي أيوب ، قال : أنزل الله جلّ وعزّ (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ) فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا ، طابت أنفسنا ، والطائفتان : عير أبي سفيان ، أو قریش .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران الأنصاري ، أحسبه قال : قال أبو أيوب (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ) ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) قالوا : الشوكة : القوم ، وغير الشوكة : العير ؛ فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما القوم ، طابت أنفسنا .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا غير واحد ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) : أن الشوكة قریش .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) هي عير أبي سفيان ، ود أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم ، وأن القتال صرف عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) : أي الغنيمة دون الحرب .

وأما قوله (أَنَّهَا لَكُمْ) ففتحت على تكرير يعيد ، وذلك أن قوله (يَعِدُّكُمْ اللَّهُ) قد عمل في إحدى الطائفتين .

فتأويل الكلام (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) : يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ، كما قال (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قال : (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) ، فأنت « ذات » لأنه مراد بها الطائفة .

ومعنى الكلام : وتودون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم ، دون الطائفة ذات الشوكة . القول في تأويل قوله (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) : بَيِّنَةٌ يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بكلماته ، يقول : بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار ، وأنتم تريدون الغنيمة والمال .

وقوله (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) يقول : يريد أن يحبب أصل الجاحدين توحيد الله . وقد بينا فيما مضى معنى دابر ، وأنه المتأخر ، وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم ، هذا خير لكم من العير .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) : أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر .

القول في تأويل قوله

لِيُحِقَّ الْحَقَّ ، وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين ، كما يحق الحق ، كما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام ، ويعز الإسلام ، وذلك هو تحقيق الحق . ويبطل الباطل : يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ، ولو كره ذلك الذين أجرموا ، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُحِقَّ الْحَقَّ ، وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) : هم المشركون ، وقيل : إن الحق في هذا الموضع : الله عز وجل .

القول في تأويل قوله

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَرْسَلْتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَدِّينَ (٩)

يقول تعالى ذكره (وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) حين تستغيثون ربكم ، فإذ من صلة يبطل ، ومعنى قوله : (تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) تستجيرون به من عدوكم ، وتدعونه بالنصر عليهم : (فاستجاب لكم) يقول : فأجاب دعاءكم (بأني أُرْسِلُكُمْ بِاللَّيْلِ) من الملائكة يرُدِّف بعضهم بعضا ، ويتلو بعضهم بعضا .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ذكر الأخبار بذلك .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : ثنا سهاك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم ، ونظر إلى أصحابه نيما على ثلاث مئة ، فاستقبل القبلة ، فجعل يدعو ويقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، لاتعبد في الأرض ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، وأخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفالك يا نبي الله ، بأبي وأمي مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ، فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَرْسَلْتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَدِّينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : لما اصطف

القوم ، قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقال :
يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قام النبي صلى
الله عليه وسلم ، فقال : « اللهم ربنا أنزلت على الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني بالنصر ،
ولا تخلف الميعاد ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فأنزل الله (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ
بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا ،
يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن ابن إسحاق ، عن زيد بن نفع ، قال :
كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يدعو ، يقول : « اللَّهُمَّ انصُرْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ كَمْ تَفْعَلْ لَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ
قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَعْضَ مَنَاشِدَتِكَ مَنَاجِدِكَ » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبل
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره ، فأنزل الله عليه الملائكة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ
رَبَّكُمْ) قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) : أي بدعائكم حين
نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ،
قال : لما كان يوم بدر ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة ، يدعو فأتاه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله بعض نيشدتك ، فوالله ليفين الله لك بما وعدك .

وأما قوله (أَلَنْ يُمَدِّدْكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فقد بينا معناه .
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(أَلَنْ يُمَدِّدْكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) يقول : المزيد ، كما تقول : ائت الرجل ، فزده
كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أحمد بن بشر ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(مُرْدِفِينَ) قال : متتابعين .

قال : ثني أبي ، عن سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُمِدُّكُمْ بِالْأَفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفَيْنِ) قال : وراء كل ملك ملك .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُرْدَفَيْنِ) قال : متتابعين .
قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج بن أرطاة ، عن قابوس ، قال : سمعت أبا ظبيان يقول :
(مُرْدَفَيْنِ) قال : الملائكة بعضهم على إثر بعض .
قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال (مُرْدَفَيْنِ) قال : بعضهم على أثر بعض .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (مُرْدَفَيْنِ) قال : ممدين . قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال (مُرْدَفَيْنِ) الإمداد بهم .
حدثني بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِالْأَفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفَيْنِ) :
أى متتابعين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بِالْأَفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفَيْنِ) : يتبع بعضهم بعضا .
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُرْدَفَيْنِ) قال : المردفين بعضهم على أثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِالْأَفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفَيْنِ) : يقول : متتابعين يوم بدر .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (مُرْدَفَيْنِ) بنصب الدال ، وقراه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين (مُرْدَفَيْنِ) . وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ، ويقول فيها ذكر عنه : هو من أردف بعضهم بعضا ، وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب ، وقال : إنما الإرداف : أن يحمل الرجل صاحبه خلفه ، قال : ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها ، فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك : إذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال : أردفته وقالوا : العرب تقول : أردفته وردفته ، بمعنى : تبعته وأتبعته ، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر :
إذا الجوزاء أردفت السريتا ظننت بيال فاطمة الظنونا

(١) البيت في (اللسان : ردف) نخزيمة بن مالك بن نهد . قال : وأردفه أمر : لغة في ردفه ، مثل تبعه وأتبعه بمعنى ، قال نخزيمة : إذا الجوزاء . . . البيت . يعني فاطمة بنت يذكر بن عتبة ، أحد القارظين . قال : ومعنى بيت نخزيمة على ما حكاه عن أبي بكر بن السراج : أن الجوزاء تردف الثريا في شدة الحر ، فتكبد السماء في آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فتفرق الناس

قالوا: فقال الشاعر: أَرَدَفَتْ، وإنما أراد رَدَفَتْ: جاءت بعدها، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا، وقالوا: معناه: إذا قرئ (مُرْدَفِينَ) أنه مفعول بهم، كأن معناه: بألفٍ من الملائكة يُرْدِفِ اللهُ بعضهم بعضا. وقال آخرون: معنى ذلك: إذا كسرت الدال: أردفت الملائكة بعضها بعضا، وإذا قرئ بفتحها: أردف الله المسلمين بهم.

والصواب من القراءة في ذلك عندي: قراءة من قرأ (بألفٍ من الملائكة مُرْدَفِينَ) بكسر الدال، لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم، أن معناه: يتبع بعضهم بعضا، ومتتابعين في إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح، على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال، بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضا، ومسموع من العرب: جئت مُرْدِفًا لفلان: أى جئت بعده.

وأما قول من قال: معنى ذلك: إذا قرئ (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال، أن الله أردف المسلمين بهم، فقول لا معنى له، إذ الذكر الذى في مردفين من الملائكة دون المؤمنين.

وإنما معنى الكلام: أن يمدكم بألفٍ من الملائكة يُرْدِفُ بعضهم بعضا، ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله، فقليل (مُرْدَفِينَ) بمعنى: مردف بعض الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله، وجب أن يكون في المردفين ذكر المسلمين، لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن.

وقد ذكر في ذلك قراءة أخرى، وهى ما حدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: قال عبد الله بن يزيد: مُرْدَفِينَ، ومُرْدَفِينَ، ومُرْدَفِينَ، منقل، على معنى: مُرْتَدَفِينَ.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعقوب بن محمد الزهرى، قال: ثنا عبد العزيز بن عمران عن الربيعى، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير، عن عليّ رضى الله عنه، قال: «نزل جبريل في ألف من الملائكة، عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها أبو بكر رضى الله عنه، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة، عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا فيها».

القول في تأويل قوله

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا، وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددا لكم، إلا بشرى لكم: أى بشارة لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) في طلب المياه، فتغيب عنه محبوبته، فلا يدرى أين مضت، ولا أين نزلت؟ وفي حديث بدر: «فأقدم الله بألف من الملائكة مردفين»: أى متتابعين، يردف بعضهم بعضا.

يقول : ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم ، وتوقن بنصرة الله لكم . (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) : يقول : وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون ، إلا أن ينصركم الله عليهم ، لا بشدة بأسكم وقواكم ، بل بنصر الله لكم ، لأن ذلك بيده وإليه ، ينصر من يشاء من خلقه . (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) : يقول : إن الله الذي ينصركم ، ويده نصر من يشاء من خلقه ، عزيز : لا يقهره شيء ، ولا يغلبه غالب ، بل يقهر كل شيء ، ويغلبه ، لأنه خلقه . حكيم : يقول : حكيم في تدبيره ونصره من نصر ، وخذلانه من خذل من خلقه ، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل .

وروى عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول : ما مد النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مُرَدِّفِينَ ، وذكر الثلاثة والحمسة بَشْرَى ، مامدوا بأكثر من هذه الألف ، الذي ذكر الله عز وجل في الأنفال . وأما الثلاثة والحمسة ، فكانت بَشْرَى ، وقد أتينا على ذلك في سورة آل عمران بما فيه الكفاية .

القول في تأويل قوله

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ، وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرًا بِهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ، فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرَأَيْتَ ، فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ، وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَاتٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ولتطمئن به قلوبكم إذ يغشاكم النعاس ، ويعني بقوله (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) : يلقى عليكم النعاس . (أَمَنَةً) : يقول : أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم ، وكذلك النعاس في الحرب أمانة من الله عز وجل .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن عبد الله ، قال : النعاس في القتال أمانة من الله عز وجل ، وفي الصلاة من الشيطان .

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، في قوله : يغشاكم النعاس أمانة منه ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن عبد الله ، بنحوه ، قال : قال عبد الله : فذكر مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن عبد الله بنحوه ، والأمانة : مصدر من قول القائل : أمّنت من كذا أمانة وأمانا وأمنا ، وكل ذلك بمعنى واحد . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمْنَةٌ مِنْهُ) : أمانا من الله عز وجل .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمْنَةٌ) قال : أمانا من الله .

حدثني يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِذْ يُغَشِّيكُمُْ النَّعَاسَ - أَمْنَةٌ مِنْهُ) قال : أنزل الله عز وجل النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ ، فقرأ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا) .
واختلفت القراءة في قراءة قوله (إِذْ يُغَشِّاكُمُْ النَّعَاسُ أَمْنَةٌ مِنْهُ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (يُغَشِّيكُمُْ النَّعَاسَ) بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس ، من أغشاهم الله النعاس ، فهو يُغَشِّيهُم . وقراءته عامة قراء الكوفيين (يُغَشِّيكُمُْ) بضم الياء وتشديد الشين ، من غَشَّاهم الله النعاس ، فهو يُغَشِّيهُم ؛ وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (يَغَشِّاكُمُْ النَّعَاسُ) بفتح الياء ورفع النعاس ، بمعنى غَشَّيهُم النعاس ، فهو يَغَشِّاهُم ، واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك ، بقوله في آل عمران (يَغَشِّي طائفةً) .
وأولى ذلك بالصواب : (إِذْ يُغَشِّيكُمُْ) على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، لإجماع جميع القراء على قراءة قوله (وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عز وجل ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك (يُغَشِّيكُمُْ) إذ كان قوله (وَيُنزِّلُ) عطفًا على يَغَشِّي ، ليكون الكلام متسقًا على نحو واحد .

وأما قوله عز وجل (وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمُ بِهِ) فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبيين على غير ماء ، فلما أنزل الله عليهم الماء ، اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به ، من إصباحهم مجنبيين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر ، فذلك ربطه على قلوبهم ، وتقويته أسبابهم ، وتثبيتته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقموا مع عدوهم على رملة هتشاء ، فليدّها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لانسوخ فيها ، توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ، وأوليائه أسباب التمكّن من عدوهم ، والظفر بهم .

وبمثل الذي قلنا تنابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم .

ذكر الأخبار الواردة بذلك .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي رضي الله عنه ، قال : أصابنا من الليل طش من المطر ، يعنى الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظلّ تحبها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعوه ربه : « اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ ، فَلَمَّا أَنْ تَطَّلَعَ الْفَجْرُ نَادَى :
الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث وأبو خالد ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب (إمام) لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ) قال : طَشَّ يَوْمَ بَدْرٍ .

حدثني الحسن بن يزيد ، قال : ثنا حفص ، عن داود ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ وعبد الأعلى ، عن داود ، عن الشعبي وسعيد بن المسيب ، قالوا : طَشَّ يَوْمَ بَدْرٍ .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن الشعبي وسعيد بن المسيب في هذه الآية :
(يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ ، وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ) قالوا :
طَشَّ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَثَبَّتَ اللَّهُ بِهِ الْأَقْدَامَ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ
أَمَنَةً مِنْهُ) . . . الآية ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ مُطِّرُوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى سَالَ الْوَادِي مَاءً ، وَاقْتَتَلُوا عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ ،
فَلَبِدهُ اللَّهُ بِالمَاءِ ، وَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَتَوَضَّأُوا وَسَقَمُوا ، وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسْوَاسَ الشَّيْطَانِ .

حدثني المنني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : نَزَلَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَعْنِي حِينَ سَارَ إِلَى بَدْرٍ ، وَالْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المَاءِ رَمْلَةٌ دَعْصَةٌ ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ
ضَعْفٌ شَدِيدٌ ، وَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمُ الْغَيْظَ ، فَسُوسَ بَيْنَهُمْ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ،
وَقَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى المَاءِ ، وَأَنْتُمْ تَصَلُونَ مُجْنِبِينَ ، فَأَمْطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطْرًا شَدِيدًا ، فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ
وَتَطَهَّرُوا ، وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَثَبَّتَ الرَّمْلَ حِينَ أَصَابَهُ المَطَرُ ، وَمَشَى النَّاسُ عَلَيْهِ وَالدَّوَابُّ ،
فَسَارُوا إِلَى الْقَوْمِ ، وَأَمَدَّ اللَّهُ نَبِيَهُ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خَمْسٍ مِئَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُجَنَّبَةً ، وَمِيكَائِيلُ فِي خَمْسٍ مِئَةٍ مُجَنَّبَةً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا العوفي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) . . . إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ
مَنْ قَرِيشَ لَمَّا خَرَجُوا لِيَنْصُرُوا الْعَبِيرَ ، وَيَقَاتِلُوا عِنْدَهَا ، نَزَلُوا عَلَى المَلَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَغَلَبُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ، فَأَصَابَ
الْمُؤْمِنِينَ الظَّمَا ، فَجَعَلُوا يَصَلُونَ مُجْنِبِينَ مُحَدِّثِينَ ، حَتَّى تَعَاظَمَ ذَلِكَ فِي صُدُورِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَتَّى سَالَ الْوَادِي ، فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَمَلَأُوا الْأَمْقِيَةَ ، وَوَسَقُوا الْبُرُكَابَ
وَاعْتَسَلُوا مِنَ الْجَنَابَةِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ طَهُورًا ، وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ بِذَلِكَ ، أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ رَمْلَةٌ ،
فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا المَطَرَ ، فَضَرَبَهَا حَتَّى اشْتَدَّتْ ، وَثَبَّتَتْ عَلَيْهَا الْأَقْدَامَ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثنا

(١) الدعصة : الطائفة من الرمل المجتمع (اللسان : جعل) لينة رطبة من الماء تهب على رءوس الناس في يوم الجمعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر ، فنزلوا عليه ، وانصرف أبو سفيان وأصحابه ، تلقاء البحر ، فانطلقوا ، قال : فنزلوا على أعلى الوادي ، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم في أسفله ، فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجْنِبُ ، فلا يقدر على الماء ، فيصل جُنُبًا ، فألقى الشيطان في قلوبهم ، فقال : كيف ترجون أن تظهروا عليهم ، وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء ، قال : فأرسل الله عليهم المطر ، فاغتسلوا وتوضئوا وشربوا ، واشتدت لهم الأرض ، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم ، فاشتدت لهم من المطر ، واشتدوا عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمى المسلمون ، وصلوا مجننين محدثين ، وكانت بينهم رمال ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، فقال : تزعمون أن فيكم نبيا ، وأنكم أولياء الله ، وقد غلبتم على الماء ، وتصلون مجننين محدثين . قال : فأنزل الله ماء من السماء ، فسال كل واد ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبتت أقدامهم ، وذهبت وسوسة الشيطان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : المطر أنزله عليهم قبل النعاس . رجز الشيطان : قال : وسوسته ، قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) أنزله عليهم قبل النعاس ، طبق بالمطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام ، أنزل عليهم مثل النعاس ، طبق بالمطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : القطر ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وساوسه ، أطفأ بالمطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : رجز الشيطان : وسوسته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : هذا يوم بدر ، أنزل عليهم القطر (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) الذي ألقى في قلوبكم : ليس لكم بهؤلاء طاقة (وَلِيَرِيْبُطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) . . . إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) : أن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأ ، وصلوا محدثين مجننين ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، ووسوس فيها : إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأن محمداً نبي الله

وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجنبيين ، فأمطر الله السماء حتى سال كل واد ، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم ، وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبت الله به الأقدام ، وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ، ولا يمشی فيها الماشي إلا بجهد ، فضر بها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت فيها الأقدام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) : أى أنزلت عليكم الأمانة حتى نتم لا تخافون ، ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة ، فحُبِسَ المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وَخُلِيَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ (لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) : ليذهب عنهم شك الشيطان ، بتخوفه إياهم ، وعدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبق إليه عدوهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ، وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ ، وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) حتى تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب ، وقال مرة قرأ (وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمُْ بِهَا) فقال سعيد : إنما هي (وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمُْ بِهِ) قال : وقال الشعبي : كان ذلك طشا يوم بدر . وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ، أن مجاز قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) : ويفرغ عليهم الصبر ، ويزله عليهم ، فيثبتون لعدوهم . وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين ، وحسب قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا . وقد بينا أقوالهم فيه ، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتليد المطر الرمل ، حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم .

وأما قوله (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمُْ بِهِ) : أنصركم (فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : قووا عزمهم ، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين ، وقد قيل : إن تثبيت الملائكة المؤمنين ، كان حضورهم حربهم معهم ، وقيل : كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم ، وقيل : كان ذلك بأن الملائكة يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت هؤلاء القوم ، يعنى المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك ، فتقوى أنفسهم ، قالوا وذلك كان وحى الله إلى ملائكته .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) : أى فأزروا الذين آمنوا .

أن يقال: إن الله أمر بضرب رءوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم، أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرًا .
وأما قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) فإن معناه: واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك قول الشاعر:

ألا لَيْتَنِي قَطَعْتُ مِنْهُ بَنَانَةً وَلَا قَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانِ حَاذِرًا
يعني بالبنانة: واحدة البنان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال: كل مفصل .

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال: المفاصل، قال: ثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال:

كل مفصل .
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن يزيد، عن عكرمة (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال: الأطراف، ويقال: كل مفصل .

حدثني المثني، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) يعني بالبنان: الأطراف .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال: الأطراف .

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) : يعني الأطراف .

القول في تأويل قوله

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)

(١) البيت في (اللسان: بن) قال: والبنان: الأصابع. وقيل أطرافها، وأحدتها: بنانة. وأشد ابن بري لعباس بن مرداس: ألا ليتي . . . البيت . وقوله عز وجل: « وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » : قال أبو إسحاق: البنان هاهنا: جميع أعضاء البدن. وحكى الأزهرى عن الزجاج، قال: واحد البنان: بنانة. ومنها هاهنا: الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء. وقال الليث: البنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين. قال: والبنان في كتاب الله: هو الشوى، وهي الأيدي والأرجل. قال: والبنانة: الإصبع اه. وقال الفراء في معاني القرآن (ص ١١٧ مصورة جامعة القاهرة) وقوله: فاضربوا فوق الأعناق: علمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرموس والأيدي والأرجل، فذلك قوله: واضربوا منهم كل بنان، اه. والحاذر: المستعد للقتال بالسلاح .

يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق ، وضرب كل بنان منهم ، جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله ، وعقاب لهم عليه ؛ ومعنى قوله (شاقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) : فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما ، وأطاعوا أمر الشيطان . ومعنى قوله (وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ) : ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله ، وفارق طاعتهما (فإنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له ، وشدة عقابه له في الدنيا : إحلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم ، وفي الآخرة الخلود في نار جهنم ، وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها .

القول في تأويل قوله

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ ، وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)

يقول تعالى ذكره : هذا العقاب الذى عجلته لكم أيها الكافرون ، المشاققون لله ورسوله في الدنيا ، من الضرب فوق الأعناق منكم ، وضرب كل بنان بأيدى أوليائى المؤمنين ، فذوقوه عاجلا ، واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار .

ولفتح « أن » من قوله (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) من الإعراب وجهان : أحدهما الرفع ، والآخر النصب ، فأما الرفع فبمعنى : ذلكم فذوقوه ، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم ، كأنه قيل : ذلكم الأمر وهذا . وأما النصب فن وجهين : أحدهما ذلكم فذوقوه ، واعلموا ، أو أيقنوا أن للكافرين ، فيكون نصبه بنية فعل مضممر ، قال الشاعر :

وَرَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

بمعنى : وحاملا رمحا ، والآخر بمعنى : ذلكم فذوقوه ، وبأن للكافرين عذاب النار ، ثم حذف الباء فنصبت .

القول في تأويل قوله

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولِهِمْ
يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبئسَ الْمَصِيرُ (١٦)

يعنى تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في القتال . (زَحْفًا) : يقول : متزاحفا بعضكم إلى بعض ، والتزاحف : التدانى والتقارب (فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ) يقول : فلا تولوهم ظهوركم ، فتنهزوا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم (وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ)

(١) البيت تقدم إنشاده في عدة مواضع من التفسير ، وشرحناه في (ج ٣ : ٢٧٥) .

دُبْرَةٌ) يقول : ومن يولهم منكم ظهره . إلا متحرفاً لقتال : يقول : إلا مستطرداً لقتال عدوه ، بطلب عورة له يمكنه إصابتها ، فيكره عليه . أو متحيزاً إلى فئة ، أو إلا أن يولهم ظهره متحيزاً إلى فئة ، يقول : صائراً إلى حيز المؤمنين الذين يفتنون به معهم إليهم لقتالهم ، ويرجعون به معهم إليهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (إلا متحرفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَسِّباً إِلَى فِئَةٍ) قال : المتحرف : المتقدم من أصحابه ، ليرى غرة من العدو فيصيدها ، قال : والمتحيز : الفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه ، قال الضحاك : وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أن لا يفرّوا ، وإنما كان النبي عليه الصلاة والسلام فتحهم .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) إلا متحرفاً لِقِتَالٍ ، أو مُتَحَسِّباً إِلَى فِئَةٍ) أما المتحرف : يقول : إلا مستطرداً ، يريد العودة ، أو متحيزاً إلى فئة ، قال : المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة ، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام .

واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) إلا متحرفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَسِّباً إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ) هل هو خاص في أهل بدر ، أم هو في المؤمنين جميعاً ، فقال : قوم هو لأهل بدر خاصة ، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه ، وينهزموا عنه ، فالיום أفلهم الانهزام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي نضرة ، في قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال : ذلك يوم بدر ، ولم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحاز أحد لم ينحز إلا إلى . قال أبو موسى : يعني إلى المشركين .

حدثنا إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قوله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين ، ولم يكن يومئذ مسلم في الأرض غيرهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن مفضل ، قال : ثنا داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : نزلت في يوم بدر (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) .

حدثني ابن المنثري ، وعلى بن مسلم الطوسي ، قال ابن المنثري : ثنا عبد الصمد ، وقال علي : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن داود ، يعني ابن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد (وَمَنْ)

يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: يوم بدر، قال أبو موسى: حدثت أن في كتاب غُنْدَرٍ هذا الحديث، عن داود، عن الشعبي، عن أبي سعيد.

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا علي بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي نصر، عن أنس بن سويد الخُدْرِي، قال: إنما كان ذلك يوم بدر، لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بعد ذلك، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي نصر (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: هذه نزلت في أهل بدر.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع أسأله، عن قوله (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) أكان ذلك اليوم، أم هو بعد؟ قال: وكتب إلى: إنما كان ذلك يوم بدر.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا زيد، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: إنما كان الفرار يوم بدر، ولم يكن لهم ملجأ يلجئون إليه، فأما اليوم فليس فرار.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبار، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل،

عن الضحاك (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، قال: ثنا روح بن عبادة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: نزلت في أهل بدر.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: ذلكم يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر، أحسبه قال: فلا بأس به.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال: إنما هذا يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، قال: ثنا يزيد ابن أبي حبيب، قال: أوجب الله لمن فر يوم بدر النار، قال (وَمَنْ يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) إلا

مُتَّحِرَةً أَلْقِيَالِ، وَأَوْ مُتَّحَسِّرَةً إِلَى فِئَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِ اللَّهِ (فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال) إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ (ثم كان حنين بعد

ذلك يسبع سنين، فقال) ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا ابن عون، عن محمد، أن عمر رضى الله عنه بلغه

قتل أبي عبيد، فقال: لو تحيز إلى لكنت له فئة.

(١) غندر: لقب محمد بن جعفر المذلي، مولاهم البصري أبو عبد الله الكرابيسي الحافظ ربيب شعبة بن الحجاج توفي سنة ١٩٤ أو ١٩٥ هـ.

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنا قيس بن سعيد ، قال : سألت عطاء بن أبي رباح ، عن قوله (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ) قال : هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) قال : وليس لقوم أن يفروا من مثلهم ، قال : ونسخت تلك إلا هذه العدة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، قال : لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر ، فقال : يا أيها الناس ، أنا فتنكم . قال ابن المبارك ، عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال عمر رضي الله عنه : أنا فنة كل مسلم . وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عام في كل من ولى الدبر عن العدو منهزما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أكبر الكبائر : الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عز وجل يقول : (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ ... فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) . وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي : قول من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت في أهل بدر ، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين ، وإن الله حرم على المؤمنين إذا لَقُوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرف القتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين ، حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما ، بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

وإنما قلنا : هي محكمة غير منسوخة ، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية ينسخ ، وله في غير النسخ وجه ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خير يقطع العذر ، أو حجة عقل ، ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ ، إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) .

وأما قوله (فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) يقول : فقد رجع بغضب من الله : (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) . يقول : ومصيره الذي يصير إليه في معاده يوم القيامة ، جهنم وبئس المصير ، يقول : وبئس الموضع الذي يصير إليه ذلك المصير .

قُلْ تَقَاتِلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتِلُهُمْ ، وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسِينًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش، فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم، وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به، الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، ففي ذلك أدلّ الدليل على فساد قول المنكرين، أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به، ووصلوا إليها، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله، فيقال للمسلمين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيه به، وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله، الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتساب بالقوى، فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حين قال هذا: قتلت، وهذا. قتلت (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال لمحمد حين حصّب الكفار.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال: رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، قال: ما وقع منها شيء إلا في عين رجل.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، قال: لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال: هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ، ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم، قد سبقهم إليه، ونزل عليه، فلما طلعا عليه، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِحِيلِهَا وَفَخَّرَهَا، وَتَكَدَّبَ رَسُولُكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي؛ فلما أقبلوا استقبلهم، فحنا في وجوههم، فهزمهم الله عز وجل.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز بن عمران، قال: ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة،

عن حكيم بن حزام ، قال : لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية ، فأنهز منا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القُرظي ، قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه ، فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) . . . الآية ، إلى (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) . . . الآية ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ، ورمى بها في وجوه الكفار ، فهزموا عند الحجر الثالث .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلى رضي الله عنه : أعطيتني حصا من الأرض ، فناوله حصي عليه تراب ، فرمى به وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم رد قههم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال (فَلَمَّ تَقَاتَلُوا هُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات ، فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه ، فأنهزوا ، فذلك قول الله عز وجل (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر ، فقال : يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) : أي لم يكن ذلك برميته ، لولا الذي جعل الله فيها من نصره ، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمتهم .

وروى عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الأقوال ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال : « جاء أبي بن خلف الجمحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، فقال : الله محبي هذا يا محمد وهو رميم ، وهو يفت

العظيم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يُحْيِيهِ اللهُ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ . قال : فلما كان يوم أحد ، قال : والله لأقتلن محمدا إذا رأيته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .
 وأما قوله (وَلِيُسَبِّلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا) فإن معناه : ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم ، ويغنمهم مامعهم ، ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك البلاء الحسن ، رضى الله هؤلاء المشركين ، ويعنى بالبلاء الحسن : النعمة الحسنة الجميلة ، وهي ما وصفت ، وما فى معناه .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال فى قوله (وَلِيُسَبِّلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا) : أى ليعرف المؤمنون من نعمه عليهم ، فى إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم ، وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ، وليشكروا بذلك نعمته .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعنى : إن الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومناشدته ربه ، ومستلته إياه إهلاك عدوه وعدوكم ، ولقيلكم ، وقيل جميع خلقه ، عليم بذلك كله ، وبما فيه صلاحكم ، وصلاح عباده ، وغير ذلك من الأشياء مُحِيطُ بِهِ ، فاتقوه وأطيعوا أمره ، وأمر رسوله .

القول فى تأويل قوله

ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨)

يعنى جل ثناؤه بقوله (ذَلِكُمْ) : هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم ، حتى انهزموا ، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن ، بالظفر بهم ، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم ، فعلنا الذى فعلنا (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) يقول : واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين ، يعنى مكرهم ، حتى يذلوا ، وينقادوا للحق ويهلكوا . وفى فتح « أن » من الوجوه ما فى قوله (ذَلِكُمْ فَدُوقُوهُ ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ) وقد بيئته هنالك .

وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله (مُوهِنٌ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين (مُوهِنٌ) بالتشديد ، من وهنت الشئ : ضعفته . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (مُوهِنٌ) من أوهنته فأنا موهنته ، بمعنى أضعفته ، والتشديد فى ذلك أعجب إلى ، لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، عقدا بعد عقد ، وشيئا بعد شئ ، وإن كان الآخر وجها صحيحا .

القول فى تأويل قوله

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَبِهِوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ، وَلَنْ

تَغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)

التقى القوم : أينا أقطع للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحينه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله في ذلك : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية ، يقول : قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة ، واستنصروا الله ، وقالوا : اللهم انصر أعز الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين ، فقال الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) يقول : نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . إلى قوله (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيبرهم ، وإن أهل العير : أبا سفيان وأصحابه ، أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم ، فقال أبو جهل : أينا كان خيرا عندك فانصره ، وهو قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) يقول : تستنصروا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) قال : إن تستفتحوا العذاب ، فعذبوا يوم بدر ، قال : وكان استفتاحهم بمكة ، قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ) قال : فجاءهم العذاب يوم بدر ، وأخبر عن يوم أحد (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ ، وَلَكِنْ نَغْنِي عَنْكُمْ فِئَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، قال : قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أهدي الفئتين ، وخير الفئتين وأفضل ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، أن أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر ، وقال : اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه ، فأحينه اليوم ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير : أن أبا جهل ، قال يوم بدر : اللهم أقطعنا لرحمه ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ، وكان ذلك استفتاحا منه ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، قال : كان المستفتح يوم بدر أبا جهل ، قال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله

ابن ثعلبة بن صعير ، حليف بني زهرة ، قال : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعضهم ، قال أبو جهل اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحينه الغداة ، فكان هو المستفتح على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال الله : (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) لقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحينه الغداة ، قال : الاستفتاح : الإنصاف في الدعاء .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان وغيره ، قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أحب الدينين إليك ، ديننا العتيق ، أم دينهم الحديث ، فأنزل الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) . . . إلى قوله (وأن الله مع المؤمنين) .

وأما قوله (وإن تنتهوا فهو خير لكم) فإنه يقول : وإن تنهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله ، وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم . (وإن تعودوا نعد) يقول : وإن تعودوا لحره وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين ، نعد : أى بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر .

وقوله (ولئن تغني عنكم فيئتكم شيئا ولو كثرت) يقول : وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائى وهزيمتكم ، ولن تغني عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسيبكم وهزمكم ، فيئتكم شيئا ولو كثرت ، يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين ، كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المؤمنين شيئا (وأن الله مع المؤمنين) يقول جل ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده ، على من كفر به منهم ، ينصرهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله (وإن تنتهوا فهو خير لكم) قال : يقول لقريش : وإن تعودوا نعد لمثل الواقعة التي أصابتكم يوم بدر (ولئن تغني عنكم فيئتكم شيئا ولو كثرت) ، وأن الله مع المؤمنين : أى وإن كثرت عددكم فى أنفسكم ، لن يغني عنكم شيئا ، وأن الله مع المؤمنين ، ينصرهم على من خالفهم .

وقد قيل : إن معنى قوله (وإن تعودوا نعد) : وإن تعودوا للاستفتاح ، نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا القول لامعنى له ، لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه ، إظهار دينه ، وإعلاء كلمته ، من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه ، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك : إن تنهوا عن الاستفتاح ، فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، لأن الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصيرهم لقدير) : استفتح المشركون أو لم يستفتحوا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ) : إن تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَلَنْ تَغْنِيَّ عَنْكُمْ فِئْتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) : محمد وأصحابه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) ففتحها عامة قراءة أهل المدينة بمعنى : ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين ، فعطف بأن على موضع ولو كثرت ، كأنه قال لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين ، ويكون موضع أن حينئذ نصباً على هذا القول . وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت على (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) ، (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) عطفاً بالأخرى على الأولى . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين (وَإِنَّ اللَّهَ) بكسر الألف ، على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله (وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

﴿ وَأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من كسر « إن » للابتداء ، لتقتضى الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله (وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) . ﴾

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)

﴿ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) : فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه (وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ) يقول : ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مخالفين أمره ونهيه ، وأنتم تسمعون أمره وإياكم ونهيه ، وأنتم به مؤمنون . ﴾

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وترعون أنكم مؤمنون .

القول في تأويل قوله

وَلَا تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)

﴿ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم ، قالوا : قد سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون ، يقول : وهم لا يعتبرون ما يسمعون بأذانهم ، ولا ينتفعون به ، لإعراضهم عنه ، وتركهم أن يوعوه قلوبهم ، ويتدبروه ، فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن ، وإن كانوا قد سمعوا بأذانهم ، بمنزلة من لم يسمعها . يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله ، وترك الانتهاء إليه ، وأنتم تسمعون بأذانكم ، كهؤلاء المشركين الذين

يسمعون مواظب كتاب الله بأذآتهم، ويقولون: قد سمعنا، وهم عن الاستماع لها، والاتعاظ بها، معرضون، كمن لم يسمعها.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك، ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) : أي كالمناققين الذين يظهرون له الطاعة، ويسرون المعصية. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) قال: عاصون.

حدثني المنثي، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. وللذي قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) في سياق قصص المشركين، ويتلوه الخبر عنهم بدمهم، وهو قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ) فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم، أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم.

القول فينا ويل قوله

* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: إن شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله، الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به، ويتعضوا به، وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ) قال: الدواب: الخلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، عن عكرمة، قال: وكانوا يقولون: إنا صم بكم عما يدعوننا إليه محمد، لانسمعه منه، ولا نجيبه به بتصديق، فقتلوا جميعا بأحد، وكانوا أصحاب اللواء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الصم البكم: الذين لا يعقلون، قال: الذين لا يتبعون الحق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ) وليس بالأصم في الدنيا، ولا بالأبكم، ولكن صم القلوب وبكمها وعميها، وقرأ (فَلِأَنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).
واختلف فيمن عنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها نفر من المشركين.

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : الصمُّ البكم الذين لا يعقلون : نفر من بني عبد الدار ، لا يتبعون الحق .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصمُّ البكم الذين لا يعقلون) قال : لا يتبعون الحق ، قال : قال ابن عباس : هم نفر من بني عبد الدار .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
وقال آخرون : عني بها المنافقون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إن شرَّ الدوابِّ عند الله الصمُّ البكم الذين لا يعقلون) : لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة .
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال بقول ابن عباس ، وأنه عني بهذه الآية مشركو قريش ، لأنها في سياق الخبر عنهم .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

اختلف أهل التأويل ، فيمن عني بهذه الآية وفي معناها ، فقال بعضهم : عني بها المشركون ، وقال : معناها : إنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمنوا به ، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، وله (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) وقالوا : لولا اجتنابها ، ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله « وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ » قال : لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ، ما انتفعوا بذلك ، ولتولوا وهم معرضون .
وحدثني به مرة أخرى ، فقال : لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم ، بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به .
وقال آخرون : بل عني بها المنافقون .

قالوا : ومعناه : ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ

خَيْرًا لَّاسْمَعَهُمْ) لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ، فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه .
 وأولى القول في تأويل ذلك بالصواب عندى : ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة ، وأن ذلك ليس من صفة المنافقين .

فتأويل الآية إذن : ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعيبره ، حتى يعقلوا عن الله حججه منه ، ولكنه قد علم أنه لاخير فيهم ، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا ، لتولوا عن الله ، وعن رسوله ، وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته ، مواعظ الله وعبره وحججه ، معاندون للحق بعد العلم به .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فقال بعضهم : معناه : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان .
 ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : أما يحييكم فهو الإسلام ، أحياءم بعد موتهم : بعد كفرهم .
 وقال آخرون : للحق .
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : للحق .
 وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى ما في القرآن .
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : هو هذا القرآن ، فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة .

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى الحرب ، وجهاد العدو .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) : أي للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق ، وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلا فيه الأمر بإجابتهم ، لقتال العدو والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المحيب . أما في الدنيا ، فيقال : الذكر الجميل ، وذلك له فيه حياة . وأما في الآخرة ، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها .

وأما قول من قال : معناه : الإسلام ، فقول لامعنى له : لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان .

وبعد ، ففيما حدثنا أحمد بن المقدم العجلي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي ، وهو يصلي ، فدعاه : أي أبي ، فالتفت إليه أبي ، ولم يجبه ، ثم إن أبيًا خفف الصلاة ، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك : أي رسول الله ، قال : وَعَلَيْكَ ، ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني ؟ قال : يا رسول الله كنت أصلي ، قال : أفلم تجبني فيما أوحى إلي ؟ (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ؟ قال : بلى ، يا رسول الله ، لا أعود .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي ، فصرخ به ، فلم يجبه ، ثم جاء فقال : يا أبي ، ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ، أليس الله يقول (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال أبي : لا جرم يا رسول الله ، لاندعوني إلا أجبت ، وإن كنت أصلي - ما بين ١ عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم ، بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم ، لأن أبيًا لاشك أنه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين .

القول في تأويل قوله (وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ) :

(١) قوله « ما بين » : مبتدأ تقدم خبره ، وهو قوله « ففيا » .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبيرة (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : بين الكافر أن يؤمن ، وبين المؤمن أن يكفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثورى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبيرة ، بنحوه .

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جبيرة ، مثله .

حدثني أبو السائب وابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن وبين الكافر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله .

قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن والكافر ، وبين الكافر والإيمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، وعبد العزيز بن أبي رواد ، عن الضحاك ، فى قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وطاعته ، وبين المؤمن ومعصيته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روى ، عن الضحاك بن مزاحم ، بنحوه . قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : يحول بين المرء وبين أن يكفر ، وبين الكافر وبين أن يؤمن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبي رواد ، عن الضحاك ابن مزاحم (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وبين طاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا ابن أبي رواد ، عن الضحاك ، نحوه . وحدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت

الضحاك بن مزاحم يقول ، فذكر نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن منهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبد العزيز

ابن أبي رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن ومعصيته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، ويحول بين الكافر وبين الإيمان : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، ويحول بين المؤمن وبين معصيته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن ليث ، عن مجاهد (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي رواد ، عن الضحاك (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، وبين المؤمن وبين معصيته .

قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يحول بين المؤمن والمعاصي ، وبين الكافر والإيمان .

قال : ثنا عبيدة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بينه وبين المعاصي .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يحول بين المرء وعقله ، فلا يدري ما يعمل .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا عبد الحميد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المرء وعقله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) حتى يتركه لا يعقل .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هي يحول بين المرء وقلبه ، حتى يتركه لا يعقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، عن حميد ، عن مجاهد (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل ؟

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)

قال : يحول بين قلب الكافر ، وأن يعمل خيرا .

وقال آخرون : معناه يحول بين المرء وقلبه ، أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه قريب من قلبه ، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هي كقوله (أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .

وأولى الأقوال بالصواب عندى في ذلك : أن يقال : إن ذلك : خبر من الله عز وجل ، أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من إيمان أو كفر ، أو أن يعى به شيئا ، أو أن يفهم إلا بإذنه ومشئته ، وذلك أن الحول بين الشيء والشيء ، إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه ، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل . وإذا كان ذلك معناه ، دخل في ذلك قول من قال : يحول بين المؤمن والكافر ، وبين الكافر والإيمان ، وقول من قال : يحول بينه وبين عقابه ، وقول من قال : يحول بينه وبين قلبه ، حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه ، لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه . ما منع إدراكه به على ما بينت . غير أنه ينبغي أن يقال : إن الله عم بقوله : (وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخص من المعاني التى ذكرنا شيئا دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعاني ، فالخبر على العموم ، حتى يخصه ما يجب التسليم له .

وأما قوله (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه ، أن الله الذى يقدر على قلوبكم ، وهو أملك بها منكم ، إليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة ، فيوفىكم جزاء أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه ، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحيبكم ، فيوجب ذلك نخطه ، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه .

القول فى تأويل قوله

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ورسوله : اتقوا أيها المؤمنون فتنة ، بقول : اختبارا من الله يختبركم ، وبلاء يبتليكم ، لانتصين هذه الفتنة التى حذرتكموها الذين ظلموا ، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله ،

إما أجرام أصابوها ، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها ، يحدّهم جلّ ثناؤه أن يركبوا له معصية ، أو يأتوا مآثما ، يستحقون بذلك منه عقوبة . وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين عُنُوا بها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا الحسن بن أبي جعفر ، قال : ثنا داود ابن أبي هند ، عن الحسن ، في قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير ، رضی الله عنهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال قتادة : قال الزبير بن العوام : لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ، ثم خصتنا في إصابتنا خاصة .

حدثني المثني ، قال : ثنا زيد بن عوف أبو ريعة ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أن الزبير بن العوام ، قال : نزلت هذه الآية (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) وما نظرنا أهلها ، ونحن عُنِينَا بها .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفیان ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن صهبان ، قال : سمعت الزبير بن العوام يقول : قرأت هذه الآية زمانا ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعشورون بها (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) ، وأعلموا أن الله شديد العقاب .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : هذه نزلت في أهل بدر خاصة ، وأصابهم يوم الجمل ، فاقتلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن السدي (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) وأعلموا أن الله شديد العقاب) قال : أصحاب الجمل .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) ؟ قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم الله بالعذاب ،

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : هي أيضا لكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : الفتنة : الضلالة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : ما منكم من

أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، إن الله يقول (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فليستعد بالله من مضيلات الفتن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قال الزبير : لقد خوَّفنا بها ، يعني قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) .
واختلف أهل العربية في تأويل ذلك ، فقال بعض نحوِّي البصرة (اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ) قوله : لاتصيبن ، ليس بجواب ، ولكنه نهى بعد أمر ، ولو كان جوابا ما دخلت النون . وقال بعض نحوِّي الكوفة : قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ) أمرهم ثم نهاهم ، ومنكم ظرف من الجزاء وإن كان نهيًا ، قال : ومثله قوله (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ) أمرهم ثم نهاهم ، وفيه تأويل الجزاء ، وكأن معنى الكلام عنده : اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم .
وأما قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فإنه تحذير من الله ، ووعد لمن واقع الفتنة التي حذرته إياها بقوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) يقول : اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه ، وخالف أمره ، فأثم به .

القول في تأويل قوله

وَأَذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ، فَتَأْوُواكُمْ
وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)

وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناجحة ، يقول : أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون ، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يبيحكم ، ولا تخالفوا أمره ، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدّة ، فإن الله يهونه عليكم بطاعتكم إياه ، ويعجل لكم منه ما تحبون ، كما فعل بكم إذ آثمت به واتبعتموه ، وأنتم قليل يستضعفكم الكفار ، فيفتنونكم عن دينكم ، وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم ، تخافون منهم أن يتخطفوكم ، فيقتلوكم ، ويصطلموا جميعكم . فأوأكم ، يقول : فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم (وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ) يقول : وقواكم بنصره عليهم ، حتى قتلتم منهم من قتلتم بيد (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا . (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) : يقول : لكي تشكروا على ما رزقكم ، وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم .

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عسّوا بقوله (أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) فقال بعضهم : كفار قريش .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله

(وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قال :
يعنى بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي أو قتادة أو كليهما (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ) أنها نزلت في يوم بدر ، كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس ، فآواهم الله وأيدهم بنصره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقال آخرون : بل عني به غير قريش .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت وهب ابن منبه يقول في قوله عز وجل (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قال : فارس .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول ، وقرأ (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) والناس إذ ذاك : فارس ، والروم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ) قال : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً ، وأجوعه بطوناً ، وأعره جلوداً ، وأبينه ضلالاً ، من عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات منهم ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلة من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرف منهم منزلاً ، حتى جاء الله بالإسلام ، فمكّن به في البلاد ، ووسّع به في الرزق ، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس ، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فإن ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى .

وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عني بذلك مشركه قريش ، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدّهم عليهم يومئذ ، مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين .

وأما قوله (فَأَوَّاكُمُ) فإنه يعنى : آواكم المدينة ، وكذلك قوله (وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ) بالأنصار .
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَأَوَّاكُمُ) قال : إلى الأنصار بالمدينة (وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ) ، وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم بنصره يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (فَأَوْأَكُمُ
وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) : يعنى المدينة .

القول فى تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَتَخُونُوا أَمْنِيَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ

تَعْلَمُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين صدقوا الله
ورسوله ، لا تخونوا الله ، وخيانتهم الله ورسوله ، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الإيمان فى الظاهر والنصيحة ، وهو يستمر الكفر والغش لهم فى الباطن ، يدلون المشركين على
عورتهم ، ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم .

وقد اختلف أهل التأويل فىمن نزلت هذه الآية ، وفى السبب الذى نزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت
فى مناقب كتب إلى أبى سفيان يطلعه على سر المسلمين .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا شبابة بن سوار ، قال : ثنا محمد بن المحرم ، قال :
لقيت عطاء بن أبى رباح ، فحدثنى ، قال : ثنى جابر بن عبد الله : أن أبى سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبى سفيان فى مكان كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
إن أبى سفيان فى مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليهم واكتموا ، قال : فكتب رجل من المنافقين
إلى أبى سفيان : إن محمدا يريدكم ، فخذوا حذرکم ، فأنزل الله عز وجل (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) .

وقال آخرون : بل نزلت فى أبى لبابة الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهرى ، قوله (لَا تَخُونُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) قال : نزلت فى أبى لبابة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال الزهرى : فقال أبو لبابة : لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ،
أو يتوب الله على ، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا ، حتى خر مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه ،
فقتل له : يا أبى لبابة قد تيب عليك ، قال : والله لأحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذى يحلنى ، فجاءه فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها
الذنب ، وأن أنخلع من مالى ، قال : يجزيك الثلث أن تصدق به .

حدثني المنثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت عبد الله بن أبي قتادة ، يقول : نزلت (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : في أبي لبيبة .
وقال آخرون : بل نزلت في شأن عثمان رضي الله عنه .
ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يونس بن الحارث الطائفي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) . . . الآية .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانتهم ، وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته ، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبيبة ، وجائز أن تكون نزلت في غيره ، ولا خبر عندنا بأبي ذلك كان يجب التسليم له بصحته ؛ فعني الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) قال : نهاكم أن تخونوا الله والرسول ، كما صنع المنافقون .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) . . . الآية ، قال : كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين .
واختلفوا في تأويل قوله (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فقال بعضهم : لا تخونوا الله والرسول ، فإن ذلك خيانة لأمانتكم ، وهلاك لها .
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) فإنهم إذا خانوا الله والرسول ، فقد خانوا أماناتهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : أي لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه في السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم ، فعلى هذا التأويل ، قوله (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) في موضع نصب على الظرف ، كما قال الشاعر :
لَاتَنَّهُ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتِ عَظِيمًا^١
ويروى : وتأتي مثله .

(١) البيت تقدم إنشاده وشرحه ، وانظره في (ج ٢ : ١٨٥) .

وقال آخرون : معناه : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) يقول : لا تخونوا : يعني لا تنقصوها . فعلى هذا التأويل : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم .

واختلف أهل التأويل في معنى الأمانة التي ذكرها الله في قوله (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) ، فقال بعضهم : هي ما يخفي عن أعين الناس من فرائض الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) والأمانة : الأعمال التي أمن الله عليها العباد ، يعني : الفريضة ، يقول : ولا تخونوا : يعني لا تنقصوها .

حدثنا عليّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ) يقول : بترك فرائضه ، والرسول ، يقول : « بترك سننه ، وارتكاب معصيته » قال : وقال مرة أخرى : لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ، والأمانة : الأعمال ثم نحو حديث المثني .

وقال آخرون : معنى الأمانات ههنا : الدين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) : دينكم (وأنتم تعلمون) قال : قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الإيمان ، وقرأ (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون آمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا ، أظهروا الإيمان ، وأسرّوا الكفر .

فتأويل الكلام إذن : يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ، ولكن أطيعوهما فيما أمركم به ونهياكم عنه ، لا تنقصوهما ، وتخونوا أماناتكم ، وتنقصوا أديانكم ، وواجب أعمالكم ، ولازمها لكم ، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم ، وواجبة بالحجج ، التي قد ثبتت لله عليكم .

القول في تأويل قوله

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ أَوْلَادُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خولكوها الله ، وأولادكم التي

وهبها الله لكم ، اختبار وبلاء أعطاكموها ، ليختبركم بها ويبتليكم ، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها ، والانتباه إلى أمره ونهيه فيها (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم ، التي اختبركم بها في الدنيا ، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها ، تناولوا به الجزيل من ثوابه في معادكم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا المسعودي ، عن القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، في قوله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم ، فليستعد بالله من مضيلات الفتن :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : فتنة الاختبار ، اختبارهم ، وقرأ (وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) صدقوا الله ورسوله (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ) بطاعته ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وترك خيائته ، خيانة رسوله ، وخيانة أماناتكم (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : يقول : يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبيغكم سوء من أعدائكم المشركين ، بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم . (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) : يقول : ويمحو عنكم ماسلف من ذنوبكم بينكم وبينه . (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : ويغظيها ، فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها . (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) : يقول : والله الذي يفعل ذلك بكم ، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ، بفعله ذلك ، وفعل أمثاله ، وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها ، حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها .

وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) فقال بعضهم : مخرجا . وقال بعضهم : نجاة . وقال بعضهم : فصلا ، وكل ذلك متقارب المعنى ، وإن اختلفت العبارات عنها ، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

ذكر من قال معناه : المخرج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) قال : مخرجا .

قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)
قال : مخرجا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد (فُرْقَانًا) : مخرجا .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(فُرْقَانًا) قال : مخرجا في الدنيا والآخرة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حماد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فُرْقَانًا)
قال : الفرقان : المخرج .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فُرْقَانًا)
يقول : مخرجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد
(فُرْقَانًا) : مخرجا .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصري ، قال : ثنا زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فُرْقَانًا) قال : مخرجا .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : سمعت عبيدا يقول : سمعت الضحاك
يقول (فُرْقَانًا) : مخرجا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن زهير ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : الفرقان : المخرج .
ذكر من قال : معناه : النجاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة (إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ
لَكُمْ فُرْقَانًا) قال : نجاة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن رجل ، عن عكرمة ومجاهد ،
في قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) قال عكرمة : المخرج ، وقال مجاهد : النجاة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا) قال : نجاة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،
(يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : يقول يجعل لكم نجاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : أي نجاة .

ذكر من قال فصلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) قال : فرقان يفرق في قلوبهم بين الحق والباطل ، حتى يعرفوه ، ويبتدوا بذلك الفرقان .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : أى فصلا بين الحق والباطل ، يظهر به حقكم ، ويخفى به باطل من خالفكم ، والفرقان في كلام العرب مصدر ، من قولهم : فرقت بين الشيء والشيء ، أفرقت بينهما فرقا وفرقانا .

القول في تأويل قوله

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مُذَكَّرَهُ نعمه عليه : واذكر يا محمد ، إذ يَمْكُرُ بِكَ الذين كفروا من مشركي قومك ، كي يثبتوك .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لِيُثْبِتُوكَ) فقال بعضهم : معناه : ليقيدوك .
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) يعنى : ليؤثتوك ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُثْبِتُوكَ) : ليؤثتوك .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) . . . الآية ، يقول : ليشدوك وثاقا ، وأرادوا بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وميقاتم ، قالوا : قالوا : أوثتوه بالوثاق .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (لِيُثْبِتُوكَ)
قال : الإثبات : هو الحبس والوثاق .

وقال آخرون : بل معناه : الحبس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ، عن قوله (لِيُثْبِتُوكَ) قال : يَسْجُنُوكَ ، وقالها عبد الله بن كثير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قالوا : اسجنوه .

وقال آخرون : بل معناه : ليسحروك .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالسوساني ، قال : ثنا عبد الحميد بن أبي رواد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبي وداعة ، أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يأتمر به قومك ؟ قال : يُرِيدُونَ أَنْ يَسْحَرُونِي وَيَقْتُلُونِي وَيُخْرِجُونِي ، فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربي ، قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أستوصي به ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي نِي خَيْرًا ، فنزلت (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبته أو يخرجوه ، قال له أبو طالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فأخبره ، قال : من أخبرك ؟ قال : رَبِّي ، قال : نعم الرب ربك ، استوص به خيرا ، قال : أنا أستوصي به ، أو هو يستوصي بي ؟ وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبته . كما حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن زاذان مولى أم هانئ ، عن ابن عباس ، أن نفرا من قريش من أشرف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح ، قالوا : أجل ، ادخل ، فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أموركم بأمره ، قال : فقال قائل : احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ، قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدى ، فقال : والله ما هذا لكم رأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه ، حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قالوا : فانظروا في غير هذا ، قال : فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم ، تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحم ، وكان أمره في غيركم ، فقال الشيخ النجدى : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما نسمع من حديثه ، والله لئن فعلتم ، ثم استعرض العرب ، لتجتمعن عليكم ، ثم ليأتين إليكم ، حتى يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله ، فانظروا رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ، قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا ، شابا تهيدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحى من بنى هاشم ، يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا ارأوا

(١) في سياق هذا الخبر اختلاف في اللفظ عما في السيرة لابن هشام والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية .

ذلك قبلوا العَقْلَ واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه . فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي ، القول ما قال الفتي ، لأرى غيره ، قال : ففتروا على ذلك وهم مجتمعون له ، قال : فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال ، يذكره نعمه عليه ، وبلاءه عنده (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ، وأنزل في قولهم : (تَرَبَّصُوا بِهِ رَبِّبَ الْمُتَنُونَ) حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتَنُونَ) وكان يسمى ذلك اليوم : يوم الزحمة ، للذي اجتمعوا عليه من الرأي .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وميسم ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قالوا : تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه ؛ فلما أصبحوا رأوا عليا رضي الله عنه ، فرد الله مكرهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرني أبي ، عن عكرمة ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، أمر علي بن أبي طالب ، فنام في مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فإذا رأوه نأثما حسبوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فتركوه ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ، وهم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هم بعلي ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري ، قال : فركبوا الصعب والذلول في طلبه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : أخبرني عثمان الجريدي : أن مقسما مولى ابن عباس ، أخبره عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) : قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، تلك الليلة ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ؛ فلما رأوه عليا رضي الله عنه ، رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري ، فاقترضوا أثره ؛ فلما بلغوا الجبل ، ومرّوا بالغار ، رأوا على بابة نسج العنكبوت ، قالوا : لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابة ، فكث فيه ثلاثا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) قال : اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون في النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ما أسلمت الأنصار ، وقرّوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه ، فجاء إبليس في صورة رجل من أهل نجد ،

فدخل معهم في دار الندوة ؛ فلما أنكروه قالوا : من أنت ؟ فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا . قال : أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم ، وأشير عليكم ، فاستحيوا فخلوا عنه ، فقال بعضهم : خذوا محمدا إذا اصططح على فراشه ، فاجعلوه في بيت ، نربص به ريب المنون ، والريب : هو الموت ، والمنون : هو الدهر ، قال إبليس : بئسما قلت ، تجعلونه في بيت ، فيأتي أصحابه فيخرجونه ، فيكون بينكم قتال . قالوا : صدق الشيخ ؛ قال : أخرجوه من قريبتكم ، قال إبليس : بئسما قلت : تخرجونه من قريبتكم وقد أفسد سفهاءكم ، فيأتي قرية أخرى ، فيفسد سفهاءهم ، فيأتيكم بالخليل والرجال . قالوا : صدق الشيخ ؛ قال أبو جهل ، وكان أولاهم بطاعة إبليس . . . بل نعد إلى كل بطن من بطون قريش ، فنخرج منهم رجلا ، فنعطيهم السلاح ، فيشدون على محمد جميعا ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا ، فليس لهم إلا الدية ، قال إبليس : صدق ، وهذا الفتى هو أجودكم رأيا . فقاموا على ذلك ، وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنام على الفراش ، وجعلوا عليه العيون ؛ فلما كان في بعض الليل ، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار ، ونام على بن أبي طالب على الفراش ، فذلك حين يقول الله : (لَيْسِبْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) . والإثبات : هو الحبس والوثاق ، وهو قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا نَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذْ لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : يهلكهم ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقيه عمر ، فقال له : ما فعل القوم ؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وكذلك كان يصنع بالأمم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أُخْرِجُوا بِالْقِتَالِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَيْسِبْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) قال : كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه إلا أنه قال : فعلوا ذلك بمحمد .

حدثني محمد بن سعد قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَسِبْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) . . . الآية ، هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَسِبْتُوكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : اقتلوا هذا الرجل ، فقال بعضهم : لا يقتله رجل إلا قُتِلَ به . قالوا : خذوه فاجنوه ، واجعلوا عليه حديدا ، قالوا : فلا يدعكم أهل بيته . قالوا : أخرجوه ، قالوا : إذن يستغوى الناس عليكم . قال :

وإبليس معهم في صورة رجل من أهل نجد، واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستلم، أن يجتمعوا عليه، فيعمّوه ويقتلوه، فإنه لا يدري أهله من قتله، فيرضون بالعقل، فنقتله ونستريح ونعقله؛ فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه، فعمّوه، فأتى أبو بكر، فقيل له ذلك، فأتى، فلم يجد مدخلا؛ فلما أن لم يجد مدخلا، قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قال: ثم فرّجها الله عنه؛ فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان، فقال: لا، نحن أعلم بهم منك يا محمد، هو ناموس ليل^١، قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم أحدهم إلى جبريل، فكحله، ثم أرسله، فقال: ما صورته يا جبريل؟ قال: كفيته يا نبي الله، ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة، ثم أرسله فقال: ما صورته يا جبريل؟ فقال: كفيته يا نبي الله، ثم أتى بأخر، فنقر في ركبته، فقال: ما صورته يا جبريل؟ قال: كفيته، ثم أتى بأخر، فسقاها صدقة، فقال: ما صورته يا جبريل؟ قال: كفيته يا نبي الله، وأتى بالخامس، فلما غدا من بيته مرّ بنبال، فتعلق مشقص بردائه فالتوى، فقطع الأكل من رجله؛ وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمى؛ وأما الذي سقى مذقة، فأصبح وقد استسقى بطئه؛ وأما الذي نقر فوق رأسه، فأخذته النقرة، والنقرة: قرحة عظيمة، أخذته في رأسه؛ وأما الذي طعن في ركبته، فأصبح وقد أقعد، فذلك قول الله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ): أي فكرت لهم بكيدى المتين، حتى خلصتك منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال: هذه مكية. قال ابن جريج: قال مجاهد: هذه مكية.

فتأويل الكلام إذن: واذكر يا محمد نعمتي عندك، بمكرى بمن حاول المكر بك من مشركى قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمرى في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يربعنك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به، وعبّد غيره، وخالف أمره ونهيه. وقد بينا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا، قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ (٣١)

(١) كذا بالأصل. ومن معاني الناموس في لسان العرب: الاحتيال والمكر والخداع. فلعلمه يريد: ليس هؤلاء الذين سميتهم هم الذين يريدون الأذى والمكر بك وخدمهم، وإنما هم قوم كثير تآمروا عليك، ونحن أعلم بهم منك.

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله، الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه، قالوا: جهلا منهم، وعنادا للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قبيلهم (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) الذي تلى علينا. (إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) : يعنى أنهم يقولون : ما هذا القرآن الذى يتلى عليهم إلا أساطير الأولين ، والأساطيرُ : جمع أسطر ، وهو جمع الجمع ، لأن واحد الأسطر : سطر ، ثم يجمع السطر : أسطر وسطور ، ثم يجمع الأسطر : أساطير وأساطر . وقد كان بعض أهل العربية يقول : واحد الأساطير : أسطورة .

وإنما عني المشركون بقولهم (إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) : إن هذا القرآن الذي تلووه علينا يا محمد إلا ما سطره الأولون ، وكتبوه من أخبار الأمم ، كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بنى آدم، وأنه لم يوحه الله إليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) قال : كان النضر بن الحارث يختلف تاجرا إلى فارس ، فيمر بالعباد وهم يقرءون الإنجيل ، ويركعون ويسجدون ، فجاء مكة ، فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه ، وهو يركع ويسجد ، فقال النضر : قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، للذي سمع من العباد ، فنزلت (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ، قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) قال : فقصد ربنا ما كانوا قالوا بمكة ، وقصد قولهم (إِذْ قَالُوا : اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية .

حدثني محمد بن الحسن ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان النضر بن الحارث بن علقمة ، أخو بنى عبد الدار ، يختلف إلى الحيرة ، فيسمع سجع أهلها وكلامهم ؛ فلما قدم مكة ، سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فقال (قَدْ سَمِعْنَا ، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ، إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول : أساجيع أهل الحيرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا ، عقبه بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنته كان يقول في كتاب الله ما يقول ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقال المقداد : أسيرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اغْنِ الْمَقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ ،

(١) العباد ، بكسر العين : ألغاف من قبائل شتى ، اجتمعوا بالحيرة على النصرانية ، فسماوا عبادا ، منهم عدى بن زيد التميمي العبادي .

فقال المقداد : هذا الذي أردت ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) . . . الآية .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا : المطعم بن عدى ، والنضر بن الحارث ،
وعقبة بن أبي معيط ، قال : فلما أمر بقتل النضر ، قال المقداد بن الأسود : أسيرى يا رسول الله ، قال :
إنه كان يقول في كتاب الله وفي رسوله ما كان يقول ، قال : فقال ذلك مرتين أو ثلاثا ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اغْنِ الْمِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ ، وكان المقداد أسر النضر .

القول في تأويل قول

وَإِذْ قَالُوا : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد أيضا ما حلّ بمن قال (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) إذ مكرت لهم ، فأتيتهم بعذاب
أليم ، وكان ذلك العذاب : قتلهم بالسيف يوم بدر . وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت في النضر بن الحارث .
ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَإِذْ قَالُوا
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) قال : نزلت
في النضر بن الحارث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلكدة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلكدة ، من بنى عبدالدار ، قال :
أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنْ كَانَ
هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : هو النضر بن الحارث بن كلكدة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : قال رجل
من بنى عبدالدار ، يقال له : النضر بن كلكدة (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ
عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فقال الله (وَقَالُوا : رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ
يَوْمِ الْحِسَابِ) وقال (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وقال (سَأَلْ سَائِلٌ
بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) قال عطاء : لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله .

(١) قال ابن كثير : ذكر المطعم بدل طعيمة غلط ، لأن المطعم لم يكن حيا يوم بدر . اهـ . (٢) علقمة ساقط من لفظ ابن إسحاق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فقال
يعنى النضر بن الحارث : اللهم إن كان ما يقول محمد (هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من
سماوات السماء أو اثنتينا بعذاب اليم) قال الله (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (إن كان هذا
هو الحق من عندك) . . . الآية ، قال (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإذ قالوا اللهم إن كان
هذا هو الحق من عندك) . . . الآية ، قال : قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهاتها ، فعاد الله بعادته
ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهاتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر غيرة قريش واستفتحهم على
أنفسهم ، إذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك : أى ما جاء به محمد ، فأمطر علينا حجارة من
السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط ، أو اثنتا بعذاب اليم : أى ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا .
واختلف أهل العربية في وجه دخول « هو » في الكلام ، فقال بعض البصريين : نصب الحق ، لأن هو
والله أعلم - حوأت زائدة في الكلام صلة توكيد ، كزيادة ما ، ولا تزداد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبر ،
وليس هو بصفة لهذا ، لأنك لو قلت : رأيت هذا هو لم يكن كلاما ، ولا تكون هذه المضمرة من صفة
الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، نحو قوله (ولكن كانوا هم الظالمين ، وتجدوه عند الله
هو خيرا وأعظم أجرا) لأنك تقول : وجدته هو وإناى ، فتكون هو صفة ، وقد تكون في هذا المعنى أيضا
غير صفة ، ولكنها تكون زائدة ، كما كان في الأول ، وقد تجرى في جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعدها
إن كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا في لغة بنى تميم ، يقولون في قوله (إن كان هذا هو الحق من
عندك ، ولكن كانوا هم الظالمين ، وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) كما تقول : كانوا
آباؤهم الظالمون ، جعلوا هذا المضمرة نحو هو وهما ، وأنت زائدة في هذا المكان ، ولم تجعل مواضع الصفة ، لأنه
فصل ، أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله ، ولم يحتج إلى هذا في الموضع الذى لا يكون له خبر .
وكان بعض الكوفيين يقول : لم تدخل « هو » التى هى عماد في الكلام ، إلا لمعنى صحيح ، وقال : كأنه قال :
زيد قائم ، فقلت : أنت : بل عمرو هو القائم ، فهو لمعهود الاسم ، والألف واللام لمعهود الفعل التى هى
صلة في الكلام مخالفة لمعنى هو ، لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام ، وليست كذلك هو : وأما التى
تدخل صلة في الكلام ، فتوكيد شبيه بقولهم : وجدته نفسه يقول ذلك ، وليست بصفة كالظريف والعافل .

القول في تأويل قوله

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ

أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ، إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ) وأنت فيهم) : أى وأنت مقيم بين أظهرهم . قال : وأنزلت هذه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مقيم بمكة ، قال : ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فاستغفر من بها من المسلمين ، فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم ، فعذب الكفار .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبرى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأنزل الله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون ، يعنى بمكة ؛ فلما خرجوا أنزل الله عليه (وما لهمُ أَلَّا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) قال : فأذن الله له في فتح مكة ، فهو العذاب الذى وعدهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، فى قوله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعنى : من بها من المسلمين (وما لهمُ أَلَّا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ) يعنى مكة ، وفيها الكفار .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، فى قول الله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ) يعنى ؛ أهل مكة (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ) وفيهم المؤمنون يستغفرون : يغفر لمن فيهم من المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل الرازى وأبو داود الحفري ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبرى (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : بقية من بقى من المسلمين منهم ، فلما خرجوا ، قال (وما لهمُ أَلَّا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ) قال : ثنا عمران بن عينة ، عن حصين ، عن أبي مالك (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : أهل مكة .

وأخبرنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (وما كان الله مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : المؤمنون من أهل مكة (وما لهمُ أَلَّا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : المشركون من أهل مكة .

قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)
قال : المؤمنون يستغفرون بين ظهرائهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة ،
حتى أخرجك والذين آمنوا معك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال : ابن عباس
لم يعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ) يعني المؤمنين ، ثم أعاد إلى المشركين ، فقال (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِّبَهُمُ اللَّهُ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : يعني أهل مكة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم
يا محمد ، حتى أخرجك من بينهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ) وهؤلاء المشركون يقولون : يا رب غفرانك ،
وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول ، قالوا : وقوله (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِّبَهُمُ اللَّهُ) في الآخرة .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن
عباس : إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقوله ن : لبيك لا شريك لك لبيك ، فيقول النبي صلى الله عليه
وسلم : قَدْ قَدْ ، فيقولون : لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك
غفرانك ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ) فقال ابن عباس : كان فيهم أمانان : نبي الله ، والاستغفار ، قال : فذهب النبي صلى الله
عليه وسلم ، وبقى الاستغفار (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ،
وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ، إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) قال : فهذا عذاب الآخرة ، قال : وذلك عذاب الدنيا .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس
قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ
عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا) . . . الآية ؛ فلما أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهم ،
فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) . . . إلى قوله (لَا يَعْلَمُونَ) .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانوا يقولون : يعني المشركين : والله
إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ، ولا يعذب أمة ونبيها معها ، حتى يخرجها عنها ، وذلك من قولهم ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغررتهم واستفناحهم
على أنفسهم ، إذ قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ

(السَّاءِ) كما أمطرتها على قوم لوط ، وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) : أى بقولهم : وإن كانوا يستغفرون كما قال (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) من آمن بالله وعبده : أى أنت ومن تبعك .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا أبو بردة ، عن أبي موسى ، قال : إنه كان فيكم أمانان : قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عامر أبي الخطاب الثوري ، قال : سمعت أبا العلاء يقول : كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمستان : فذهبت إحداهما ، وبقيت الأخرى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) . . . الآية .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد ، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون : أن لو استغفروا قالوا : ولم يكونوا يستغفرون ، فقال جل ثناؤه : إذ لم يكونوا يستغفرون (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِّبُهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا ، وكان بعض أهل العلم يقول : هما أمانان أنزلهما الله ، فأما أحدهما فمضى ، نبي الله ، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم ، الاستغفار والتوبة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال الله لرسوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ، ولو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لأعذبهم وهم لا يستغفرون ؟ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يقول : لو استغفروا لم أعذبهم .
وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون .

قالوا : واستغفارهم كان في هذا الموضع : لإسلامهم .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : سألو العذاب فقال : لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ، ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الإسلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم ، وقوله (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يُسْلِمُونَ .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) بين أظهرهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يُسْلِمُونَ (وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا محمد بن عبيد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : دخولهم في الإسلام .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيهم مَنْ قد سبق له من الله الدخول في الإسلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يقول : ما كان الله سبحانه يعذب قوماً ، وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ، ثم قال (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار ، ثم قال (وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمْ اللَّهُ) فعذبهم يوم بدر بالسيف .

وقال آخرون : بل معناه : وما كان الله معذبهم وهم يصلون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني : يصلون ، يعني بهذا أهل مكة .
 حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قول الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک بن مزاحم يقول في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يعني : أهل مكة ، يقول : لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ، ثم قال (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني : يؤمنون ويصلون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يصلون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون ، قالوا : ثم نسخ ذلك بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصَدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالوا : قال في الأنفال (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فنسخها الآية التي تليها (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) . . . إلى قوله (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) فقتلوا بمكة ، وأصابهم فيها الجوع والحضر .

وأولى هذه الأقوال عندى في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويله : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد ، وبين أظهرهم مقيم ، حتى أخرجك من بين أظهرهم ، لأنى لأهلك قرية وفيها نبيها ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون ، كما يقال : ما كنت لأحسن إليك ، وأنت تسيء إلى ، يراد بذلك : لأحسن إليك إذا أسأت إلى ، ولو أسأت إلى لم أحسن إليك ، ولكن أحسن إليك ، لأنك لانسىء إلى ، وكذلك ذلك ، ثم قيل (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصَدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بمعنى : وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم ، فيؤمنوا به ، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن القوم : أعنى مشركى مكة ، كانوا استعجلوا العذاب فقالوا : اللهم إن كان ما جاء به محمد ، هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو اثنتا بعذاب أليم ، فقال الله لتبيه : ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، وكيف لأعذبهم بعد إخراجك منهم ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، فأعلمه جل ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب ، حائق بهم ونازل ، وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم ، ولا وجه لإعادهم العذاب في الآخرة ، وهم مستعجلوه في العاجل ، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون ، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر ، الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا ، وكذلك لاوجه لقول من وجه قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) إلى أنه عني به المؤمنين ، وهو في سياق الخبر عنهم ، وعمما الله فاعل بهم ، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تفضى ، وعلى أن ذلك به عنوا ، ولا خلاف في تأويله من أهله موجود ، وكذلك أيضا لاوجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصَدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . الآية لأن قوله جل ثناؤه (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) خبر ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر والهي .

واختلف أهل العربية في وجه دخول « أن » في قوله (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَدِّبَهُمُ اللَّهُ) فقال بعض نحويي البصرة : هي زائدة ههنا ، وقد عملت كما عملت « لا » وهي زائدة ، وجاء في الشعر :

لَوْ كَمْ تَكُنْ غَطْفَانُ لَأَذْنُوبَ لَهَا إِلَى لَامٍ ذَوُو أَحْسَابِهَا عَمْرًا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : لم تدخل « أن » إلا لمعنى صحيح ، لأن معنى (وَمَا لَهُمْ) ما يمنعهم من أن يعدبوا ، قال : فدخلت « أن » لهذا المعنى ، وأخرج بلا ، ليعلم أنه بمعنى الجحد ، لأن المنع جحد . قال : و« لا » في البيت صحيح معناها ، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا . وقال : ألا ترى إلى قولك : ما زيد ليس قائما ، فقد أوجبت القيام ، قال : وكذلك « لا » في هذا البيت .
القول في تأويل قوله (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هُ ، إِنْ أَوْلِيَاءُ هُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء المشركين ألا يعدبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله ، إن أوليائه ، يقول : ما أولياء الله إلا المتقون ، يعنى : الذين يتقون الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون ، بل يحسبون أنهم أولياء الله .
وبنحو ما قلنا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هُ إِنْ أَوْلِيَاءُ هُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنْ أَوْلِيَاءُ هُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) مَنْ كَانُوا ، وحيث كانوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هُ ، إِنْ أَوْلِيَاءُ هُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) : الذين يخرجون منه ، ويقومون الصلاة عنده : أى أنت ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

(١) البيت من شواهد النحويين (الخرائفة ٢ : ٨٧) على أن « لا » في قوله « لا ذنوب لها » زائدة ، ومع ذلك عملت عمل « لا » النافية للجنس ، فبقيت النكرة معها على الفتح ، والمعنى : لها ذنوب إلى ، وعمل لا الزائدة شاذ . والبيت للفرزدق بهجو عمر بن هيرة الفزاري ، وفي رواية الخرائفة : « إذن للام . . الخ » . ومعناه : لو كانت غطفان غير مسيئة إلى ، للام أشرافها عمر بن هيرة في تعرضه لي ، ومنموه عنى . وكان عمر بن هيرة من عمال سليمان بن عبد الملك .

القول في تأويل قوله

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه ، ولم يكونوا لله أولياء ، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام ، وهم لا يصلون في المسجد الحرام (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) يعني : بيت الله العتيق (إِلَّا مُكَاءً) وهو الصفير ، يقال منه : مكا يمكو مَكُوءًا وَمَكَاءً . وقد قيل : إن المكو : أن يجمع الرجل يديه ، ثم يدخلهما في فيه ، ثم ويصيح ، ويقال منه : مكت است الدابة مكاء : إذا نفخت بالريح ، ويقال : إنه لا يمكو إلا است مكشوفة ، ولذلك قيل لللاست المَكُوءة ، سميت بذلك ، ومن ذلك قول عنتره :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُّو فَرِيضَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ ١

وقول الطرماح :

فَنَحَا لِأَوْلَاهَا بِطَعْنَةٍ مُحْفَظٍ تَمَكُّو جَوَانِبِهَا مِنَ الْإِنْهَارِ ٢

بمعنى : تصوت . وأما التصدية فإنها التصفيق ، يقال منه : صدَّى يصدَّى تصدِيًا ، وصدَّق وصدَّق بمعنى : واحد . ونحن ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن قيس ، عن حجر بن عنبس (إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) المكاء : التصفير . والتصدية : التصفيق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) يقول : كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء ، يعني : التصفير ، وتصدية ، يقول : التصفيق .

(١) البيت لعنتره بن عمرو بن شداد العبيسي ، وهو السادس والأربعون في معلقته (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ٣٧٥) . والحليل : الزوج ، يروى بالحاء وبالحاء جميعا . والغانية : الشابة . وقيل : هي المرأة غنيت بجمالها عن الزينة . أو غنيت وأقامت في خدرها لا تبرحه ، لأن لها من يخدمها . ومجدلا : مصروعا على الجدالة ، وهي الأرض . وتمكو : تصفر بخروج الدم . والفريضة : لحمة تحت الإبط ، بجذء القلب ، ترعد عند الخوف . والأعلم : مشقوق الشفة العليا . يقول : إن فريضة الفارس تصفر صفيرا كصفير شدة البعير ، من اتساع الطعنة ، وشدة خروج الدم منها . وانظروا في (اللسان : مكا) .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم يصف الثور حين طعن الكلاب (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ ص ١٤٩) و (كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ص ٩٨٣) وقال في شرحه : نحا : انحرف . والمحفظ : المغضب . تمكو : تصفر ، وذلك عند سيلانها . والإنهار : أن توسع الطعنة ، ومنه قول قيس بن الخطيم « . . . فأهزت فتحتها » .

- حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا فضيل ، عن عطية (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : التصفيق والصفير .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن قرّة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : التصفيق ، والتصدية : الصفير . قال : وأمال ابن عمر خذّه إلى جانب .
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن قرّة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء والتصدية : الصفير والتصفيق .
- حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرّة بن خالد ، عن عطية العوفى ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .
- حدثنا ابن يشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق . وقال قرّة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر ، وأمال خذّه ، وصفق بيديه .
- حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال بكر : فجمع لي جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيرا ، كما قال له أبو سلمة .
- حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .
- قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال تصفير وتصفيق .
- قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، مثله .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جويوه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت قريش يطوفون بالبيت ، وهم عراة ، يصفرون ويصفقون ، فأنزل الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) فأمروا بالثياب .
- حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به ، يصفرون به ويصفقون ، فنزلت (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِلَّا مُكَاءً) قال : كانوا ينفخون في أيديهم ، والتصدية : التصفيق .
- حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا

مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : إدخال أصابعهم في أفواههم ، والتصديّة : التصفيق ، يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه لم يقل صلته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المكاء : إدخال أصابعهم في أفواههم ، والتصديّة : التصفيق . قال نفر من بني عبد الدار : كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلته .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : من بين الأصابع ، قال أحمد : سقط على حرف ، وما أراه إلا الخذف ، والنفخ والصفير منها ، وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يمشون من ناحية أبي قبيس . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : أخبرنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك المكاء . قال : وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمشون فيه ، نحو أبي قبيس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، في قوله (مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : النفخ ، وأشار بكفه قبيل فيه ، والتصديّة : التصفيق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : المكاء : الصفير ، والتصديّة : التصفيق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : كنا نحدث أن المكاء : التصفيق بالأيدي ، والتصديّة : صياح كانوا يعارضون به القرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : الصفير ، والتصديّة : التصفيق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) والمكاء : الصفير على نحو طير أبيض ، يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز . التصديّة : التصفيق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وما كان صلواتهم عند

الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَّةً) قال: المكاء: صغير، كان أهل الجاهلية يعلنون به، قال: وقال في المكاء أيضا: صغير في أيديهم ولعب. وقد قيل في التصدية: إنها الصدقة عن بيت الله الحرام، وذلك قول لاوجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل: صدقت تصدية. وأما الصدقة فلا يقال منه: صدقت، إنما يقال منه صدقت، فإن شددت منها الدال على معنى تكرير الفعل، قيل: صدقت تصدية، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصدية إلى أنه من صدقت، ثم قلبت إحدى داليه ياء، كما يقال: تظنيت من ظننت، وكما قال الراجز:

تَقَضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^١

يعنى: تقضض البازي، فقلب إحدى ضاديه ياء، فيكون ذلك وجهها يوجه إليه. ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصدية.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) : صدّهم عن بيت الله الحرام.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: أخبرنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير (وتصدية) قال: التصدية: صدّهم الناس عن البيت الحرام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وتصدية) قال: التصدية عن سبيل الله، وصدّهم عن الصلاة، وعن دين الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال: ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلامكاء وتصدية، وذلك ما لا يرضى الله، ولا يجب، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به.

وأما قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فإنه يعنى العذاب الذي وعدهم به، بالسيف يوم بدر، يقول للمشركين الذين قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطرنا حجارة من السماء) . . . الآية، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب، ذوقوا: أى اطعموا، وليس بذوق بضم، ولكنه ذوق بالحس، ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم

(١) البيت للعجاج (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ١٧ من قصيدة له معلولة) من مشطور الرجز، مظهرها: « قد جبر الدين الإله فجر » ، يمدح بها عمر بن عبد الله بن معمر، وكان عبد الملك بن مروان وجهه إلى أبي فديك الحروري حين خرج عليه، فأوقع به. وبيت الشاهد هو الخامس والسبعون، وقوله:

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ ابْتَدَرَّ دَأَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ قَمَرًا

وقد أشده صاحب اللسان مع البيت الأول من هذين البيتين. شبه مطار ضم جناحيه إلى نفسه، وانقض على الصيد. ويحتمل أن يكون شبهه بالعقاب، وشبه الجيش حوله بالجناحين، لأن جيشه أنهضه إلى ما أراد، كما ينهض العقاب جناحها. ومعنى كسر: ضم جناحيه وانقض. وقوله « نقض البازي » : أراد تقضضه، كالتقطى أصله التعلط، فأبدل الضاد التي هي لام الفعل ياء، استغفالا لاجتماع الأمثال، وكسر ما قبلها لتصح، وانتصابه على المصدر المشبه به. والتقدير: مر مرورا مثل تقضى البازي. (الانتصاب لابن السيد ص ٤١٣).

تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ، ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) :
أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) قال : هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک
يقول فى قوله (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يعنى أهل بدر عذبهم الله يوم بدر
بالقتل والأسر .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ، فيعطونها أمثالهم من المشركين ،
ليتقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله ، عن
الإيمان بالله ورسوله ، فسيدنفقون أموالهم فى ذلك ، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة ، يقول : تصير
ندامة عليهم ، لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله ، وإعلاء
كلمة الكفر على كلمة الله ، لأن الله معلى كلمته ، وجاعل كلمة الكفر السفلى ، ثم يغلبهم المؤمنون ،
ويحشر الله الذين كفروا به ورسوله إلى جهنم ، فيعذبون فيها ، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم
ومن هلك ؛ أما الحى فحرب ماله ، وذهب باطلا فى غير درك ولا نفع ، ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا ؛
وأما الهالك : فقتل وسلب ، وعُجل به إلى نار الله يُحَلَّد فيها ، نعوذ بالله من غضبه ، وكان الذى تولى
النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر ، فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . الآية (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) قال : نزلت
فى أبى سفيان بن حرب ، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بنى كنانة ، فقاتل بهم النبي صلى الله عليه
وسلم ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك :

وَجِئْنَا إِلَىٰ مَوْجٍ مِّنَ الْبَحْرِ وَسَطَّهُ
أَحَابِيشٌ مِّنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْتَعٌ

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيْبَةٌ ثَلَاثُ مِثْرَيْنِ إِنْ كَسَرْنَا فَأَرْبَعٌ^١
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب القُمِّي ، عن جعفر ، عن ابن أبيزى (إنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : نزلت في أبي سفيان ، استأجر
 يوم أحد ألفين ، ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من استجاش من العرب . قال : أخبرنا أبي ،
 عن خطاب بن عثمان العصفري ، عن الحكم بن عتيبة (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : نزلت في أبي سفيان ، أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ،
 وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، قال : لما قدم أبو سفيان بالعمير إلى مكة ، أنشد الناس ،
 ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبي الله من العام المقبل ، وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة ، صبيحة سابع عشرة
 من شهر رمضان ، وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال
 الله فيما كان المشركون ، ومنهم أبو سفيان ، يستأجرون الرجال ، يقاتلون محمدا بهم : (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَيَنْفِقُونَهَا ، ثُمَّ
 تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) يقول : ندامة يوم القيامة ، وويلا ، ثم يغلبون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في
 قول الله (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، حتى قوله (أَوْلَيْكَ هُمْ
 الْخَاسِرُونَ) قال : في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب
 الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن ، وعمرو بن سعد بن معاذ ،
 قالوا : لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع
 أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش
 أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كان له في تلك العمير من
 قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على
 حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثارا بمن أصيب منا ، ففعلوا ، قال : ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله (إنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) .

(١) البيتان لكعب بن مالك ، أوردهما ابن هشام في مختصر سيرة ابن إسحاق (ج ٣ : ١٤١ طبعة الحلبي) . الخاسر : الذي لا يدرع
 عليه ولا يمتنع . والمقنع : الذي لبس المغفر على رأسه . والنصية : خيار القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (يُحْشَرُونَ) : يعنى النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة ، فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ففعلوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عطاء بن دينار ، في قول الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . الآية ، نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : عنى بذلك المشركون من أهل بدر . ذكر من قال ذلك :

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، قال : هم أهل بدر .

والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش : أنهم ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، لم يخبرنا بأى أولئك عني ، غير أنه عم بالخبر الذين كفروا ، وجائز أن يكون عني المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وجائز أن يكون عني المنفقين منهم ذلك ببدر ، وجائز أن يكون عني الفريقين . وإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب في ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش .

القول في تأويل قوله

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم ، وينفقون أموالهم للصدّة عن سبيل الله ، إلى جهنم ، ليفرق بينهم وهم أهل الخبيث ، كما قال وسامهم : الخبيث ، وبين المؤمنين بالله وبرسوله ، وهم الطيبون ، كما سماهم جل ثناؤه ، فيزجل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته ، وأنزل أهل الكفر ناره .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) فيز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ثم ذكر

المشركين ، وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال (لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) يقول : يميز المؤمن من الكافر (فَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ) ويعنى جل ثناؤه بقوله (فَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ) فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض (فَيَرُكِّمُهُمْ جَمِيعاً) يقول : فيجعلهم رُكَّاماً ، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثرُوا ، كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً) : أى مجتمعاً كثيفاً .

وكما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيَرُكِّمُهُمْ جَمِيعاً) قال : فيجمعه جميعاً بعضه على بعض ، وقوله (فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ) يقول : فيجعل الخبيث جميعاً في جهنم ، فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله (لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ) ، ثم قال (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ، فجمع ولم يقل : ذلك هو الخاسر ، فردّه إلى أول الخبر ، ويعنى بأولئك : الذين كفروا ، وتأويله : هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ، ويعنى بقوله : (الْخَاسِرُونَ) الذين غُيِّبَتْ صَفَتُهُمْ ، وخسرت تجارتهم ، وذلك أنهم شَرَوْا بأموالهم عذاب الله في الآخرة ، وتعجلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبي الله والمؤمنين به الحزى والذل .

القول في تأويل قوله

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين كفروا من مشركى قومك : إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون ، من كفرهم بالله ورسوله ، وقتالك والمؤمنين ، فيسئبوا إلى الإيمان ، يغفر الله لهم ، ما قد خلا ومضى من ذنوبهم ، قبل إيمانهم وإيمانهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، بإيمانهم وتوبتهم . وإن يعودوا : يقول : وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعها بهم يوم بدر ، فقد مضت سنتى في الأولين منهم ببدر ، ومن غيرهم من القرون الحالية ، إذ طغوا وكذبوا رسلى ، ولم يقبلوا نصيحهم ، من إحلال عاجل النقم بهم ، فأحلّ بهمؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك ، مثل الذين أحللت بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فى قريش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) قال : في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : في قوله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا) لحربك (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) : أى من قتل منهم يوم بدر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : وإن يعودوا لقتالك ، فقد مضت سنة الأولين من أهل بدر .

القول في تأويل قوله

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، فَإِنَّ آتَمَّ وَأَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مَا كَانَ لِلَّهِ يُعْمَلُونَ بِصِيرَةٍ (٣٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر ، وأنا عائد بمنلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ، ولا يعبد إلا الله وحده ، لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض ، وهو الفتنة ، ويكون الدين كله لله ، يقول : حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) يعنى : حتى لا يكون شرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : الفتنة : الشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) : يقول : قاتلوهم حتى لا يكون شرك ، (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) حتى يقال : لا إله إلا الله ، عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإليها دعا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لا يكون شرك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، في قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لا يكون بلاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونُ فِتْنَةً ، وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) : أي لا يفتسّر مؤمن عن دينه . ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ، ويخلع مادونه من الأنداد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَا تَلُوهُمُ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً) قال : حتى لا يكون كفر (وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) لا يكون مع دينكم كفر .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أنس ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه « أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك ، الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنك كتبت إلى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، أن الله أعطاه النبوة ، فنعّم النبي ، ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه الله خيرا ، وعرفنا وجهه في الجنة ، وأحيانا على ملته ، وأما ثنا عليها ، وبعثنا عليها . وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه ، لم ينفروا منه أول ما دعاهم إليه ، وكانوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ناس ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانعطف عنه عامة الناس ، فتركوه ، إلا من حفظه الله منهم ، وهم قليل ، فكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رعوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله ، من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتن من افتن ، وعصم الله من شاء منهم ، فلما فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح ، يقال له النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه ، وكان يثنى عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ، ومساكن لتجارهم ، يجدون فيها رتاغا من الرزق وأمنا ، ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخافوا عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فكث ذلك سنوات ، يشتدون على من أسلم منهم ، ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومسنعتهم ، فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قبيل أرض الحبشة مخافها ، وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخى عنهم ، ودخل في الإسلام من دخل منهم ، تحدث بهذا الاسترخاء عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قد استرخى عن من كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون ، فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون ويكثررون . وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطمق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ؛ فلما رأت قريش ذلك ، توأمت على أن يفتنوهم ، ويشدوا عليهم ، فأخذوهم ، وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم في الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتهم من أهل المدينة . ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا ،

(١) توأمت : لفة يمنية في تأمرت ونحوه ، يقولون : آكله وواكله ، وآساء وواساء .

رءوسُ الذين أسلموا ، فوافقوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه على : أنا منك وأنت منا ، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإننا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهي الفتنة الآخرة ، التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهي التي أنزل الله فيها (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، أنه كتب إلى الوليد : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وعندى بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسألني عنه ، وسأخبرك إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) قال : يساف وناثلة ، صمان كانا يعبدان .

وأما قوله (فَإِنْ انْتَهَوْا) فإن معناه : فإن انتهوا عن الفتنة ، وهي الشرك بالله ، وصاروا إلى الدين الحق معكم (فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر ، والدخول في دين الإسلام ، لأنه يبصركم ، ويبصر أعمالكم ، والأشياء كلها متجلية له ، لا تغيب عنه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا في كتاب مبين . وقد قال بعضهم : معنى ذلك : فإن انتهوا عن القتال .

والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب ، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضاً على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ ، نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتهم إليه أيها المؤمنون ، من الإيمان بالله ورسوله ، وترك قتالكم على كفرهم ، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقاتلكم ، فقاتلوهم ، وأيقنوا أن الله معينكم عليهم ، وناصركم (نِعْمَ الْمَوْلَى) هو لكم ، يقول : نعم المعين لكم ولأوليائه ، (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) وهو الناصر . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ) الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر ، في كثرة عددهم ، وقلة عددكم (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) .

تم الجزء التاسع من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء العاشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَافِلَاتِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء العاشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فهارس الجزء العاشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤١	واعلموا أنما غنمتم من شىء . . .	١	٦٤	يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك . . .	٣٧
٤٢	إذ أنتم بالعدوة الدنيا . . .	٩	٦٥	يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال . . .	٣٨
٤٣	إذ يريدكم الله فى منامك قليلا . . .	١٢	٦٦	الآن خفف الله عنكم . . .	٣٨
٤٤	وإذ يريدكمهم إذ التقيتم فى أعينكم . . .	١٣	٦٧	ما كان لنبي أن يكون له أسرى . . .	٤٢
٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة . . .	١٤	٦٨	لولا كتاب من الله سبق . . .	٤٤
٤٦	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا . . .	١٥	٦٩	فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا . . .	٤٨
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا . . .	١٦	٧٠	يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم . . .	٤٨
٤٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم . . .	١٨	٧١	وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا . . .	٥٠
٤٩	إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم . . .	٢٠	٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا . . .	٥١
٥٠	ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا . . .	٢٢	٧٣	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . . .	٥٤
٥١	ذلك بما قدمت أيديكم . . .	٢٣	٧٤	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا . . .	٥٦
٥٢	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . .	٢٣	٧٥	والذين آمنوا من بعد وهاجروا . . .	٥٧
٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة . . .	٢٤	سورة التوبة		
٥٤	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . .	٢٤	١	براءة من الله ورسوله . . .	٥٨
٥٥	إن شرّ الدواب عند الله . . .	٢٥	٢	فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . . .	٥٨
٥٦	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون . . .	٢٥	٣	وأذان من الله ورسوله إلى الناس . . .	٦٧
٥٧	فإما تثقفنهم فى الحرب فشدّ بهم . . .	٢٥	٤	إلا الذين عاهدتم من المشركين . . .	٧٦
٥٨	وإما تخافن من قوم خيانة . . .	٢٦	٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم . . .	٧٧
٥٩	ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا . . .	٢٨	٦	وإن أحد من المشركين استجارك . . .	٧٩
٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .	٢٩	٧	كيف يكون للمشركين عهد عند الله . . .	٨١
٦١	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . . .	٣٣	٨	كيف وإن يظهرها عليكم . . .	٨٣
٦٢	وإن يريدوا أن يخدعوك . . .	٣٥	٩	اشترؤا بآيات الله ثمنا قليلا . . .	٨٦
٦٣	وألّف بين قلوبهم . . .	٣٥	١٠	لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة . . .	٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	فإن تابوا وأقاموا الصلاة . . .	٨٦	٣٩	إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما . . .	١٣٤
١٢	وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . . .	٨٧	٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله . . .	١٣٥
١٣	ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم . . .	٨٩	٤١	انفروا خفافا وثقالا . . .	١٣٧
١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . . .	٩٠	٤٢	لو كان عرضا قريبا . . .	١٤١
١٥	ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله . . .	٩١	٤٣	عفا الله عنك لم أذنت لهم . . .	١٤١
١٦	أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله . . .	٩٢	٤٤	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله . . .	١٤٢
١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا . . .	٩٣	٤٥	إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله . . .	١٤٣
١٨	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله . . .	٩٤	٤٦	ولو أرادوا الخروج . . .	١٤٤
١٩	أجعلتم سقاية الحاج . . .	٩٤	٤٧	لو خرجوا فيكم . . .	١٤٤
٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا . . .	٩٧	٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل . . .	١٤٦
٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . . .	٩٧	٤٩	ومنهم من يقول ائذن لي . . .	١٤٨
٢٢	خالدين فيها أبدا . . .	٩٧	٥٠	إن تصبك حسنة تسؤهم . . .	١٤٩
٢٣	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم . . .	٩٨	٥١	قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . .	١٥٠
٢٤	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . .	٩٨	٥٢	قل هل تربصون بنا . . .	١٥٠
٢٥	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة . . .	٩٩	٥٣	قل أنفقوا طوعا أو كرها . . .	١٥١
٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله . . .	١٠٤	٥٤	وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم . . .	١٥٢
٢٧	ثم يتوب الله من بعد ذلك . . .	١٠٤	٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . . .	١٥٣
٢٨	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون . . .	١٠٥	٥٦	ويخلفون بالله إنهم لمنكم . . .	١٥٤
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . . .	١٠٩	٥٧	لو يجدون ملجأ أو مغارات . . .	١٥٤
٣٠	وقالت اليهود عزيز ابن الله . . .	١١٠	٥٨	ومنهم من يلمزك في الصدقات . . .	١٥٥
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا . . .	١١٣	٥٩	ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله . . .	١٥٧
٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله . . .	١١٦	٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .	١٥٧
٣٣	هو الذي أرسل رسوله بالهدى . . .	١١٦	٦١	ومنهم الذين يؤذون النبي . . .	١٦٧
٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا . . .	١١٧	٦٢	يخلفون بالله لكم ليرضوكم . . .	١٧٠
٣٥	يوم يحمى عليها في نار جهنم . . .	١٢٣	٦٣	ألم يعلموا أنه من يخاد الله . . .	١٧٠
٣٦	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر . . .	١٢٤	٦٤	يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة . . .	١٧١
٣٧	إنما النسيء زيادة في الكفر . . .	١٢٩	٦٥	ولئن سألتهم ليقولن . . .	١٧١
٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل . . .	١٣٣	٦٦	لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . . .	١٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض...	١٧٤	٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم...	١٩٨
٦٨	وعد الله المنافقين والمنافقات...	١٧٥	٨١	فرح المخلفون بمقعدهم...	٢٠٠
٦٩	كالذين من قبلكم كانوا أشد...	١٧٥	٨٢	فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا...	٢٠٢
٧٠	ألم يأتيهم نبي الذين من قبلهم...	١٧٧	٨٣	فإن رجعت الله إلى طائفة منهم...	٢٠٣
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء...	١٧٨	٨٤	ولا تصل على أحد منهم مات أبدا...	٢٠٤
٧٢	وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات...	١٧٩	٨٥	ولا تعجبك أموالهم وأولادهم...	٢٠٦
٧٣	يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...	١٨٣	٨٦	وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله...	٢٠٧
٧٤	يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا...	١٨٤	٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف...	٢٠٧
٧٥	ومنهم من عاهد الله...	١٨٨	٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا...	٢٠٨
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به...	١٨٨	٨٩	أعد الله لهم جنات تجري...	٢٠٩
٧٧	فأعقبهم نفاقا في قلوبهم...	١٨٨	٩٠	وجاء المعذرون من الأعراب...	٢٠٩
٧٨	ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم...	١٩٣	٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى...	٢١١
٧٩	الذين يلتمزون المطوعين...	١٩٤	٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...	٢١٢

الصفحة	الصفحة
١٨٨ قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي دعا له رسول الله بالغنى .	١٥٧ أصناف مصرف الصدقة ، وذكر الخلاف بين الأئمة في بعضها .
١٩٤ ما كان أهل اليسار وذو الفاقة يتصدقون به وعيب المنافقين لهم .	١٦٧ ما كان المنافقون يقولونه في شأن النبيّ ويسرّونه ، ففضحهم الله به .
٢٠٤ ما كان عليه النبيّ من الرحمة حتى بأهل النفاق ، وما تمّ له مع عبد الله بن أبيّ .	١٨٣ الخلاف في معنى الجهاد المأمور به في حقّ المنافقين .
٢١١ من عندهم الله في عدم الخروج للجهاد .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ك		ر		أ
١٠٩	فَدَاكَ	١١	الجُوذِرُ	٢٧	السَّوَاءِ
	ل	٢٠٠	حَصِيرًا		ب
١٠٦	يَعِيلُ	١١٢	بِرًّا	١٠٣	المُطَلَّبِ
١٣٣	القُبُلِ	١١٢	مَكْرًا	٨٥	لا يَكْذِبُ
٩٩	الأبْطَالِ	١١٢	فَرًّا	٨٣	وَكَثِيبِ
٢٨	وجَعَائِلُهُ		ز	٣١	والرَّهَبِ
١١	بِإِقْبَالِ	١٢١	مَكْسُوزُ	٣٣	غَالِبِ
	م	١٥٦	اللامزَه		ت
٨٥	الرَّحِيمِ	١٥٥	وَلَمَنْزِي	١٥٢	تَقَلَّتْ
٢٠	وَأَحْمُوا		س	٢٠٩	المَلَكَاتِ
٨٥	النِّعَامِ	١٣٢	القَلَمَسِ	١٦٥	لِدَانِي
	ن		ع	١٢٨	مَعْلُوفَاتِهَا
١٦٨	وَأَذَنُ	١٤٤	وَأَضَعُ	١٥٤	خَمِدُوا
١٨٠	عَدَنُ		ف	١٥	عَدَدِ
٣٣	كِلَانَا		ف	٩٧	نَدِي
١٢٢	جَسُونَا	١٢٢	مُخْتَلِفُ	٢٨	المُلْحَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله

* وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ
التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)

قال أبو جعفر: وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسّم غنائمهم إذا غنموها ، يقول تعالى ذكره :
واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة .

واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والنيء ، فقال بعضهم : فيهما معنيان ، كل واحد منهما غير صاحبه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، قال : سألت عطاء بن السائب عن
هذه الآية (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) وهذه الآية (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ)
قال : قلت : غَنِمْتُمْ . ما النيء ، وما الغنيمة ؟ قال : إذا ظهر المسلمون على المشركين ، وعلى أرضهم ، وأخذوهم
عَنَوَةً ، فما أخذوا من مال ظهوروا عليه ، فهو غنيمة ، وأما الأرض فهي في سوادنا هذا في .
وقال آخرون : الغنيمة ما أخذ عَنَوَةً . ، والنيء : ما كان عن صلح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان الثوري ، قال : الغنيمة : ما أصاب المسلمون عَنَوَةً
بقتال ، فيه الخمس ، وأربعة أخماسه لمن شهدها ، والنيء : ما صلحوا عليه بغير قتال ، وليس فيه خمس ، وهو
لن سمي الله .

وقال آخرون : الغنيمة والنيء بمعنى واحد ، وقالوا : هذه الآية التي في الأنفال ناسخة قوله (مَا أَفَاءَ
اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبني السبيل) . قال : كان النية في هؤلاء ، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال ، فقال (وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن الله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبني السبيل) فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الحشر ، وجعل الخمس لمن كان له النية في سورة الحشر ، وسائر ذلك لمن قاتل عليه .

وقد بينا فيما مضى الغنيمة ، وأنها المال يوصل إليه من مال من خول الله ماله أهل دينه ، بغلبة عليه ، وقهر بقتال . فأما النية ، فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك ، وهو ما رده عليهم منها بصلح ، من غير إيجاب خيل ولا ركاب . وقد يجوز أن يسمى ما رده عليهم منها سيفهم ورماحهم ، وغير ذلك من سلاحهم ، فبيئنا ، لأن النية إنما هو مصدر من قول القائل : فاء الشيء نيةً فبئنا : إذا رجع ، وأفاءه الله : إذا رده ، غير أن الذي ورد حكم الله فيه من النية يحكيه في سورة الحشر ، إنما هو ما وصفت صفته من النية ، دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب ، لعل قد بينتها في كتابنا : « كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين » وسنبيته أيضا في تفسير سورة الحشر ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى .

وأما قول من قال : الآية التي في سورة الأنفال ناختة الآية التي في سورة الحشر ، فلا معنى له ، إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ، ينفي حكم الأخرى . وقد بيننا معنى النسخ ، وهو نفي حكم قد ثبت بحكم بخلافه ، في غير موضع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله (من شيء) فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء ، مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين ، مما وقع فيه القسم ، حتى الخيط والخيط .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وأعلموا أنما غنمتم من شيء) قال : الخيط من الشيء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله

(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِي السَّبِيلِ) :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : قوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) مفتاح كلام ، والله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإنما معنى الكلام : فأنا للرسول خمسته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن

عن قول الله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) قال: هذا مفتاح كلام،
لله الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ،
عن قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا
والآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن
الضحالك ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا ، خمس الغنمة ،
فضرب ذلك الخمس في خمسة ، ثم قرأ (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) :
قال : وقوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) مفتاح كلام ، لله ما في السموات وما في الأرض ، فجعل سهم الله وسهم
الرسول واحدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كل شيء .
حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كل شيء ، وخمس لله ورسوله ،
ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الغنمة تقسم
خمسه أخماس ، فأربعة أخماس ، لمن قاتل عليها ، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس ، فخمس لله والرسول .
حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا أبان ، عن الحسن ، قال : أوصى
أبو بكر رضي الله عنه بالخمس من ماله ، وقال : ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) قال : خمس الله وخمس رسوله واحد ، كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحمل منه ، ويصنع فيه ما شاء .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم :
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : كل شيء لله ، الخمس للرسول ،
ولدى القربي ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن لبيت الله خمسة وللرسول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن
أبي العالية الرياحي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي بالغنمة ، فيقسمها على خمسة ، تكون
(١) التي في ابن كثير ، عن ابن جرير : أوصى الحسن .

أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض منه الكعبة، وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول، وسهم لذى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية (وَأَعْلَمُوا أَلْتَمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . إلى آخر الآية، قال: فكان يجاء بالغنيمة، فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم، فيجعل أربعة بين الناس، ويأخذ سهمًا، ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة، فهو الذي سُمِّيَ لله، ويقول: لا تجعلوا لله نصيبًا، فإن لله الدنيا والآخرة، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم: سهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وسهم لذوى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقال آخرون: ما سمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، وإنما هو مراد به قرابته، وليس لله ولا لرسوله منه شيء.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتل عليها، وخمس واحد يقسم على أربعة، فربيع لله والرسول ولذى القربى، يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئًا، والرابع الثاني لليتامى، والرابع الثالث للمساكين، والرابع الرابع لابن السبيل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال، قوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) افتتاح كلام، وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم، كما قال أبو العالية، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسومًا على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك، فما لانعلم قائلًا قاله، غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية، وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا. فأما من قال: سهم الرسول لذوى القربى، فقد أوجب للرسول سهمًا، وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوى قرابته، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم.

وقد حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَعْلَمُوا أَلْتَمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . الآية، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماسًا، فكان خمس لله ولرسوله، ويقسم المسلمون ما بقي، وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فكان هذا الخمس خمسة أخماس: خمس لله ورسوله، وخمس لذوى القربى، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : سألت يحيى بن الجزار ، عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو خمس الخمس .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، وجريير عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .
حدثنا أحمد ابن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله ، وللرسول خمسة ، يضعه حيث رأى ، وخمسه لذوى القربى وخمسه لليتامى ، وخمسه للمساكين ، ولا ين السبيل خمسة .
وأما قوله (وَآلِذِي الْقُرْبَى) فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم ، فقال بعضهم : هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء ، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة .
حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السدي ، عن ابن الديلمي ، قال : قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأنفال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية ؟ قال : نعم ، قال : فإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين لا تحل لهم الصدقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن نجدة كتب إليه يسأله عن ذوى القربى ، فكتب إليه كتابا ، نزع من أنا نحن هم ، فأبى ذلك علينا قوما .
قال : حدثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله وللرسول ، خمسة ، يضعه حيث رأى ، وخمس لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، ولا ين السبيل خمسة .
وقال آخرون : بل هم قريش كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري ، قال : كتب نجدة إلى ابن عباس ، يسأله عن ذى القربي ، قال : فكتب إليه ابن عباس : قد كنا نقول : إنا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوققربى .
وقال آخرون : سهم ذى القربي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صار من بعده لولى الأمر من بعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذى القربي ، فقال : كان طعمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا ، فلما توفي جعل لولى الأمر من بعده .
وقال آخرون : بل سهم ذى القربي كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة ، ومن قال ذلك الشافعي ، وكانت علة في ذلك ، ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم ، قال : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذى القربي من خير علي بنى هاشم وبني المطلب ، مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقلنا يا رسول الله ، هؤلاء إخوتك بنو هاشم ، لانكر فضلهم ، لمكانك الذي جعلك الله به منهم ، أرأيت إخواننا بني المطلب ، أعطيتهم وتركنا ، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال : « إِنَّهُمْ كَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، لَأَتَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِّبِ شَيْءٌ وَوَاحِدٌ » ، ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : قول من قال : سهم ذى القربي كان لقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب ، لأن حليف القوم منهم ، ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين ، أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذى القربي : بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : يُصرفان في معونة الإسلام وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهد ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذبي القربي ، فُجِعِل هذان السهمان في الخيل والسلاح ، وجُعِل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ، لا يعطى غيرهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن عن قول الله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) قال هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا والآخرة .

ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلون : سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقراية النبي صلى الله عليه وسلم . وقال قائلون : سهم القراية لقراية الخليفة ، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدّة في سبيل الله ، فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح ، فقلت لإبراهيم : ما كان على رضي الله عنه يقول فيه ؟ قال : كان على أشدهم فيه .

حدثني المنني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ) . . . الآية . قال ابن عباس : فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، أربعة بين من قاتل عليها ، وخمسة واحد يقسم على أربعة : لله ، وللرسول ، ولذو القربى ، يعنى قراية النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان لله وللرسول فهو لقراية النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا ، فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ردّ أبو بكر رضي الله عنه نصيب القراية في المسلمين ، فجعل يحمل به في سبيل الله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَانُورَتْ ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذي القربى ، فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وليّ أمر المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن ظبيان ، عن حكيم ابن سعد ، عن علي رضي الله عنه ، قال : يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس ، ويلى الإمام سهم الله ورسوله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذوى القربى ، فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا ، فلما توفي جعل لولى الأمر من بعده .

وقال آخرون : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس ، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم ، على اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وذلك قول جماعة من أهل العراق .
وقال آخرون : الخمس كله لقربة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، قال : ثنا المهال بن عمرو ، قال : سألت عبد الله بن محمد بن علي ، وعلي بن الحسين عن الخمس ، فقال : هو لنا ، فقلت لعلي : إن الله يقول (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) فقال : يتامانا ومساكيننا .
والصواب من القول في ذلك عندنا : أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس ، والخمس مقسوم على أربعة أسهم ، على ما روى عن ابن عباس : للقربة سهم ، ولليتامى سهم ، وللمساكين سهم ، ولابن السبيل سهم ، لأن الله أوجب الخمس لأقوام موصوفين بصفات ، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين ، وقد أجمعوا أن حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم ، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم ، فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم ، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سواه في كتابه بفقد بعض من يستحقه ، إلى غير أهل السهمان الآخر . وأما اليتامى : فهم أطفال المسلمين الذين قدهلك آباؤهم . والمساكين : هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين . وابن السبيل : المجتاز سفرا قد انقطع به .

كما حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : الخمس الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين .
القول في تأويل قوله

(إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) :

يقول تعالى ذكره : أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شيء ، فقسوم القسّم الذي بينته ، وصدّ قوا به إن كنتم أقررتم بوحداية الله ، وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرّق بين الحقّ والباطل بيدر ، فأبان قلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم ، وذلك يوم التقى الجمعان : جمع المؤمنين ، وجمع المشركين ، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين ، وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شيء أرادته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) يعني بالفرقان : يوم بدر ، فرّق الله فيه بين الحقّ والباطل .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير وإسحاق ، قالوا : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) : يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة ، لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون ما بين الألف والتسع مئة ، فهزم الله يومئذ المشركين ، وقتل منهم زيادة على سبعين ، وأسير منهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ميسم (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) : قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عثمان بن الجزري ، عن ميسم ، في قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) قال : يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ) يوم بدر ، وبدر بين المدينة ومكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب ، قال : قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كانت ليلة الفرقان : يوم التقي الجمعان ، لسبع عشرة من شهر رمضان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ) قال ابن جريج : قال ابن كثير : يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ) : أي يوم فرق بين الحق والباطل ببدر ، أي يوم التقي الجمعان منكم ومنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) وذاك يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحق والباطل .

القول في تأويل قوله

إِذَا نْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ، وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا : أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم: إن كنتم آمنتم

بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل ، من نصر رسوله (إذ أنتم) حينئذ (بالعدوة الدنيا) : يقول : بشفير الوادى الأدنى إلى المدينة (وهم بالعدوة القصوى) : يقول : وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادى الأقصى إلى مكة (والركب أسفل منكم) يقول : والغير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم ، إلى ساحل البحر .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) قال : شفير الوادى الأدنى ، وهم بشفير الوادى الأقصى (والركب أسفل منكم) قال أبو سفيان وأصحابه : أسفل منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى) وهما شفيرا الوادى ، كان نبي الله أعلى الوادى ، والمشركون بأسفله . (والركب أسفل منكم) يعنى أبو سفيان انحدر بالغير على حوزته ، حتى قدم بها مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى) من الوادى إلى مكة (والركب أسفل منكم) : أى غير أبي سفيان التى خرجتم لتأخذوها ، وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والركب أسفل منكم) قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقيا على ماء بدر ، من أيسق لهم كلهم ، فاقتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأسروهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذكر منازل القوم والغير ، فقال (إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى) والركب : هو أبو سفيان وغيره . أسفل منكم : على شاطئ البحر .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (إذ أنتم بالعدوة) فقرأ ذلك عامة قرآء المدنيين والكوفيين : (بالعدوة) بضم العين . وقرأه بعض المكيين والبصريين (بالعدوة) بكسر العين ، وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيح ، يُنشَد بيت الراعى :

(١) قوله « من يسق » : بدل من الألف فى قوله : التقيا . ويفسره قوله الآتى قريبا : حتى التقت السقاة .

وَعَيْنَانِ مُهْمَرٌ مَا قَبِيهِمَا كَمَا نَظَرَ الْعِدْوَةَ الْجُوذْرًا

بكسر العين من العِدْوَة ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر :

وَفَارِسٍ لَوْ تَحِيلُ الْحَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَوْ سِرَاعًا وَمَا هَمَّوْا بِإِقْبَالِ ٢

القول في تأويل قوله

(وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ، وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) :

يعنى تعالى ذكره : ولو كان اجتماعكم في الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون ، وعدوكم من المشركين ، عن ميعاد منكم ومنهم ، لاختلفتم في الميعاد ، لكثرة عدد عدوكم ، وقلة عددكم ، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائهم وأعدائهم بيدر ، بالقتل والأسر .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) : ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، ما لقيتموهم . (وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) : أى ليقضى الله ما أراد بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير بلاء منكم ، فعل ما أراد من ذلك بلطفه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرني يونس عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول في غزوة بدر : إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قریش ، حتى جمع الله بينهم ، وبين عدوهم على غير ميعاد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن ابن عون ، عن عمر بن إسحاق ، قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ، ولا هؤلاء بهؤلاء ، حتى التقت السقاة ، قال : ونظر الناس بعضهم لبعض .

القول في تأويل قوله

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : ولكن الله جمعهم هنالك ، ليقضى أمرا كان مفعولا (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا) . وهذه اللام في قوله (لِيَهْلِكَ) مكررة على اللام في قوله (لِيَقْضِيَ) ، كأنه قال : ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم .

(١) في اللسان : العدو بالضم والكسر (في العين) : جانب الوادى . وقيل : العدو : المكان المرتفع شيئا على ما هو منه . اهـ .
والجودر ، بضم الذال وفتحها : ولد الظبية . والمعنى : ينظر الجودر إلى عدوة الوادى ، أو إلى جانب الأرض التى هوفها ، ماذا بصره ، هل يرى شيئا يريه ؟

(٢) عدوته : ناحيته وجانبه ، كما في الشاهد السابق ، والمعنى : أن الحيل لو حلت بجانب الفارس أو قريبا منه ، لفرغت من منظره وهوله ، وولت مسرعة عنه . ولعل البيت من قصيدته التى يرثى بها فضالة بن كعدة الأسدى (انظر شعراء النصرانية ص ٤٩٢) .

ويعنى بقوله (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ) : ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له ، وقطعت عنده ، وعبرة قد عاينها ورآها (وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) : يقول : وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له ، وظهرت لعينه فعلمها ، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك .

وقال ابن إسحاق في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ) لما رأى من الآيات والعبر ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

وأما قوله (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإن معناه : وإن الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم ، حين يرى الله نبيه في منامه ، ويرىكم عدوكم في أعينكم قليلا وهم كثير ، ويراكم عدوكم في أعينهم قليلا ، عليهم بما تضمروه نفوسكم ، وتنظوى عليه قلوبكم حينئذ ، وفي كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده : واتقوا ربكم أيها الناس في منطقكم أن تنطقوا بغير حق ، وفي قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشيد ، فإن الله لا يخفى عليه خافية ، من ظاهر أو باطن .

القول في تأويل قوله

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَاكَ رَبُّكَ كَثِيرًا فَتَبَيَّنْتَ فِي الْأَمْرِ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلِيمٌ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك ، عليهم بما يضمرونه ، إذ يريك الله عدوك وعدوهم (في منامك قليلا) يقول : يريكهم في نومك قليلا ، فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم ، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرا لفشلت أصحابك ، فجنبنا وخافوا ، ولم يقدروا على حرب القوم ، ولتنازعوا في ذلك ، ولكن الله سلمهم من ذلك ، بما أراك في منامك من الرؤيا ، إنه عليهم بما تخفيه الصدور ، لا يخفى عليه شيء مما تضمروه القلوب .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) : أى في عينك التي تنام بها ، فصير المنام هو العين ، كأنه أراد : إذ يريكهم الله في عينك قليلا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) قال : أراه الله إياهم في منامه قليلا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ، فكان تثبيتا لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يُرِيكَهُمْ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) ... الآية ، فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) فقال بعضهم : معناه : ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) يقول : سلم الله لهم أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوهم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولكن الله سلم أمره فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) قال : سلم أمره فيهم .

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندى : ما قاله ابن عباس ، وهو أن الله سلم القوم ، بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه ، من الفشل والتنازع ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم ، وذلك أن قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) عقيب قوله (وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ) ، فالذى هو أولى بالخبر عنه ، أنه سلمهم منه جل ثناؤه ما كان مخوفاً منه ، لو لم ير نبيه صلى الله عليه وسلم ، من قلة القوم في منامه .

القول في تأويل قوله

وَإِذْ يُرِيكَهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم إذ يرى الله نبيه في منامه المشركين قليلاً ، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لتقوهم في أعينهم قليلاً ، وهم كثير عددهم ، ويقلل المؤمنين في أعينهم ، ليتركوا الاستعداد لهم ، فيهن على المؤمنين شوكتهم .

كما حدثني ابن بزيع البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ، قال أراهم مئة ، قال : فأسرنا رجلاً منهم ، فقلنا : كم هم ؟ قال : كنا ألفاً .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَذِ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا) قال ابن مسعود : قُلُّوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قَلَّتْ لِرَجُلٍ : أَتْرَاهُمْ يَكُونُونَ مِثَّةً ؟

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال : قال : ناس من المشركين : إن العير قد انصرفت فارجعوا ، فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ، فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم ، وقال : يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ، ولكن خذوهم أخذنا ، فاربطوهم بالحبال ، يقوله من القدرة في نفسه .

وقوله (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) يقول جل ثناؤه : قتلتم أيها المؤمنون في أعين المشركين ، وأريتكموهم في أعينكم قليلا ، حتى يقضى الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضا ، وإظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين ، والظفر بهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وذلك أمر كان الله فاعله ، وبالغافيه أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) أي ليؤلف بينهم على الحرب ، للنعمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته . (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) ، يقول جل ثناؤه : مصير الأمور كلها إليه في الآخرة ، فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم : المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول في تأويل قوله

يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَأَذِكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٥٥)

وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به ، السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به ، والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقاءهم النصر عليهم ، والظفر بهم ، ثم يقول لهم جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا : صدقوا الله ورسوله ، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال ، فاثبتوا لقتالهم ، ولا تهزموا عنهم ، ولا تولوهم الأدبار هارين إلا متحرفا لقتال ، أو متحيزا إلى فئة منكم (وَأَذِكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) يقول : وادعوا الله بالنصر عليهم ، والظفر بهم ، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره . (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) : يقول : كما تنجحوا ، فتظفروا بعدوكم ، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَأَذِكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) افترض الله ذكره عند أشغَل ما تكونون ، عند الضراب بالسيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً) يقاتلونكم

في سبيل الله (فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) : اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم ، والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) .

القول في تأويل قوله

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ وَيُحْكَمَ ، وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، ولا تخالفوهما في شيء . (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) : يقول : ولا تختلفوا فتفرقوا : وتختلف قلوبكم فتفشلوا ، يقول : فتضعفوا وتجنبوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) وهذا مثل ، يقال للرجل إذا كان مقبلا عليه ما يحبه ويسر به : الريح مقبلة عليه ، يعني بذلك ما يحبه ، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص :

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِيبٍ وَالْفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدٍ

يعني من البأس والكثرة ، وإنما يراد به في هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ، ويدخلكم الوهن والحلل .

(وَأَصْبِرُوا) يقول : اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتركوه . (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) يقول : اصبروا فإنني معكم .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : نصر بركم ، قال : وذهبت ريح أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد .

حدثنا ابن عمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) فذكر نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ريح أصحاب محمد ، حين تركوه يوم أحد .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : حركم وجدكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : ريح الحرب .

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٣ ص ٤٦) . وشطب : اسم جبل بديار بني أسد . وفي معجم ما استعجم للبكري : بديار بني تميم . والنعف : أسفل الجبل . والفضل للقوم : يقول : الريح مهمم ، والعدد لهم . وروي : « من صوت ومن فرد » . والفرد : يريد الصوت ههنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَتَذْهَبُ رِيحُكُمْ) قال :
الريح : النصر ، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) : أي لا تختلفوا فيتفرق
أمركم ، (وَتَذْهَبُ رِيحُكُمْ) : فيذهب جدكم (وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) : أي إني معكم
إذا فعلتم ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا)
قال : الفشل : الضعف عن جهاد عدوه ، والانكسار لهم ، فذلك الفشل .

القول في تأويل قوله

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)

وهذا تقدم من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله - لا يعملوا عملا إلا لله خاصة ، وطلب ما عنده ،
لارثاء الناس ، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر ، طلب رثاء الناس ، وذلك أنهم أخبروا بفوت
الغدير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقيل لهم : انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها ،
فأبوا وقالوا : تأتي بدرا ، فنشرب بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتتحدث بنا العرب ، لمكاننا فيها ، فسقوا
مكان الخمر كؤوس المنايا .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا هشام بن عروة ،
عن عروة قال : كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، قد جاءهم راكب من
أبي سفيان ، والركب الذين معه ، إنا قد أجزنا القوم فارجعوا ، فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان ، الذين
يأمرون قريشا بالرجعة بالحُحْفَةِ ، فقالوا : والله لا نرجع ، حتى نزل بدرا ، فنقيم فيه ثلاث ليال ، ويرانا
من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا ، وهم الذين قال الله : (الَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) والتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ،
وأخزى أئمة الكفر ، وشتى صدور المؤمنين منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق في حديث ذكره ، قال : ثني محمد بن مسلم
وعاصم بن عمرو ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ،
عن ابن عباس ، قال : لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم
ورجالكم وأموالكم ، فقد نجهاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرا ،
وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام ، فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الخنزير ،
وننظم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا .

قال ابن حميد : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) : أى لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا : لانرجع حتى نأتى بدر ، وننحر بها الحزُر ، ونُسقي بها الحمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا . أى لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس ، وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ، ومؤازرة نبيكم : أى لا تعملوا إلا لله ، ولا تطلبوا غيره .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ؛ وحدثنا أحمد ابن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال : أصحاب بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : هم مشركو قريش ، وذلك خروجهم إلى بدر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) : يعنى المشركين الذين قاتلوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال : هم قريش وأبو جهل وأصحابه ، الذين خرجوا يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قال : كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ، ولهم بغى وفخر ، وقد قيل لهم يومئذ : ارجعوا ، فقد انطلقت غيركم ، وقد ظفرتم . قالوا : لا والله ، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا . قال : وذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « اللَّهُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا أَقْبَلَتْ بِفَخْرِهَا وَخَيْلِهَا ، لِتُحَادِّثَكَ وَرَسُولَكَ » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذكر المشركين وما يطعمون على المياه ، فقال (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحالك يقول فى قوله (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًا) قال : هم المشركون خرجوا إلى بدر أشراً وبطرا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأُنزل الله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

فتأويل الكلام إذن : ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسُمعة ، وترك إخلاص العمل لله ، واحتساب الأجر فيه ، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله ، الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومرءاة الناس ، بزيمهم وأموالهم وكثرة عددهم ، وشدة بطانتهم ، (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . يقول : ويمنعون الناس من دين الله ، والدخول في الإسلام ، بقتالهم إياهم ، وتعذيبهم من قَدَرُوا عليه من أهل الإيمان بالله ، والله بما يعملون من الرياء ، والصدء عن سبيل الله ، وغير ذلك من أفعالهم محيط ، يقول : عالم بجميع ذلك ، لا يخفى عليه منه شيء ، وذلك أن الأشياء كلها له متجلية ، لا يعزب عنه منها شيء ، فهو لهم بها معاقب ، وعليها معذب .

القول في تأويل قوله

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، وَقَالَ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَ آتِ الْفَيْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ ، إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) : وحين زين لهم الشيطان أعمالهم . وكان تزينه ذلك لهم كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ، معه رايته ، في صورة رجل من بني مُدَلِج ، في صورة سراقه بن مالك بن جُعْشُم ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم . فلما اصطف الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوه المشركين ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ، فولى مدبرا هو وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقه ، ترعم أنك لنا جار ؟ قال : (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وذلك حين رأى الملائكة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى المشركين إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جُعْشُم الكنانى الشاعر ، ثم المدلجى ، فجاء على فرس ، فقال للمشركين (لا غالب لكم اليوم من الناس) فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سراقه ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، ثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ، يعنى من الحرب ، فكاد ذلك أن يثبطهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدبجى ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا جار لكم من أن تأتیکم كنانة بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، في قوله (وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ ، وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ) فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقه بن مالك بن جعشم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من الحرب التي كانت بينهم ، يقول الله (فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ) ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم (تَكَصَّ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بِرِئِيءٍ مِّنْكُمْ) ، إني أرى ما لا ترون) وصدق عدو الله أنه رأى ما لا يرون ، وقال : (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ، فأوردتهم ثم أسلمهم ، قال : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك بن جعشم لا يتكرونها ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، كان الذي رآه حين نكص ، الحارث بن هشام ، أو عمير بن وهب الجمحى ، فذكر أحدهما ، فقال : أين سراقه ، أسلمتنا عدو الله وذهب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ) . . . إلى قوله (شَدِيدُ الْعِقَابِ) قال : ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدو الله أنه لا يدعى له بالملائكة ، وقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ، وكذب والله عدو الله ، ما به مخافة الله ، ولكن علم أن لا قوة له ، ولا منعة له ، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاض به ، حتى إذا التقى الحق والباطل ، أسلمتهم شر مسلّم ، وتبرأ منهم عند ذلك .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ) . . . الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برياته وجنوده مع المشركين ، وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم ، وإني جار لكم ، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة ، نكص على عقبيه ، قال : رجع مدبرا ، وقال (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن الفرج ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، قال : ثنا مالك ، عن إبراهيم ابن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَارُؤِيَّ إِبْلِيسَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَغِيْظُ ، مِّنْ يَّوْمِ عَرَفَةَ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَرَى مِّنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ عَنِ الذُّنُوبِ ، إِلَّا مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ يَزْعُمُ الْمَلَائِكَةَ » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن

الحسن ، في قوله (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) قال: رأى جبريل معتمرا ببرد، يمشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده اللجام ما ركب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، قال : قال الحسن : وتلا هذه الآية (وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أُعْمَاهُمْ) . . . الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين ببدر ، برأيه وجنوده ، وألقى في قلوب المشركين : أن أحدا لن يغلبكم وأنتم تقتاتلون على دين آبائكم ، ولن تغلبوا كثرة ، فلما التقوا ، نكص على عقبيه ، يقول : رجع مدبرا ، وقال : إني برىء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، يعني الملائكة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : لما أجمعت قريش على السير ، قالوا : إنما نتخوف من بني بكر ، فقال لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم : أنا جار لكم من بني بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

﴿ فتأويل الكلام : وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال ، وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون ، لحربكم وقتالكم ، وحسن ذلك لهم ، وحشم عليكم ، وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من بني آدم ، فاطمئنوا وأبشروا ، وإني جار لكم من كنانة ، أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم ، أجيركم وأمنعكم منهم ، ولا تخافوهم ، واجعلوا جدكم وبأسكم على محمد وأصحابه . (فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ) : يقول : فما تراحت جنود الله من المؤمنين ، وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض . (نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ) : يقول : رجع القهقري على قفاه هاربا ، يقال منه : نكص ينكص وينكص نكوصا ، ومنه قول زهير :

هُم يَنْضَرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضَ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْكُصُونَ إِذَا مَا اسْتُلْحِمُوا وَحَمُوا

وقال للمشركين (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) ، إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) يعني : أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين ، والمشركون لا يرونهم ، إني أخاف عقاب الله ، وكذب عدو الله ، والله شديد العقاب .

القول في تأويل قوله

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ : غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال ، وإذ يقول المنافقون ، وكرّ بقوله (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ) على قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا) . (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني : شك في الإسلام ، لم يصح يقينهم ، ولم تشرح بالإيمان صدورهم . (غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) :

(١) البيت لزهير (ديوانه : مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ٢٦٢) وحبك البيض : طرائقه . الواحدة : حبيكة . وقال أبو منصور الأزهرى (اللسان : نكص) : نكص ينكص (يضم الكاف وكسرهما) . والنكوص : الإحجام والانقذاع عن الشيء ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من الخير ، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة . واستلحموا : أدركوا ولو بسوا . وحموا : اشتد غضبهم .

يقول : غرّ هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم ، وذلك الإسلام ، وذكر أن الذين قالوا هذا القول ، كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش ، ولم يستحکم الإسلام في قلوبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : كان ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين ، قالوا : (غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) .
حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : فئة من قريش : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصي بن منبه بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة ، وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : غرّ هؤلاء دينهم ، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدوتهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا منافقين . قال معمر ، وقال بعضهم : قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرّ هؤلاء دينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله . وذكر لنا أن أبا جهل عدوّ الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال : والله لا يُعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا .

قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلّل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلّل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرّ هؤلاء دينهم ، وإنما قالوا ذلك من قلوبهم في أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم ، لا يشكون في ذلك ، فقال الله : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وأما قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به ، ويرض بقضائه ، فإن الله حافظه وناصره ، لأنه عزيز لا يغلبه شيء ، ولا يقهره أحد ، فجاره منيع ، ومن يتوكل عليه يكفه . وهذا أمر من الله جل ثناؤه ، المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ، أن يفوضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كما يكفيهم أعداءهم ، ولا يستنظهم من ناوئهم ، لأنه عزيز غير مغلوب ، فجاره غير مقهور . حكيم ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه ، حكيم لا يدخل تدبيره خلل .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو تعاین يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار ، فتزعاها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن أسلم ، عن إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ) قال : وأستاهم ، ولكن الله كريم يكتفي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، ثنا سفیان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، في قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ) قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يكتفي .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ) قال : إن الله كفى ، ولو شاء لقال : أستاههم ، وإنما عني بأذبارهم : أستاههم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أستاههم يوم بدر .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ، ضربوا وجوههم بالسيوف ، وإذا ولّوا أذرکتهم الملائكة ، ف ضربوا أذبارهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، إنى رأيت بظهر أبي جهل ، مثل الشراك ، فما ذلك ؟ قال : ضَرَبُ الْمَلَائِكَةِ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « إني حملت على رجل من المشركين ، فذهبت لأضربه ، فندر رأسه ، فقال : سَبَقَكَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حرملة ، أنه سمع عمر مولى عُقْرَةَ يقول : إذا سمعت الله يقول (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) فإنما يريد أستاذهم .

قال أبو جعفر : وفي الكلام محذوف ، استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، وهو قوله (وَيَقُولُونَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) حذفوا يقولون ، كما حذف من قوله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ) ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) بمعنى : يقولون : ربنا أبصرنا .

القول في تأويل قوله

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)

يقول تعالى ذكره محبرا عن قيل الملائكة هؤلاء المشركين الذين قتلوا بيدرك : إنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم ، هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم : أي بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم ، فذوقوا اليوم العذاب ، وفي معادكم عذاب الحريق ، وذلك لكم ، بأن الله ليس بظلام للعبيد ، لا يعاقب أحدا من خلقه إلا بجرمه ، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه ، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه ، وفي فتح « أن » من قوله ، وأن الله : وجهان من الإعراب : أحدهما النصب ، وهو للعطف على « ما » التي في قوله (بِمَا قَدَّمْتُمْ) بمعنى : ذلك بما قدمت أيديكم ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، في قول بعضهم ، والخفض في قول بعض ، والآخر الرفع على ذلك بما قدمت ، وذلك أن الله .

القول في تأويل قوله

كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ،

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : فعَلَّ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا بيدرك كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم ، وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ، ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك . وقد بينا فيما مضى أن الدأب : هو الشأن والعادة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثني الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء (كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كفعل آل فرعون ، كسستن آل فرعون .

وقوله (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) : يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ،

كما عاقب أشكاهم ، والأمم الذين قبلهم (إنَّ اللهَ قَوِيٌّ) لا يغلبه غالب ، ولا يردّ قضاءه رادّ ، ينفذ أمره ، ويمضي قضاءه في خلقه ، شديد عقابه لمن كفر بآياته ، وجحد حججه .

القول في تأويل قوله

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش بيدى بذنوبهم ، وفعلنا ذلك بهم ، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به ، من ابتعائه رسوله منهم ، وبين أظهرهم ، بإخراجهم إياه من بينهم ، وتكذيبهم له ، وحرهم إياه ، فغيرنا نعمتنا عليهم ، بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ، ممن طغى علينا ، وعصى أمرنا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ذلك بأنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يقول : نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

وقوله (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه ، يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر ، عليم بما تضمنه صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا .

القول فى تأويل قوله

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ،

وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ، وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : غسّر هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون بيدى ، نعمة ربهم التى أنعم بها عليهم ، بابتعائه محمدا منهم ، وبين أظهرهم ، داعيا لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحرهم له (كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كسنة آل فرعون وعادتهم ، وفعلهم بموسى نبي الله ، فى تكذيبهم إياه ، وتصديهم لحره ، وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم . (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) : بعضا بالرجفة ، وبعضا بالخسف ، وبعضا بالريح ، (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) فى اليم . (وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ) : يقول : كل هؤلاء الأمم التى أهلكتناها ، كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله ، من تكذيبهم رسل الله ، والجحود لآياته ، فكذلك أهلكتنا

هؤلاء الذين أهلكتناهم بيدر ، إذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف ، وأذلنا بعضهم بالإسار والسبأ .

القول في تأويل قوله

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : إن شر ما دب على الأرض عند الله الذين كفروا بربهم ، فجحدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون ، يقول : فهم لا يصدقون رسل الله ، ولا يقرّون بوحيه وتنزيله .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ، الذين عاهدت منهم يا محمد ، يقول : أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ، ولا يظاهروا عليك محاربا لك ، كقريظة ونظرائهم ، ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم ، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك ، وهم لا يتقون الله ، ولا يخافون في فعلهم ذلك ، أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم .

كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ) قال : قريظة مالتوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول في تأويل قوله

فَإِذَا تَشَفَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإذا تلقين في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم ، فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة ، فتأسرهم (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ) : يقول : فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ، ممن بينك وبينه عهد وعقد ، والتشريد : التطريد والتبديد والتفريق ، وإنما أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم ، إذا قدر عليهم ، فعلا يكون إخافة لمن وراءهم ، ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد ، حتى لا يجترثوا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية ، من نقض العهد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس

قوله : (فِيمَا تَشَقَّقْتَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يعني : نكَّل بهم مَنْ بعدهم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس
(فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) : يقول : نكَّل بهم مَنْ وراءهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فِيمَا تَشَقَّقْتَنَّهُمْ فِي
الْحَرْبِ فَشَرَّدَ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : عظ بهم من سواهم من الناس .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِيمَا تَشَقَّقْتَنَّهُمْ
فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : نكل بهم من خلفهم ، مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ ، لعلهم
يحذرون أن ينكثوا ، فيصنع بهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير
(فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قال : أنذر بهم مَنْ خلفهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن
ابن عباس ، قال : نكَّل بهم من خلفهم ، من بَعْدَهُمْ . قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكَّل
بهم مَنْ وراءهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فِيمَا تَشَقَّقْتَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ) : أي نكل بهم مَنْ وراءهم ، لعلهم يعقلون .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك بن مزاحم يقول في قوله (فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : نكل بهم مَنْ بعدهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله الله (فِيمَا تَشَقَّقْتَنَّهُمْ
فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قال : أخيفهم بما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَآخِرِينَ مِنْ
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) .

وأما قوله (لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ) فإن معناه : كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفهم ،
فيحذروا نقض العهد الذي بينك وبينهم ، خوف أن ينزل بهم منك ، ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

القول في تأويل قوله

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وإمّا تخافنّ يا محمد من عدوّ لك بينك وبينه عهد وعقد ، أن ينكث عهده ، وينقض
عقده ، ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر (فأنبذ إليهم على سواء) يقول : فناجزهم بالحرب ،
وأعلمهم قبل حربك إياهم ، أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ، بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة

منهم؛ حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر. (إن الله لا يحب الخائنين): الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه، أن يغدر به، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد.

فإن قال قائل: وكيف يجوز نقض العهد بخوف الحياة، والخوف ظن لا يقين؟ قيل: إن الأمر بخلاف ما إليه ذهب، وإنما معناه: إذا ظهرت آثار الحياة من عدوك، وخفت وقوعهم بك، فألق إليهم مقاتلهم، وآذنتهم بالحرب، وذلك كالذي كان من بني قريظة، إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين، إلى مظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة، ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خوف الغدر به وبأصحابه منهم، فكذلك حكم كل قوم أهل موادة للمؤمنين، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر، مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها، فحقوق على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء، ويؤذنتهم بالحرب. ومعنى قوله (على سواء): أي حتى يستوى علمك وعلمهم، بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه، لا سلم. وقيل: نزلت الآية في قريظة.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فانبيذ إليهم على سواء) قال قريظة.

وقد قال بعضهم: السواء في هذا الموضع: المهمل.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: إنه مما تبين لنا أن قوله (فانبيذ إليهم على سواء) أنه على مهمل.

كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر).

وأما أهل العلم بكلام العرب، فإنهم في معناه مختلفون، فكان بعضهم يقول: معناه: فانبيذ إليهم على عدل، يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز:

وَاضْرِبْ وَجْوهَ الغُدْرِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

يعني إلى العدل. وكان آخرون يقولون: معناه الوسط من قول حسان:

(١) السواء والسوية: العدل والنصفة. قال تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»، أي عدل. وقال زهير:

أُرُونِي خِطَّةً لا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنُنَا فِيهَا السَّوَاءُ

يا وَيَحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيْبِ فِي سَوَاءِ الْمُتْلِحِدِ
بمعنى في وسط اللحد ، وكذلك هذه المعاني متقاربة ، لأن العدل وسط : لا يعلو فوق الحق ، ولا يقصر عنه ،
وكذلك الوسط عدل ، واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة ، عدل من الفعل ووسط .
وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهمل ، فما لأعلم له وجهها في كلام العرب .

القول في تأويل قول

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
سَبَقُوا إِنَّهُمْ) بكسر الألف من « إنهم » ، وبالتالي في « تحسبن » ، بمعنى : ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا
سبقونا ففاتونا بأنفسهم ، ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم ، فقيل : إن هؤلاء الكفرة لا يُعْجِزُونَ ربه
إذا طلبهم ، وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم ، فيفوتوه بها . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة : (وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالياء في يحسبن ، وكسر الألف من إنهم ، وهي قراءة غير حميدة لمعنيين :
أحدهما : خروجها من قراءة القراء ، وشذوذها عنها ، والآخر : بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن
يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره ، كقوله : عبد الله يحسب أخاك قائما ، ويقوم وقام ، فقارئ
هذه القراءة أحسب يحسب خبرا لغير خبر عنه مذكور ، وإنما كان مراده بطي : ولا يحسبن الذين كفروا
سبقوا ، أنهم لا يعجزوننا ، فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه ، واستعمل في قراءته ذلك كذلك ،
ما ظهر له من مفهوم الكلام ، وأحسب أن الذي دعاه إلى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله ، وذلك أنه فيما
ذكر في مصحف عبد الله (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) وهذا
فصيح صحيح إذا أدخلت أنهم في الكلام ، لأن يحسبن عاملة في أنهم ، وإذا لم يكن في الكلام أنهم كانت
خالية من اسم تعمل فيه . وللذي قرأ ذلك من القراء وجهان في كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح
كلامهم : أحدهما أن يكون أريد به : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، أو أنهم سبقوا ، ثم حذف أن
وأنهم ، كما قال جل ثناؤه (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) بمعنى : أن يريكم ، وقد
ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة :

أُظِنَّ ابْنَ طُرْثُوثٍ عَيْبِنَةً ذَاهِبًا بَعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهُ ٢

بمعنى : أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابه وجعائله . وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه

- (١) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة يرثي بها رسول الله صل الله عليه وسلم . أورده صاحب اللسان في (سوا) شاهدا على أن :
سواء الشيء وسواء (بضم السين وكسرها) : وسطه . وقال تعالى . « فاطلع فرآه في سواء الجحيم » .
(٢) البيت لذي الرمة (ديوانه طبع كمبرج ١٩١٢ ص ٤٧٣) والرواية فيه « لعل » في موضع « لظن » . وعيبنة في موضع
عيبنه ، وأشار في هامشه إلى رواية الطبري هذه . والعادية : بئر اختصاصها فيها . والبئر العادية : هي القديمة تنسب إلى عاد لأنه لا يعلم
من حفرها . والجعائل : جمع جعالة ، وهي ما يجعل للحاكم من الرشا . ورواية المؤلف كرواية القراء في معاني القرآن ص ١٢١ من مصورة
جامعة القاهرة . وكلامه في تخريج الإعراب مؤسس على كلام القراء .

سبقوا إلى سابقين على هذا المعنى ، والوجه الثاني : على أنه أراد إضمار منصوب يحسب ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ، ثم حذف الهمز وأضمر . وقد وجه بعضهم معنى قوله (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه ، وأن ذكر المؤمن مضمرة في قوله يخوف ، إذ كان الشيطان عنده لا يخوف أوليائه . وقرأ ذلك بعض أهل الشام (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالثناء من تحسبن (سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) بفتح الألف من أنهم ، بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ، ولا وجه لهذه القراءة يعقل ، إلا أن يكون أراد القارئ بلا التي في يعجزون ، « لا » التي تدخل في الكلام حشوا وصله .

فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ، ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله إلى التطويل ، بغير حجة يجب التسليم لها ، وله في الصحة مخرج .
 قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندي : قراءة من قرأ (لَا تَحْسَبَنَّ) بالثناء (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنَّهُمْ) بكسر الألف من (إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) بمعنى : ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ، ففاتونا ، إنهم لا يعجزوننا : أي يفوتوننا بأنفسهم ، ولا يقدرن على الحرب منا .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) يقول : لا يفوتون .

القول في تأويل قوله

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ،
 وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم ، الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله . ما استطعتم من قوة ، يقول : ما أطقم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم ، من السلاح والخيل (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) يقول : تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : سمعت أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن

رجل من جهينة يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أَلَا إِنَّ الرَّمْيَ هُوَ الْقُوَّةُ ، أَلَا إِنَّ الرَّمْيَ هُوَ الْقُوَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سعيد بن شريحيل ، قال : ثنا ابن طبيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحارث ، عن أبي عليّ الهمدانيّ ، أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) أَلَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمَنبَرِ « (قَالَ اللَّهُ) : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ ثَلَاثًا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبونعيم ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهنيّ ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ » فقال : أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، ثلاث مرات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة ابن عامر ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا أحمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه محمد بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، في قوله : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن شعبة بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) قال : الحصون (وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) قال : الإناث .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن رجاء بن أبي سلمة ، قال : لقي رجل مجاهدًا بمكة ، ومع مجاهد جواتق ، قال : فقال مجاهد : هذا من القوة ، ومجاهد يتجهز للغزو .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ، من سلاح .

وأما قوله (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) فقال ابن وكيع : حدثنا أبي عن إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة الثقفيّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدو الله وعدوكم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصِيف ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدو الله وعدوكم ، وكذا كان يقرأ : بها ترهبون .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة وخصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (تَرْهَبُونَ بِهِ) تخزون به .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

يقال منه : أرهبت العدو ورهبتة ، فأنا أرهبه وأرهبه إرهاباً وترهيباً ، وهو الرهب والرهب ، ومنه قول طفيل الغنوي :

وَيْلٌ أُمَّ حَيٍّ دَقَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمْ بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرَّعْبِ وَالرَّهَبِ ٢

القول في تأويل قوله

(وَآخِرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) :

اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم ؟ فقال بعضهم : هم بنو قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخِرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ) يعني من بني قريظة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخِرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ) قال قريظة .

وقال آخرون : من فارس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَآخِرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) هؤلاء أهل فارس .

وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين ، غير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشردهم من خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قول الله (فإِذَا تَشَقَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ

(١) يريد أن أين عباس كان يقرأ « تخزون » بدل « ترهبون » كما نقله عنه في الكشاف . اهـ .

(٢) البيت لطفيل الغنوي (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٢٧) ص ٥٦ ، وهو أحد ثلاثة أبيات يمدح بها بني جعفر بن كلاب ، يصفهم بالشجاعة ، وأن من عاداهم فلامه الويل والشكل . قال : ويروي : لله قوم دغم في جنوبهم . وأشار محققه إلى أن هذه الرواية في النقاظ ص ٥٣٤ ، ورأيها ثمة .

فَشَرَّدُوا بِهِمْ مَنْ خَلَّفَهُمْ) قال : أَخِفْتُهُمْ بِهِمْ ، لما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون لاتعلمونهم ، لأنهم معكم يقولون : لا إله إلا الله ، ويغزون معكم .

وقال آخرون : هم قوم من الجن .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب ، وما يتقوتون به على جهاد عدوّه وعدوهم من المشركين ، من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل . ولا وجه لأن يقال : عني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد بين أن ذلك مراد به الخصوص ، بقوله « ألا إن القوة الرمي » قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك ، فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة ، دون سائر معاني القوة عليهم ، فإن الرمي أحد معاني القوة ، لأنه إنما قيل في الخبر « ألا إن القوة الرمي » ولم يقل دون غيرها . ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمي ، أو أبلغ من الرمي فيهم ، وفي النكاية منهم ، هذا مع وهبي سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ) فإن قول من قال : عني به الجن أقرب ، وأشبه بالصواب ، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) الأمر بارتباط الخيل ، لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ، ولا شك أن المؤمنين كانوا علمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب ، ولا معنى لأن يقال : وهم يعلمونهم لهم أعداء ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، ولكن معنى ذلك : إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل ، عدو الله وأعداءكم من بني آدم ، الذين قد علمتم عداوتهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بني آدم ، لاتعلمون أماكنتهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بني آدم لا يرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وإن الجن لاتقرب دارا فيها فرس .

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ماعليه المنافقون ، فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون ؟ قيل : فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم ، التي كانوا يستترون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يرهبه ذلك ، فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون ، وقيل لاتعلمونهم ، فاكتفى للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع ، لأنه أريد لاتعرفونهم ، كما قال الشاعر :

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَاتِكُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ أَلْمُتَّقِينَ وَأَنَا سَوْفَ بِمَا كَلِمَاتِي

القول في تأويل قوله

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُغْلَبُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب ، أو كراع ، أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين ، يخلفه الله عليكم في الدنيا ، ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده ، حتى يوفيكوها يوم القيامة (وَأَنْتُمْ لَا تُغْلَبُونَ) يقول : يفعل ذلك بكم ربكم ، فلا يضيع أجوركم عليه .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُغْلَبُونَ) : أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة ، وعاجل خلفه في الدنيا !

القول في تأويل قوله

* وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا ، فانبد إليهم على سواء ، واذنهم بالحرب : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) : وإن مالوا إلى مسالمتك وبتاركتك الحرب ، إما بالدخول في الإسلام ، وإما بإعطاء الجزية ، وإما بموادعة ، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح . (فَاجْنَحْ لَهَا) : يقول : فقل إليها ، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه . يقال منه : جَنَحَ الرجل إلى كذا يَجْنَحُ إليه جنوحا ، وهي تميم . وقيس فيما ذُكِرَ عنها ، تقول : يَجْنَحُ بضم النون .

وآخرون : يقولون : يَجْنِحُ بكسر النون ، وذلك إذا مال ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

جَوَانِحَ قَدَّ أَيْقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلَ غَالِبِي

جوانح : موائل .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت للتمر بن توبل ، أورده الزنجبوري في المفصل في باب ما يضاف إليه « كلا » قال : وحق ما يضاف إليه « كلا أن » يكون معرفة ومثنى ، أو ما هو في معنى المثنى ، كقوله : . . . البيت . وفي (اللسان : علمت) ، وعلمت يتعدى إلى مفعولين ، تقول علمت عبد الله عاقلا . ويجوز أن تقول : علمت الشيء ، بمعنى : عرفته وخبرته . (ولم يورد له شاهدا) .

(٢) البيت لنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ١٦١ وهو الثالث عشر من قصيدة يمدح بها الحارث الأعرج الغساني وجوانح : جمع جانح . وهو منصوب على الحال من عصائب الطير في بيت قبله . ومعناه أن الطير ترتقب غزوة هذا الملك ، لتشبع من فرائسه حالة كونهن جوانح ، أي مائلات مهبثات للوقوع على الفرائس . وفي تاج العروس : جنح إليه يجنح ، كيمنع على القياس : لغة تميم ، وهي الفصيحة ، ويجنح بالضم : لغة قيس ، ويجنح بالكسر ، وقد قرئ بها شاذا كما في المحتسب وغيره ، فقله شيخنا ، جنوحا ، بالضم : مال ، قال الله عز وجل : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » أي : إن مالوا إليها فقل إليها ، والسلم : المصالحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) قال : للصلح ، ونسخها قوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) إلى الصلح (فَاجْتَنَحْ لَهَا) قال : وكانت هذه قبل براءة ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فإذا أن يسلموا ، وإما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعد في براءة ، فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقال (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وأمره بقتلهم ، حتى يقولوا : لا إله إلا الله ويسلموا ، وألاً يقبل منهم إلا ذلك ، وكل عهد كان في هذه السورة ، وفي غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به ، فإن براءة جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتلهم على كل حال ، حتى يقولوا : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالوا (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) : نسخها الآية التي في براءة قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) : أي إن دعوك إلى السلم ، إلى الإسلام ، فصالحهم عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) قال : فصالحهم ، قال : وهذا قد نسخه الجهاد .

فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله ، من أن هذه الآية منسوخة ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ، ولا فطرة عقل . وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائن ناسخاً ، وقول الله في براءة (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) ، غير ناف حكمه قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) . لأن قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) إنما عني به بنو قريظة ، وكانوا يهودا أهل كتاب ، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومباركتهم الحرب ، على أخذ الجزية منهم . وأما قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم ، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) قال : قريظة .

وأما قوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) : يقول : فَوَضَّ إِلَى اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَكَ ، وَاسْتَكْفَنَهُ وَاتَّقَا بِهِ أَنَّهُ يَكْفِيكَ . كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) إِنْ اللَّهُ كَافِيكَ . وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) . يعني بذلك : إِنْ اللَّهُ الَّذِي تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُ أَنْتَ ، وَمَنْ تَسَلَّمَهُ وَتَتَارَكَهُ الْحَرْبُ ، مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِكَ ، عِنْدَ عَقْدِ السَّلْمِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَيَشْرَطُ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الشَّرْطِ . وَالْعَلِيمُ بِمَا يَضْمُرُهُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ ، مِنَ الْوَفَاءِ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ ، وَمِنَ الْمَضْمُرِ ذَلِكَ مِنْكُمْ فِي قَلْبِهِ ، وَالْمَنْظُورِ عَلَى خِلَافِهِ لِصَاحِبِهِ .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ، هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : وَإِنْ يَرِدُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءِ ، إِنْ خَفَتَ مِنْهُمْ خِيَانَةٌ ، وَبِمَسَالِمِهِمْ ، إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ، خِدَاعُكَ وَالْمَكْرُوكُ بِكَ (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) يَقُولُ : فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَهُمْ ، وَكَافِيكَ خِدَاعَهُمْ إِيَّاكَ ، لِأَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَى الْأَدْيَانِ ، وَمَتَضَمِّنٌ أَنْ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعَلِيَا ، وَكَلِمَةَ أَعْدَائِهِ السُّفْلَى : (هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ) يَقُولُ : اللَّهُ الَّذِي قَوَّكَ بِنَصْرِهِ إِيَّاكَ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ :

يعنى : بالأنصار .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) قال : قريظة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) : هو من وراء ذلك .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ) قال : بالأنصار .

القول في تأويل قوله

وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَسَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَدَيْهِمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

يقول جل ثناؤه بقوله (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج ، بعد التفرق والتشتت ، على دينه الحق ، فصيرهم به جميعا ، بعد أن كانوا أشتاتا ، وإخوانا بعد أن كانوا أعداء . وقوله (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) : يقول تعالى ذكره لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً من ذهب وورق وعَرَّض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحبيلك ، ولكن الله جمعها على الهدى ، فائتلفت واجتمعت ، تقوية من الله لك ، وتأيداً منه ، ومعونة على عدوك . يقول جل ثناؤه : والذي فعل ذلك ، وسببه لك ، حتى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويدا واحدة على من بغاك سوءاً ، هو الذي إن رام عدوً منك مرأماً يكفيك كيده ، وينصرك عليه ، فثق به ، وامض لأمره ، وتوكل عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وألّف بين قُلُوبِهِمْ) قال : هؤلاء الأنصار ، ألّف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم .

حدثنا محمد بن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بشير بن ثابت رجل من الأنصار ، أنه قال في هذه الآية (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) : يعني الأنصار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وألّف بين قُلُوبِهِمْ) على الهدى الذي بعثك به إليهم . (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) بدينه الذي جمعهم عليه ، يعني الأوس والخزرج .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إبراهيم الجزري ، عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد ، عن مجاهد ، قال : إذا التى المسلمان فتصافحا غُفِرَ لهما . قال : قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني . حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد ، عن أبي عمرو ، قال : ثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد ، ولقيته ، وأخذ بيدي ، فقال : إذا تراءى المتحابان في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، تحانت خطاياهما ، كما يتحات ورق الشجر . قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير ، قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) قال عبدة : فعرفت أنه أفاقه مني .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا فضيل بن غزوان ، قال : أتيت أبا إسحاق ، فسلمت عليه ، فقلت : أتعرفني ؟ فقال فضيل : نعم ، لولا الحياء منك لقبيلتك . حدثني أبو الأحوص ، عن عبد الله ، قال : نزلت هذه الآية في المتحابين في الله (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمير بن إسحاق ، قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس ، أو قال عن الناس : الألفة .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي ، قال : ثنا
عبد بن أبي لباية ، عن مجاهد ، ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث ، عن فضيل بن غزوان ، عن
أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : سمعت عبد الله يقول : (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : هم المتحابون في الله .
وقوله (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج ، بعد تشتت
كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصارا . عزيز : لا يقهره شيء ، ولا يرد قضاءه راداً ، ولكنه ينفذ في خلقه
حكمه . يقول : فعليه فتوكل ، وبه فتق . حكيم : في تدبير خلقه .

القول في تأويل قول

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي حسبك الله ، وحسب من اتبعك من
المؤمنين الله ، يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا عدوكم ، فإن الله كافيكم أمرهم ، ولا يهولنكم كثرة عددهم ،
وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن شوذب بن معاذ ، عن
الشعبي في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : حسبك الله وحسب
من اتبعك من المؤمنين الله .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن
شوذب ، عن الشعبي ، في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال :
حسبك الله ، وحسب من معك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شوذب ، عن عامر ، بنحوه ، إلا أنه
قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ
وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : يا أيها النبي حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، أن حسبك
أنت وهم الله ، فمن ، من قوله (وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي ،
نصب عطفًا على معنى الكاف في قوله (حَسْبُكَ اللَّهُ) لا على لفظه ، لأنها في محل خفض في الظاهر ،
وفي محل نصب في المعنى ، لأن معنى الكلام يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين . وقد قال بعض

أهل العربية في « مَنْ » : لأنها في موضع رفع على العطف على اسم الله ، كأنه قال : حسبك الله ، ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين ، دون القاعدین عنك منهم ، واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله (حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) .

القول في تأويل قوله

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ : إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) أَلَّنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) حدث متبعيك ومصديقك ، على ما جنتهم به من الحق ، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ) رجلا (صَابِرُونَ) عند لقاء العدو ، يحاسبون أنفسهم ، ويثبتون لعدوهم ، (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) من عدوهم ويقهروهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ) عند ذلك (يَغْلِبُوا) منهم (أَلْفًا) . (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) : يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا ، وطلب موعود الله في المعاد ، ما وعد المجاهدين في سبيله ، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا ، فتذهب دنياهم ، ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) : يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ) عند لقاءهم للثبات لهم (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) منهم (بِإِذْنِ اللَّهِ) يعني بتخليفة الله إياهم لغلبتهم ، ومعونته إياهم (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) لعدوهم ، وعدو الله احتسابا في صبره ، وطلبا لجزيل الثواب من ربه ، بالغون منه له ، والنصر عليه .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن عطاء في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد بائتين ، لا ينبغي له أن يفرّ منهما .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار ، فقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) فخفف ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلا ، قال ابن عباس : فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، ثنا عبد الله بن أبي نجيح المكي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، ثقلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتلوا عشرون مئة ، ومئة ألفا ، فخفف الله عنهم ، فنسخها بالآية الأخرى ، فقال (الآن خفف الله عنكم وعليم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإن كانوا دون ذلك ، لم يجب عليهم أن يقاتلوا ، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفروا منهم ، فكانوا كذلك حتى أنزل الله (الآن خفف الله عنكم ، وعليم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين) فعبا لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، فنسخ الأمر الأول ، وقال مرة أخرى في قوله (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله ، فقال (إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال) . . . إلى قوله (بأثم قوم لا يعقّبون) وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشبههم ، يعنى يغيرهم بذلك ، ليوطئوا أنفسهم على الغزو ، وإن الله ناصرهم على العدو ، ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضا ، ووصية أمر الله بها نبيه ، ثم خفف عنهم ، فقال (الآن خفف الله عنكم وعليم أن فيكم ضعفاً) ، فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله ، واصبروا وصدقوا ، ولو كان عليهم واجبا الغزو إذن ، بعد كل رجل من المسلمين ، عمن لقي من الكفار ، إذا كانوا أكثر منهم ، فلم يقاتلوه ، فلا يغررك قول رجال ، فإني قد سمعت رجلا يقولون : إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحسب ذلك ، وزعموا أنهم يعصرون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك ، وأنه لا حرج عليهم ألا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة ، وقد قال الله (ومين الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رءوف بالعباد) وقال الله (فقاتل في سبيل الله

لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ) فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الأنفال ، فلا يعجزك قائل : قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله أن يكونوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال في سورة الأنفال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَتَمِّهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) ثم نسخ فقال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ، ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم ألا يفرّ رجل من رجلين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) . . . إلى قوله (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ) قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار ، فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجل رجلين ، تخفيفاً من الله .

حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس ، قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة ، إذ المسلمون قليل ؛ فلما كثّر المسلمون خفف الله عنهم ، فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون ميتين أن لا يفرّوا ، فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم ، وقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَتَيْنِ) فيقول : لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَتَيْنِ) : جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة . وهذا الحديث عن ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الحرّيت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُونَ أَلْفًا)

فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) فخفف الله عنهم ، ونُقِصُوا من الصبر بقدر ذلك .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) يقول : يقاتلوا ميتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، ففسخها الله عنهم ، فخفف فقال : (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) ، فجعل أول مرة الرجل عشرة ، ثم جعل الرجل لاثنين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِثَّتَيْنِ) قال : كان فرّص عليهم إذا لقي عشرون ميتين ألا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم ، فقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ) فيقول : لا ينبغي أن يفرا ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال كان هذا واجبا : ألا يفرا واحد من عشرة .

وبه قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

وأما قوله (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) فقد بينا تأويله .

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) : أي لا يقاتلون على نية ، ولا حق فيه ، ولا معرفة لخبر ولا شر .

وهذه الآية ، أعنى قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر ، يدل على ذلك قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمثمة من عدوهم ، كان غير فرض عليهم قبل التخفيف ، وكان ندبا ، لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد ، وإذا كان ذلك كذلك ، فعلوم أن حكم قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) ناسخ لحكم قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، وقد بينا في كتابنا « كتاب لطيف البيان ، عن أصول الأحكام » أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء ، وعلى تركه عقابا وعذابا ، وإن لم يكن خارجا ظاهره مخرج الأمر ، ففي معنى الأمر ، بما أعنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) بضم الضعف في جميع القرآن ، وتنوين الضعف على المصدر ، من ضعف الرجل ضعفا . وقرأ

ذلك عامة قرآء الكوفيين (وَعَلِمَ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا) بفتح الضاد، على المصدر أيضا من ضعف، وقرأه بعض المدنيين ضَعْفَاء على تقدير فَعَلَاء، جمع ضعيف على، ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء، والرحيم رحماء.
 ❦ وأولى القراءة في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه: وعلم أن فيكم ضَعْفًا وضمعا، بفتح الضاد أو ضمها، لأنهما القراءتان المعروفتان، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب. فأما قراءة من قرأ ذلك ضَعْفَاء فلإنها عن قراءة القراء شاذة، وإن كان لها في الصحة مخرج، فلا أحب لقارئ القراءة بها.

القول في تأويل قوله عز ذكره

مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشُحِنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)

❦ يقول تعالى ذكره: ما كان لنبي أن يحتبس كافرًا قدّر عليه، وصار في يده، من عبدة الأوثان، للفداء أو للمن. والأسرى في كلام العرب: الحبس، يقال منه: مأسور، يراد به: محبوس، ومسموع منهم: أناله لله أسرًا، وإنما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسره صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.
 وقوله (حَتَّىٰ يَشُحِنَ فِي الْأَرْضِ) يقول: حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم، غلبته وقسّرها، يقال منه: أثن فلان في هذا الأمر إذا بالغ فيه، وحكى أثنته معرفة، بمعنى: قتلته معرفة (تَرِيدُونَ) : يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين، وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع، يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها (وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة، وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جنّاته، بقتلكم إياهم، وإثخانكم في الأرض، يقول لهم: واطلبوا ما يريد الله لكم، وله اعملوا، لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم، من الرغبة في الدنيا وأسبابها. (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) يقول: إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم، لأن الله عزيز، لا يقهر ولا يغلب، وأنه (حَكِيمٌ) في تدبيره أمر خلقه.
 وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشُحِنَ فِي الْأَرْضِ) وذلك يوم بدر، والمسلمون يومئذ قليل؛ فلما كثروا، واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى (فإمّا منّا بعدد وإمّا فداءً) فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلهم، وإن شاءوا استعبدهم، وإن شاءوا فادوهم.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ، تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا) ... الآية ، قال : أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ، ففادَوْهُمْ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ ، ولعمري ، ما كان أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وكان أول قتال قاتله المشركين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، قال : الإثخان : القتل حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) قال : إذا أسرتهم ، فلا تفادوهم حتى تُثخنوا فيهم القتل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى) ... الآية ، نزلت الرخصة بعد ، إن شئت فمن ، وإن شئت ففاد .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يعني : الذين أسروا بيدر .

حدثنا ابن حمد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى) من من عدوه (حتى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) : أي يثخن عدوه ، حتى ينفهم من الأرض (تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا) : أي المتاع والفداء ، بأخذ الرجال (وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) بقتلهم ، لظهور الدين ، الذي يريدون إطفاءه ، الذي به تُدرك الآخرة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بيدر ، وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تَقْبُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ، لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قد مهم فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله ابن رواحة : يا رسول الله ، انظر واديا كثير الخطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا ، قال : فقال له العباس : قطعت رحمتك ، قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجهم ، ثم دخل فقال ناس : يا أخدُ يَقُولِ أَبِي بَكْرٍ ، وقال ناس : يا أخدُ يَقُولِ عُمَرَ ، وقال ناس : يا أخدُ يَقُولِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الله لَيُؤَلِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ ، حَتَّى تَكُونَ مِنَ السَّبِينِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أبا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَمَثَلُكَ يَا أبا بَكْرٍ مَثَلُ عَيْسَى ، قال : إِنْ تَعَدَّ بِهِمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ عِبَادُكَ ، ... الآية ، وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ ، قال : رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ،

وَمَثَلُكَ يَا بَنَى رَوَاحَةَ كَمَثَلِ مُوسَى ، قَالَ (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَزُولَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُتِيتُ الْيَوْمَ عَالَةً ، فَلَا يَنْفَلِدِينَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ ، أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِلَّا سَهْمِيلَ ابْنَ بَيْضَاءَ ، فَإِنِّي سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخُوفُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ ، مَنَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِلَّا سَهْمِيلَ ابْنَ بَيْضَاءَ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) . . . إلى آخر الثلاث الآيات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا أبو زَمَيْلٍ ، قال : ثنا عبد الله بن عباس ، قال : لما أسروا الأسارى ، يعنى يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ؟ » قال : ما ترون في الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العجم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا بَنَى الحَطَّابِ ؟ فقال : لا ، والذي لا إله إلا هو ، ما أرى الذى رأى أبو بكر يا نبي الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن عليا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس ، فيضرب عنقه ، وتمكنني من فلان ، نسيب لعمر ، فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت . قال عمر : فلما كان من الغد جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تبكيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذي عرّضَ لأصحابي ، من أخذهم الفداء ، ولتقدّ عرّضَ عليّ عند أبككم أدنى من هذه الشجرة ، لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزله الله عز وجل (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) . . . إلى قوله (حَلَالًا طَيِّبًا) وأحلّ الله الغنيمة لهم .

القول فى تأويل قوله

لَوْ لَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا واحدوا من الأسرى الفداء (لَوْ لَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ) يقول : لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر فى اللوح المحفوظ ، بأن الله محجل لكم الغنيمة ، وأن الله قضى فيما قضى ، أنه لا يُضِلُّ قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، وأنه لا يعذب أحدا شهيد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ناصرًا دين الله ، لناكم من الله ، بأخذكم الغنيمة والفداء ، عذاب عظيم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، قال : إن الله كان مطعم هذه الأمة الغنيمة ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به ، قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، وذلك يوم بدر ، أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغنم والأسارى ، قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب : المغنم والأسارى حلال لحمد وأمه ، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغنم ، وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك ، قال الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) يعني في الكتاب الأول ، أن المغنم والأسارى حلال لكم (لِمَسْكُكُمْ) فيما أخذتم عذاب عظيم) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الأمم ، إذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان ، وحرّم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا ، حرم ذلك على كل نبي ، وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يتعلّون منه ، ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا ، إلا عذبهم الله عليه ، وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا ، فلم يحلّه لنبي ، إلا لحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله في قضائه أن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر في أخذ الفداء من الأسارى (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُكُمْ) فيما أخذتم عذاب عظيم) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : إن الله كان معطى هذه الأمة الغنيمة ، وفعّلوا الذي فعلوا قبل أن تحلّ الغنيمة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الأعمش ، في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله أن أحلّ لهم الغنيمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن بشير بن ميمون ، قال : سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة ، قال : قرأ هذه الآية (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُكُمْ) فيما أخذتم عذاب عظيم) قال : يعني : لولا أنه سبق في علمي أني سأحلّ الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية ، بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أُحِلَّتِ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سِوَدِ الرَّءُوسِ »

مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَانَتْ تَنْزِيلُ نَارٍ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلُهَا » حَتَّى كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْغَنَائِمِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) . . . حَتَّى بَلَغَ (حَلَالًا طَيِّبًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، قال : فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين ، وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتَارُوا أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، فَتَقْوُوا بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ ، أَوْ تَقْتُلُوهُمْ » ، فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ، وقتل منهم سبعون « قال عبيدة : وطلبوا الخيبرتين كلتيهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : كان فداء أسارى بدر : مئة أوقية ، والأوقية أربعون درهما ، ومن الدنانير : ستة دنانير .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن عثية ، قال : ثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ » ، وَأَسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ بَعْدَ تَيْهِمٍ ، فَقَالُوا : بلى ، نأخذ الفداء ، فنستمع به ، ويستشهد منا بعدتهم . »

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام بن يحيى ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : أمر عمر رضي الله عنه بقتل الأسارى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : كان المغنم محرماً على كل نبي وأمه ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قرباناً تأكله النار ، وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحل المغنم لهذه الأمة ، يأكلونه في بطونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء في قول الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) قال : كان في علم الله أن تحل لهم الغنائم ، فقال : لولا كتاب من الله سبق بأنه أحل لكم الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم ، لمسهم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : لأهل بدر من السعادة .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر مشهدهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله خير لأهل بدر .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أُخِذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) كان سبق لهم من الله خير ، وأحل لهم الغنائم .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه .
حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أُخِذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر ، قبل أن أحلها لكم ، فقال : سبق من الله العفو عنهم ، والرحمة لهم ؛ سبق أنه لا يعذب المؤمنين ، لأنه لا يعذب رسوله ، ومن آمن به ، وهاجر معه ونصره .
وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) سبق ذلك وسبق أن لا يؤخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أُخِذْتُمْ) قال ابن جريج : قال ابن عباس : فيما أخذتم مما أسرتم ، ثم قال بعد : (فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : عاتبه في الأسارى ، وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثني أبو سلمة ، عن محمد ، قال : ثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَأَعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ؛ وَكَمْ تَحِلَّ لِنَبِيِّي كَانَ قَبْلِي ، وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، حَمْسٌ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ كَانَ قَبْلِي . قال محمد : فقال (مَا كَانَ لِنَبِيِّ) أى قبلك (أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى) . . . إلى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ

مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أُخَذْتُمْ) أى من الأسارى والمغانم (عَدَابٌ عَظِيمٌ) : أى لولا أنه سبق منى أن لا أعذب إلا بعد النهى ، ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم ، رحمة ونعمة ، وعائدة من الرحمن الرحيم .

يقول أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك باللصواب ما قد بيناه قبل ، وذلك أن قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) خبر عام ، غير محصور على معنى دون معنى ، وكل هذه المعانى التى ذكرتها عن ذكرت ، مما قد سبق فى كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة ، وذلك ما عملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة ، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى ، وقد عمّ الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحب الغنائم ، إلا عمر بن الخطاب ، جعل لا يلقى أسيرا إلا ضرب عنقه ، وقال : يا رسول الله مالنا وللغنائم ؟ نحن قوم نجاهد فى دين الله ، حتى يعُبد الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ عُدْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ يَا عُمَرُ مَا تَجَا غَيْرُكَ . قال الله : لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما نزلت (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ نَزَلَ عَدَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - لقوله : يانبي الله ، كان الإثنان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

القول فى تأويل قوله

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين ، حلالا بإحلاله لكم طيبا . (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا فى دينكم شيئا بعد هذه ، من قبل أن يعهد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموهما من قبل أن يحل لكم . (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم .

وتأويل الكلام : فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا إن الله غفور رحيم ، واتقوا الله ، ويعنى بقوله (إن الله غفور) لذنوب أهل الإيمان من عباده (رحيم) بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله

يَسْأَلُهَا النَّبِيُّ ، قُلْ : لَمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبى ، قل لمن فى يديك وفى أصحابك من

أسرى المشركين ، الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ : إن يعلم الله في قلوبكم خيرا ، يقول : إن يعلم الله في قلوبكم إسلاما ، يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء (وَيَغْفِرَ لَكُمْ) يقول : ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترتموه ، بقتالكم نبي الله وأصحابه ، وكفركم بالله (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لذنوب عباده إذا تابوا (رَحِيمٌ) بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة . وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول : في نزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبي إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : في نزلت (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونُ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي ، وسألته أن يخاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني ، فأبى ، فأبدلني الله بها عشرين عبدا ، كلهم تاجر ، مالى في يديه .

وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد : ثنى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رباب ، قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : في والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي ، ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ، ثمانون ألفا ، وقد توضع لصلاة الظهر ، فأعطى يومئذ شاكيا ، ولا حرم سائلا ، وما صلى يومئذ حتى فرقه ، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي ، فأخذ . قال : وكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا ، وأرجو المغفرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى) . . . الآية ، وكان العباس أسير يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين نزلت هذه الآية : لقد أعطاني الله خصلتين ، ما أحب أن لي بهما الدنيا ، إني أسرت يوم بدر ، ففديت نفسي بأربعين أوقية ، فأتاني أربعين عبدا ، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعني بذلك من أسير يوم بدر ، يقول : إن عملتم بطاعتي ، ونصحتم لرسولي ، آتيتكم خيرا مما أخذ منكم ، وغفرت لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى) عباس وأصحابه ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به ، ونشهد أنك لرسول الله ، لننصحن لك على قومنا ؛ فنزل (إن

يَعْلِمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) إيماناً وتصديقاً ، يُخْلِيفَ لَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُصِيبَ مِنْكُمْ (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) الشرك الذي كنتم عليه ، قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي الدنيا ، لقد قال (يُوْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) فقد أعطاني خيراً مما أخذ مني مئة ضعف ، وقال (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) وأرجو أن يكون قد غفر لي .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) . . . الآية ، يعنى العباس وأصحابه أسروا يوم بدر ، يقول الله : إن عملتم بطاعتي ، ونصحتم لي ولرسولي ، أعطيتكم خيراً مما أخذ منكم ، وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله خصلتين ، ما شيء هو أفضل منهما : عشرين عبداً . وأما الثانية ، فنحن في موعود الصادق ، ننتظر المغفرة من الله سبحانه .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنْ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم خيانتك : أى الغدر بك والمكر والخداع ، بإظهارهم لك بالقول ، خلاف ما في نفوسهم ، فقد خانوا الله من قبل ، يقول : فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر ، وأمكن منهم بيد المؤمنين ، والله عليم بما يقولون بألسنتهم ، ويضمرونه في نفوسهم ، حكيم في تدبيرهم ، وتدبير أمور خلقه سواهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) يعنى : العباس وأصحابه فى قولهم : آمنا بما جئت به ، ونشهد أنك رسول الله ، لننصحن لك على قومنا ، يقول : إن كان قولهم خيانة ، فقد خانوا الله من قبل ، فأمكن منهم : يقول : قد كفروا وقتلوك ، فأمكنك الله منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمده ففاق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : ما كان محمد يكتب إلا ما شئت ؛ فلما سمع ذلك رجل من الأنصار ، نذر : لن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف ؛ فلما كان يوم الفتح ، آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن ضبابة ، وابن خطال ، وامرأة كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح ، فجاء عثمان بابن أبي سرح ، وكان رضيعة : أو أخاه من الرضاعة ، فقال : يا رسول الله ، هذا فلان

أقبل تائباً نادماً ، فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلداً سيفه ، فأطاف به ، وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء أن يوحى إليه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلومتك فيه ، لتوفى نذرك ، فقال : يا نبي الله إني هببتك ، فلولا أومضت إلى ، فقال : إنه لا ينبغي لني أن يومض .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَابَتِكَ فَقَدُوا خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) : يقول : قد كفروا بالله ، ونقضوا عهده ، فأمكن منهم بيلدر .

القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ، أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ، وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ يَبْنَؤُكُمْ وَيُنْفِثُكُمْ مِيثَاقًا ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله (وَهَاجَرُوا) : يعني : هجروا قومهم وعشيرتهم وذورهم ، يعني : تركوهم ، وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) : يقول : بالغوا في إتعاب نفوسهم وإنصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله ، يقول في دين الله الذي جعله طريقاً إلى رحمته ، والنجاة من عذابه (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه ، وهو : المشوى والمسكن ، يقول : أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن ، إذ أخرجهم قومهم من منازلهم (وَنَصَرُوا) : يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) : يقول : هاتان الفرقتان ، يعني المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض ، دون أقربائهم الكفار . وقد قيل : إنما عتيت بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وإن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام ، وإن الله نسخ ذلك بعد بقوله وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا)

أَوْلَيْكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (يعنى فى الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار، دون ذوى الأرحام، قال الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) : يقول : ما لكم من ميراثهم من شىء ، وكانوا يعملون بذلك ، حتى أنزل الله هذه الآية (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فى الميراث، فنسخت التى قبلها ، وصار الميراث لذوى الأرحام . حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : لاهجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك (وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أَوْلَيْكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) ... إلى قوله (حَتَّى يُهَاجِرُوا) وذلك أن المؤمنین كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل : منهم المؤمن المهاجر المباین لقومه فى الهجرة . خرج إلى قوم مؤمنین فى ديارهم وعقارهم وأموالهم . وفى قوله (آوَوْا وَتَصَرَّوْا) وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السیوف على من كذب وجحد ، فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض ، كانوا يتوارثون بينهم ، إذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى ، بالولاية فى الدين ، وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث ، من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرأ الله المؤمنین المهاجرین من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله (مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) وكان حقا على المؤمنین الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم إن قاتلوا ، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق ، فلا نصر لهم عليهم ، إلا على العدو الذى لا ميثاق لهم ، ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنین الذين هاجروا ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ، فجعل لكل إنسان من المؤمنین نصيبا مفروضا بقوله (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، ويقوله (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) . حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قال : الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين ، وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا) . . إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) قال : بلغنا أنها كانت فى الميراث ، لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا ، والمؤمنون الذين لم يهاجروا ، قال : ثم نزل بعد (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فتوارثوا ولم يهاجروا . قال ابن جريج : قال مجاهد : خواتيم الأنفال الثلاث الآيات ، فهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرین المسلمين وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . إلى قوله (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) قال : لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئا ، فسخ ذلك بعد ذلك قول الله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) : أى من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ، ولا ميراث لهم ، وصارت الموارث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالا (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) كان الأعرابي لا يرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، فسخها فقال (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الْمِيرَاثِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا) وهؤلاء الأعراب (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) في الميراث (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) يقول بانهم مسلمون (فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في الميراث (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله ، ثم نسخها الفرائض والموارث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون .

القول في تأويل قوله

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) :

يعنى بقوله تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) الذين صدقوا بالله ورسوله (وَلَمْ يُهَاجِرُوا) قومهم الكفار ، ولم يفرقوا دار الكفر إلى دار الإسلام (مَا لَكُمْ) أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب (مِنْ وَلَايَتِهِمْ) يعنى : من نصرتهم وميراثهم ، وقد ذكرت قول بعض من قال : معنى الولاية ههنا : الميراث ، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعد (مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) قومهم ودورهم ، من دار الحرب إلى دار الإسلام (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين . يعنى بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين ، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر ، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، يعنى عهد قد وثق به بعضكم على بعض ألا يحاربه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) : يقول : والله بما تعملون

فيا أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والأنصار . وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ، ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم ، بصير : يراه ويبصره ، فلا يخفى عليه من ذلك ، ولا من غيره شيء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة ، وكان الرجل يُسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه ، فنسخ ذلك ، قوله (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام ، فقال : تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنت لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) يعني : إن استنصركم الأعراب المسلمون أيها المهاجرون والأنصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم (إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم تُوُفِّيَ على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابي مؤمن لم يهاجر إن استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذن له ، وإن استنصر النبي صلى الله عليه وسلم في الدين ، كان حقا عليه أن ينصره ، فذلك قوله (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ) والرابعة : التابعون بإحسان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا) . . . إلى آخر السورة ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابي ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله . وقد ذكرنا قول من قال : عن بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قوايتهم من المؤمنين ، وسند ذكر بقية من حضرنا ذكره .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : قال رجل : نورث أرحامنا من المشركين ؟ فنزلت (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) نزلت في موارث مشركي أهل العهد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : كان المؤمن المهاجر ، والمؤمن الذي ليس بمهاجر لايتوارثان ، وإن كانا أخوين مؤمنين ، قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلا ، حتى كان يوم الفتح ؛ فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حينما كانوا بالأرحام ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَاهِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ، وقرأ (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الكفار بعضهم أنصار بعض ، وأنه لا يكون مؤمنا من كان مقبلا بدار الحرب ولم يهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول : إن ظهر هؤلاء كنت معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ، فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله في ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك إلا صاحب جزية مقرا بالخراج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين ، دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض . وأما قوله (إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم : معناه : لا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به ، من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ، ودون الكفار ، تكن فتنة ، يقول : يحدث بلاء في الأرض بسبب ذلك ، وفساد كبير ، يعنى : ومعاصي الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) إلا تفعلوا هذا ، تركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون ، تكن فتنة

في الأرض وفساد كبير ، قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يعني في الميراث (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) يقول : إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به (تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلتناصروا أيها المؤمنون في الدين ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين ، دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم ردّ المواريث إلى الأرحام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : إلتعاونوا وتناصروا في الدين ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المومنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب ، وترك الهجرة ، لأن المعروف في كلام العرب من معنى الولي أنه النصير والمعين ، أو ابن العم والنسيب . فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده ، وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن أولى التأويلين بقوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) تأويل من قال : إلتفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين ، تكن فتنة في الأرض إذ كان مبتدأ الآية من قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء ، وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) أي آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ، ونصروهم ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان

بالله ورسوله حقا ، لامن آمن ولم يهاجر دار الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغز مع المسلمين عدوهم (لَمْ مَعْفِرَةً) يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : لهم في الجنة طعم ومشرب هنيء كريم ، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجوا ، ولكنه يصير رشحا كرشح المسك ، وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : إن معنى قول الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في هذه الآية ، وقوله (مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) إنما هو النصرة والمعونة ، دون الميراث ، لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لهم عنده ، دون من لم يهاجر بقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . الآية ، ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحث على مضي الميراث على ما أمر وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لاناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبياي ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر ، وهاجروا دار الكفر إلى دار الإسلام ، وجاهدوا معكم أيها المؤمنون ، فأولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ، ولبعضكم على بعض .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم رد الموارث إلى الأرحام التي بينهم فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي في الميراث (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

القول في تأويل قوله

(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا ، وحظا من الخليف والولي (فِي كِتَابِ اللَّهِ) يقول : في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ ، والسابق من القضاء (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده في توريثه بعضهم من بعض في القرابة ، والنسب ، دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لا يخفى عليه شيء منها . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا قتادة ، أنه قال : كان لا يرث الأعرابي المهاجر ، حتى أنزل الله (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) .
 حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحارث ، أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سرية ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زوجت ، فولدت غلاما ، ثم ماتت السرية ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث في كتاب الله ، قال : فقضى شريح بالميراث للغلام ، قال (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، وأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن الزبير إلى شريح ، أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية ، أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول : ترثني وأرثك ، فنزلت (وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها جنين بطنها ، وأبى أن يرجع عن قضائه .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، قال : ثنا عيسى بن الحارث ، قال : كانت لشريح بن الحارث سرية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : ترثني وأرثك ؛ فلما نزلت ، ترك ذلك .

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة

القول في تأويل قوله ذكره

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)

يعني بقوله جل ثناؤه (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) : هذه براءة من الله ورسوله ، فبراءة مرفوعة بمحذوف ، وهو هذه ، كما قوله (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا) مرفوعة بمحذوف هو : هذه ، ولو قال قائل : براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله (إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ) وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها ، وهي قوله (مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) كالمعرفة ، وصار معنى الكلام براءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبا غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجب إلى ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معان نكرة كان أو معرفة ذلك المعان ، وهذا وهذه ، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن : حسن والله ، والقبيح ، قبيح والله ، يريدون هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ، فلذلك اخترت القول الأول ، وقال (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ) والمعنى : إلى الذين عاهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من يعقدها بأمره ، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلمين ، فصار عقده عليهم ، كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال (إلى الدين عاهدتم من المشركين) لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله إليه ، من العهد الذي كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له في السياحة في الأرض أربعة أشهر ، فقال بعضهم : هم صنفان من المشركين : أحدهما : كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر ، وأمهل بالسياحة أربعة أشهر : والآخر منهما . كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقصر به على أربعة أشهر ، لينتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقتل حينئذ أدرك ، ويؤسر إلا أن يتوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحجاج من سنة تسع ، ليقم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت سورة براءة ، في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم ، ألا يصد عن البيت أحد جاءه ، وألا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى ، فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمي لنا ، ومنهم من لم يسم لنا ، فقال (براءة من الله ورسوله إلى الدين عاهدتم من المشركين) أي لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب ، (فسبيحوا في الأرض أربعة أشهر) . . . إلى قوله (أن الله برئ من المشركين ورسوله) أي بعد هذه الحجة .

وقال آخرون : بل كان إمهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر ، من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، فإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والحرم كله ، قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم ، كما قال الله (فإذا انسلاخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) . . . الآية ، قالوا : والنداء ببراءة كان يوم الحج الأكبر ، وذلك يوم النحر في قول قوم ؛ وفي قول آخرين : يوم عرفة ، وذلك خمسون يوماً ، قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يوم نزلت براءة . قالوا : ونزلت في أول شوال ،

فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الأشهر الحرم ، وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدا ، أعنى الذى له العهد ، والذى لاعهد له ، غير أن أجل الذى كان له عهد ، كان أربعة أشهر ، والذى لاعهد له : انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : حدثنا الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر ، يسيحون فيها حيثما شاءوا ، وحدّ أجل من ليس له عهد ، انسلاخ الأشهر الحرم ، من يوم النحر إلى انسلاخ الحرم ، فذلك خمسون ليلة ، فإذا أنسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ) . . . إلى (وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد ، يوم نزلت براءة ، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن ينزل براءة ، انسلاخ الأشهر الحرم ، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن براءة إلى انسلاخ الحرم ، وهى خمسون ليلة : عشرون من ذى الحجة ، وثلاثون من المحرم ، فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، إلى قوله (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة ، وانسلخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن براءة إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قبل أن تنزل براءة ، عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإنى أنقض العهد الذى بينك وبينهم ، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاءوا من الأرض آمنين ، وأجل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن براءة ، وأذن بها يوم النحر ، فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة ، فأمر الله نبيه إذا انسلخ الحرم ، أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم ، حتى يدخلوا فى الإسلام ، وأمر بمن كان له عهدا إذ انسلخ أربعة من يوم النحر ، أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم ، حتى يدخلوا فى الإسلام ، فكانت مدة من لاعهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر ، من يوم النحر إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) . . . إلى قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَلِيًّا نَادَى بِالْأَذَانِ ، وَأَمَرَ عَلَى الْحَاجِّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ الْعَامَ الَّذِي حَجَّ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ ، وَلَمْ يَحْجِ الْمَشْرِكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ .

قوله (الَّذِينَ عَاهَدُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) . . . إلى قوله (إلى مُدَّتِهِمْ) قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفِّيَ بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لا عهد له انسلاخ الحرم ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وأمر بقتلهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا أن الله ، وأن محمدا رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك . وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر ، وانقضاء ذلك لجميعهم وقتنا واحدا ، قالوا : وكان ابتداءه يوم الحج الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) قال : لما نزلت هذه الآية ، برئ من عهد كل مشرك ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد ، وأجرى لكل مدتهم (فَسَيَحْضُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة ، والحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من شهر ربيع الآخر . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، قال : ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع ، وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة ، فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجل المشركين عشرين من ذي الحجة ، والحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم ، وقال : لا يحججن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَيَحْضُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) عشرون من ذي الحجة ، والحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر ، كان ذلك عهدهم الذي بينهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى أهل العهد : خزاعة ، ومُدَلِج ، ومن كان له عهد من غيرهم ، أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، ثم قال : إنه يحضر المشركون ، فيطوفون عرابة ، فلا أحب أن أحج ، حتى لا يكون ذلك ، فأرسل أبا بكر وعيا رضي الله عنهما ، فطافا بالناس بذي الحجاز ، وبأمكنهم التي كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها ، فأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا

أربعة أشهر ، فهي الأشهر المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، وأذن الناس كلها بالقتال إلا أن يؤمنوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قال : أهل العهد مُدْلِجٌ ، والعرب الذين عاهدتهم ، ومن كان له عهد ، قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ، ثم قال : « إِنَّهُ يَحْضُرُ الْبَيْتَ مُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ عُرَاةً ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُحُجَّ حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ » فأرسل أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما ، فطافا بالناس بذي الحجاز ، وبأمكنهم التي كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، وأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهي الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، وأذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا ، فأمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد . وقال حين رجع من الطائف مضى ، من فوره ذلك ، فغزا تبوك بعد إذ جاء إلى المدينة .

وقال آخرون ممن قال : ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحداً ، كان ابتداءه يوم نزلت براءة ، وانقضاؤه انقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء الحرم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (فَسَيَحُجُّوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : نزلت في شوال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم .

وقال آخرون : إنما كان تأجيل الله الأشهر الأربعة للمشركين في السياحة ، لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر . أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده إلى مدته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فأتم له الأربعة ، ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر ، فهو الذي أمر أن يتم له عهده ، وقال (أَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) .

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين ، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله (فَسَيَحُجُّوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته ، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ، ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه

وبينهم إلى مدته بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِصُواكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ، فَاتِمُّوا إِلَيْهِمْ وَعَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .
 فإن ظنَّ ظانٌّ أن قول الله تعالى ذكره (فإذا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) يدلُّ على خلاف ما قلنا في ذلك ، إذ كان ذلك ينبيء عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم ، قتل كل مشرك ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبيء عن صحة ما قلنا ، وفساد ما ظنه من ظنَّ أن انسلاخ الأشهر الحرم ، كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كان له منه عهد ، وذلك قوله (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فهو لاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم ، بترك نقض صلحهم ، وترك مظاهرة عدوهم عليهم ، وبعد : ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه حين بعث عليا رضى الله عنه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم ، أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى مدته ، أو ضح الدليل على صحة ما قلنا ، وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل ، فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود ، فأما من كان أجل عهده محدودا ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورا ، وبذلك بعث مناديه ينادى به في أهل الموسم من العرب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : ثنا محرر بن أبي هريرة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : كنت مع علي رضى الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادى ، فكان إذا صحَّصَّ صوته ناديت ، قلت : بأى شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع : لا يطف بالكعبة عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحجَّ بعد عامنا هذا مشرك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، قال : ثنا الشيباني ، عن الشعبي ، قال : أخبرنا الحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي رضى الله عنه ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى أجله . وقد حدث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قيسا في الأجل ، فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المنثري ، قالوا : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن الحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادى حتى صحَّصَّ صوتي ، فقلت :

بأي شيء كنت تنادي؟ قال: أمرنا أن ننادي أنه لا يدخله الجنة إلا مؤمن، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فأجله إلى أربعة أشهر، فإذا حلّ الأجل، فإن الله برىء من المشركين ورسولُهُ، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يحجّ بعد العام مشرك.

قال أبو جعفر رحمه الله: وأخشى أن يكون هذا الخبر وهمًا من ناقله في الأجل، لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه، مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور عن عليّ رضي الله عنه، قال: أمرت بأربع: أمرت ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطف رجل بالبيت عريانا، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة، وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يسيع، قال: نزلت براءة، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر، ثم أرسل عليًا، فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر، قال: هل نزل في شيء؟ قال: لا، ولكني أمرت أن أبلغها أنا ورجل من أهل بيتي، فانطلق إلى مكة، فقام فيهم بأربع: ألا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطف بالكعبة عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهدته إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يسيع، عن عليّ، قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم، حين أنزلت براءة بأربع: أن لا يطف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فهو إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه، قال: بعثت إلى أهل مكة بأربع، ثم ذكر الحديث.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا حسين بن محمد، قال: ثنا سليمان بن قرم، عن الأعمش، عن الحكم، عن مِقْنَم، عن ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر براءة، ثم أتبعه عليا، فأخذها منه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله حدّث في شيء؟ قال: لا، أنت صاحبني في الغار وعلى الحوض، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ»، وكان الذي بعث به عليا أربعا: لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن عامر، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه، فنادى: ألا لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فأجله إلى مدته، والله برىء من المشركين ورسولُهُ.

(١) في الخلاصة: زيد بن يسيع. بمجمعتين مصغر. وقيل أثيب، بهززة. وفي القاموس: يسيع، بالعين المهملة.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي ، قال : لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقم الحج للناس ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدتي عني إلا رجُلٌ من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمي ، أنه لا يدخل الجنة إلا كفير ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فهو إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر ، قال : أمير ، أو مأمور ؟ قال : مأمور ، ثم مضيا رضي الله عنهما ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو له إلى مدته . فلم يخرج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك ، من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية ، بعث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ، وأمره على الحج ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة ، أتبعه بعلي ، فأخذها منه ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، أنزل في شأني شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يسلم عني غيري ، أو رجُلٌ مني ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار ، وأنتك صاحبي على الحوض ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فسار أبو بكر على الحاج ، وعلي يؤذن ببراءة ، فقام يوم الاضحى ، فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما ، فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ، إلا من الطعن والضرب ، فرجع المشركون ، فلام بعضهم بعضا ، وقالوا : ما تصنعون ؟ وقد أسلمت قريش ، فأسلموا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن زيد ابن يشيع ، عن علي ، قال : أمرت بأربع : ألا يقرب البيت بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ، قال معمر : وقاله قتادة .

قال أبو جعفر رحمه الله ، فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وإن أجل الأشهر الأربعة

إنما كان لمن وصفنا ، فأما من كان عهده إلى مدة معلومة ، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ، ومظاهرة أعدائهم عليهم سيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وُتِيَ له عهده إلى مدته ، عن أمر الله إياه بذلك ، وعلى ذلك دلّ ظاهر التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وأما الأشهر الأربعة ، فإنها كانت أجلّ من ذكرنا ، وكان ابتداءها يوم الحج الأكبر ، وانقضاءها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الأرض ، يذهبون حيث شاءوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ، ولا قتل ، ولا سلب .

فإن قال قائل : فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت ، فما وجه قوله (فإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ الحرم ، وقد زعمت أن تأجيل

القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحج الأكبر ، وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون

يوما أكثره ، فأين الخمسون يوما من الأشهر الأربعة ؟ قيل : إن انسلاخ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل

من لاعهد له من المشركين ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأشهر الأربعة لمن له عهد ، إما إلى أجل

غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانتها ، فاستحقّ النبذ

إليه على سواء ، غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه ، والارتياح لها من الأجل الأربعة الأشهر ، ألا ترى

الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ

عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) ،

ووصف المجهول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك ، لأهل عهد ، فقال (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) . . . الآية

(إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، ثم قال (فإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فأمر بقتل المشركين الذين لاعهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ،

وبإتمام عهد الذين لهم عهد إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين ، وإدخال النقص فيه عليهم .

فإن قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر ، دون أن يكون كان من

شؤال على ما قاله قائلو ذلك ؟ قيل له : إن قائل ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة ، وذلك

غير جائز أن يكون صحيحا ، لأن المجهول له أجل السياحة إلى وقت محدود ، إذا لم يعلم ما جعل له ، ولا سيما

مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه ، فكمن لم يجعل له ذلك ، لأنه إذا لم يعلم ماله في الأجل الذي جعل له ،

وما عليه بعد انقضائه ، فهو كهيبته قبل الذي جعل له من الأجل ، ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من

ذلك ، إلا حين نُودى فيهم بالموسم ، وإذا كان ذلك كذلك صحّ أن ابتداءه ما قلنا ، وانقضائه كان ما وصفنا .

وأما قوله (فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فإنه يعنى : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين

غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، يقال منه : ساح فلان في الأرض يسبح سياحة

وسيوحا وسيحانا .

وأما قوله (واعلموا أنكم غير معجزى الله) فإنه يقول لأهل العهد، من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية: اعلموا أيها المشركون أنكم إن سحتم في الأرض، واخترتم ذلك مع كفركم بالله، على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله، غير معجزى الله، يقول: غير مفيتيه بأنفسكم، لأنكم حيث ذهبتم، وأين كنتم من الأرض، ففي قبضته وسلطانه، لا يمنعكم منه وزير، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقل ولا مؤتيل، إلا الإيمان به وبرسوله، والتوبة من معصيته، يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لاتنفعكم.

وأما قوله (وأن الله مخزى الكافرين) يقول: واعلموا أن الله مذل الكافرين، ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

القول في تأويل قوله عز ذكره

وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ، فَإِن تُبْتُمْ فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْمُوا إِنَّكُمْ عِزٌّ مِّنَ اللَّهِ، وَبَشِّرِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ (٣)

يقول تعالى ذكره: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر. وقد بينا معنى الأذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد.

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: زعم سليمان بن موسى الشامي أن قوله (وأذان من الله ورسوله) قال: الأذان القصص، فاتحة براءة حتى تختم (وإن خفيتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) فذلك ثمان وعشرون آية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وأذان من الله ورسوله) قال: إعلام من الله ورسوله، ورفع قوله (وأذان من الله) عطفًا على قوله (براءة من الله) كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله، وأذان من الله.

وأما قوله (يوم الحج الأكبر) فإن فيه اختلافًا بين أهل العلم، فقال بعضهم: هو يوم عرفة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة، وهبة الله بن راشد، قال: أخبرنا حيوثة بن شريح، قال: أخبرنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري، وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب رضى الله عنه، عن يوم الحج الأكبر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه، يقيم للناس الحج، وبعثنى معه

بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ؛ فلما قضى خطبته التفت إلى ، فقال :
 قم يا على وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صدرنا
 حتى أتينا منى ، فرميت الجمر ، ونحرت البدنة ، ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا
 حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفقت أتبع بها الفساطيط ، أقرؤها عليهم ، فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم
 النحر ، ألا وهو يوم عرفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال :
 سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم عرفة ، فقلت : أمن عندك ، أو من أصحاب محمد ؟
 قال : كل ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال :
 الحج الأكبر : يوم عرفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن الوليد الشنّي ، عن شهاب بن عباد العصري ، عن أبيه ،
 قال : قال عمر رضی الله عنه : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة ، فذكرته لسعيد بن المسيب ، فقال : أخبرك
 عن ابن عمر أن عمر قال : الحج الأكبر : عرفة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن الوليد الشنّي ، قال : ثنا شهاب بن عباد
 العصري ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول : هذا يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر ،
 فلا يصومته أحد ؛ قال : فحججت بعد أبي ، فأثبت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد
 ابن المسيب ، فأثبته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة ، فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن
 صوم يوم عرفة ، فقال : أخبرك عن من هو أفضل مني أضعافاً : عمر أو ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ،
 ويقول : هو يوم الحج الأكبر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الصمد بن حبيب ، عن معقل بن داود ، قال :
 سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر ، فلا يصومه أحد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا غالب بن عبيد الله ، قال : سألت عطاء عن يوم
 الحج الأكبر ؟ فقال : يوم عرفة ، فأفض منها قبل طلوع الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني محمد بن قيس بن مخزومة
 قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، ثم قال : أما بعد ، وكان لا يخطب إلا قال : أما بعد ،
 فإن هذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : يوم الحج
 الأكبر : يوم عرفة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن سلمة بن محب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني طاوس ، عن أبيه ، قال : قلنا : ما الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخزومة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : « هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ » .
 وقال آخرون : هو يوم النحر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، قال : سألت عليا عن الحج الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .
 حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى ، عن الحج الأكبر ؟ قال : فقال : يوم النحر .
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك ، قال : دخلت أنا وأبوسلمة على عبد الله بن أبي أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : يوم النحر ، يوم يهراق فيه الدم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، قال : سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : هو يوم النحر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، وسئل عن قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال : هو اليوم الذي يُرَاق فيه الدم ، ويحلَّق فيه الشعر .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن عليّ ، أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء ، يريد الجبانة ، فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحج الأكبر ؟ فقال : هو يومك هذا ، خلّ سبيلها .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن مالك بن مِغْثُول وشثير ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : سئل عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن عليّ ، أنه لقيه رجل يوم النحر ، فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : هو هذا اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى ابن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير وعياش العامريّ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : هو اليوم الذي يُهْرَاق فيه الدماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبي أوفى ، قال : الحج الأكبر : يوم هَرَّاق فيه الدماء ، ويُحَلَّق فيه الشعر ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : ثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيبانيّ ، قال : سمعت سعيد بن جبیر يقول : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبید الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفَةَ ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، قال : اختصم عليّ بن عبد الله بن عباس ، ورجل من آل شيبَةَ في يوم الحجّ الأكبر ، قال عليّ : هو يوم النحر ، وقال الذي من آل شيبَةَ : هو يوم عرفة ، فأرسل إلى سعيد بن جبیر فسأله ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة ، لم يفته الحجّ ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحجّ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبیر ، أنه قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر ، قال : فقلت له : إن عبد الله بن شيبَةَ ومحمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك ، فقال محمد بن عليّ : هو يوم النحر ، وقال عبد الله : هو يوم عرفة ، فقال سعيد بن جبیر : أرايت لو أن رجلا فاته يوم عرفة ، أكان يفوته الحجّ ؟ وإذا فاته يوم النحر فاتته الحجّ .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيبانيّ ، عن سعيد بن جبیر ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، قال : ذو الحجة العاشر النحر ، وهو يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، والحجّ الأصغر : العمرة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ابن الهاد ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربيّ ، عن مسلم الحجّبيّ ، قال : سألت نافع بن جبیر بن مطعم ، عن يوم الحجّ الأكبر ؟ قال : يوم النحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم يهراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، الذي يحلّ فيه كلّ حرام .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبيّ ، عن عليّ ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، قال : سألت محمدا عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحج أهل الوبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن ذر ، قال : سألت مجاهدا عن يوم الحج الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . وقال عكرمة : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، يوم تهاق فيه الدماء ، ويحل فيه الحرام .

قال : وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحج كله ، وهو يوم الحج الأكبر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن محمد بن علي ، يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : قال علي : الحج الأكبر : يوم النحر ، قال : وقال الزهري : يوم الحج الأكبر .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني يونس وعمرو عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر : ألا لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر : يوم الحج الأكبر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبي ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، عن الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، فقال : الحج الأكبر : يوم النحر ، والحج الأصغر : العمرة .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله ابن أبي أوفى يقول : يوم الحج الأكبر : يوم يوضع فيه الشعر ، ويهراق فيه الدم ، ويحل فيه الحرام .

قال : ثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن علي ، قال : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن عياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أنه سئل ، عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : سبحان الله ، هو يوم تَهراق فيه الدماء ، ويحَلّ فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر : هو يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خَطَبَنَا المغيرة بن شعبه على ناقة له ، فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طَهْمَان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، ويحَلّ فيه الحرام .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : لما كان ذلك اليوم ، قعد على بعير له النبي ، وأخذ إنسان بخطامه أو زمامه ، فقال : أى يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سبسميه غير اسمه ، فقال : أليس يوم الحج ؟

حدثنا سهل بن محمد الحساني ، قال : ثنا أبو جابر الحرثي ، قال : ثنا هشام بن الغازي الجُرَشِي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع ، فقال : هذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الحمداي ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضومة ، فقال : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ ؟ » قالوا : يوم النحر ، قال : صَدَقْتُمْ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ . »

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا شعبه ، قال : أخبرني عمرو بن مرة ، قال : ثنا مرة ، قال : ثنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حجّ أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : أنه يوم الحج الأكبر ، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عريان ، ألا ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد ، فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسولُهُ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال : يوم النحر : يوم يحلّ فيه المحرم ، وينحر فيه البدن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر ، وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة ، ولم أسمع أحدا يقول : إنه يوم عرفة إلا ابن عباس . قال ابن زيد : والحجّ يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : يوم الأضحى : يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوتي هذه ، حسبته ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقه حمراء مخضرمة فقال « أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحجّ الأكبر » . وقال آخرون : معنى قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) حين الحجّ الأكبر ووقته ، قال : وذلك أيام الحجّ كلها ، لا يوم بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) حين الحجّ ، أيامه كلها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الحجّ الأكبر : أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذى الحجاز وعكاظ ومجنة ، حين نودي فيهم ألا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وألا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى مدته .

حدثني الحارث ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : كان سفيان يقول : يوم الحجّ ، ويوم الحمل ، ويوم صيفين : أي أيامه كلها .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال حين الحجّ ، أي أيامه كلها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا : قول من قال : (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) : يوم النحر ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم براءة يوم النحر ، هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : يوم النحر : « أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم الحجّ الأكبر » ، وبعد : فإن اليوم إنما يضاف إلى المعنى الذي يكون فيه ، كقول الناس : يوم عرفة ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ، ويوم الأضحى ، وذلك يوم يضحون فيه ؛

ويوم الفطر ، وذلك يوم يفطرون فيه ؛ وكذلك يوم الحج ، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة ، كان إلى طلوع الفجر ، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج ؛ فأما يوم عرفة فإنه وإن كان الوقوف بعرفة ، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر .

وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزا في كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعراف في كلام العرب من معانيه ، بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد ، وإنما يحمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعراف من كلام من نزل الكتاب بلسانه .
واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم : يوم الحج الأكبر ، فقال بعضهم : سمي بذلك ، لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : إنما سمي الحج الأكبر ، من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها ، واجتمع فيها المسلمون والمشركون ، فلذلك سمي الحج الأكبر ، ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : يوم الحج الأكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال قوله (يوم الحج الأكبر) قال : إنما سمي الحج الأكبر ، لأنه يوم حج فيه أبو بكر ، ونُسبت فيه العهود .
وقال آخرون : الحج الأكبر : القيران ، والحج الأصغر : الأفراد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو بكر النهشلي ، عن حماد ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، فالحج الأكبر : القيران ، والحج الأصغر : أفراد الحج .
وقال آخرون : الحج الأكبر : الحج ، والحج الأصغر : العمرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحج الأكبر : الحج ، والحج الأصغر : العمرة .
قال : ثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر ، قال : قلت له : هذا الحج الأكبر ، فما الحج الأصغر ؟ قال : العمرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : كان يقال : الحج الأصغر : العمرة في رمضان .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحج الأصغر : العمرة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي أسماء ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، والحج الأصغر : العمرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الأصغر : العمرة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي : قول من قال : الحج الأكبر : الحج لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ، فليل له الأكبر لذلك . وأما الأصغر فالعمرة ، لأن عملها أقل من عمل الحج ، فلذلك قيل لها الأصغر ، لنقصان عملها عن عمله .

وأما قوله (أن الله برىء من المشركين ورسوله) فإن معناه : أن الله برىء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحججة ، ومعنى الكلام : وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أن الله برىء من المشركين ورسوله) أي بعد هذه الحججة .

القول في تأويل قوله

(فإن تبستم فهو خير لكم ، وإن توليستم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبششر الذين كفروا بعدآب الأليم) :

يقول تعالى : فإن تبستم من كفركم أيها المشركون ، ورجعتم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة والأنداد ، فالرجوع إلى ذلك خير لكم من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة (وإن توليستم) : يقول : وإن أدبرتم عن الإيمان بالله ، وأبيتُم إلا الإقامة على شرككم (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) يقول : فأيقنوا أنكم لا تفتنون الله بأنفسكم ، من أن يحل بكم عذابه الأليم ، وعقابه الشديد ، على إقامتكم على الكفر ، كما فعل بنوكم من أهل الشرك ، من إنزال نقمه به ، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته (وبششر الذين كفروا) يقول : وأعلم يا محمد الذين جعلوا نبوتك ، وخالفوا أمر ربهم ، بعدآب موجع يحل بهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فإن تبستم) : قال آمنت .

القول في تأويل قوله

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا ، وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا ، فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره (وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) ، (إلا) من عهد (الذين عاهدتم من المشركين) أيها المؤمنون (ثم لم ينقصوكم شيئاً) من عهدكم الذي عاهدتموه . (ولم يظاهروا عليكم أحداً) من عدوكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلاح ، ولا خيل ، ولا رجال (فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) : يقول : فتموا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ، ولا تنصبا لهم حرباً إلى انقضاء أجل عهدهم ، الذي بينكم وبينهم (إن الله يحب المتقين) : يقول : إن الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) يقول : إلى أجلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إلا الذين عاهدتم من المشركين) : أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثم لم ينقصوكم شيئاً) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم أحداً) . . . الآية ، قال : هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له إلى انسلاخ الحرم ، ونبت إلى كل ذي عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة ، أربعة أشهر من يوم أُذِّن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر ، فإن نقض المشركون عهدهم ، وظاهروا عدواً ، فلا عهد لهم ، وإن وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدواً ، فقد أمر أن يؤدي إليهم عهدهم ، وبنى به .

القول في تأويل قوله

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ ، فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضَرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

يعنى جل ثناؤه بقوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) فإذا انقضى ومضى وخرج ، يقال منه :

سَلَخْنَا شَهْرَ كَذَا، نَسَلَخَهُ سَلَخًا وَسَلُوخًا، بِمَعْنَى: خَرَجْنَا مِنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: شَاةٌ مَسْلُوخَةٌ، بِمَعْنَى: الْمَنْزُوعَةُ مِنْ جِلْدِهَا، الْمَخْرُجَةُ مِنْهُ. وَيَعْنَى بِالْأَشْهُرِ الْحَرَمِ: ذَا الْقَعْدَةِ، وَذَا الْحِجَّةِ، وَالْحَرَمِ، أَوْ إِنَّمَا أُرِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ انْسِلَاخَ الْحَرَمِ وَحْدَهُ، لِأَنَّ الْأَذَانَ كَانَ بِيْرَاءَةَ يَوْمِ الْحِجِّ الْأَكْبَرِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَجْلُوا الْأَشْهُرَ الْحَرَمِ كُلَّهَا. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُتَصِلًا بِالشَّهْرَيْنِ الْآخَرَيْنِ قَبْلَهُ الْحَرَامَيْنِ، وَكَانَ هُوَ لِهْمَا ثَالِثًا، وَهِيَ كُلُّهَا مُتَصِلَةٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ، قِيلَ: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمِ.

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: فَإِذَا انْقَضَتْ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ الثَّلَاثَةُ عَنِ الَّذِينَ لِاعْتِهَادِهِمْ، أَوْ عَنِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ، فَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِمِظَاهَرَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، أَوْ كَانَ عَهْدُهُمْ إِلَى أَجَلٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ، (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) يَقُولُ: فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، يَقُولُ: حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْحَرَمِ، وَغَيْرِ الْحَرَمِ، فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ وَغَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ (وَخَلِدُوا فِيهَا) يَقُولُ: وَأَسِيرُوا فِيهَا (وَاحْصُرُوا فِيهَا) يَقُولُ: وَامْنَعُوهُمْ التَّصَرُّفَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولَ مَكَّةَ (وَاقْعُدُوا لَهَا كُلَّ مَرَّصِدٍ) يَقُولُ: وَاقْعُدُوا لَهُمْ بِالطَّلَبِ لِقَتْلِهِمْ أَوْ أَسْرِهِمْ كُلَّ مَرَّصِدٍ، يَعْنِي: كُلَّ طَرِيقٍ وَمَرْقَبٍ، وَهُوَ مَفْعَلٌ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ رَصَدْتُ فَلَانًا أَرْصَدُهُ رَصْدًا، بِمَعْنَى: رَقَبْتُهُ (فَإِنْ تَابُوا) يَقُولُ: فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، وَجُحُودِ نَبْوَةِ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يَقُولُ: وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا، وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ، الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ أَهْلُهَا (فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) يَقُولُ: فَدَعُوهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْصَارِكُمْ، وَيَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لَمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَنَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، سَاوَرَ عَلَى ذَنْبِهِ، رَحِمَ بِهِ أَنْ يَعَاقِبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ السَّالِفَةِ، قَبْلَ تَوْبَتِهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الَّذِينَ أَجْلُوا إِلَى انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ.

وَبِنَحْوِ مَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: ثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَتِهِ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ» قَالَ: وَقَالَ أَنَسٌ: هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ، وَبُلَّغَتْهُ عَنْ رَبِّهِمْ قَبْلَ هَرَجِ الْأَحَادِيثِ، وَاخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ، وَتَصَدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي آخِرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) قَالَ: تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَةُ رَبِّهِمْ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ).

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنِ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) حَتَّى خَتَمَ آخِرَ الْآيَةِ. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: خَلُّوا سَبِيلَ

من أمركم الله أن تخلوا سبيله ، فإنما الناس ثلاثة رهط : مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فإذا أنسلخ الأشهر الحرام) وهي الأربعة التي عدت لك ، يعني عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشرا من شهر ربيع الآخر . وقال قائلو هذه المقالة : قيل لهذه الأشهر الحرم ، لأن الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين ، والعرض لهم إلا بسبيل خير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، أنه أخبره ، عن مجاهد وعمرو بن شعيب ، في قوله (فإذا أنسلخ الأشهر الحرام) إنها الأربعة التي قال الله (فسيحوا في الأرض) قال : هي الحرم من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسبحوها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) قال : ضرب لهم أجل أربعة أشهر ، وتبرأ من كل مشرك ، ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد) لا تركوهم يضرّون في البلاد ، ولا يخرجون للتجارة ، ضيقوا عليهم ، بعدها أمر بالعمو (فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فتحلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فإذا أنسلخ الأشهر الحرام) يعني الأربعة التي ضرب الله لهم أجلا لأهل العهد العام من المشركين (فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد) . . . الآية .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ أَمْنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك يا محمد من المشركين ، الذين أمرتك بقتلهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ، ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه . فأجره . يقول : فأمنته حتى يسمع كلام الله ، وتلوه عليه (ثم ابْلِغْهُ أَمْنَهُ) يقول : ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبي أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله ، فيؤمن إلى أمانته . يقول : إلى حيث يأمن منك ، ومن في طاعتك ، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين : (ذلك بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) : يقول : تفعل ذلك

بهم من إعطائك إياهم الأمان ، ليسمعوا القرآن ، وردك إياهم ، إذا أبوا الإسلام ، إلى آمنهم ، من أجل أنهم قوم جهلة ، لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوزر والإثم ، بتركهم الإيمان بالله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) : أي من هؤلاء الذين أمرت بقتلهم (فَأَجِرْهُ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَجِرْهُ) حتى يسمع كلام الله : أما كلام الله : فالقرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن ، حتى يأتيك ، فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا ، فلقى العدو ، وأخرج المسلمون رجلا من المشركين ، وأشرعوا فيه الأسنة ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم ، وأسمعوني كلام الله تعالى ، فقالوا : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد ، وتبترأ من اللات والعزى ، فقال : فإني أشهدكم أني قد فعلت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ أبلغه ما آمنه) قال : إن لم يوافق ما تقول عليه وتحذثه ، فأبلغه ، قال : وليس هذا بمنسوخ .

واختلف في حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ ، أو هو غير منسوخ ؟ فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

وقال آخرون : هو منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) نسختها (فإما مننا بعد وإما فداء) .

قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، مثله .

وقال آخرون : بل نسخ قوله (فاقتلوا المشركين) قوله (فإما مننا بعد) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن ابن أبي عسروية ، عن قتادة (حتى إذا أئحنتموهم فشدوا الوثاق) نسخها قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .
 قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : ليس ذلك بمنسوخ ، وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفي حكم قد كان ثابت ، بحكم آخر غيره ، ولم تصح حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل ، بكل حال ، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ، ولا على وجه المن عليهم . فإذا كان ذلك كذلك ، فكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم ، وذلك من يوم بدر ، كان معلوما أن معنى الآية ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم ، وإذا كان ذلك معناه ، صح ما قلنا في ذلك دون غيره .

القول في تأويل قوله

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأى معنى يكون للمشركين برهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين ، يتصرفون في البلاد ، وإنما معناه : لا عهد لهم ، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم ، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه ، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .
 واختلف أهل التأويل في الذين عسوا بقوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) ، فقال بعضهم : هم قوم من جذيمة بن الدليل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) : هم بنو جذيمة بن الدليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، قوله (إلا الذين عاهدتم من المشركين) قال : هم جذيمة بكر من كنانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كيف يكون للمشركين) الذين كانوا وأنتم على العهد العام ، بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ، ولا في الشهر الحرام (عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) وهي قبائل بنى بكر ، الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم

يكن نقضها إلا هذا الحي من قريش ، وبنو الدبيل من بكر ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بني بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) . . . الآية .

وقال آخرون : هم قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) : هم قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعني : أهل مكة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلم الجزية (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) فاستقيموا لكم) يعني : أهل العهد من المشركين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) فاستقيموا لهم) قال : هؤلاء قريش ، وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله : فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر ، يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأى بلاد شاءوا ، قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل ، وقبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) فاستقيموا لهم) قال : هم قوم جديمة ، قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم : أى أعانوا بني بكر حلف قريش ، على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : أهل العهد من خزاعة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى : قول من قال : هم بعض بني بكر من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية ، من العهد مع قريش ، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الدبيل ، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

ولما قلت : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن

كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم، وقد بينا أن هذه الآيات، إنما نادى بها على في سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ، بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأن من كان منهم من ساكني مكة، كان قد نقض العهد، وحورب قبل نزول هذه الآيات.

وأما قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فإن معناه: إن الله يحب من اتقى وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده.

القول في تأويل قوله

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)

يعنى جل ثناؤه بقوله: كيف يكون هؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم، أو لمن لاعهد له منهم منكم أيها المؤمنون، عهد وذمة، وهم إن يظهروا عليكم: يغبوكم، لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة، واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها، وكذلك تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضي معناه، استجازوا حذف الفعل، كما قال الشاعر:

وَخَسْبَرٌ تَمَانِي أَتَمَّمَا الْمَوْتَ فِي الْقَرَىٰ فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَكَثِيبٌ

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها.

ومعنى الكلام: فكيف يكون الموت في القرى، وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) فقال بعضهم: معناه: لا يرقبوا الله فيكم ولا عهده.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفیان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا يرقبون في مؤمنين إلا) قال الله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عسوية، عن سليمان، عن أبي مجلز، في قوله (لا يرقبون في مؤمنين إلا ولا ذمة) قال: مثل قوله جبرائيل ميكائيل إسرافيل، كأنه يقول: يضاف جبر وميكا وإسراف إلى إيل، يقول عبد الله، لا يرقبون في مؤمن إلا، كأنه يقول: لا يرقبون الله.

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي (مجموع أشعار العرب ١: ١٤) من قصيدة له، عدة أبياتها ثلاثة وعشرون، وهو التاسع عشر فيها، يرثي أخاه. ورواية البيت فيه:

وَاحْدَتُمْمَانِي أَتَمَّمَا الْمَوْتَ فِي الْقَرَىٰ فَكَيْفَ وَهَاتَا رَوْضَةٌ وَقَلْبِيبٌ

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ) لا يرقبون الله ولا غيره .
وقال آخرون : الإل : القرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) يقول : قرابة ولا عهدا ، وقوله (وَأَن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : يعنى القرابة ، والذمة : العهد .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) الإل : القرابة ، والذمة : العهد ، يعنى : أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، وعبدية عن حوشب ، عن الضحاك : الإل : القرابة .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : القرابة . والذمة : العهد .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) الإل : القرابة والذمة : الميثاق .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) المشركون ، لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا .
وقال آخرون : معناه : الحلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : الحلف ، والذمة : العهد .
وقال آخرون : الإل : هو العهد ، ولكنه كرر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا) قال : عهدا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة . قال : إحداهما من صاحبها كهيئة غفور رحيم ، قال : فالكلمة واحدة ، وهى تفرق ، قال : والعهد هو الذمة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَلَا ذِمَّةً) قال : العهد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد (ولا ذمة) قال : الذمة : العهد .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصراب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقيود لهم على كل مرصد ، أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا ، والإل : اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد ، والحلف ، والقراية ، وهو أيضا بمعنى الله ؛ فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون في مؤمن الله ، ولا قراية ، ولا عهدا ، ولا ميثاقا . ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القراية قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الْإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِيمِ^١

بمعنى : قطعوا القراية ؛ وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قَرَيْشٍ كَيْلَ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ^٢

وأما معناه إذا كان بمعنى العهد ، فتقول القائل :

وَجَدْنَاهُمْ كَاذِبًا إِلَّهُمْ وَذُو الْإِلِّ وَالْعَهْدِ لَا يَكْذِبُ^٣

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين ، أن الإل والعهد والميثاق واليمين واحد ، وأن الذمة في هذا الموضع : التذم ممن لا عهد له ، والجمع : ذم . وكان ابن إسحاق يقول : عني بهذه الآية : أهل العهد العام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) .

فأما قوله (يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) : فإنه يقول : يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء ، (وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ) : أي تأتي عليهم قلوبهم أن يدعوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم ، يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم ، حيث وجدوا من أرض الله ، وألا يقصروا في مكروهمهم بكل ما قدروا عليه (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) : يقول : وأكثرهم مخالفون عهدكم ، ناقضون له ، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .

(١) الخلوف : جمع خلف ، يسكون اللام ، وهم الذين يخلفون غيرهم في ديارهم ، خيارا كانوا أو أشرارا . وقيل إنه خاص بالأشرار ، يقال : هؤلاء خلف سوء ، وهم الأخصاء الأردياء . والإل في البيت بمعنى القراية وهو بمعنى ما بعده .

(٢) البيت أورده صاحب (اللسان : أل) ونسبه لحسان بن ثابت ، واستشهد به على أن الإل في البيت معناه القراية .

(٣) الإل هنا : بمعنى العهد ، بقرينة عطف « العهد » عليه .

القول في تأويل قوله

أَشْتَرُوا بِبَيِّتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩)

يقول جل ثناؤه: اتباع هؤلاء المشركون الذين أمرهم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم، بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه، يسيرا من العوض، قليلا من عرض الدنيا، وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (أَشْتَرُوا بِبَيِّتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا) قال: أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأما قوله (فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ) فإن معناه: فنعوا الناس من الدخول في الإسلام، وحاولوا رد المسلمين عن دينهم (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) يقول جل ثناؤه: إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم، ساء عملهم الذي كانوا يعملون، من اشتراهم الكفر بالإيمان، والضلالة بالهدى، وصدّهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله، أو من أراد أن يؤمن.

القول في تأويل قوله

لَا يَرْجُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَايَةً، وَأَوْلَيْتَكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره: لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم، في قتل مؤمن لو قدروا عليه (إِلَّا وِلَايَةً) يقول: فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم (وَأَوْلَيْتَكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) يقول: المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم، بالظلم والاعتداء.

القول في تأويل قوله

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)

يقول جل ثناؤه: فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم، عن كفرهم وشركهم بالله، إلى الإيمان به ورسوله، وأنابوا إلى طاعته، وأقاموا الصلاة المكتوبة، فأدّوها بحدودها، وآتوا الزكاة المفروضة أهلها (فإخوانكم في الدين) يقول: فهم إخوانكم في الدين، الذي أمركم الله به، وهو

الإسلام (وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) مابشرين لهم فنشرحها لهم مفصلة ، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ، ومحكم آياته .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَلِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن تركوا اللات والعزى ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله (فَلِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ) ، وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن رجل ، عن ابن عباس (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ) قال : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعا ، لم يفرق بينهما ، وقرأ (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَلِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ) وأبي أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال : رحم الله أبا بكر ما كان أفتقه !

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أمرتم بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يرك فلا صلاة له . وقيل (فَلِإِخْوَانِكُمْ) فرجع بضمير فهم إخوانكم ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَلِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ) : بمعنى : فهم إخوانكم في الدين .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ، فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ
لَهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَذَّهَبُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاهدوكم ألا يقاتلوكم ، ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم . (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) : يقول : وقدحوا في دينكم الإسلام ، فسلموه وعبأوه . (فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ) : يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله . (لَهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) : يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم . (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) : لكي ينهوا عن الطعن في دينكم ، والمظاهرة عليكم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر ، فقال بعضهم : هم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعد .

ذكر من قال : هم من سميت

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) يعني : أهل العهد من المشركين ، سماهم أئمة الكفر ، وهم كذلك . يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر ، لأنهم لايمان لهم ، لعلهم ينتهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) ، فكان من أئمة الكفر : أبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا بإخراجهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أئمة الكفر : أبوسفيان ، وأبو جهل ، وأمّية بن خلف ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قال ابن وكيع : ثنا غنّدر ، وقال ابن بشار : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ لِأَيْمَانِهِمْ) قال أبوسفيان منهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) هؤلاء قريش ، يقول : إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه ، فقاتلوهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ) يعني : رأس المشركين ، أهل مكة .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ) أبوسفيان بن حرب ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهموا بإخراج الرسول ، وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرس على الله ، وعلى كتابه .

ذكر الرواية عن حذيفة بالذي ذكرنا عنه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب ، قال : كنت عند حذيفة ، فقرأ هذه الآية (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ) فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قرأ حذيفة (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر (لَأَيْمَانَهُمْ)
لَأَيْمَانَهُمْ) (لَأَيْمَانَهُمْ) لا عهد لهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)
عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صلة ، عن عمار بن
ياسر ، في قوله (لَأَيْمَانَهُمْ) قال : لا عهد لهم .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن
حذيفة في قوله (فَتَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ لِيَنْتَهِمَ لَأَيْمَانَهُمْ) قال : لا عهد لهم . وأما النكث فإن أصله :
النقض ، يقال منه : نكث فلان قومي جبلة : إذا نقضها . والأيمان : جمع اليمين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَأَيْمَانَهُمْ) ، فقرأه قرآء الحجاز والعراق وغيرهم (لَأَيْمَانَهُمْ)
لَأَيْمَانَهُمْ) بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لا عهد لهم ، على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه .
وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (لَأَيْمَانَهُمْ) بكسر الألف ، بمعنى : لا إيمان
لهم ، وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا ، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لا إيمان
لهم : أي لا تتوهمهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم ، كأنه أراد المصدر ، من قول القائل : آمنت ، فأنا
أومنه إيمانا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءات في ذلك الذي لأستجيز القراءة بغيره : قراءة من قرأ بفتح
الألف دون كسرها ، لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ، ورفض خلافه ، وإجماع أهل التأويل على
ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم ، والأيمان التي هي بمعنى العهد ، لا تكون إلا بفتح الألف ، لأنها جمع
يمين ، كانت على عقد كان بين المتوادعين .

القول في تأويل قوله

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ؛
أَمْ خَشَوْهُمْ ؟ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاصلاً لهم على جهاد أعدائهم من المشركين : ألا تقتلون
أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم ، وطعنوا في دينكم ، وظاهروا عليكم
أعداءكم ، وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فأخرجوه ، وهم بدءوكم أول مرة بالقتال ، يعني فعلهم

ذلك يوم بدر. وقيل: قتلهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة. (أَتَخَشَّوْهُمْ) يقول: أتخافونهم على أنفسكم، فتركوا قتالهم خوفا على أنفسهم منهم. (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) يقول: فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته، بترككم جهادهم، وتحذروا سنطه عليكم من هؤلاء المشركين، الذين لا يملكون لكم ضراً ولا نفعا إلا بإذن الله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: إن كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله (أَلَا تَتَّقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ، وَهُمْ مَوَا بَاخِرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ) بهم (وَهُمْ بَدَاءُ وَكُمُ أَوْلَ مَرَّةٍ) بالقتال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَهُمْ بَدَاءُ وَكُمُ أَوْلَ مَرَّةٍ) قال: قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد، ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا، إلا أن يعودوا فيها على دينهم، فيقبل بعد، ثم قال (أَلَا تَتَّقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ مَوَا بَاخِرَاجِهِ الرِّسُولِ) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

القول في تأويل قوله

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ

مُؤْمِنِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره: قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم، ونقضوا عهدهم بينكم وبينهم، وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم. (يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ): يقول: يقتلهم الله بأيديكم. (وَيُخْزِيهِمْ): يقول: ويذلهم بالأسر والقهر: (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ) فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة. (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ): يقول: ويرى داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالكم وقهركم إياهم، وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة، بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه. وقيل: إن الله غنى بقوله: (وَيَشْفِ

صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) : صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعونتهم بكرى عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في هذه الآية (وَيَشْفِ صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال : خزاعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (وَيَشْفِ صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَشْفِ صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) خزاعة حلفاء محمد ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : (وَيَشْفِ صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) : قال : حلفاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله

وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وجدّ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ، على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكرها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكرى .

كما حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) حين قتلهم بنو بكر ، وأعانهم قريش .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، مثله ، إلا أنه

قال : وأعانهم عليهم قريش .

وأما قوله (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) فإنه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع وجزم الأحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم فإنكم إن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، ويتصركم عليهم ، ثم ابتداء فقال (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله ، وهو موجب لهم العذاب من الله ، والخزى ، وشفاء صدور المؤمنين ، وذهاب غيظ قلوبهم ، فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ، ولم يكن موجبا للقتال التوبة ، فابتدأ الحكم به ورفع .

ومعنى الكلام : ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين ، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه ، والله

عليم بسرائر عباده ، ومن هو للتوبة أهل ، فيتوب عليه ، ومن منهم غير أهل لها فيخذله ، حكيم في تصريف

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وليجة) قال : هو الكفر والنفاق ، أو قال : أحدهما .

وقيل (أم حَسِبْتُمْ) ولم يقل : أحسبتم ، لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ، فأدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ، وقد بينت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب .

القول في تأويل قوله

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ، أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله ، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر ، يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به ، فمن كان بالله كافرا ، فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله .

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) يقول : ما ينبغي لهم أن يعمروها . وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر : فإن النصراني يستل : ما أنت ؟ فيقول : نصراني ، واليهودي ، فيقول : يهودي ، والصابي ، فيقول : صابي ، والمشرك يقول إذا سأله : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ، لم يكن ليقوله أحد إلا العرب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) قال : يقول : ما كان ينبغي لهم أن يعمروها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (شاهدين على أنفسهم بالكفر) قال : النصراني يقال له : ما أنت ؟ فيقول : نصراني ، واليهودي يقال له : ما أنت ؟ فيقول : يهودي ، والصابي يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابي .

وقوله (أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) يقول : بطلت وذهبت أجورها ، لأنها لم تكن لله ، بل كانت للشيطان (وفي النار هم خالدون) يقول : ما كثون فيها أبدا ، لأحياء ولا أمواتا .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) : فقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والكوفة (مساجد الله) على الجمع ، وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (مساجد الله) على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام ، وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله (مساجد الله) على الجمع ، لأنه إذا قرئ كذلك احتبل معنى الواحد والجمع ، لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، كقولهم : عليه ثوب أخلاق .

القول في تأويل قوله

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ
يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، فَعَسَىٰ أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إنما يعمر مساجد الله المصدق بوحداية الله ، المخلص له العبادة ، واليوم الآخر ، يقول : الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة ، وأقام الصلاة المكتوبة بمحدودها ، وأدى الزكاة الواجبة عليه في ماله ، إلى من أوجبها الله له (ولم يخش إلا الله) يقول : ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه سوى الله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب .

حدثني المنثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول : من وحد الله ، وآمن باليوم الآخر . يقول : أقر بما أنزل الله (وأقام الصلاة) يعني الصلوات الخمس (ولم يخش إلا الله) يقول : ثم لم يعبد إلا الله ، قال (فعسى أولئك) يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كقوله لنبيه (عسى أن يبسعشك ربك مقاماً محموداً) يقول : إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً ، وهي الشفاعة ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، ولا أحد أفضل منا ، فقال (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) : أي إن عمارتكم ليست على ذلك ، إنما يعمر مساجد الله : أي من عمرها بحقها ، (من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله) فأولئك عمارها ، (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله : حق .

القول في تأويل قوله

* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)

وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والجهاد في سبيله لافي الذي افتخروا به من السدانة والسقاية ، وبذلك جاءت الآثار ، وتأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصاري ، قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي ، لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم ، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، قال : ففعل ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والمجرة والجهاد ، لقد كنا نعمار المسجد الحرام ، ونسقى الحاج ، ونفك العاني ، قال الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ) : يعني أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ) وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ، ويستكبرون به ، من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) : يعني أنهم يستكبرون بالحرم ، (وقال به سامرا) لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم فخبر الإيمان بالله والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت ، وقيامهم على السقاية ، ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ، ويخدمونه ، قال الله (لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله ظالمين بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلاً قال : ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمار المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك

يوم الجمعة ، ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ، فنزلت (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . إلى قوله (لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : نزلت في عليّ وعباس وعثمان وشيبة ، تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما أراني إلا تارك سقائنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا عَلَى سِقَايَتِكُمْ ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا » .
قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : نزلت في عليّ وعباس ، تكلموا في ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرت عن أبي صخر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطالب ، وعليّ بن أبي طالب ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، لو أشاء بتّ فيه . وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتّ في المسجد ، وقال عليّ : ما أدري ما تقولان : لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . الآية كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : لما نزلت (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) قال العباس : ما أراني إلا تارك سقائنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا عَلَى سِقَايَتِكُمْ ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) قال : افتخر عليّ وعباس وشيبة بن عثمان ، فقال العباس : أنا أفضلكم ، أنا أسقى حجاج بيت الله ، وقال شيبة : أنا أعمار مسجد الله ، وقال عليّ : أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه في سبيل الله ، فأنزل الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى (تَعِيمٌ مُّقِيمٌ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . الآية ، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما والله لقد كنا نعمار المسجد الحرام ، ونفكّ العاني ، ونحجب البيت ، ونسقى الحاجّ ، فأنزل الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . الآية .

فتأويل الكلام إذن : أ جعلتم أيها القوم سقاية الحاجّ ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون هؤلاء وأولئك ، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) : يقول : والله

لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافرا ، ولتوحيده جاحدا ، ووضع الاسم موضع المصدر في قوله (كَسَنَ آمَنَ بِاللَّهِ) إذ كان معلوما معناه ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللَّحَى وَلَكَيْتَمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ قَتِي تَدِي

فجعل خبر الفتیان « أن » ، وهو كما يقال : إنما السخاء حاتم ، والشعر زهير .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ،
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)

وهذا قضاء من الله بين فريقين ، الذين افتخر أحدهم بالسقاية ، والآخر بالسدانة ، والآخر بالإيمان بالله ، والجهاد في سبيله . يقول تعالى ذكره : (الَّذِينَ آمَنُوا) بالله : صدقوا بتوحيده من المشركين ، (وهاجروا) دُور قومهم ، (وجاهدوا) المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم ، (أعظم درجة عند الله) ، وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج ، وعمار المسجد الحرام ، وهم بالله مشركون . (وأولئك) : يقول : وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا ، (هم الفائزون) بالجنة ، الناجون من النار .

القول في تأويل قوله

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم ، برحمة منه لهم ، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم ، وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضي عنهم ، بطاعتهم إياه ، وأدايتهم ما كلفهم . وجنات ، يقول : وبساتين لهم فيها نعيم مقيم ، لا يزول ولا يتبيد ، ثابت دائم أبدا لهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الموسوي ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه : أعطيتكم أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا ، أي شيء أفضل من هذا ؟ قال : رضواني .

القول في تأويل قوله

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : (خالدين فيها) ما كثر فيها ، يعني في الجنات (أبداً) لانهاية لذلك ولا حد

(١) البيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في معاني القرآن من ١٢٤ مصورة جامعة القاهرة ، عند قوله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) ؟ قال : لم يقل سقاة الحاج وعمارة . . . كمن آمن ، فهذا مثل قوله (ولكن البر من آمن بالله) يكون المصدر يكتفى من الأسماء ، والأسماء من المصدر ، إذا كان المعنى مستدلا عليه بهما ، أنشد الكسائي : لعمر ك . . البيت ومعنى البيت : لا يبلغ الفتي كمال الفتوة والمرودة بنبات لحية ، ولكن باستحكام عادة السخاء والجلود فيه .

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول: إن الله عنده هؤلَاء المؤمنين الذين نعمهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية، أجر: ثواب على طاعتهم لربهم، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال، عظيم، وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة.

القول في تأويل قوله

يَأْسِئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَأُولِيَاءَ ءِإِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تُفَشُونَ إليهم أسراركم، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام. (إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ) يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به، والإقرار بتوحيده (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ) يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول: فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها، وعصوا الله في أمره، وقيل: إن ذلك نزل نبيها من الله المؤمنين عن موالاته أقربائهم، الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال: أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقى الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة، فلا مهاجر، فأُنزلت (لَاتَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَأُولِيَاءَ) . . . إلى قوله (يَأْتِي اللَّهَ) بالفتح بأميره، في أمره إياهم بالهجرة، هذا كله قبل فتح مكة.

القول في تأويل قوله

قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)

يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت أموال اقترفتموها (وتجارة تخشون كسادها) بفراقكم بلدكم (ومساكين

تَرَضَوْهَا) فسكنتموها، أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك، ومن جهاد في سبيله، يعنى: في نصرته دين الله الذي ارتضاه (فَتَرَبَّصُوا) يقول: فتنظروا (حتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ): حتى يأتي الله بفتح مكة (وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول: والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته، وفي معصيته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (حتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ) بالفتح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (فَتَرَبَّصُوا حتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ) فتح مكة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) يقول: تخشون أن تكسد فتبيعوها (وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا) قال: هي القصور والمنازل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) يقول: أصبتموها.

القول في تأويل قوله

لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره: لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة. (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ): وفي يوم حنين أيضا قد نصركم. وحنين: وادٍ فيما ذكر بين مكة والطائف، وأجربى لأنه مذكور اسم لمذكر، وقد يترك إجراؤه، ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التي هو بها، ومنه قول الشاعر:

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ
بِحُنَيْنٍ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ ١

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنى أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن

(١) البيت لحسان بن ثابت (تاج العروس: حنين) وحنين كزبير: موضع بين الطائف ومكة، يذكر ويؤنث، ويصرف ولا يصرف. قال الفراء في معاني القرآن: وقوله (ويوم حنين): واد بين مكة والطائف، وجرى حنين لأنه اسم لمذكر، وإذا سميت ماء أو واديا أو جبلا باسم مذكر لا علة فيه أجرته، من ذلك حنين وبدر وأحد وحراء وثبير ودابق وواسط، وإنما سمي واسط بالقصر الذي بناه الحجاج. بين الكوفة والبصرة؛ ولو أراد البلدة أو اسما مؤنثا لقال واسطة؛ وربما جعلت العرب واسط وحنين وبدر اسما لبلدته التي هو بها، فلا يجرونه. وأنشد في بعضهم: «نصروا نبيهم»... البيت.

عروة ، عن عروة ، قال : حنين : واد إلى جنب ذى الحجاز . (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وكانوا ذلك اليوم فيما ذُكِرَ لنا اثني عشر ألفا . ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ذلك اليوم « لَنْ نَغْلِبَ مِنْ قِبَلِهِ » . وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الله (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) يقول : فلم تغن عنكم كثرتكم شيئاً (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ) : يقول : وضافت الأرض بسعتها عليكم ، والباء ههنا في معنى في ، ومعناه : وضافت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها ، يقال منه : مكان رحيب : أى واسع ؛ وإنما سميت الرحاب رحاباً لسعتها . (ثُمَّ وَلَيْسَ مُدْبِرِينَ) عن عدوكم منهزمين . المدبرين . يقول : وليتموهم الأدبار ، وذلك الهزيمة ؛ يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس بكثرة العدد ، وشدة البطش ، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ، ويحلى القليل ، فيهزم الكثير .
وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) حتى بلغ (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) قال : وحنين : ماء بين مكة والطائف ، قاتل عليها نبي الله هوازن وثقيف ، وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر ، وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي ، قال : وذُكِرَ لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفاً ، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطلقاء . وذُكِرَ لنا أن رجلاً قال يومئذ : لن نغلب اليوم بكثرة . قال : وذُكِرَ لنا أن الطلقاء انجفوا يومئذ بالناس ، وجسّوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل عن بغلته الشهباء ، وذُكِرَ لنا أن نبي الله قال : « أَيْ رَبِّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي » قال : والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : نادِ يامعشَرَ الأنصارِ ، وَيَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، فجعل ينادى الأنصارَ فخذوا فخذاً ، ثم نادى : يا أصحاب سورة البقرة ، قال : فجاء الناس عنقاً واحداً ، فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصابة من الأنصار ، فقال : هَلْ مَعَكُمْ غَيْرُكُمْ ؟ فقالوا : يانبي الله ، والله لو عمدت إلى ببرك الغمام من ذى يمن ، لكننا معك ، ثم أنزل الله نصره ، وهزم عدوهم ، وتراجع المسلمون ، قال : وأخذ رسول الله كفّاً من تراب ، أو قبضة من حصباء ، فرمى بها وجوه الكفار ، وقال : شاهت الوجوه ، فانهزموا ، فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم ، وأتى الجعثرانة ، فقسم بها مغنم حنين ، وتألّف، أناساً من الناس ، فيهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، فقالت الأنصار : حن الرجل إلى قومه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في قبة له من آدم ، فقال : يامعشَرَ الأنصارِ ، ما هذا الذي بَلَغْتَنِي ، أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ، وَكُنْتُمْ أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ ، وَكُنْتُمْ وَكُنْتُمْ ، قال : فقال سعد بن عبادة رحمه الله : ائذن لي فأتكلم ، قال : تكلم ، قال : أما قولك :

كنتم ضلّالاً فهداكم الله ، فكنا كذلك ، وكنتم أذلة فأعزكم الله ، فقد علمت العرب ما كان حتى من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم ، منا ؛ فقال عمر : يا سعد أتدري من تكلم ؟ فقال : نعم أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذبي نفسي بيده ، لو سلكت الأنصار وادياً والناس واديّاً لسلكت وادي الأنصار ، ولو لا هجرة لكنت امرأ من الأنصار . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأنصار كرشى وعيبيتي ، فاقبلوا من محسنيهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، أما ترصرون أن ينقلب الناس بالإبل والشاة ، وتنتقلبون برسول الله إلى بيوتكم ؟ فقالت الأنصار : رضينا عن الله ورسوله ، والله ما قلنا ذلك إلا حرصاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورَسُولُهُ يُصَدِّقَانِيكُمْ وَيَعْدِرَانِيكُمْ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، أو ظفّرة من بني سعد بن بكر ، أتته فسألته سبايا يوم حنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأملكهم ، وإنما لي منهم نصيب ، ولكن اثني غداً فسليني والناس عندي ، فإني إذا أعطيتك نصيب أعطاك الناس ، فجاءت الغداً ، فبسط لها ثوبا ، فقعدت عليه ، ثم سألته ، فأعطاها نصيبه ، فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصاءهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) . . . الآية : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال : يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة ، وأعجبتك كثرة الناس ، وكانوا اثني عشر ألفاً ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتركبوا إلى كلمة الرجل ، فأنهزموا عن رسول الله ، غير العباس ، وأبي سفيان ابن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، قتل يومئذ بين يديه ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الأنصار ، أين الذين بايعوا تحت الشجرة ؟ فراجع الناس ، فأنزل الله الملائكة بالنصر ، فهزموا المشركين يومئذ ، وذلك قوله (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن كثير بن عباس ابن عبد المطلب ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم حنين التقي المسلمون والمشركون ، فوالى المسلمون يومئذ ، قال : فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه أحد إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، أخذاً بعرز النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يألوا ما أسرع نحو المشركين ، قال : فأثبت حتى أخذت باجمه ، وهو على بغلة له شهباء ، فقال : يا عباس ناد أصحاب السمرة ، وكنت رجلاً صبيئاً ، فأذنت بصوتي الأعلى : أين أصحاب السمرة ، فالتفتوا كأنها الإبل إذا حنت إلى أولادها ، يقولون : يا ليك ، يا ليك ، يا ليك ! وأقبل المشركون ، فالتفتوا هم والمسلمون ، وتنادت الأنصار : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة في

بنى الحارث بن الخزرج ، فتنادوا : يا بنى الحارث بن الخزرج ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته ، كالمتطاول إلى قتالهم ، فقال : هذا حين حمى الوطيس ، ثم أخذ بيده من الحصباء ، فرماهم بها ، ثم قال : انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة ، قال : فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا ، حتى هزمهم الله ؛ قال : فلكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، أنت خير الناس وأبر الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عندى من ترؤن ، وإن خيّر القول أصدقهُ ، اختاروا إمّا ذراريكم ونساءكم ، وإمّا أموالكم ، قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن هؤلاء قد جاءوني مسلمين ، وإنّا خسرناهم بين الذراري والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئا ، فمن كان بيده منهم شيء ، فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ، ومن لا ، فليعطينا ، وليكن قرضنا علينا ، حتى نضيف شيئا فنعطيه مكانه . فقالوا : يا نبي الله ، رضينا وسلمنا ، فقال : إني لأدري ، لعل منكم من لا يرضى ، فمروا عرفاءكم ، فليسيرفعلوا ذلك إلينا ، فرفعت إليه العرفاء : أن قد رضوا وسلموا .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا يعلى بن عطاء ، عن أبي همام ، عن أبي عبد الرحمن ، يعنى الفهري ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ؛ فلما ركبت الشمس ، لبست لأمتي ، وركبت فرسي ، حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل شجرة ، فقلت : يا رسول الله قد حان الرواح ، فقال أجعل ، فنادى : يا بلال ، يا بلال ، فقام بلال من تحت شجرة ، فأقبل كأن ظله ظل طير ، فقال : لييك وسعديك ، ونفسي فدواك يا رسول الله ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسرج فرسي ، فأخرج سرجا دفتاه حشوها ليف ، ليس فيهما أثر ، ولا بطر ، قال : فركب النبي صلى الله عليه وسلم ، فصاففناهم يومنا وليلتنا ؛ فلما التقى الحيلان وتلى المسلمون مدبرين ، كما قال الله ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباد الله ، يا معشر المهاجرين ! قال : وما ل النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، فأخذ حنفة من تراب ، فرمى بها وجوههم ، فولوا مدبرين ، قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم ، أنهم قالوا : ما بقى منا أحد إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء ، وسأله رجل من قيس : فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال البراء : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، وكانت هوازن يومئذ رماة ، وإنما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكبيننا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهم ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بلجامها وهو يقول :

أنا النَّسِيُّ لا كَدِّبُ أنا ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^١

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : سأله رجل :
يا أبا عمارة ، ولتيم يوم حنين ، فقال البراء : وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دُبْرَه ،
وأبوسفيان يقود بغلته ، فلما غشيه المشركون ، نزل فجعل يقول :

أنا النَّسِيُّ لا كَدِّبُ أنا ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فأرؤي يومئذ أحد من الناس كان أشد منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، عن عبد الرحمن
مولى أم برثن ، قال : ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه
السلام ، لم يقفوا لنا حائبا شاة أن كشفناهم ، فبينما نحن نسوقهم ، إذا نهبنا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا
رجال بيض ، حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبنا القوم ، فكانت إياها .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أمد الله نبيه صلى الله عليه
وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، قال : ويومئذ سمي الله الأنصار مؤمنين ، قال (فأُنزِلَ اللهُ
سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُنزِلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ
أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُهُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) قال : كانوا اثني عشر ألفا .
حدثنا محمد بن يزيد الآدمي ، قال : ثنا إسماعيل بن عيسى ، عن سعيد بن السائب الطائفي ، عن أبيه ،
عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافه المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ، ضرب النبي صلى الله عليه
وسلم يده إلى الأرض ، فأخذ منها قبضة من تراب ، فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين ، فحشاها
في وجوههم وقال : ارجِعُوا ، شاهت الوجوه ، قال : فانصرفنا ما يتبى أحدٌ أحدا إلا وهو يمسح القذى
عن عينيه .

وبه عن يزيد بن عامر السوائي ، قال : قيل له : يا أباحاجز : الرعب الذي آتى الله في قلوب المشركين ،
ماذا وجدتم ؟ قال : وكان أبوحاجز مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطسست ،
فيظن ، ثم يقول : كان في أجوافنا مثل هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى المعتمر بن سليمان ، عن عوف ، قال : سمعت
عبد الرحمن مولى أم برثن ، أو أم مريم ، قال : ثنى رجل كان في المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا

(١) هذان بيتان من مجزوء الرجز ، ينسبان إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن النبي شاعرا ، ونفى الله عنه صنعة
الشعر (وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له) وإنما هو صاحب قرآن ، ورسالة إنسانية شاملة ، ومثل هذا القدر من القول الموزون ، مما
يتفق وقوعه في كلام كثير من عامة الناس ، فضلا عن خاصتهم ، ولا يسمى قائله شاعرا (انظر شرح النووي على صحيح مسلم في غزوة
حنين) .

نسوقهم في أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض ، حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فأنهزنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها .

القول في تأويل قوله

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتوليتكم الأعداء أدباركم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بإنزاله السكينة ، وهى الأمانة والطمأنينة عليكم . وقد بيننا أنها فعيلة من السكون ، فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) : وهى الملائكة التى ذكّرت فى الأخبار التى قد مضى ذكرها (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ، ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الأهلين والذرارى ، وسلب الأموال والذلة . وذلك جزاء الكافرين . يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين ، يقول : هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : قتلهم بالسيف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفصى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : بالهزيمة والقتل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) قال : من بقى منهم .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه ، من بعد عذابه الذى به عذب من هلك منهم ، قتلا بالسيف . على من يشاء : أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء ، يقبل به إلى طاعته ، والله غفور لذنوب من أناب وتاب إليه ، منهم ومن غيرهم منها ، رحيم بهم ، فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم .

القول في تأويل قوله

يَسَاءَ لِمَا الَّذِينَ آمَنُوا إِتْمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ،
وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ ، ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، وأقربوا بوحدايته : ما المشركون إلا نجس .

واختلف أهل التأويل في معنى النجس ، وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك ؟ فقال بعضهم : سماهم بذلك لأنهم يُجَنَّبُونَ فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ، ولا يقربوا المسجد الحرام ، لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، في قوله (إِتْمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : لأعلم قتادة إلا قال : النجس : الجنابة .

وبه عن معمر ، قال : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال حذيفة : يا رسول الله ، إني جنُب ، فقال : « إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَنْجَسُونَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِتْمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : أي أجناب .

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رجس : خنزير أو كلب ، وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكره .

وقوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) : يقول للمؤمنين : فلا تدعواهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم . وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرم ، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر وابن المثنى ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : الحرم كله قبلة ومسجد ، قال (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) لم يعن المسجد وحده ، وإنما عني مكة والحرم ، قال : ذلك غير مرة .

وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو : أن عمر بن عبد العزيز كتب : أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع في نهيه قول الله (إِتْمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قال : لاتصافحهم ، فن صافحهم فليتوضأ .

وأما قوله (بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) فإنه يعنى : بعد العام الذى نادى فيه على رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عام حج بالناس أبو بكر ، وهى سنة تسع من الهجرة

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) وهو العام الذى حج فيه أبو بكر ، ونادى على رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل ، حجة الوداع ، لم يحج قبلها ولا بعدها .

وقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) : يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقرا ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) يقال منه : عال يعيل عيالة وعيولا ، ومنه قول الشاعر .

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنَى مَتَى يَعْيِلُ^١

وقد حكي عن بعضهم أن من العرب من يقول فى الفاقة : عال يعول بالواو . وذكر عن عمرو بن فائد ، أنه كان تأول قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) بمعنى : وإذ خفتم ، ويقول : كان القوم قد خافوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : إن كنت أبى فأكرمى ، بمعنى : إذ كنت أبى ، وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم ، انقطاع تجارتهم ، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك ، وأمنهم الله من العيالة ، وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ، ما هو خير لهم منه ، وهو الجزية ، فقال لهم (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) . . . إلى (صَاغِرُونَ) . وقال قوم : بإدراج المطر عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الذين آمنوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : لما نبي الله المشركين عن المسجد الحرام ، ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن ، قال : من أين تأكلون وقد نفي المشركون ، وانقطعت عنكم العير ، فقال الله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يا أيها الذين

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، من أربعة أبيات ذكرها صاحب اللسان : (عيل) . وعال يعيل من باب ضرب ، عيلة وعيولا : افتقر . وتقدم البيت فى (الجزء الرابع ص ٢٣٩) .

آمَنُوا لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام ، ويتجرون فيه ؛ فلما نهوا أن يأتوا البيت ، قال المسلمون : من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) ، فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم ، حين ذهب عنهم المشركون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن علي بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة (لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . الآية ، ثم ذكر نحو حديث هناد ، عن أبي الأحوص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت (لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) شق ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من يأتينا بطعامنا ، ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليفة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة ، فنزلت هذه الآية (لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (عَيْلَةً) قال : الفقر (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية العوفي ، قال : قال المسلمون : قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم ، فنزلت (لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (مِنْ فَضْلِهِ) . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، أحسبه قال : أنبأنا أبو جعفر ، عن عطية ، قال : لما قيل : ولا يحج بعد العام مشرك ، قالوا : قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم ، قال : فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) يعني : بما فاتهم من بياعاتهم .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن يمان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : بالجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان وأبو معاوية ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، قال : أخرج المشركون من مكة ، فشق ذلك على المسلمين ، وقالوا : كنا نصيب منهم التجارة والميرة ، فأنزل الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) كان ناس من المسلمين يتألفون العير ؛ فلما نزلت براءة بقتال المشركين حينما ثقفوا ، وأن يقعدوا لهم كل مرصد ، قذف الشيطان في قلوب المؤمنين ، فمن أين تعيشون ، وقد أمرتم بقتال أهل العير ، فعلم الله من ذلك ما علم ، فقال : أطيعوني ، وامضوا لأمرى ، وأطيعوا رسولى ، فإنى سوف أغنيكم من فضلى ، فتوكل لهم الله بذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) : قال : قال المؤمنون : كنا نصيب من متاجر المشركين ، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ، عوضا لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام ، فهذه الآية من أول براءة في القراءة ، ومن آخرها في التأويل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما نفي الله المشركين عن المسجد الحرام ، شق ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) فأغناهم بهذا الخراج ، الجزية الجارية عليهم ، يأخذونها شهرا شهرا ، عاما عاما ، فليس لأحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال ، إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجل من المسلمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : إلا صاحب جزية ، أو عبدا لرجل من المسلمين .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا شهرا ، و عاما فعاما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لتقطعن عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فنزل (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من وجه غير ذلك (إن شاء) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، ففي هذا عوض مما تخوّفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية .

وأما قوله (إن الله عليمٌ حكيمٌ) فإن معناه : إن الله عليمٌ بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون ، من خوف العيلة عليها ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده . حكيمٌ : في تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .

القول في تأويل قوله

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم (قَاتِلُوا) أيها المؤمنون القوم (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) : يقول : ولا يصدقون بجنة ولا نار (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) : يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحق ، يعنى : أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) وهم اليهود والنصارى ، وكل مطيع ملكا ، أو ذا سلطان ، فهو دائن له ، يقال منه : دان فلان لفلان ، فهو يدين له ديناً ، قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتُ بِجَوْفِي بِنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بِنِسْنَا فَدَكَ^١

وقوله (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يعنى : الذين أعطوا كتاب الله ، وهم أهل التوراة والإنجيل . (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) والجزية : الفعلة ، من جزى فلان فلانا ما عليه : إذا قضاه ، يجزيه ، والجزية مثل القعدة والجلسة .

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراج عن رقابهم ، الذى يبذلونه للمسلمين دفعا عنها .

وأما قوله (عَنْ يَدٍ) فإنه يعنى : من يده إلى يد من يدفعه إليه ، وكذلك تقول العرب لكل معطي قاهرا له شيئا ، طائعا له أو كارهها : أعطاه عن يده ، وعن يد ، وذلك نظير قولهم : كلمته ففأ لفم ، ولقبيته كفة لكفة ، وكذلك أعطيته عن يد ليد .

وأما قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) فإن معناه : وهم أذلاء مقهورون ، يقال للذليل الحقير : صاغر . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدته الكافية المشهورة (مختار الشعر الجاهل ، طبعة الحلبي ص ٢٥٥) وهو الثاني والثلاثون فيها . وجو : واد بعينه ، ودين عمرو : طاعته وسلطانه ، يريد عمرو بن هند . وفدك : قرية فى وادى القرى : يقول : لئن حلت بجيث لا أدركك ، ليردن عليك هجوى ، ولأدنس به عرشك ، كما يدنس الودك القبطية . يخاطب الحارث بن ورقاء الصيدأوى من بني أسد ، وكان أغار على بني عبد الله بن غطفان فغم ، واستاق لبل زهير ، وراعيه يسارا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائم ، والآخذ جالس .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن سعد ، عن عكرمة (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : أي تأخذها وأنت جالس ، وهو قائم .
وقال آخرون : معنى قوله (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) عن أنفسهم بأيديهم ، يمشون بها وهم كارهون ، وذلك قول روى عن ابن عباس ، من وجه فيه نظر .
وقال آخرون : إعطاؤهم إياها : هو الصغار .

القول في تأويل قوله

وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصْرَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)

اختلف أهل التأويل في القائل (عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ) فقال بعضهم : كان ذلك رجلا واحدا : وهو فنحاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ) ، قال : قالوا رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص ، وقالوا : هو الذي قال : (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) .
وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامُ بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا :

كيف نتبعك ، وقد تركت قبلتنا ، وأنت لاترعم أن عزيرا ابن الله ، فأُنزل في ذلك من قولهم : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) . . . إلى (أَتَى يَوْمَئِذٍ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) وإنما قالوا : هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان في أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ، ثم أضاعوها ، وعملوا بغير الحق ، وكان التابوت فيهم ؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة ، وعملوا بالأهواء ، رفع الله عنهم التابوت ، وأنساهم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضا ، فاستطلقت بطونهم ، حتى جعل الرجل يمشی كبده ، حتى نسوا التوراة ، ونسخت من صدورهم ، وفيهم عزير ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ، بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قبل من علمائهم ، فدعا عزير الله ، وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة ، فبينما هو يصلئ مبتهلا إلى الله ، نزل نور من الله فدخل جوفه ، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة ، فأذن في قومه . فقال : يا قوم ، قد آتاني الله التوراة ، وردّها إلى ، فعليق يعلمهم ، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم ، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك ، وبعد ذهابه منهم ؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) إنما قالت ذلك ، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوه ، وأخذوا التوراة ، وذهب علماؤهم الذين بقوا ، فدفنوا كتب التوراة في الجبال . وكان عزير غلاما يتبع في رعوس الجبال ، لا ينزل إلا يوم عيد ، فجعل الغلام يبكي ويقول : رب تركت بني إسرائيل بغير عالم ، فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرة إلى العيد ؛ فلما رجع إذا هو بإمرأة قد مشأت له عند قبر من تلك القبور ، تبكى وتقول : يا مطعماه ، يا كاسياه ! فقال لها : ويحك ، من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حتى لم يممت . قالت : يا عزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله . قالت : فلم تبكي عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خصم ، ولى مدبرا ، فدعته فقالت : يا عزير ، إذا أصبحت غدا ، فأت نهر كذا وكذا ، فاغتسل فيه ، ثم اخرج فصل ركعتين ، فإنه يأتيك شيخ ، فما أعطاك فخذ ، فلما أصبح ، انطلق عزير إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصل ركعتين ، فجاءه الشيخ فقال : افتح فك ، ففتح فم ، فألقى فيه شيئا كهيئة الحمرة العظيمة ، مجتمعها كهيئة القوارير ، ثلاث مرار ، فرجع عزير ، وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بني إسرائيل ، إنني قد جئتكم بالتوراة ، فقالوا يا عزير ما كنت كذآبا ، فعمد فربط على كل أصبع له قلما ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلها ، فلما رجع العلماء ، أخبروا بشأن عزير ، فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من

التوراة في الجبال ، وكانت في خوابٍ مدفونة ، فعارضوها بتوراة عزيز ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) لا يَتَوْتُونَ عَزِيرًا ، وقرأه بعض المكيين والكوفيين « عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ » بتنوين عزيز ، قال : هو اسمٌ مجرّي وإن كان أعجمياً ، لحنته ، وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : زيد ابن عبد الله ، وأوقع الابن موقع الخبر ، ولو كان منسوباً إلى الله ، لكان الوجه فيه إذا كان الابن خيراً : الإجراء والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه ؟ وأما من ترك تنوين عزيز ، فإنه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن ، والتى ساكنان ، فحذف الأول منهما استئثقالاً لتحريكه ، قال الراجز :

لَتَجِدَنِي بِالْأَمِيرِ بَرًّا . وبالْقَنَاةِ مِدْعَسًا مِكْرًا . إذا غَطَيْفُ السُّلَمِيِّ قَرَأَ
فحذف النون للساكن الذي استقبلها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) بتنوين عزيز ، لأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عزيز بأنه ابن الله ، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتاً ، والابن في هذا الموضع خبر لعزير ، لأن الذين ذكروا الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن عزيز أنه كذلك ، وإن كانوا بقليلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين . (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْرَاهِيمَ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) : يعني قول اليهود (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) يقول : نسبة قول هؤلاء في الكذب على الله ، والفرية عليه ، ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابن ، ككذب اليهود وفريتهم على الله ، في نسبهم عزيراً إلى أنه لله ابن ، ولا ينبغي أن يكون لله ولد سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : يشبهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) النصارى يضاهون قول اليهود في عزير .

(١) هذه أبيات ثلاثة من شطور الرجز ، ذكرها صاحب اللسان في (دعص) قال : ورجل مدعص : طعان . قال : . . . الأبيات .
وذكر البيت : الأولين منها في (دعص) قال : ورجل مدعص بالرمح : طعان . قال : . . . وذكر البيتين ، ولم ينسهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : النصارى يضاهاون قول اليهود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : قالوا مثل ما قال أهل الأوثان . وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (يُضَاهِيُونَ) بغير همز ، وقرأه عاصم (يُضَاهِيُونَ) بالهمز ، وهي لغة لثقيف ، وهما لغتان ، يقال : ضاهيته على كذا ، أضاهيه مضاهاة ، وضاهاته عليه مضاهاة : إذا مالأته عليه وأعنته .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار ، واللغة الفصحى .

وأما قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) : فإن معناه فيما ذُكِرَ عن ابن عباس ، ما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) يقول : لعنهم الله ، وكل شيء في القرآن قتل ، فهو لعن .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) يعني النصارى ، كلمة من كلام العرب . فأما أهل المعرفة بكلام العرب فلإنهم يقولون معناه : قتلهم الله ، والعرب تقول : قاتلك الله ، وقاتعها الله ، بمعنى : قاتلك الله ، قالوا : وقاتعك الله أهون من قاتله الله ، وقد ذكروا أنهم يقولون : شاقاه الله ما باقاه ، يريدون : أشقاه الله ما أبقاه ، قالوا : ومعنى قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) كقوله (قَتِيلَ الْحَرَّاصُونَ) ، وَقَتِيلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ) واحد ، وهو بمعنى التعجب ، فإن كان الذي قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس ، لأن فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا إلا من اثنين ، كقولهم : خاصمت فلانا وقاتلته ، وما أشبه ذلك ، وقد زعموا أن قولهم : عافاك الله منه ، وأن معناه : أعفأك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له ، بأن يعفيه من سوء . وقوله (أَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول : أي وجه يذهب بهم ويحيدون ، كيف يصدون عن الحق ؟ . وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

يقول جل ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارهم ، وهم العلماء . وقد بينت تأويل ذلك بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا ، قيل واحدهم حير ، وحير : بكسر الحاء منه وفتحها . وكان يونس الحرمي^١ فيما ذكر عنه ، يزعم أنه

(١) تبناها مرارا على أن يونس النحوي ، هو ابن حبيب الضبي مولاهم ، ولكن الكاتب يخطئ فيها ، ويجعلها الحرمي .

لم يسمع ذلك إلا حبر، بكسر الحاء، ويحتج بقول الناس: هذا مداد حبر، يراد به: مداد علم. وذكر الفراء أنه سمعه حبراً وحبراً، بكسر الحاء وفتحها. والنصارى رهبانهم، وهم أصحاب الصوامع، وأهل الاجتهاد في دينهم منهم.

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة، عن الضحاك (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ) قال: قرأهم وعلماءهم (أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) يعني: سادة لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم، مما قد حرّمه الله عليهم، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم. كما حدثني الحسن بن يزيد الطحان، قال: ثنا عبد السلام بن حرب الملائى، عن غطفان بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدى بن حاتم، قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) فقال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا يحلون لهم، فيحلون.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالوا: ثنا مالك بن إسماعيل، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعاً عن عبد السلام بن حرب، قال: ثنا غطفان بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدى بن حاتم، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عنق صليب من ذهب، فقال: يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحت، وانتهيت إليه، وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتنحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونته؟» قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم». واللفظ لحديث أبي كريب.

حدثني سعيد بن عمرو والسكوني، قال: ثنا بقية عن قيس بن الربيع، عن عبد السلام بن حرب النهدي، عن غطفان، عن مصعب بن سعد، عن عدى بن حاتم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة، فلما قرأ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قلت: يا رسول الله، أما إنهم لم يكونوا يصلّون لهم؟ قال: «صدقت، ولكن كانوا يصلّون لهم ما حرّم الله، فتنحرمونه، ويحرّمون ما أحلّ الله لهم، فتنحرمونه».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، عن حذيفة، أنه سئل عن قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) كانوا يعبدونهم، قال: لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي البختري، قال: قيل لأبي حذيفة فذكر نحوه، غير أنه قال: ولكن كانوا يحلون لهم الحرام، فيستحلونه، ويحرّمون عليهم الحلال، فيحرّمونه. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، عن حبيب، عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: رأيت قول الله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ)؟ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم، ولا

يُصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا حلواهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرّموه ، فتلك كانت ربوبيتهم .

قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء ، عن أبي البختري (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال : انطلقوا إلى حلال الله ، فجعلوه حراما ، وانطلقوا إلى حرام الله ، فجعلوه حلالا ، فأطاعوهم في ذلك ، فجعل الله طاعتهم عبادتهم ، ولو قالوا لهم : اعبدونا لم يفعلوا .

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري ، قال : سألت رجلا حذيفة ، فقال : يا أبا عبد الله رأيت قوله (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا حلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن أشعث ، عن الحسن (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا) ، قال : في الطاعة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وزينوا لهم طاعتهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال عبد الله بن عباس : لم يأمرهم أن يسجدوا لهم ، ولكن أمرهم بمعصية الله ، فأطاعوهم ، فسأهم الله بذلك أرباباً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عمير ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا) قال : قلت لأبي العالية : كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل ؟ قال قالوا : ما أمرونا به ائتمرنا ، وما تنهوننا عنه انتهينا لقولهم : وهم يحدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحو الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

حدثني بشر بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، عن حذيفة (اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي . وأما قوله (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) فإن معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً من دون الله .

وأما قوله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) فإنه يعني به : وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى ، الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أرباباً ، إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً ، وأن يطيعوا إلا ربا واحداً ، دون أرباب شتى ، وهو الله الذي له عبادة كل شيء ، وطاعة كل خلق ، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية ، لا إله إلا هو . يقول تعالى ذكره : لا تنبغى الألوهة إلا لواحد ، الذي أمر الخلق بعبادته ، ولزمت جميع العباد طاعته (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) : يقول : تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك في طاعته

وربوبيته ، القائلون : عزيز ابن الله ، والقائلون : المسيح ابن الله ، المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله .

القول في تأويل قوله

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَنُورَهُ الْكَافِرُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : يُرِيدُ هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا (أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) ، يعنى : أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله ، وصدّهم الناس عنه بالسنتهم أن يبطلوه ، وهو النور الذى جعله الله لخلقته ضياء (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) : يعلو دينه ، وتظهر كلمته ، ويتمّ الحقّ الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولو كره إتمام الله إياه الكافرون ، يعنى : جاحديه المكذّبين به .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) : يقول : يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

القول في تأويل قوله

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : الله الذى يأتي إلا إتمام دينه ، ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه ، الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ، يعنى : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم ، وبدين الحقّ ، وهو الإسلام ، ليظهره على الدين كله ، يقول : ليعلى الإسلام على الملل كلها ، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ، فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى ، حين تصير الملل كلها واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا شقيق ، قال : ثنا ثابت الحداد أبو المقدم ، عن شيخ ، عن أبي هريرة فى قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : حين خروج عيسى ابن مريم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، قال : ثنا من سمع أبا جعفر (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين .

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائع الدين كلها ، فيطلعها عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله ، فيعطيه إياه كله ، ولا يخفي عليه منه شيء ، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك .

القول في تأويل قوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بوحدانية ربهم : إن كثيرا من العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى (لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) : يقول : يأخذون الرُّشَا في أحكامهم ، ويحرفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم كتباً ، ثم يقولون : هذه من عند الله ، يأخذون بها ثمنا قليلا من سقيلتهم (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) : يقول : يمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بينهم إياهم عنه .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا أيُّها الذين ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) أما الأخبار ، فمن اليهود ، وأما الرهبان : فمن النصارى ، وأما سبيل الله : فمحمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) :

يقول تعالى ذكره : (إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) ويأكلها أيضا معهم (الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : بشر الكثير من الأخبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، بعذاب أليم لهم يوم القيامة ، موجه من الله .

واختلف أهل العلم في معنى الكنز ، فقال بعضهم : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤدّ زكاته ، قالوا : وعنى بقوله (وَلَا يُسْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ولا يؤدون زكاتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كل مال أدت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفونا ، وكل مال لم تؤدّ زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن ، يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفونا .

حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : كل مال أدت منه الزكاة ، فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكل مال لم تؤدّ منه الزكاة وإن لم يكن مدفونا ، فهو كنز .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أيما مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض ، وأيما مال لم تؤدّ زكاته فهو كنز ، يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وجريير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز .

قال : ثنا أبي ، عن العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا .

قال : ثنا جريير ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أما الذين يكنزون الذهب والفضة . فهؤلاء أهل القبلة ، والكنز : ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض ، وإن قلّ ؛ وإن كان كثيرا قد أدت زكاته ، فليس بكنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، قال : قلت لعامر : مال على رفّ بين السماء والأرض لا تؤدّى زكاته ، أكنز هو ؟ قال : يكوى به يوم القيامة .

وقال آخرون : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم ، فهو كنز ، أدت منه الزكاة ، أو لم تؤدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ رحمة الله عليه ، قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، فما كان أكثر من ذلك فهو كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبي ، قال : أخبرني أبو حصين ،

عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ رحمة الله عليه ، في قوله (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ) قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .
وقال آخرون : الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن أنس ، عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبي هريرة من فضة ، فنهاه عنها أبوذر ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كَوَى بِهَا » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : لما نزلت (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَبَّ لِلذَّهَبِ ، تَبَّ لِلْفِضَّةِ ، يَقُولُ لَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا : فَأَيُّ مَالٍ نَتَّخِذُهُ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَصْحَابِكَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : فَأَيُّ الْمَالِ نَتَّخِذُهُ ؟ فَقَالَ : لِسَانًا ذَاكِرًا ، وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، بمثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن عمرو ابن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : لما نزلت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال : المهاجرون ، وأي المال نتخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، قال : فأدر كته على بعير ، فقلت : يا رسول الله إن المهاجرين قالوا : فأى المال نتخذ ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِسَانًا ذَاكِرًا ، وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة ، قال : تُوِّفِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْتَانِ » ، ثم توفي آخر ، فوجد في مئزرة ديناران ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَيْتَانِ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن صدق بن عجلان أبي أمامة ، قال : مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْتَانِ » ، ثم توفي آخر ، فوجد في مئزره ديناران ، فقال نبي الله : كَيْتَانِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، عن ثوبان ، قال : كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المهاجرون : لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذة ، إذ نزل

في الذهب والفضة ما نزل ، فقال عمر : إن شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالوا : أجبل ، فانطلق فنبعته أو وضع على بعيري ، فقال : يا رسول الله ، إن المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل ، قالوا : وددنا أنا علمنا أي المال خير فنتخذه ، قال : « نَعَمْ فَيَتَّخِذُ أَحَدُكُمْ لِسَانًا ذَا كِبَرٍ ، وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى إِيْمَانِهِ » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : القول الذي ذكره عن ابن عمر من أن كل مال أدبت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر ، وأن كل مال لم تؤد زكاته ، فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه ، وإن قل ، إذا كان مما يجب فيه الزكاة ؛ وذلك أن الله أوجب في خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها ، وفي عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها ، فإذا كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله ، فمعلوم أن الكثير من المال وإن بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان - وإن أدبت زكاته - من الكنوز التي أوعدها الله أهلها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من ربع العشر ، لأن ما كان فرضا لإخراج جميعه من المال ، وحرام اتخاذه ، فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله ، لاربع عشره ، وذلك مثل المال المغصوب ، الذي هو حرام على الغاصب إمساكه ، وفرض عليه إخراجه من يده إلى يده ، فالتطهر منه رده إلى صاحبه ، فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها ، مما يستحق صاحبه باقتنائه ، إذا أدى إلى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة ، وعيد الله ، لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذي ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله ، رده على ربه .

وبعد ، فإن فيما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : قال معمر : أخبرني سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مامن رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل يوم القيامة صفائح من نار ، يكتوى بها جنبه وجبته » وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يرى سبيله وإن كانت إبلا الأبطح لها يقاع قرقر ، تنطؤه بأخفافها » حسبه قال « وتعضه بأفواهها ، يرد أولها على آخرها ، حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله » ، وإن كانت غنما فيل ذلك ، إلا أنها تنطحه بقرونها ، وتنطؤه بأظلافها » وفي ذلك نظائر من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها ، للدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة ، لاعلى اقتنائها واكتنازها

وفما بيننا من ذلك ، البيان الواضح على أن الآية لخاص كما قال ابن عباس ، وذلك ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والد الدين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباد آليم) يقول : هم أهل الكتاب ،

وقال : هي خاصة وعامة يعني بقوله : هي خاصة وعامة : هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم ، وعامة في أهل الكتاب ، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا .

يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا ، ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا) . . . إلى قوله (هَذَا مَا كَتَبْتُمْ أَنْفُسِكُمْ ، فَادُّوهُمَا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) قال : هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، قال : وكلّ مال لا تؤدّي زكاته كان على ظهر الأرض ، أو في بطنها فهو كنز ، وكلّ مال تؤدّي زكاته فليس بكنز ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قال : الكنز : ما كنز عن طاعة الله وفريضة ، وذلك الكنز ، وقال : أقرضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما . وإنما قلنا ذلك على الخصوص ، لأن الكنز في كلام العرب : كلّ شيء مجموع بعضه على بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلّ على ذلك قول الشاعر :

لَا دَرَّ دَرِيَّ إِنِّ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ
قِرْفَ الحَيِّ وَعِنْدِي البُرِّ مَكْنُوزُ

يعني بذلك : وعندى البرّ مجموع بعضه على بعض ، وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : مكنز ، لانضمام بعضه إلى بعض . وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم ، وكان قوله (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض (وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهو عام في التلاوة ، لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة ، الذي إذا جمع بعضه إلى بعض استحقّ الوعيد ، كان معلوما أن خصوص ذلك إنما أدرك بوقف الرسول عليه ، وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يؤدّ حقّ الله منه من الزكاة ، دون غيره ، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هي عامة في كلّ كنز ، غير أنها خاصة في أهل الكتاب ، وإياهم عنى الله بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالربذة ، فلقيت أبا ذرّ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، ما أنزلك هذه البلاد ؟ قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) . . . الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية في أهل الكتاب ، فقال : فقلت : إنها لفينا وفيهم ، قال : فارتفع في ذلك بيني وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلى عثمان أن أقبل إلىّ ، قال : فأقبلت ؛ فلما قدمت

(١) البيت لبعض المهذلين ، أورده صاحب اللسان في (حتا) قال : والحى ، على فعيل : سويق المنقل ، وقيل رديته ، وقيل بإسبه . قال الهذلي . . . البيت . والقرف يكسر القاف : القشر ، والقرفة : القشرة . يريد أنه لا يطعم شيفانه إذا زلوا به ، الخبز المتخذ من قشر الحنّى ، مع أن البرّ كثير عنده مكسد بعضه على بعض ، فذلك لوم لا يرصاه لنفسه .

المدينة ركبني الناس ، كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فقال لي : تنح فريبا ، قلت : والله لن أدع ما كنت أقول .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبي ذر نحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبي بشر ، قال : قال أبو ذر : خرجت إلى الشام ، فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فقال معاوية : إنما هي في أهل الكتاب ، قال : فقلت : إنما لفينا وفيهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالربذة ، فإذا أنا بأبي ذر ، قال : قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال : فقال : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين .

فإن قال قائل : فكيف قيل (وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين . قيل : يحتمل ذلك وجهين : أحدهما : أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز ، كأنه قيل (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ) الكنوز (وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لأن الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع . والآخر : أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنهما ، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :

نَحْنُ بِمِمَّا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمِمَّا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ ١

فقال : راضٍ ، ولم يقل : راضون ، وقال الآخر :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرِ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا ٢

فقال : يُعَاصَس ، ولم يقل : يعاصيا ، في أشياء كثيرة ، ومنه قول الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) ولم يقل : إليهما .

(١) البيت لقيس بن الخلعيم ، وهو التاسع والخمسون من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٣٨) قال الأعمش في شرحه للبيت : استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول الذي هو فضلة مستغنى عنها في قولهم : ضربت وضربني زيد ، لأنه حذف في البيت خبر المبتدأ الأول الذي هو محتاج إليه ، لا يتم الكلام إلا به ، وجاز هذا الحذف لأن خبر المبتدأ الثاني دال عليه ، إذ كان معناه كمنه ، والتقدير : نحن راضون وأنت راض . وهذا يقوى مذهب سيبويه في تقدير الحذف من الأول في قوله عز وجل : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، لأن قوله « راض » لا يكون خبرا للبيت ونحن ، ولا من تقدير حذف خبره ضرورة .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (حسانة البحري طبع بيروت ص ١٩٨) . وديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٥١ من مقطوعة له سبعة أبيات ، وهو أولها . وشرح الشباب : أوله . والشاهد في البيت أن قوله ما لم يعاصس ، راجع إلى الشعر الأسود وحده ، وإلا لقال : ما لم يعاصيا . فحذف هذا القيد من الأول ، وأبقاه مع الثاني .

القول في تأويل قوله

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كُنْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فالיום من صلة العذاب الأليم ، كأنه قيل : يبشرهم بعذاب أليم ، يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها ، ويعنى بقوله (يُحْمَىٰ عَلَيْهَا) تدخل النار فيوقد عليها : أى على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وكل شيء أدخل النار ، فقد أحمى إحماء ، يقال منه : أحميت الحديد في النار أحميها إحماء . وقوله (فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ) يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمى عليها في نار جهنم ، يكوى الله بها ، يقول : يحرق الله جباه كانوا فيها وجنوبهم وظهورهم (هَذَا مَا كُنْتُمْ) ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون ، الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم (فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) يقول : فيقال لهم : فأطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها ، مكاثرة ومباهاة ، وحذف من قول هذا ما كنزتم ، ويقال لهم لدلالة الكلام عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن حميد بن هلال ، قال : كان أبو ذرّ يقول : بشر الكنازين بكى في الجباه ، وكى في الجنوب ، وكى في الظهر ، حتى يلتقى الحر في أجوافهم . قال : ثنا ابن عسّية ، عن الحريري ، عن أبي العلاء بن الشّخّير ، عن الأحنف بن قيس ، قال : قدمت المدينة ، فبينما أنا في حلقة فيها ملاً من قریش ، إذ جاء رجل خشن الثياب ، خشن الجسد ، خشن الوجه ، فقام عليهم ، فقال بشر الكنازين برصّ يحمى عليه في نار جهنم ، فيوضع على حلمة ثدى أحدهم ، حتى يخرج من نغض كتفه ، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه ينزلزل ، قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا ، قال : وأدبر فاتبعته ، حتى جلس إلى سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت ، فقال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة الجملي ، عن أبي نصر عن الأحنف بن قيس ، قال : رأيت في مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب ، رث الهيئة ، يطوف في الخلق وهو يقول : بشر أصحاب الكنوز بكى في جنوبهم ، وكى في جباههم ، وكى في ظهورهم ، ثم انطلق وهو يتذمّر يقول : ما عسى تصنع بي قریش ؟ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو ذر :
بشر أصحاب الكنوز بكى في الجباه ، وكى في الجنوب ، وكى في الظهور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يوم
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) قال : حية تنطوى على جبينه وجهته ، تقول : أنا مالك الذي بخلت به .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن
معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ
كَتَنًا مِثْلَ لَهْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبَيْبَتَانِ ، يَتَّبِعُهُ يَقُولُ : وَيَلَيْكَ مَا أَنْتَ ؟
فَيَقُولُ : أَنَا كَتَنُكَ الَّذِي تَرَكَتَهُ بَعْدَكَ ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَسْقِضِمَهَا ،
ثُمَّ يَتَّبِعُهُ سَائِرَ جَسَدِهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن طاوس ، عن أبيه ،
قال : بلغني أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه ، وهو يفر منه ويقول : أنا كنتك لا يدرك
منه شيئا إلا أخذه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله
قال : والذي لا إله غيره ، لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار ديناراً ، ولا درهم درهما ، ولكن يوسع جلده ،
فيوضع كل دينار ودرهم على حدته .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال :
ما من رجل يكوى بكنز ، فيوضع دينار على دينار ، ولا درهم على درهم ، ولكن يوسع جلده .

القول في تأويل قوله

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ، وَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : إِنَّ عِدَّةَ شُهُورِ السَّنَةِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ كُلَّ
مَا هُوَ كَائِنٌ فِي قَضَائِهِ الَّذِي قَضَى (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ) يقول : هذه
الشهور الاثنا عشر ، منها أربعة أشهر حرم ، كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن ، وتحرم القتال فيهن ، حتى
لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهيجه ، وهن : رجب مضر ، وثلاثة متواليات : ذوالقعدة ، وذو الحجة ،
والحرم ، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا موسى بن عبيدة الربندي

قال : ثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمئى في أوسط أيام التشريق ، فقال : « يا أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، أُولَئِهِنَّ رَجَبٌ مُضَرٌّ ، بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، وَذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ » .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : ثنا روح ، قال : ثنا أشعث ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع ، فقال : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنتا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرَّم ، ورجب المضمر الذي بين جمادى وشعبان » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان التيمي ، قال : ثنى رجل بالبحرين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ الدِّيِّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، قوله : (إن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ الدِّيِّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ مَبِي : « أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ الدِّيِّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » . وهو قول عامة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ

حُرْمٌ) أما أربعة حرم : فذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وأما كتاب الله : فالذي عنده . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) قال : يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) قال : يذكر بها شأن النسيء .
وأما قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) . فإن معناه : هذا الذي أخبرتكم به ، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ، وأن منها أربعة حرماً : هو الدين المستقيم .
كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) يقول : المستقيم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) قال : الأمر القيم ، يقول : قال تعالى : واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وإن من هذه الاثني عشر شهرا ، أربعة أشهر حرماً ، ذلك دين الله المستقيم ، لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه ما يحرمه منها .

وأما قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فإن معناه : فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبيل لها به من سخط الله وعقابه .
كما حدثني يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : الظلم : العمل بمعاصي الله ، والتارك لطاعته .
ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله (فِيهِنَّ) ، فقال بعضهم : عاد ذلك على الاثني عشر شهرا ، وقال : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ ، فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) في كلهن ، ثم خصص من ذلك أربعة أشهر ، فجعلهن حرماً ، وعظم حرماهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : في الشهور كلها .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأشهر الحرم أنفسكم ، والهاء والنون عائدة على الأشهر الأربعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أما قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فإن الظلم في لأشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيما ، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء ، وقال : إن الله اصطفى صفايا من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان ، والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالا ، وحلالها حراما أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) . . . إلى قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسيء الذى كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا . . . الآية .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم : أن لا تحرموهن كحرمتهن .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ابن علي (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم ألا تحرموهن كحرمتهن .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظم حرمتها .
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ، تأويله لقوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة : إذا كنت عنه : فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين ، قالت : فعلنا ذلك لثلاث عشرة حلت ، ولأربع عشرة مضت ، فكان في قوله جل ثناؤه (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل ، من الثلاثة إلى العشرة ، الدليل الواضح ، على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثني عشر لأن ذلك لو كان كناية عن الاثني عشر شهرا لكان : فلا تظلموا فيها أنفسكم .
فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثني عشر ، وإن كان الذى ذكرت هو المعروف

في كلام العرب ، فقد علمت أن المعروف من كلامها لإخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء ، دون النون وقد قال الشاعر :

أَصْبَحْنَا فِي قَرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَسِيرَ مَعْلُوفَاتِهَا

ولم يقل : معلوفاتهن ، وذلك كناية عن السبع ؟ قيل : إن ذلك وإن كان جائزا فليس الأفصح الأعراف في كلامها ، وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعراف ، أولى من توجيهه إلى الأناكر .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة ؟ قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان ، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرّفهن على سائر شهور السنة ، فخصّ الذنب فيهنّ بالتعظيم ، كما خصهنّ بالشرّيف ، وذلك نظير قوله (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله (حافظوا على الصلوات) ولم يبح ترك المحافظة عليهنّ بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما ، وعلى المحافظة عليها توكيدا ، وفي تضييعها تشديدا ، فكذلك ذلك في قوله (منها أربعة حرم ذلك الدين القسيم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم) .
وأما قوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) فإنه يقول جل ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعا ، مجتمعين غير متفرقين .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، بن السدي (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أما كافة فجميع ، وأمركم مجتمع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وقاتلوا المشركين كافة) يقول : جميعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وقاتلوا المشركين كافة) : أي جميعا . والكافة في كل حال على صورة واحدة لا تكثر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ فاعلة ، فإنها في معنى المصدر ، كالعافية والعاقبة ، ولا تدخل العرب فيها الألف واللام ، لكونها آتية الكلام مع الذي فيها من معنى المصدر ، كما لم يدخلوها ، إذا قالوا قاموا معا ، وقاموا جميعا .

(١) البيت في اللسان (قرح) غير منسوب ، قال : وأما قول الشاعر :

حُبَيْسِنَ فِي قَرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَسِيرَ مَعْلُوفَاتِهَا

فهو اسم وادى القرى . وقرح أيضا : اسم موضع فيه سوق وادى القرى . ولعله أراد الأول . ونسب الفراء البيت لأبي القمقام الفقعسي ، وقال : (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة : هن وهؤلاء . فإذا جرت العشرة قالوا : هي وهذه ، إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير ، ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه ، قال أبو القمقام الفقعسي : أصبحن . . . البيت ولم يقل معلوفاتهن وهن سبع ، وكل ذلك صواب ، إلا أن المؤثر ما فسرت لك . ومثله (وقال نسوة في المدينة) فذكر الفعل لفظة النسوة ، ووقوع هؤلاء عليهن ، كما يقع على الرجال ، ومنه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولم يقل : انسلخت ، وكل صواب ، وقال تعالى « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك » لقلّتهن ، و يقل تلك ، ولو لم قيلت كان صوابا .

وأما قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء ، لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ، لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : ما النسيء إلا زيادة في الكفر . والنسيء مصدر ، من قول القائل : نسأت في أيامك ، ونسأت الله في أجلك : أى زاد الله في أيام عمرك ، ومدة حياتك ، حتى تبقى فيها حيا ، وكل زيادة حدثت في شيء ، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ، ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسيء ، وقيل للمرأة الحبلى نسيء ، ونسئت المرأة ، لزيادة الولد فيها ؛ وقيل : نسأت الناقة وأنسأتها : إذا زجرتها ليزداد سيرها ، وقد يحتمل أن النسيء فعيل ، صرف إليه من مفعول ، كما قيل : لسعين وقتيل ، بمعنى : ملعون ومقتول ، ويكون معناه : إنما الشهر المؤخر زيادة في الكفر ؛ وكأن القول الأول أشبه بمعنى الكلام ، وهو أن يكون معناه : إنما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة ، وتصييرهم الحرم منهن حلالا ، والحلال منهن حراما ، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته ، وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك (إِنَّمَا النَّسِيءُ) بترك الحمز وترك مده (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة الكوفيين (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضل الله بالنسيء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقا يسلكونه إلى مرضاته الذين كفروا . وقد حكى عن الحسن البصرى (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضل بالنسيء الذى سنه الذين كفروا الناس .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى ، لأن من أضله الله فهو ضال ، ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب . وأما الصواب من القراءة في النسيء ، فالهمز ، وقراءته على تقدير فعيل ، لأنها القراءة المستفيضة في قرآنة الأمصار ، التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

وأما قوله (يُحِلُّونَهُ عَامًا) فإن معناه : يحلّ الذين كفروا النسيء ، والهاء في قوله (يُحِلُّونَهُ) عائدة عليه .

ومعنى الكلام : يحلون الذين أخرجوا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عاما ، ويحرمونه عاما (لِيُبَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) يقول : ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرّموا منها ، عدّة ما حرّم الله (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زَيْنَ سَوَاءِ أَعْمَالِهِمْ) يقول : حسن لهم ، وحسب إليهم سيء أعمالهم وقبيحها ، وما خولف به أمر الله وطاعته (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) يقول : والله لا يوفق لمحاسن الأفعال وحلها ، وما لله فيه رضا ، القوم الجاحدين توحيدهم ، والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) قال : النسيء : هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم كل عام ، وكان يكنى أبا ثمامة ، فينادى : ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ، ألا وإن صفر العام الأوّل حلال ، فيحلّ الناس ، فيحرّم صفر عاما ، ويحرّم المحرم عاما ، فذلك قوله تعالى (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) . . . إلى قوله (الْكَافِرِينَ) . وقوله (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) يقول : يتركون المحرم عاما ، وعاما يحرمونه .

قال أبو جعفر : وهذا التأويل من تأويل ابن عباس ، يدلّ على صحة قراءة من قرأ النسيء بترك الهمز ، ودرج المدّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه فعل من قول القائل : نسيت الشيء أنساه ، ومن قول الله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) بمعنى : تركوا الله فتركهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) قال : فهو المحرم كان يحرم عاما وصفر عاما ، وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم ، وكانوا يحرمون صفر مرة ، ويحلّونه مرة ، فعاب الله ذلك ، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) قال : كان النسيء رجالا من بني كنانة ، وكان ذارأى فيهم ، وكان يجعل سنة المحرم صفر ، فيغزون فيه فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرّمه سنة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل (لَأَتِمَّ النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) . . . الآية ، وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء ، فكان يجعل المحرم صفر ، ويستحلّ فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له ، فيقول : أيها الناس إني لأعاب ولا أجاب ، ولا مرد لما أقول إنا قد حرّمنا المحرم ، وأخرنا صفر ، ثم يجيء العام المقبل بعده ، فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرّمنا صفر ، وأخرنا المحرم ، فهو قوله (لِيَسْوَاطِشُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) قال : يعني الأربعة ، فيحلوا ما حرّم الله لتأخير هذا الشهر الحرام .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (لِأَتَمِّمَ النَّسِيءَ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) النسيء : المحرم ، وكان يحرم المحرم عاما ، ويحرم صفر عاما ، فالزيادة صفر ، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم ، فيحلوا ما حرّم الله ، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِأَتَمِّمَ النَّسِيءَ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) . . . إلى قوله (الكافرين) عمّد أناس من أهل الضلالة ، فزادوا صفرا في الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم في الموسم ، فيقول : ألا إن آلتكم قد حرمت العام المحرم ، فيحرمونه ذلك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : ألا إن آلتكم قد حرمت صفر ، فيحرمونه ذلك العام ، وكان يقال لهما : الصفران . قال : فكان أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة ، وكانوا ثلاثة أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحارث . ثم أحد بني كنانة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لِأَتَمِّمَ النَّسِيءَ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) قال : فرض الله الحج في ذي الحجة ، وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ، ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذو القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج ، فوافق ذو الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِأَتَمِّمَ النَّسِيءَ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ) قال : حجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر

(١) كذا في الدر أيضا ، ولم يذكر الثلاثة ، وقد تقدم أن اسم أبي ثمامة : جنادة فحرر .

من العامين في ذى القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ، ثم حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذى الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك (لِمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ، فيجعلون المحرم صفرًا ، فيستحلون فيه الحرمات ، فأنزل الله (لِمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) . . . الآية . قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس ، كان في الجاهلية ، وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام ، يلتقي الرجل قاتل أبيه فلا يمدُّ إليه يده ؛ فلما كان هو ، قال : اخرجوا بنا ، قالوا له هذا المحرم ، فقال : ننسئه العام ، هما العام : صفران ، فاذا كان عام قابل قضينا ، فجعلناهما محرمين ، قال : ففعل ذلك ؛ فلما كان عام قابل ، قال : لاتغزوا في صفر حرّموه مع المحرم ، هما محرّمان : المحرم أسنانه عاما أوّل ، ونقضيه ذلك الإنساء ؛ وقال شاعرهم :

وَمِنَّا مُنْسِي الشَّهْرِ الْقَلَمَسِ^١

وأنزل الله (لِمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) . . . إلى آخر الآية .

وأما قوله (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) فإن معناه : زيادة كفر بالنسيء إلى كفرهم بالله ، وقيل ابتداءم النسيء . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لِمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) يقول : ازدادوا به كفرا إلى كفرهم .

وأما قوله (لِيَسْوَطِشُوا) فإنه من قول القائل : واطأت فلانا على كذا أو اطئه مواطأة : إذا وافقته عليه ، معينا له ، غير مخالف عليه .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَسْوَطِشُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ) يقول : يشبهون ، وذلك قريب المعنى مما بيننا ، وذلك أن ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه .

ولمَّا معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهر التي يحرمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله ، لا يزيدون عليها ، ولا ينقصون منها ، وإن قدّموا وأخّروا فذلك مواطأة عدتهم ، عدة ما حرّم الله .

(١) لم أقف على قائل البيت . وقد أورده القرطبي في تفسيره (مجلد ٨ : ١٣٨) وقال الفراء في معاني القرآن (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) : كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى ، قدم رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ، وكان رئيس الموسم ، فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ، ولا يرد لي قضاء ؛ فيقولون : صدقت ؛ أسننا شهرا ، يريدون : أخر عنا حرمة المحرم ، واجعلها في صفر ، وأحل المحرم . فيفعل ذلك . وإنما دعاهم إلى ذلك ، توالي ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، وإنما كان معاشهم من الإغارة . فيفعل ذلك عاما ، ثم يرجع إلى المحرم ، فيحرمه ويحل صفرًا ، فذلك الإنساء .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)

وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسوك ، يقول جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (مالككم) أى شئ أمركم؟ (إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله) يقول : إذا قال لكم رسول الله محمد : انفروا : أى اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم . وأصل النفر : مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ، ومنه نفور الدابة ، غير أنه يقال من النفر إلى الغزو : نفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا ، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف الخبر عنه ، وإن اتفقت معاني الخبر ، فعنى الكلام : مالكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم : اخرجوا غزاة في سبيل الله : أى في جهاد أعداء الله (اتأقلمتم إلى الأرض) يقول : تأقلمتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها . وقيل : اتأقلمتم لأنه أدغم التاء في التاء ، فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها ، لأن التاء مدغمة في التاء ، ولو أسقطت الألف ابتدئ بها لم تكن لإمتحركة ، فأحدثت الألف لتتبع الحركة بها ، كما قال جل ثناؤه (حتى إذا أدركوا فيها جميعا) وكما قال الشاعر :
تولى الضجيج إذا ما استأفها خصبرا
عذب المذاق إذا ما أتبع القبيل^١

فهو بنى الفعل افتعلم من التناقل .

وقوله (أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة) يقول جل ثناؤه : أرضيتكم بحظ الدنيا والدعة فيها ، عوضا من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين في جنانه (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) يقول : فما الذى يستمتع به الممتنعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة ، التي أعدّها الله لأوليائه ، وأهل طاعته (إلا قليلا) يسير ، يقول لهم : فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة ، وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته ، والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفر لجهاد عدوه .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مالككم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اتأقلمتم إلى الأرض) أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح

(١) لم أقف على قائله . وتولى : تعطى وتمنح . والضجيج : من ينام معها في فراشها . واستأفها : شها أو قبلها ، وخصبرا : باردا ، يريد ثغرها . واتابع : أسله : تتابع ، أدغم المثلان المتحركان ، فاحتجج إلى ألف الوصل ، ومثله : اتاقل وادارك ، أدغم فيما المتقاربان واجتلبت الألف لتيسير النطق . والبيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في (معاني القرآن : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة) .

وبعد الطائف، وبعد حنين، أمروا بالنفير في الصيف حين خُرِفَت النخل وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثْنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) . . . الآية، قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين، وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف، حين اخترفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج؛ قال: فقالوا: منا الثقيل، وذو الحاجة والضيعة والشغل، والمنتشر به أمره في ذلك كله، فأنزل الله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا).

القول في تأويل قوله

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله، متوعدهم على ترك النفر إلى عدوهم من الروم: إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله، يعذبكم الله عاجلاً في الدنيا، بترككم النفر إليهم، عذاباً موجعاً (وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول: يستبدل الله بكم نبيه قوماً غيركم، ينفرون إذا استنفروا، ويحييونه إذا دعوا، ويطيعون الله ورسوله (وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا) يقول: ولا تضرّوا الله بترككم النفير، ومعصيتكم إياه شيئاً، لأنه لا حاجة به إليكم، بل أنتم أهل الحاجة إليه، وهو الغني عنكم، وأنتم الفقراء: (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). يقول جل ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم، وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير، وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع، كان احتباس القطر عنهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا عبد المؤمن بن خالد الحنفي، قال: ثنا نجدة الخراساني، قال: سمعت ابن عباس، وسئل عن قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حياً من أحياء العرب، فثناقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم، فذلك قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن نجدة، قال: سألت ابن عباس، فذكر نحوه، إلا أنه قال: فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا): استنفر الله المؤمنين في كسبان الحرّ في غزوة تبوك قبيل الشام على ما يعلم الله من الجهد. وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قال : قال (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) وقال (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) . . . إلى قوله (لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فنسخها الآية التي تلتها (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)

قال أبو جعفر : ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن ، من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا ، يجب التسليم له ، ولا حجة تأتي بصحة ذلك ، وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سندكرم بعد ، وجائز أن يكون قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) لخاص من الناس ، ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس . وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) نهيًا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها ، وإعلامًا من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض ، وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى ، وكان حكم كل واحدة منهما ماضيًا فيما عُنيت به .

القول في أوّل قوله

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْمِيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

وهذا إعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله ، على أعداء دينه ، وإظهاره عليهم دونهم ، أعانوه أو لم يعينوه ، وتذكير منه لهم فعل ذلك به ، وهو من العدد في قلة ، والعدو في كثرة ، فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة ، يقول لهم جل ثناؤه : إلا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولي إذا استنفركم ، فتنصروه ، فالله ناصره ومعينه على عدوه ، ومغنيه عنكم ، وعن معاونتكم ونصرتكم ، كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره (ثَانِيًا ائْتَسَيْنِ) يقول : أخرجه وهو أحد الاثنين : أى واحد من الاثنين ، وكذلك تقول العرب « هُوَ ثَانِيًا ائْتَسَيْنِ » يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ، ورابع أربعة ، يعنى : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة ، وذلك خلاف قولهم : هو أخوسته ، وغلام سبعة ، لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة ، وثالث الثلاثة : أحد الثلاثة ، وإنما عَسَى جَلْ ثناؤه بقوله (ثَانِيًا ائْتَسَيْنِ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، رضى الله عنه ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من

قريش ، إذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختفيا في الغار . وقوله (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) : يقول :
إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار . والغار : النقب العظيم يكون في الجبل .
(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) : يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر (لَا تَحْزَنْ) وذلك أنه خاف من
الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تَحْزَنْ ، لَأَنَّ اللَّهَ
مَعَنَا ، وَاللَّهُ نَاصِرُنَا ، فَلَنْ يَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ بَيْنَا ، وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا» . يقول جل ثناؤه : فقد
نصره الله على عدوه ، وهو بهذه الحال من الخوف ، وقلة العدد ، فكيف يخذله ، ويوجه إليكم ، وقد كسرت
الله أنصاره ، وعدد جنوده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا
تَنْصُرُوهُ) ذكر ما كان في أول شأنه حين بعثه ، يقول الله : فأنا فاعل ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك
وهو ثاني اثنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا
تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) قال : ذكر ما كان في أول شأنه حين بعث ، فالله فاعل به كذلك ، ناصره
كما نصره إذ ذاك (ثاني اثنين إذ هما في الغار) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ
اللَّهُ) . الآية ، قال : فكان صاحبه أبو بكر . وأما الغار : فجبل بمكة ، يقال له : ثور .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن
عروة ، عن عروة ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، وكان لأبي بكر مسيحة
من غنم ، تروح على أهله ، فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور ، وكان عامر بن فهيرة يروح
بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ، وهو الغار الذي سماه الله في القرآن .

حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي ، قال : ثنا عفان وحبان ، قالا : ثنا همام ، عن ثابت ،
عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه حدثهم ، قال : «بيننا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ،
وأقدام المشركين فوق رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ! لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا ، فقال : يا أبا بكر :
ما ظننك باثنين الله ثالثهما ؟» .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، قال : مكث
أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) :
قال : في الجبل الذي يسمى ثورا ، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب : قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه ، حين خطب قال : أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل : أنا ، قال : اقرأ ، فلما بلغ (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) بكى أبو بكر ، وقال : أنا والله صاحبه .

القول في تأويل قوله

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيْدَهُ يُجَنُّودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَسَكُونَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، (وَأَيْدَهُ يُجَنُّودٍ لَمْ تَرَوْهَا) يَقُولُ : وَقَوَاهُ بَجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ تَرَوْهَا أَنْتُمْ . (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وَهِيَ كَلِمَةُ الشَّرِكِ (السُّفْلَى) لِأَنَّهَا قُهِرَتْ وَأَذَلَّتْ ، وَأَبْطَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَمَحَقَّ أَهْلَهَا ، وَكُلَّ مَقْهُورٍ وَمَغْلُوبٍ فَهُوَ أَسْفَلُ مِنَ الْغَالِبِ ، وَالْغَالِبُ هُوَ الْأَعْلَى . (وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) : يَقُولُ : وَدِينُ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ ، وَقَوْلُ : لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا عَلَى الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ ، الْغَالِبَةُ .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) وَهِيَ : الشَّرِكُ بِاللَّهِ (وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) وَهِيَ : لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ .

وقوله (وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) خَيْرٌ مَبْتَدَأُ غَيْرِ مَرْدُودٍ عَلَى قَوْلِهِ (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الْكَلِمَةِ الْأُولَى لَكَانَ نَصْبًا .

وأما قوله (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ ، وَلَا يَنْصُرُ مِنْ عَاقِبِهِ نَاصِرٌ ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ .

القول في تأويل قوله

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)

اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثقل ، اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالتفكير معه ، فقال بعضهم : معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع : الشباب ، ومعنى الثقل : الشيخوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ، في قوله (أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شبيبا وشبانا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : شيوخا وشبانا .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة (انْتَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : كهولا وشباناً ، ما أسمع الله عذر أحدا ، فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، قال : كان رجل من النخع وكان شيخاً بادناً ، فأراد الغزو ، فمنعه سعد بن أبي وقاص ، فقال : إن الله يقول (انْتَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) ، فأذن له سعد ، فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعد عمر ، فقال : ما فعل الشيخ الذي كان من بني هاشم ؟ فقالوا : قَتِلَ يا أمير المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : الشاب والشيخ .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن مالك بن ميعن ، عن إسماعيل ، عن عكرمة ، قال : الشاب والشيخ .

قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاک ، كهولا وشباناً .

قال : ثنا حسيوة أبو يزيد ، عن يعقوب القسبي ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولا وشباناً

حدثنا الوليد ، قال : ثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل

ابن حيان ، في قوله (انْتَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شبانا وكهولا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد

(انْتَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شباباً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : شيوخاً وشباناً .

حدثني سعيد بن عمرو ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا حبان بن زيد الشرعي ، قال :

نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان والياً على حمص ، قبيل الأفسوس إلى الجراجمة ، فلقيت شيخاً كبيراً هماً ،

قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت : يا عم لقد أعذر

الله إليك ، قال : فرجع حاجبيه فقال : يا بن أخي استغفرنا الله خفافاً وثقالاً ، من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده

فيقيه ، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يعبد إلا الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (انْتَفِرُوا خِفَافًا

وَثِقَالًا) قال : كل شيخ وشاب .

وقال آخرون : معنى ذلك مشاغيل ، وغير مشاغيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم ،

في قوله (انْتَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : مشاغيل ، وغير مشاغيل .

وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

(١) لعله : مولى بني هاشم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : أغنياء وفقراء .
وقال آخرون : معناه : نِشَاطًا ، وغير نِشَاط .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) يقول : انفروا نِشَاطًا : وغير نِشَاط .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : نِشَاطًا ، وغير نِشَاط .
وقال آخرون : معناه : رُكْبَانًا وَمُشَاةً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : قال أبو عمرو : إذا كان النفر إلى دروب الشام ، نفر الناس إليها خِفَافًا رُكْبَانًا ، وإذا كان النفر إلى هذه السواحل ، نفروا إليها خِفَافًا وَثِقَالًا ، رُكْبَانًا وَمُشَاةً .
وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضِيعَةٍ ، وغير ذي ضِيعَةٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : الثقيل الذي له الضيعة ، فهو ثقيل ، يكره أن يضيع ضيعته ويخرج ، والخفيف الذي لا ضيعة له ، فقال الله : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً ، فيقول : إني أحسبه قال : أنا لا آثم ، فأنزل الله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى إلا عاماً واحداً ، وكان أبو أيوب يقول (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا جرير ، عن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عن رأي المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بجمص ، وقد فضل عنه من عظمه ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثني عبد الرحمن بن

ميسرة ، قال : ثنى أبو-راشد الخبراني ، قال : وافيت المقداد بن الأسود ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بجمص ، قد فضل عنه من عظمه ، يريد الغزو ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر المؤمنين بالنفسر لجهاد أعدائه في سبيله خفافا وثقالا ، وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلا عليه النفسر ، لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال ، وقادرا على الظهر والركاب ، ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن معسر من المال ، ومشتغل بضیعة ومعاش ، ومن كان لاظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السن والعيال ، فإذا كان قديمدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف في الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نصب على خصوصه دليلا ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفسر للجهاد في سبيله خفافا وثقالا ، مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، على كل حال من أحوال الخفة والثقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح ، قال : أول ما نزل من براءة (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إن أول ما نزل من براءة (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) قال : يعرفهم نصره ، ويوطنهم لغزوة تبوك .

القول في تأويل قوله

(وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم ، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم ، حتى ينقادوا لكم ، فيدخلوا فيه طوعا أو كرها ، أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ، إن كانوا أهل كتاب ، أو تقتلوهم (وَأَنْفُسِكُمْ) يقول : وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله ، وينصركم عليهم (ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : هذا الذي أمركم به من النفسر في سبيل الله تعالى خفافا وثقالا ، وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التناقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها ، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا ، عوضا من الآخرة ، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه .

القول في تأويل قوله

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ، وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، وَسَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)

يقول جل ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم: وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه، حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ماتدعو إليهم المتخلفين عنك، والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزك، الذي استنفرتهم إليه (عرصاً قريباً) يقول: غنيمة حاضرة: (وسفراً قاصداً) يقول: وموضعا قريباً سهلاً، لاتبعوك ونفروا معك إليهما، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفراً شاقاً عليهم، لأنك استنصرتهم في وقت الحرّ وزمان القيظ، وحين الحاجة إلى الكين. (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم): يقول تعالى ذكره: وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنونك في ترك الخروج معك اعتذاراً منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم في التخلف عنك، بالله كاذبين: (لو استطعنا لخرجنا معكم) يقول: لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور، وما لا بد للمسافر والغازي منه، وصحة البدن والقوى، لخرجنا معكم إلى عدوكم (يهلكون أنفسهم) يقول: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب، لأنهم يورثونها نخط الله، ويكسبونها أليم عقابه (والله يعلم أنهم لكاذبون) في حلفهم بالله، لو استطعنا لخرجنا معكم، لأنهم كانوا للخروج مستطيعين، بوجود السبيل إلى ذلك، بالذي كان عندهم من الأموال، مما يحتاج إليه الغازي في غزوه، والمسافر في سفره، وصحة الأبدان، وقوى الأجسام.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لو كان عرصاً قريباً) إلى قوله (لكاذبون) إنهم يستطيعون الخروج، ولكن كان تبطة من عند أنفسهم والشيطان، وزهادة في الخير.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (لو كان عرصاً قريباً) قال: هي غزوة تبوك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (والله يعلم أنهم لكاذبون) أي إنهم يستطيعون.

القول في تأويل قوله

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أُذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَا لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبِينَ (٤٣)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم في إذنه ، لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ، من المنافقين ، يقول جل ثناؤه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) يا محمد ما كان منك في إذنتك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك ، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) لأي شيء أذنت لهم ؟ (حَتَّى يَتَّبِعِينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) : يقول : ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك ، إذ قالوا لك : لو استطعنا لخرجنا معك حتى نعرف من له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنتك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا ، وشكا في دين الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) قال : ناس قالوا : استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) . . . الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) ، فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : قرأت على سعيد بن أبي عمرو ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟) . . . الآية ، ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) . . . الآية .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا النضر بن شمير ، قال : أخبرنا موسى بن مروان ، قال : سألت مورقا ، عن قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) قال : عاتبه ربه .

القول في تأويل قوله

لَا يَسْتَنْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤)

وهذا إعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين ، أن من علاماتهم التي يعرفون بها ، تخلفهم عن

الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة ، يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد لا تأذنن في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنتك في التخلف من غير عذر ، فإنه لا يستأذنتك في ذلك إلا منافق ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فأما الذي يصدق بالله ويقرّ بوحدايته ، وبالبعث ، والدار الآخرة ، والثواب والعقاب ، فإنه لا يستأذنتك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بما له ونفسه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) يقول : والله ذو علم بمن خافه ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، والمساورة إلى طاعته في غزو عدوه ، وجهادهم بما له ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (لا يستأذنتك الذين يؤمنون بالله) فهذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر ، وعذر الله المؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

القول في تأويل قوله

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ

يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنتك يا محمد في التخلف خلافتك ، وترك الجهاد معك من غير عذر بين ، الذين لا يصدقون بالله ، ولا يقرون بتوحيده . (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) : يقول : وشكت قلوبهم في حقيقة وحداية الله ، وفي ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه ، فهم في ريبهم يترددون ، يقول : في شكهم متحIRON ، وفي ظلمة الحيرة مترددون ، لا يعرفون حقا من باطل ، فيعملون على بصيرة ، وهذه صفة المنافقين .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالا : قوله (لا يستأذنتك الذين يؤمنون بالله) . . . إلى قوله (فهم في ريبهم يترددون) نسختها الآية التي في النور (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقد بينا الناسخ والمنسوخ ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنونك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك ، الخروج معك (لأعدوا له عُدَّةً) : يقول : لأعدوا للخروج عُدَّةً ، ولتأهبوا للسفر والعدو أهبيهما . (ولكن كره الله انبعاثهم) : يعني : خروجهم لذلك . (فثبَّطَهُمْ) : يقول : فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك ، واستثقلوا السفر والخروج معك ، فتركوا لذلك الخروج (وقيل اقعدوا مع القاعدين) : يعني : اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ، ومع النساء والصبيان ، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله ، وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بتناقهم ، وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرَّوهم ولم ينفعوا ، وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود ، كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، ومن كان على مثل الذي كانا عليه .
كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوى الشرف ، منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرفا في قومهم ، فثبَّطهم الله ، لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده .

القول في تأويل قوله

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ، وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون (ما زادوكم إلا خبالاً) : يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادا وضرا ، ولذلك ثبَّطهم عن الخروج معكم . وقد بينا معنى الخبال بشواهد في ماضى قبل . (ولأضعفوا خيالككم) : يقول : ولأسرعوا بكرائبهم السير بينكم ، وأصله من إيضاع الخيل والركاب ، وهو الإسراع بها في السير ، يقال للناقة إذا أسرعت السير ، وضعت الناقة تضع وضعاً ووضعاً ، وأضعفها صاحبها : إذا جدَّ بها وأسرع ، يُوضعها إيضاعاً ؛ ومنه قول الراجز :
بِالْيَتْنِي فِيهَا جَدَعٌ أَحْبُّ فِيهَا وَأَضَعٌ

(١) هذان بيتان من مهبوك الراجز ينسبان إل دريد بن الصمة ، قالهما مع آخرين في غزوة حنين ، لما أشار على مالك بن عوف النصرى قائد المشركين ذلك اليوم برأى ، فلم يرجع إليه فيه ، فقال الأبيات الأربعة . والجذع : الشاب القوى . وأحب : من الحب ، وهو ضرب من السير السريع . وأضع : من الوضع ، وهو العدو . وضع الرجل يضع وضعاً : إذا عدا . وأوضع الدابة : حملها على الوضع .

وأما أصل الحلال : فهو من الحلال : وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تَرَأَوْا فِي الصُّفُوفِ لَا يَتَخَلَّلُكُمْ أَوْلَادُ الْحَدَفِ » .
 وأما قوله (يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ) فإن معنى يبغيونكم الفتنة : يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم ، بتثيبتهم إياكم عنه ، يقال منه : بغيته الشر ، وبغيته الخير ، أبغيه بغاء ؛ إذا التمسته له ، بمعنى : بغيته له ، وكذلك عكمتك وحلبتك ، بمعنى : حلبت لك وعكمت لك ، وإذا أرادوا أعتك على التماسه وطلبه ، قالوا : أبغيتك كذا ، وأحلبتك ، وأعكمتك ، وأى أعتك عليه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) بينكم (يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ) بذلك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) يقول : ولأوضعوا أسلحتهم إخلالكم بالفتنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ ، قال : رفاعه بن تابوت ، وعبد الله بن أبي ابن سلول ، وأوس بن قيطي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) قال : لأسرعوا الأزقة إخلالكم (يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ) يبطئونكم ، عبد الله ابن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن أبي ابن سلول .

قال : حدثنا الحسن ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) قال : لأسرعوا إخلالكم (يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ) بذلك حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) قال : هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك ، يسأل الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فقال : وما يحزنكم ؟ (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) يقولون : قد جمع لكم وفعل وفعل ، يخذلونكم (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ) يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ الكفر .

وأما قوله (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يؤدون إليهم عيون لهم ، عليكم .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) يحدثون بأحاديثكم عيون غير منافقين .

(١) لعله خيلهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ كَهْمٌ) قال : محدثون عيون غير منافقين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ كَهْمٌ) يسمعون ما يؤدونه لعدوكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ، ويطيع لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ كَهْمٌ) وفيكم من يسمع كلامهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوى الشرف منهم : عبد الله بن أبي بن سلول ، والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم ، فنبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم ، فقال (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ كَهْمٌ) فعلى هذا التأويل : وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتبذيرهم إياهم عن السير معكم . وأما على التأويل الأول ، فإن معناه : وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم عيون لهم عليكم .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يبلغونه عنكم عيون لهم ، لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم : سَمَاعٌ ، وصف من وصف به أنه سماع للكلام ، كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ) واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه ، وقبوله منه ، وانتهائه إليه ، فإنما تصفه بأنه له سَمَاعٌ مطيع ، ولا تكاد تقول : هو له سماع مطيع .

وأما قوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجه أفعاله إلى غير وجوهها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكاً فى الإسلام ونفاقاً ، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسراً بما سر المؤمنين ، ويساء بما ساءهم ، لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلايتهم ، وقد بينا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله

لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ

كَاذِبُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المناقثون الفتنة لأصحابك يا محمد ، التمسوا صدّهم عن دينهم ، وحصر صواعلي ردّهم إلى الكفر ، بالتخذيل عنه ، كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أُحد ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه ، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ، ويعنى بقوله (مِنْ قَبْلُ) : من قبل هذا (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) يقول : وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله ، الرأى بالتخذيل عنك ، وإنكار ما تأتيهم به ، وردّه عليك (حتى جاء الحقُّ) يقول : حتى جاء نصر الله (وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) يقول : وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه ، وهو الإسلام (وَهُمْ كَارِهُونَ) يقول : والمناقثون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون ، وكذلك الآن يُظهِرُكَ اللَّهُ ، ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) : أى ليخذلوا عنك أصحابك ، ويردّوا عليك أمرك (حتى جاء الحقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر مُسَمَّين بأعيانهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ، عن الحسن ، قوله (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) قال : منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد بن ثابت القينقيعي .

وكان تخذيل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، كلّ قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض ، وكلّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسرة من الناس ، وشدة من الحرّ ، وجذب من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأُحِبَّتِ الظلال ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يَصْمَدُ له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبتئها للناس لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة أعدوّ الذى صمّد له ، ليتأهب الناس ، لذلك أهبتهم ، أمر الناس بالجهاد ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكثرة لذلك الوجه لما فيه - مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ، ثم إن رسول

الله صلى الله عليه وسلم حدث في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ؛ فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي بن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه ، نحو ذباب : جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين ؛ فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب ، وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الحزرج ، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بني قيشقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله ، قال : وفيهم ، كما ثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرى ، أنزل الله (لَقَدْ ابْتِغَوْا النِّمْنَةَ مِنْ قَبْلُ) . . . الآية .

القول في تأويل قول

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)

وذكر أن هذه الآية نزلت في الجحد بن قيس . ويعنى جل ثناؤه بقوله (وَمِنْهُمْ) : ومن المنافقين (مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي) أقيم فلا أشخص معك (وَلَا تَفْتِنِّي) يقول : ولا تبتلى برؤية نساء بني الأصفر وبناتهم ، فإني بالنساء مغرم ، فأخرج وآثم بذلك . وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك عن قتادة

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزُّوا تبوك تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم » فقال الجحد : ائذن لنا ، ولا تفتننا بالنساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزُّوا تغنموا بنات الأصفر » يعنى : نساء الروم ، ثم ذكر مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) قال : هو الجحد بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن ، ولكن أعينك بمالي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وهو في جهازه للجحد بن قيس أخى بني سلمة : « هل لك يا جحد العام في جيلاد بني الأصفر ؟ »

فقال: يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدَّ عُجْبًا بالنساء مني ، وإنِّي أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهنّ ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : أذِنْتُ لَكَ . في الجدل بن قيس نزلت هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِسْنِي) . . . الآية ، أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِسْنِي) قال : هو رجل من المنافقين ، يقال له : جدّ بن قيس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بني الأصفر ، ونتخذ منهم سراري ووصفانا ، فقال : أي رسول الله ، ائذن لي ولا تفتني ، إن لم تأذن لي افتننت ووقعت ، فغضب ، فقال الله (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) وكان من بني سلمة ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ ؟ » فقالوا : جدّ بن قيس ، غير أنه بخيل جبان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأيُّ داءٍ أدوي من البخل ؟ ولكن سَيِّدُكُمْ الْفَتَى الْأَبْيَضُ الْجَعْدُ الشَّعْرُ الْبَرَاءُ بِنُ مَعْرُورٍ . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِسْنِي) يقول : ائذن لي ولا تخرجني . (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعني : في الحرج سقطوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِسْنِي) ولا تؤمنني ، أَلَا فِي الْإِثْمِ سَقَطُوا .

وقوله (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يقول . وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله ، ووجد آياته ، وكذب رسله ، محدقة بهم ، جامعة لهم جميعا يوم القيامة ، يقول : فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا .

القول في تأويل قوله

إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ،
وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يصيبك سرور بفتح الله عليك أرضى الروم في غزاتك هذه ، يسئ الجدّ بن قيس ونظراءه وأشباعهم من المنافقين ، وإن تصيبك مصيبة بقلول جيشك فيها ، يقول الجدّ ونظراؤه : قد أخذنا أمرنا من قبل : أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد ، وترك اتباعه إلى عدوه ، (مِنْ قَبْلُ) يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة . (وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) : يقول :

ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة ، بفلول أصحابه ، وانهمزاهم عنه ، وقتل من قُتيل منهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) يقول : إن تصيبك في سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة ، تسؤهم ، قال : الجدل وأصحابه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ) حذرنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ) قال : حذرنا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) إن كان فتح للمسلمين كبير ذلك عليهم وساءهم .

القول في تأويل قوله

قُلْ : لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره مودبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك : (لَنْ يُصِيبَنَا) أيها المرتابون في دينهم (إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) في اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا . (هُوَ مَوْلَانَا) : يقول : هو ناصرنا على أعدائه . (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) : يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فلهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئا غيره ، يكفهم أمورهم ، وينصرهم على من بغاهم وكادهم .

القول في تأويل قوله

قُلْ : هَلْ تَرَبُّونَ بِنَاءً إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، وَنَحْنُ تَرَبُّصُكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ

اللَّهُ بِمَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ، فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ، وبيئت لك أمرهم : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين هما أحسن من غيرهما ، إما ظفرا بالعدو ، وفتحنا لنا بغلبتناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة ، وإما قتلا من عدونا لنا ، ففيه الشهادة والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، وكلتاها مما يجب ، ولا يكره . (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ

عِنْدَهُ) يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم ، أو بأيدينا فنقتلكم (فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) يقول : فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) يقول : فتح أو شهادة . وقال مرة أخرى : يقول القتل ، فهي الشهادة والحياة والرزق ، وإما يخزيكم بأيدينا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) يقول : قتل فيه الحياة والرزق ، وإما أن يُغلب فيؤتبه الله أجرا عظيما ، وهو مثل قوله (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى (فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) : قال : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعدائه . قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، قال : القتل في سبيل الله ، والظهور .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : (بَعْدَ آبٍ مِّنْ عِنْدِهِ) بالموت (أَوْ بِأَيْدِينَا) قال : القتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) لإفتحا ، أو قتلا في سبيل الله (وَنَحْنُ نَسْتَرَبِّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَدَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا) : أي قتل .

القول في تأويل قوله

قُلْ : أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنتِكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَسِيقِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لؤلؤ المنافقين : أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره ، وعلى أي حال شئتم ، من حال الطوع والكراهة ، فإنكم إن تنفقوها ، لئن

يَسْتَقْبِلَ اللَّهُ (مِنْكُمْ) نَفَقَاتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِكُمْ ، وَجَهْلٍ مِنْكُمْ بِنُبُوءِ نَبِيِّكُمْ ، وَسُوءِ مَعْرِفَةِ مِنْكُمْ بِثَوَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول : خارجين عن الإيمان بربكم ، وخرج قوله (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) مَخْرَجُ الْأَمْرِ ، ومعناه الخبر ، والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها إن التي تأتي بمعنى الجزء ، كما قال جل ثناؤه (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فهو في لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، ومنه قول الشاعر :

أَسِيْبِي بَيْنَا أَوْ أَحْسَبِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

فكذلك قوله (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) إتمامه : إن تنفقوا طوعاً أو كرها (لَنْ يُسْتَقْبَلَ مِنْكُمْ) . وقيل : إن هذه الآية نزلت في الجحد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : هذا مالي أعينك به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قال الجحد بن قيس : إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتنن ، ولكن أعينك بمالي ، قال : ففيه نزلت (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُسْتَقْبَلَ مِنْكُمْ) قال لقوله : أعينك بمالي .

القول في تأويل قوله

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى ، وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك ، وفي غير ذلك من السبل (إلا أنهم كفروا بالله وببرسوله) فإن الأولى في موضع نصب ، والثانية في موضع رفع ، لأن معنى الكلام ، ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) يقول : لا يأتونها إلا متناقلين بها ، لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا آمنوهم لم يقيموها ، ولا ينفقون يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئاً (إلا وهم كارهون) أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه ، مما فيه تقوية للإسلام وأهله .

(١) البيت لكثير عزة (ديوانه طبع الجزائر ص ٥٣) وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : (أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم) شاعداً على تساوي الإنفاقين في عدم القبول ، كما ساءى كثير بين الإحسان والإساءة في عدم اللوم . والنكتة في مثل ذلك إظهار في تفاوت الحال بتفاوت فعل الخطاب ، كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ويقال : أساء به ، وإليه ، وعليه ، وله : ضد أحسن معنى واستعمالاً . ومقابلة بمعنى : مفضة . من القتل ، وهو البغض . وقوله نقلت : التفات من الخطاب إلى نقل : أي تبغض . قال العلماء : لو قال هذا البيت في وصف الدنيا ، لكان أشعر الناس . وقال الفراء في (معاني القراء : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة) وقوله (أنفقوا طوعاً أو كرهاً) : هو أمر في اللفظ ، وليس بأمر في المعنى ، لأنه قد أخبرهم أنه لن يتقبل منهم ، وهو في الكلام بمنزلة « إن في الجزاء ، كأنك قلت : إن أنفقت طوعاً أو كرهاً ، فليس بمقبول منك . ومثله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ليس بأمر ، إنما هو على تأويل الجزاء . مثله قول الشاعر : « أسئني بنا . . . البيت .

القول في تأويل قوله

فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَتَرْهَقَ
أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وقال : معنى ذلك : التقديم ، وهو مؤخر . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) قال : هذه من تقاديم الكلام ، يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن سلمان الأقرمي ، عن الحسن (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيها ، هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر . قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا ، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن ، لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصُرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لادلالة على صحته . وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم ، وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجهه إليه ، وقال : كيف يعذبهم بذلك في الدنيا ، وهي لهم فيها سرور ، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه ، لإزماءه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه ، وهو غير طيب النفس ، ولا راجع من الله جزاء ، ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا ، على ضجر منه وكره .

وأما قوله (وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فإنه يعني : وتخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله ، وجحودهم بنبوّة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، يقال منه : زهقت نفس فلان ، وزهقت ، فمن قال : زهقت ، قال : ترهق ، ومن قال : زهقت ، قال : ترهق زهوقا ، ومنه قيل : زهق فلان بين أيدي القوم ، يزهق زهوقا : إذا سبقهم فتقدمهم ، ويقال : زهق الباطل : إذا ذهب ودرس .

القول في تأويل قوله

وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : ويخلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذباً وباطلاً خوفاً منكم ، لأنهم لمنكم في الدين والملة ، يقول الله تعالى مكدباً لهم (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ) أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل شك ونفاق (وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ) يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفاً منكم يقولون بالسنتهم : إنا منكم ، ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا .

القول في تأويل قوله

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ ، يقول : عصراً يعتصرون به من حصن ، ومعقلاً يعتقلون فيه منكم ، أو مغارات ، وهي الغيران في الجبال ، واحدها : مغارة ، وهي مفعلة ، من غار الرجل في الشيء يغور فيه إذا دخل ، ومنه قيل : غارت العين : إذا دخلت في الحديقة ، أو مدخلاً ، يقول : سرباً في الأرض يدخلون فيه ، وقال : أو مدخلاً . . . الآية ، لأنه من ادخل يدخل . وقوله (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ) يقول : لأدبروا إليه هرباً منكم (وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يقول : وهم يسرعون في مشيهم . وقيل : إن الجماح مشى بين المشيين ؛ ومنه قول مهلهل :

لَقَدِّمْتُ جَمَحَتُ جَمَاحاً فِي دِمَائِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ تَحَدَّوْا

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة ، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله ، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم ، وفي دورهم وأموالهم ، فلم يقدروا على ترك ذلك ورفاقه ، فصانعوا القوم بالنفاق ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان ، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل الإيمان به ، والعداوة لهم ، فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَاتٍ) . . . الآية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) جمحت في دمائهم : أسرع وأكثرت من قتلهم . وفي شعراء النصرانية ص ١٦٦ بيتان لمهلهل شبيهان بمعنى هذا البيت ، وهما :

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ حَتَّى بَكَيتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ
أَلَيْتُ بِاللَّهِ لَأَرْضِي بِقَتْلِهِمْ حَتَّى أَبْهَرَجَ بِكُفْرِ أَيْمَانِمْ وَجِدُّوا

وأهريج : أي أدمهم بهرجاً : لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية . ولم أجد بيت الشاهد مع هذين البيتين ، مع أنه شبيه بهما وزناً وقافية ومعنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا) الملاج : الحرز في الجبال : والمغارات : الغيران في الجبال ، وقوله (أَوْ مُدَّخَلًا) والمدخل : السرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَّلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) ملجأ ، يقول : حيرزا ، أو مغارات : يعنى الغيران ، أو مدخلا ، يقول : ذهابا في الأرض ، وهو النفق في الأرض ، هو السرب .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا) قال : حيرزا لهم يفترون إليه منكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا) قال : محرزا لهم ، لفتروا إليه منكم .

وقال ابن عباس قوله : (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا) حرزا ، أو مغارات ، قال : الغيران ، أو مدخلا ، قال : نفقا في الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا) يقول : لو يجدون ملجأ : حصونا ، أو مغارات : غيرانا ، أو مدخلا : أسرابا (لَوَّلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) .

القول في تأويل قوله

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات (مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) : يقول : يعيبك في أمرها ، ويطعن عليك فيها ، يقال منه : لمز فلانا يلْمِزُهُ ، ويلْمِزُهُ : إذا عابه وقرصه ، وكذلك همزه . ومنه قيل : فلان هُمَزَةٌ لَمَزَةٌ ، ومنه قول رؤبة :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْرِي فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْرِي

(١) هذان بيتان لرؤبة من مشطور الرجز ، وهما الأربعون والثاني والأربعون من أرجوزة له ص ٦٤ من ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣) : والمعنى بالتحريك : ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسطر أي ممتد . والجمز : مصدر جمز الإنسان والبعير الدابة . يجمز جمزا . وهو عدو دون الحضر الشديد ، وفوق العنق . واللمز : أن تعيب الإنسان في وجهه أو في غيبته . ولمز الرجل : دفعه وضربه

ومنه قول الآخر :

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشِرَةً^(١) وَأَنْ أُغَيَّبَ فَأَنْتَ الْعَائِبُ اللَّمَّزَةُ^(٢)

(فإن أعطوا منها رضوا) يقول : ليس بهم في عيهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ، ولكن الغضب لأنفسهم ، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك ، وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : يروزك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يروزك ويسألك .

قال ابن جريج : وأخبرني داود بن أبي عاصم ، قال : قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا ، حتى ذهبت ، قال : ورآه رجل من الأنصار ، فقال : ما هذا بالعدل ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات .

وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية ، أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقسم ذهبا وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت ، فقال : نبي الله صلى الله عليه وسلم : « وَيَلْمِزُكَ فَإِنْ ذَا يَبْعُدُ لِعَلَيْكَ بَعْدِي ! » ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « احذروا هَذَا وَأَشْبَاهَهُ ، فَإِنَّ فِي أُمَّتِي أَشْبَاهَ هَذَا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ » .

وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُعْطِيكُمْ شَيْئًا وَلَا أَمْنَعُكُمْوهُ ، لَأَمَّا أَنَا خَازِنٌ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : يطعن .

(١) المكاشرة : أن تبدو الأسنان عند التيسم . يقول : تلقاني بالابتسام إذا لقيتك : فإذا غبت عنك عبتني . وذكرني بالسوء . وهذا البيت يوضح أن اللمز هو تمخز الإنسان وعييه في مغيبه ، وهو قول لبعض اللغويين ، والقول الآخر أن اللمز : أن تعيب الرجل في وجهه ، والهمز أن تعيبه في مغيبه ، كما يعلم من نصوص اللسان (لمز ، همز) .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد ، قال :
 « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما ، إذ جاءه ابن ذى الحويصرة التيمي ، فقال : اعدل يا رسول
 الله ، فقال : وَيَسْأَلُكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ائذن لي
 فأضرب عنقه ، قال : دعه ، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع
 صيامهم ، يَمْشُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْشُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَيَنْتَظِرُ فِي قَدِّهِ ، فَلَا
 يَنْتَظِرُ شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْتَظِرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْتَظِرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا ، قَدْ
 سَبَقَ الْمَرْثُ وَالْدَّمُ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ ، إِحْدَى يَدَيْهِ ، أَوْ قَالَ : يَدَيْهِ مِثْلُ تَدْيِ الْمَرَاةِ
 أَوْ مِثْلِ الْبَضْعَةِ تَدْرُدِرُ ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ قَسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فنزلت (وَمِنْهُمْ
 مَنْ يُلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) . قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم ، جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْمِزُكَ
 فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخِطُّونَ) قال : هؤلاء
 المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحب ، ولا يؤثر بها إلا هواه ، فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم
 أنه إنما جاءت من الله ، وأن هذا أمر من الله ، ليس من محمد (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ ، سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَرَسُولُهُ ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله
 من عطاء وقسم لهم من قسم (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) يقول : وقالوا : كافينا الله (سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَرَسُولُهُ) يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)
 يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله ، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من صلوات
 الناس ، والحاجة إليهم .

القول في تأويل قوله

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ،
 وَالْغَرَامِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)
 يقول تعالى ذكره : لا تنال الصدقات إلا للفقراء والمساكين ، ومن ساهم الله جل ثناؤه .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين ، فقال بعضهم : الفقير : المحتاج المتعفف عن المسألة ، والمسكين : المحتاج السائل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقير : الجالس في بيته ، والمسكين : الذي يسعى .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : المساكين : الطوائفون ، والفقراء فقراء المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنى رجل ، عن جابر بن زيد ، أنه سئل عن الفقراء ، قال الفقراء : المتعففون ، والمساكين : الذين يسألون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله الحراني ، قال : سألت الزهري عن قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : الذين في بيوتهم لا يسألون ، والمساكين : الذين يخرجون فيسألون .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين : الذي يسأل . قال : حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة ، والمساكين : الذين يسألون الناس .

حدثنا الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقراء الذين لا يسألون ، والمساكين : الذين يسألون . وقال آخرون : الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقير من به زمانة ، والمسكين : الصحيح المحتاج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) أما الفقير : فالزمن الذي به زمانة . وأما المسكين : فهو الذي ليست به زمانة . وقال آخرون : الفقراء فقراء المهاجرين ، والمساكين : من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن عليّ بن الحكم ، عن الضحاك ابن مزاحم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) المهاجرين ، قال : سفيان : يعنى : ولا يعطى الأعراب منها شيئا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله تعالى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبيزى ، قال : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجج عليها ، ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما في الزكاة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقات في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله .
وقال آخرون : المسكين : الضعيف البئيس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، قال : قال عمر : ليس الفقير بالذى لامال له ، ولكن الفقير : الأخلق الكسب .
قال يعقوب ، قال ابن عسّية : الأخلق : الخارّف عندنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، أن عمر ابن الخطاب رحمة الله تعالى عليه ، قال : ليس المسكين بالذى لامال له ، ولكن المسكين : الأخلق الكسب .
وقال بعضهم : الفقير من المسلمين ، والمسكين من أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن نافع ، قال : سمعت عكرمة في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : لاتقولوا لفقراء المسلمين مساكين ، إنما المساكين مساكين أهل الكتاب .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : الفقير : هو ذوالفقر أو الحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس ، والتذلل لهم في هذا الموضع ، والمسكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ، وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسكنة ، لإجماع الجميع من أهل العلم ، أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى المسكنة عند العرب : الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) يعنى بذلك الهون .

والذلة ، لا الفقر . فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذا كان ذلك كذلك كان لاشك أن المقسوم له باسم الفقير ، غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة ؛ والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذي لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر : هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهي الذل بالطلب والمسئلة . فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل ، والمتدلل منهم الذي يسأل . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك خبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، أَقْرَبُ وَإِنْ شِئْتُمْ : (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً) » . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ » على نحو ما قد جرى به استعمال الناس ، من تسميتهم أهل الفقر مساكين ، لا على تفصيل المسكين من الفقير ؛ ومما ينبغي عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله ، اقرأوا إن شئتم (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً) وذلك في صفة من ابتداء الله ذكره ووصفه بالفقر ، فقال (لِلْمُقْرَّاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً) .

وقوله (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) وهم السعاة في قبضها من أهلها ، ووضعها في مستحقها يعطون ذلك بالسعاية ، أغنياء كانوا أو فقراء .

وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري عن العاملين عليها ، فقال : السعاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : جباة الذين يجمعونها ، ويسعون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) : الذي يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يعطى العامل من ذلك ، فقال بعضهم : يعطى منه الثمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : للعاملين عليها الثمن من الصدقة .

حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

وقال آخرون : بل يُعطى على قدرِ عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الأخصر بن عجلان ، قال : ثنا عطاء بن زهير العامري ، عن أبيه ، أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسأله عن الصدقة : أي مال هي ؟ فقال : مال العرجان والعوران والعُميان ، وكل منقطع به . فقال له : إن للعاملين حقا والمجاهدين ، قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها ، على قدرِ عملهم ، ثم قال : لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مِرَّةٍ سوى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : يكون للعامل عليها إن عمل بالحق ، ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن ، إنما يفرضون له بقدرِ عمله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : كان يعطى العاملون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : يعطى العامل عليها على قدرِ عمله ، أجر مثله .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه ، لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم ، وإنما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم ، وإذا كان كذلك ، بما سنوضح بعد ، وبما قد أوضحناه في موضع آخر ، كان معلوما أن من أعطى منها حقا ، فلنما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله ، لا على الحاجة التي تزول بالعطية ، كان معلوما أن الذي أعطاه من ذلك إنما هو عيوض من سعيه وعمله ، وأن ذلك إنما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله ، الذي لا يزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزل . وأما المؤلفثة قلوبهم ، فإنهم قوم كانوا يتسألون على الإسلام ممن لم تصح نصرته ، استصلاحا به نفسه وعشيرته ، كأبي سفيان بن حرب ، وعيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ) ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيرا ، قالوا : هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك ، عابوه وتركوه .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير : أن المؤلفثة قلوبهم

(١) يرضخ لهم : يعطيهم شيئا يسيرا .

من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب . ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع . ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية . ومن بنى عامر بن لؤي : سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العززي ، ومن بنى أسد بن عبد العززي : حكيم بن حزام . ومن بنى هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بنى قنارة : عيينة بن حصن بن بدر . ومن بنى تميم : الأقرع بن حابس . ومن بنى نصر : مالك ابن عوف . ومن بنى سليم : العباس بن مرداس . ومن ثقيف : العلاء بن حارثة ، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العززي ، فإنه أعطى كل رجل منهم خمسين .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : قال صفوان بن أمية : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إلى ، فما برح يعطيني ، حتى إنه لأحب الناس إلى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ناس كان يتألفهم بالعطية : عيينة بن بدر ، ومن كان معه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن (والمؤلفة قلوبهم) : الذين يؤتفون على الإسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . وأما المؤلفة قلوبهم : فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كما يؤمنوا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري ، عن قوله (والمؤلفة قلوبهم) فقال : من أسلم من يهودي أو نصراني ، قلت : وإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله الحراني ، عن الزهري (والمؤلفة قلوبهم) قال : من هو يهودي أو نصراني .

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة ؟ فقال بعضهم : قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها ، وفي سبيل الله ، أو لعامل عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (والمؤلفة قلوبهم) قال : أما المؤلفة قلوبهم : فليس اليوم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبسة ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : وأتاه عيينة بن حصن (الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، قَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) أى ليس اليوم مؤلفة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : ليس اليوم مؤلفة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرُّشَا . وقال آخرون : المؤلفة قلوبهم في كلِّ زمان ، وحقهم في الصدقات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، مثله . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن الله جعل الصدقة في معنيين : أحدهما سدُّ خلة المسلمين ، والآخر معونة الإسلام وتقويته ، فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يعطاه الغني والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونة للدين ، وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو ، لا لسدِّ خلته ، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك ، وإن كانوا أغنياء ، استصلاحا باعطاءهم أمر الإسلام ، وطلب تقويته وتأييده ، وقد أُعطي النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام ، وعزَّز أمله ، فلا حجة لمحتج بأن يقول : لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت .

وأما قوله (وفي الرقاب) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتبون ، يُعْطَوْنَ مِنْهَا فِي كُلِّ رَقَابِهِمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسين ، أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى ، وهو يخطب الناس يوم الجمعة ، فقال له : أيها الأمير حثَّ الناس على ، فحثَّ عليه أبو موسى ، فألقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتماً ، حتى ألقيوا سوادا كثيرا ؛ فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه ، قال : اجمعه ، فجمع ثم أمر به فبيع ، فأعطى المكاتب مكاتبته ، ثم أعطى الفضل في الرقاب ، ولم يردَّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناس في الرقاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري عن قوله (وفي الرقاب) قال : المكاتبون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وفي الرقاب) قال : المكاتب .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (وفي الرقاب) قال : هم
المكاتبون .

وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس أن تُعتق الرقبة من الزكاة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى : قول من قال : عني بالرقاب في هذا الموضع :
المكاتبون ، لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه في ماله ، يخرجها منه ،
لا يرجع إليه منها نفع من عرض الدنيا ، ولا عوض ، والمعتق رقبة منها راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك
نفع يعود إليه منها .

وأما الغارمون : فالذين استدانوا في غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عراض .
وبالذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ،
قال : الغارمون : من احترق بيته ، أو يصيبه السيل ، فيذهب متاعه ، ويدان على عياله ، فهذا من الغارمين .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن الأسود ،
عن مجاهد ، في قوله (والغارمين) قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادان على عياله .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الغارمين : المستدين في غير
سرف ، ينبغي للإمام أن يقضى عنهم من بيت المال .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألتنا الزهري ، عن الغارمين ، قال :
أصحاب الدين .

قال : ثنا معقل ، عن عبد الكريم ، قال : ثنى خادم لعمر بن عبد العزيز ، خدمه عشرين سنة ، قال :
كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون ، قال أحمد : أكثر ظني من الصدقات .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الغارمون : المستدين
في غير سرف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما الغارمون : فقوم غرقهم الديون
في غير إملاق ولا تبذير ، ولا فساد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الغارم : الذي يدخل عليه الغرم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (والغارمين) قال :
هو الذي يذهب السيل والحريق بماله ، ويدان على عياله .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : المستدين في غير فساد .
 قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الغارمون : الذين يستدينون في غير
 فساد ، ينبغي للإمام أن يقضى عنهم .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : هم قوم ركبتهم
 الديون في غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم في هذه الآية سهما .
 وأما قوله (وفي سبيل الله) فإنه يعني : وفي النفقة في نصره دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها
 لعباده بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار .
 وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وفي سبيل الله) قال :
 الغازي في سبيل الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : قال
 النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : رجل عمل عتبتها ، أو رجل
 اشتراها بماله ، أو في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدق عليه ،
 فأهدأها له » .

قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « لا تحل الصدقة لغني إلا لثلاثة : في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان
 له جار فتصدق عليه فأهدأها له » .

وأما قوله (وابن السبيل) فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد ، والسبيل : الطريق ، وقيل للضارب
 فيه ابن السبيل ، للزومه إياه ، كما قال الشاعر :

أنا ابنُ الحربِ ربّني وليداً إلى أن شبتُ واكتهلتُ ليداني

وكذلك تفعل العرب ، تسمى اللازم للشئ يعرف بابنه .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : ابن
 السبيل : المجتاز من أرض إلى أرض .

(١) ابن الحرب : أي العالم بأمرها . واكتهل الرجل : صار كهلاً ، وهو من بلغ الثلاثين إلى الأربعين من عمره . ولداني : جمع
 لدة ، وهو المساوي له في سنه . يفخر بأنه خاض محرمات الحروب منذ طفولته إلى أن اكتهل ، فهو لا يهاب منازل الأقران . ولم أقب على
 قائل البيت .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مسند آل ، عن ليث ، عن مجاهد (وَاِبْنِ السَّبِيلِ)
قال : لابن السبيل حق من الزكاة ، وإن كان غنيا إذا كان منقطعاً به .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري عن ابن السبيل ،
قال : يأتي على ابن السبيل وهو محتاج ، قلت : فإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاِبْنِ السَّبِيلِ) : الضيف جعل له
فيها حق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن السبيل : المسافر ، من كان غنيا أو فقيرا ، إذا
أصبحت نفقته ، أو فقيدت ، أو أصابها شيء ، أو لم يكن معه شيء ، فحقه واجب .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هُشَيْم ، عن جوير ، عن الضحاك ، أنه قال : في الغنى
إذا سافر ، فاحتاج في سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : ابن السبيل :
المجتاز من الأرض إلى الأرض .

وقوله (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) : يقول جل ثناؤه : قَسَمْتُ قَسْمَهُ اللَّهُ لَهُمْ ، فأوجبه في أموال أهل الأموال
لهم ، والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفي غير ذلك ، لا يخفى عليه شيء ، فعلى علم منه فَرَضَ ما فرض
من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة ، حكيم في تدبيره خلقه ، لا يدخل في تدبيره خسائل .

واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من
الأصناف الثمانية فيها حق ، أو ذلك إلى رب المال ، ومن يتولى قسمها ، في أن له أن يعطى جميع ذلك من شاء
من الأصناف الثمانية ؟ ، فقال عامة أهل العلم للمتولى قسمها ، ووضعها في أي الأصناف الثمانية شاء ، وإنما
سمى الله الأصناف الثمانية في الآية إعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ،
لا لإيجابا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زِرِّ بن
حبيش ، عن حذيفة ، في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : إن
شئت جعلته في صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زِرِّ ، عن حذيفة ، قال :
إذا وضعها في صنف واحد أجزأ عنك .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : أيما صنف
أعطيته من هذا أجزأك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) . . . الآية ، قال : لو وضعتها في صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك ، ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين ، فجزيتهم بها ، كان أحبّ إلى .

قال : أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِي السَّبِيلِ) فأى صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك .

قال : ثنا عمران بن عينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) .

قال : إنما هذا شيء أعلمه ، فأى صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأك .

قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : في أى هذه الأصناف وضعتها أجزأك .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سمي الله أجزأك .

قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سمي الله أجزأك .

قال : ثنا خالد بن حيان أبو يزيد ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزأك .

قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) . . . الآية ، قال : أعلم أهلها من هم .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة ، ويجعلها في صنف واحد .

وكان بعض المتأخرين يقول : إذا تولى ربّ المال قسمها ، كان عليه وضعها في ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأن سهم العاملين يبطل بقسمه إياها ، ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس ، وكان يقول : إن تولى قسمها الإمام ، كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يجزي عنده غير ذلك .

القول في تأويل قوله

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ، وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ، قُلْ: أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)

يقول تعالى ذكره : **وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ جَمَاعَةٌ يُؤُودُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعِيبُونَهُ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ أذُنٌ سَامِعَةٌ ، يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَقُولُ ، فَيَقْبَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ أذُنَةٌ** مثل فعلة : إذا كان يسرع الاستماع والقبول ، كما يقال : هو يقن ويقن : إذا كان ذا يقين بكل ما حدث وأصله من أذن له يأذن : إذا استمع له ، ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : **« مَا أذِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ إِذْ ذَرِيَهُ لِنَبِيِّهِ يَتَغَشَّيَ بِالْقُرْآنِ »** . ومنه قول عدى بن زيد :

أبها القلبُ تَعَلَّلُ بِدَدَنْ^١ إنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ^٢ وَأَذَنْ^١

وذكر أن هذه الآية نزلت في ربيع^٢ بن الحارث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر الله عيبتهم ، يعني المنافقين ، وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال (**وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤُودُونَ النَّبِيَّ ، وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ**) . . . الآية ، وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني ، نبتل بن الحارث ، أخو بني عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه قال : إنما محمد أذن ، من حديثه شيئا صدقه ، يقول الله (**قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ**) : أي يستمع الخير ، ويصدق به .

واختلفت القراء في قراءة قوله (**قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ**) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (**قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ**) بإضافة الأذن إلى الخير ، يعني : قل لهم يا محمد : هو أذن خير ، لا أذن شر . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك (**قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ**) بتنوين أذن ، ويصير خير خبرا له ، بمعنى : قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ؟ إن كان محمد كما وصفتموه من أنكم إذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه ، وعيبكم له ، سمع منكم وصدقكم ، خير لكم من أن يكذبكم ، ولا يقبل منكم ما تقولون ، ثم كذبهم فقال : بل لا يقبل إلا من المؤمنين ، يؤمن بالله ، ويؤمن باليومين للمؤمنين .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندي في ذلك : قراءة من قرأ (**قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ**) بإضافة الأذن إلى الخير ، وخفض الخير ، يعني : قل هو أذن خير لكم ، لا أذن شر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (**وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤُودُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ**) : يسمع من كل أحد .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤُودُونَ**)

(١) البيت لعدى بن زيد (اللسان : ددن) . والدد مثل يد ، والدد مثل قفا ، والددن مثل حزن . والدد بتشديد الدال : الهو واللعب والأذن : مصدر أذن الشيء (بكسر الدال) ؛ إذا استمع . وفي الحديث : ما أذن الله لشيء ، كإذنه لشيء يتفنى بالقرآن . قال أبو عبيد : يعني : ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتفنى بالقرآن ، أي يتلوه بجهر به .

(٢) لعله نبتل بن الحارث كما في الأثر بعد ، وكما في كتب التفسير الأخرى .

النَّبِيِّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ) قال : كانوا يقولون : إنما محمد أذن لا يحدث عنا شيئاً إلا هو أذن يسمع ما يقال له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ) : نقول ما شئنا ، ونخلف فيصدقنا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (هُوَ أَذُنٌ) قال : يقولون : نقول ما شئنا ، ثم نخلف له فيصدقنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
وأما قوله (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) فإنه يقول : يصدق بالله وحده لا شريك له . وقوله (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين ، وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا : محمد أذن ، يقول جل ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير ، يصدق بالله ، وبما جاءه من عنده ، ويصدق المؤمنين ، لأهل النفاق والكفر بالله ، وقيل : ويؤمن للمؤمنين ، معناه : ويؤمن المؤمنين ، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها : آمنت له وآمته ، بمعنى : صدقته ، كما قيل (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِينَ تَسْتَعْجِلُونَ) ومعناه : ردفكم ، وكما قال (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ) ومعناه : للذين هم يرتابون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) : يعني : يؤمن بالله ، ويصدق المؤمنين .

وأما قوله (وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأ ذلك عامة الأمصار : (وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا) بمعنى : قل هو أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، فرفع الرحمة عطفاً بها على الأذن . وقرأه بعض الكوفيين (وَرَحْمَةً) عطفاً بها على الخير ، بتأويل : قل أذن خير لكم ، وأذن رحمة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي : قراءة من قرأه (وَرَحْمَةً) بالرفع ، عطفاً بها على الأذن ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدق بما جاء به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتباعه جناته .

القول في تأويل قوله

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره هؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون هو أذن ، وأمثالهم من مكذبيه ، والقائلين فيه الهجر والباطل ، عذاب من الله موجع ، لهم في نار جهنم .

القول في تأويل قوله

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : يخلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكرهم إياه، بالطعن عليه، والعيب له، ومطابقتهم سرّاً أهل الكفر عليكم بالله، والأيمان الفاجرة، إنهم ما فعلوا ذلك، وإنهم لعل دينكم، ومعكم على من خالفكم، يتتغون بذلك رضاكم، يقول الله جل ثناؤه (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) : بالتوبة والإجابة مما قالوا ونطقوا. (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كانوا مصدقين بتوحيد الله، مقرّين بوعدده ووعيده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِيَرْضَوْكُمْ) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين ، قال : لا والله إن هؤلاء لخيارتنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقاً ، لهم شرّ من الحمير ، قال : فسمعها رجل من المسلمين ، فقال : والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شرّ من الحمار ، فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه ، فقال له : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتعن ، ويخلف بالله ما قال ذلك ، قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق ، وكذب الكاذب ، فأنزل الله في ذلك (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِيَرْضَوْكُمْ) ، والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) .

القول في تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ، ذَلِكَ الْخِزْيُ

الْعَظِيمُ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون ، الذين يخلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما ، فيناوئهما بالخلاف عليهما (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) في الآخرة (خَالِداً فِيهَا) يقول : لا يثاب فيها مقبياً إلى غير نهاية (ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) يقول : قلبته في نار جهنم ، وخلوده فيها ، هو الهوان والذلّ العظيم . وقرأت القراء (فَأَنَّ) بفتح الألف من « أن » بمعنى : ألم يعلموا أن لمن حادّ الله ورسوله نار جهنم ، وإعمال يعلموا فيها ، كأنهم جعلوا أن الثانية مكرّرة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى . وقد كان بعض نحوي البصرة يختار

الكسر في ذلك على الابتداء ، بسبب دخول الفاء فيها ، وإن دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت جواب الجزاء ، كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لأستجيز غيرها فتح الألف في كلا الحرفين ، أعني « أن » الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التي ذكرت من جهة العربية .

القول في تأويل قوله

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ، قَلِيلٌ أَسْتَهْزِئُونَ ، إِنَّ

اللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، يقول : يظهر المؤمنين على ما في قلوبهم . وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : لعل الله لا يفشى سرنا ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : استهزئوا ، متهدداً لهم متوعداً : (إن الله مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يحذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ) قال : يقولون ، للقول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله ألا يفشى سرنا علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : سرنا هذا .

وأما قوله (إن الله مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ) فإنه يعني به : إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ، فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة ، فاضحة المنافقين .

القول في تأويل قوله

وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ : إِمَّا كُنَّا نَحْوُ حُدُودٍ ، قُلْ : أِبَالٌ أَهْلِيَةٌ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)

يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من

الباطل والكذب ، ليقولنَّ لك : إنما قلنا ذلك لعبا ، وكنا نخوض في حديث لعبا وهزواً ؛ يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : أبا لله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون .
 وكان ابن إسحاق يقول : الذي قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني ، ودبيعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف .
 حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فقال له عوف : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فقال زيد : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقا بحقبة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، يقول (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : (أبا لله وآياته وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) ما يزيد .

قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ، ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ؛ فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل القرآن ، قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيت متعلقا بحقبة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أبا لله وآياته وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ، لَا تَعْتَدِرُوا قَدْرَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَيِّنَنَّ سَالَتِهِمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . إلى قوله (بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعتى بها ، تقشع منها الجلود ، وتجعل منها القلوب ، اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك ، لا يقول أحد : أنا غسلت ، أنا كفنت ، أنا دفنت ، قال : فأصيب يوم القيامة ، فما من أحد من المسلمين إلا ووجد غيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَيِّنَنَّ سَالَتِهِمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقال : أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ، هيئات هيئات ، فأطع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « احْبِسُوا عَلَيَّ هَؤُلاءِ الرِّكَبَ ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : قُلْتُمْ كَذَّاءً ، قُلْتُمْ كَذَّاءً ؟ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا مَا تَسْمَعُونَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوذُ وَنَلْعَبُ) قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وركب من المنافقين يسرون بين يديه ، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها ، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فقال : على يهؤلاء النفر ، فدعاهم فقال : قُلْتُمْ كَذَبًا وَكَدًّا ، فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قرأنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل ، وركب ناقته ، فقال يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال (أبا الله وآياته ورسوله كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) . . . إلى قوله (مُجْرِمِينَ) وإن رجليه لتسفعان بالحجارة ، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوذُ وَنَلْعَبُ) قال : قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا ، في يوم كذا وكذا ، وما يدريه ما الغيب ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول في تأويل قوله

لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةَ

بِأَسْمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم (لَا تَعْتَدِرُوا) بالباطل ، فتنقلوا : كنا نخوض ونلعب (قَدْ كَفَرْتُمْ) يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم ، في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يقول : بعد تصديقكم به ، وإقراركم به (إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةَ) وذكر أنه عني بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد . وكان ابن إسحاق يقول فيها حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي عني عنه فيما بلغني محشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن جبان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ) قال : طائفة : رجل .

واختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن نعف عن طائفة منكم بإنكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر ، نعذب طائفة بكفره ، واستهزائه بآيات الله ورسوله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالهم في الحديث ، فسير مجانباً لهم ، فنزلت (**إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً**) فسمى طائفة ، وهو واحد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن تب طائفة منكم ، فيعفو الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم ، بترك التوبة .

وأما قوله (**إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**) فإن معناه : نعذب طائفة منهم ، باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطمعهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره (**الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ**) وهم الذين يظهرن للإيمان بالأسنتهم ، ويسرون الكفر بالله ورسوله (**بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ**) يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، في إعلانهم الإيمان واستبطنهم الكفر (**يَأْمُرُونَ**) من قبل منهم (**بِالْمُنْكَرِ**) وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به وتكذيبه ، وينتهون **عَنِ الْمَعْرُوفِ** : يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وبما جاءهم به من عند الله .

وقوله (**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**) يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ، ويكفونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**) قال : لا يسطونها بنفقة في حق .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**) :

لا يسطونها بخير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**)

قال : يقبضون أيديهم عن كل خير .

وأما قوله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ، ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان : الترك بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .

وكان قتادة يقول في ذلك : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) نسوا من الخير ، ولم ينسوا من الشر .

قوله (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بالسننهم الإيمان بالله ، وهم للكفر مستبطنون ، هم المفارقون طاعة الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله .

القول في تأويل قوله

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا . هِيَ حَسْبُهُمْ ، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)

يقول تعالى ذكره (وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ) بالله (نار جهنم) أن يصلبهموها جميعا (خالدين فيها) يقول : ما كثرين فيها أبدا ، لا يخبثون فيها ولا يموتون (هِيَ حَسْبُهُمْ) يقول : هي كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) يقول : وأبعدهم الله وأخفقهم من رحمته (وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) يقول : وللفريقين جميعا ، يعني من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم ، لا يزول ولا يبيد .

القول في تأويل قوله

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ، أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لؤلاء المنافقين الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، أبا الله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ، كالذين من قبلكم من الأمم ، الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله ، وعجل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة ، يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا ، وأكثر منكم أموالا وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم ، يقول : فتمتعوا بنصيبيهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، روضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة ، وقد سلكتهم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع

بِخَلْقِكُمْ ، يقول : فعلتم بدينكم وديناكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بخلافهم
أمرى . بخلافهم ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم ، وخضتم في الكذب والباطل
على الله ، كالذي خاضوا ، يقول : وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن
أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَتَأْخُذُنَّ كَمَا أَخَذَ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ ،
ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَّكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ
لَدَخَلْتُمُوهُ » قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم القرآن (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ
قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ، وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت
فارس والروم ؟ قال : « فَهَلِ النَّاسُ إِلَّا هُمْ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس ، قوله (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . الآية . قال : قال ابن عباس : ما أشبه الليلة
باليارحة (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، لأعلم إلا أنه قال : والذي نفسي
بيده ، لتبعنهم ، حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدختموه .

قال ابن جريج : وأخبرنا زياد بن سعد ، عن محمد بن زيد بن مهاجر ، عن سعيد بن أبي سعيد
المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ
سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا
جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ . قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب ؟ قال : « فَنَنْ ؟ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال أبو سعيد الخدري
أنه قال : فنن ؟ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَاسْتَمْتَعُوا
بِخَلْقِهِمْ) قال : بدينهم .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « حِذْرُكُمْ أَنْ تُخَدِّثُوا فِي الْإِسْلَامِ حَدَّثَنَا » وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام
من هذه الأمة ، فقال الله في ذلك (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ، وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) وإنما حسبوا ألا يقع بهم من الفتنة
ما وقع بنبي إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدت .

وأما قوله (أَوْلَتْكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وفعلوا في ذلك فعل المالكين من الأمم قبلهم ، حبطت أعمالهم ، يقول : ذهبت أعمالهم باطلا ، فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه (وأَوْلَتْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول : وأولئك هم المغبونون صفتهم ، يبيعهم نعيم الآخرة ، بخلافتهم من الدنيا ، اليسير الزهيد .

القول في تأويل قوله

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ،
وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ ، لِیُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله ، وينهون عن الإيمان به وبرسوله (نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسولنا ، وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ؟ ثم بين جل ثناؤه من أولئك الأمم التي قال لهؤلاء المنافقين : ألم يأتهم نبؤهم ، فقال (قَوْمِ نُوحٍ) ولذلك خفض القوم ، لأنه ترجم بهم عن الذين ، والذين في موضع خفض . ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنعي بهم ، إذ كذبوا رسول نوحا ، وخالفوا أمرى ، ألم أغرقهم بالطوفان . (وَعَادٍ) يقول : وخبر عاد إذ عصوا رسول هودا ، ألم أهلكتهم بريح صرصر عاتية ؛ وخبر ثمود إذ عصوا رسول صالحا ، ألم أهلكتهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيهم خودا ؛ وخبر قوم إبراهيم إذ عصوه ، وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمرود ؛ وخبر أصحاب مدين بن إبراهيم ، ألم أهلكتهم بعذاب يوم الظلّة ، إذ كذبوا رسول شعيبا ؛ وخبر المنقلبة بهم أرضهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسول لوطا ، وكذبوا ما جاءهم به من عندي من الحق ؟ يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله ، أن يسلك بهم في الانتقام منهم ، وتعجيل الحزى والنكال لهم في الدنيا ، سبيل أسلافهم من الأمم ، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسول محمد صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم في تكذيبهم رسولنا ، إذ أتتهم بالبينات . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قال : قوم لوط انقلبت بهم أرضهم ، فجعل عاليها سافلها .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قال : هم قوم لوط .

فإن قال قائل : فإن كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط ، فكيف قيل : المؤتفكات ، فجمعت ولم توحده ؟ قيل : إنها كانت قرى ثلاثا ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالثناء على قول الله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحدا . قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله ، فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بهمهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلا إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فنديك الخارجى القديكات ، وأبوفديك واحد ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا إلى رئيسهم ، فكذلك قوله (أُنْتَهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) وقد يحتمل أن يقال : معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية رسلهم من الله بالبينات .

وقوله (تَفَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) يقول جل ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التى ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لا ظلما من الله لهم ، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل ، لأن الله حكيم ، لا يخلل فى تدبيره ، ولا خطأ فى تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أخطوا عليهم ربهم ، فحققت عليهم كلمة العذاب ، فعذبوا .

القول فى تأويل قول

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ،

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)

يقول تعالى ذكره : وأما المؤمنون والمؤمنات ، وهم المصدقون بالله ورسوله ، وآيات كتابه ، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم . (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) يقول : يأمرؤن الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء به من عند الله . (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : ويؤدون الصلاة المفروضة (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) يقول : ويعطون الزكاة المفروضة أهلها (وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيأتمرون لأمر الله ورسوله ، وينهون عما نهىهم عنه . (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لأهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به ، لا يمنع من الانتقام منه مانع ، ولا ينصره منه ناصر ، حكيم فى انتقامه ومنهم فى جميع أفعاله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام ، والنهي عن المنكر : النهي عن عبادة الأوثان والشياطين .
قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)
قال : الصلوات الخمس .

القول في تأويل قوله

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَمَسَاكِينَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا به ، وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء ، جنات تجري من تحتها الأنهار ، يقول : بساتين تجري تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) يقول : لا يثن فيها أبدا مقيمين ، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبديد . (وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً) يقول : ومنازل يسكنونها طيبة .

وطيبتها ، أنها فيما ذكر لنا كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن الحسن ، قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى (وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فقالا : على الخبير سقطت ، سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُؤٍ ، فِيهِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زُمُرٍ ذَوِّ حَضْرَاءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا قرة بن حبيب ، عن حسن بن فرقد ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبي هريرة ، قالوا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : « قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ ، فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زَبَرَجَدَةٍ حَضْرَاءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنًا مِنْ طَعَامٍ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيْفَةً ، وَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي عِدَاةٍ وَاحِدَةٍ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كَلِّهِ أَجْمَعٌ » .

وأما قوله (فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فإنه يعني : وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جل ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن . وقيل : جنات عدن ، لأنها بساتين خلَّد وإقامة ، لا يظعن منها أحد . وقيل : إنما

قيل لها : جنات عدن ، لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه ، من قول العرب : عدن فلان بأرض كذا ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه المعدن ، ويقال : هو في معدن صدق ، يعنى به أنه في أصل ثابت ؛ وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

وإن تستضيفوا إلى حكمه
تضافوا إلى راجح قد عدن^١

وينشد : قد وزن .

وكالذي قلنا في ذلك ، كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (جنات عدن) قال : معدن الرجل الذي يكون فيه .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا الكندي سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يفتح الذكرك في ثلاث ساعات يتقين من الليل ، في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن ، وهي داره التي لم ترها عين ، ولم تحظر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك . وذَكَرَ في الساعة الثالثة » .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عدن داره » يعنى : دار الله التي لم ترها عين ، ولم تحظر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك . وقال آخرون : معنى (جنات عدن) : جنات أعتاب وكروم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن أبي سريح الرازي ، قال : ثنا زكريا بن عدى ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد ابن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن ، فقال : هي الكروم والأعتاب بالسريانية .

(١) البيت لأعشى قيس أبي بصير ، من نونته المقيدة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) . وفي روايته اختلاف عن رواية الطبري . قال :

وإن يستضيفوا إلى حكمه
يضافوا إلى هادين قد رزن

وتستضيفوا ؛ تلجأوا . والراجح : الهادئ الساكن . وعدن بالمكان يعدن : أقام فيه وثبت . والهادن في رواية الديوان : الساكن . وهو بمعنى الراجح . ورزن : ثبت واستقر . يقال : شيء رزين : إذا كان ثقيلا ثابتا . والقصيدة في مدح قيس بن معد يكرب الكندي ، وهي ثلاثة وأثمانون بيتا .

وقال آخرون : هي اسم لبطنان الجنة ، ووسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : عدن : بطنان الجنة .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان وشعبة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، في قوله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة . قال ابن بشار في حديثه : فقلت : ما بطنانها ؟ وقال ابن المثني في حديثه : فقلت للأعمش : ما بطنان الجنة ؟ قال : وسطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة وأبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة . قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا ، أو عن أحدهما ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود في قول الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة . وقال آخرون : عدن : اسم لقصر .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا عبدة أبو غسان ، عن عون بن موسى الكيناني ، عن الحسن ، قال : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق ، أو شهيد ، أو حكيم عدل ، ورفع به صوته .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا عبد الله بن عاصم ، قال : ثنا عون بن موسى ، قال : سمعت الحسن بن أبي الحسن ، يقول : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب ، لا يدخله إلا نبي أو صديق ، أو شهيد ، أو حكيم عدل ، رفع الحسن به صوته .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ،

عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن في الجنة قصرا يقال له : عدن ، حوله البروج والروح ، له خمسون ألف باب على كل باب حبرة ، لا يدخله إلا نبي ، أو صديق .

حدثنا الحسن بن ناجح ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت يعقوب بن عاصم يحدث ، عن عبد الله بن عمرو ، إن في الجنة قصرا يقال له عدن ، له خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لا يدخله إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد .
وقيل : هي مدينة الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عبد الرحمن المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (في جنات عدن) قال : هي مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعد ، والجنات حولها .
وقيل : إنه اسم نهر .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المخاربي ، عن واصل بن السائب الرقاشي ، عن عطاء ، قال : عدن : نهر في الجنة ، جناته على حافته .

وأما قوله (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله ، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبئس ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك ، فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحيل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب إلى الرجل ، حين ينشق عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ، أبشر برضوان الله ، فيقول مثلك من يبشر بالخير ، ومن أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلتك ، وأظمى نهارك ، فيحمله على رقبته ، حتى يوافي به ربه ، فيمثل بين يديه ، فيقول : يا رب عبدك هذا ، اجزه عنى خيرا ، فقد كنت أسهر ليلته ، وأظمى نهاره ، وأمره فيطيعني ، وأنهاه فيطيعني ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فله حلة الكرامة . فيقول : أي رب زده ، فإنه أهل ذلك ، فيقول : فله رضواني . قال : ورضوان من الله أكبر . وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ما ذكر جل ثناؤه ، فرجع ، وإن كان الرضوان

فيا قد وعدهم ، ولم يعطف به في الإعراب على الجنات والمسكن الطيبة ، ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين ، على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول القائل في الكلام لآخر : أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمك ، ورضاي بعدُ عنك أفضل ذلك ، هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات ، هو الفوز العظيم ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الجسم ، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد ، وَنَجَّوْا مِنَ الْهَوَانِ فِي السَّفَرِ ، فهو الفوز العظيم ، الذي لا شيء أعظم منه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَا وَهُمُ بِجَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والسيوف والمنافقين .

واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين ، فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن علي بن الأقرم ، عن عمرو بن جندب ، عن ابن مسعود ، في قوله تعالى (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) قال : بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقبله ، فإن لم يستطع فليكنفه في وجهه . وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثني الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) قال : الكفار بالقتال ، والمنافقين : أن تغلظ عليهم بالكلام . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : جاهد الكفار بالسيف وَاغْلُظْ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِالْكَلَامِ ، وهو مجاهدتهم . وقال آخرون : بل أمره بإقامة الحدود عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ) قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدود الله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْتَلِظْ عَلَيْهِمْ) قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ
على المنافقين في الحدود .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب : ما قال ابن مسعود : من أن الله أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين ، بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين .

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟ . قيل : إن الله
تعالى ذكره ، إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك . وأما من
إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر ، وأخذ بها ، أنكراها ورجع عنها وقال : إني مسلم ، فإن حكم الله
في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقدا غير ذلك ، وتوكل هو
جل ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر ، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه
بهم ، وإطلاع الله إياه على ضمائرهم ، واعتقاد صدورهم ، كان يقرهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك
بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله ، لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولا
كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكروه ، وأظهر الإسلام بلسانه ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر
له من قوله عند حضوره إياه ، وعزمه على إمضاء الحكم فيه ، دون ما سلف من قول كان نطق به قبل
ذلك ، ودون اعتقاد ضميره الذى لم يبسح الله لأحد الأخذ به في الحكم ، وتولى الأخذ به هو دون خلقه .
وقوله (وَاعْتَلِظْ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب .
وقوله (وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمُ) يقول : ومساكنهم جهنم وهى مثوالم ومأواهم (وَيَبْتَسِسُ الْمَصِيرُ)
يقول : وبئس المكان الذى يصار إليه جهنم .

القول في تأويل قوله

يَخْلِقُونَ بِاللَّهِ ، مَا قَالُوا : وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ
بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا
لَهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) *

اختلف أهل التأويل في الذى نزلت فيه هذه الآية ، والقول الذى كان قاله ، الذى أخبر الله عنه ، أنه
يخلف بالله ما قاله ، فقال بعضهم : الذى نزلت فيه هذه الآية : الجلاس بن سويد بن الصامت .

وكان القول الذي قاله ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال : نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشد من الحمير ، فقال له ابن امرأته : والله يا عدو الله ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فإني إن لأفعل أخاف أن تصيبني قارعة ، وأؤخذ بخطيئتك ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس ، فقال : يا جلاس ! أقلت كذا وكذا ؟ ، فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ يَبْمَأْئِمُّونَ بِمَا كَلَّمُوكُمْ بِبَيِّنَاتٍ ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزلت هذه الآية (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قُباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشد من حميرنا هذه التي نحن عليها . فقال مصعب : أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزل في القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخلط ، قلت : يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قُباء ، فقال : كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أؤخذ بخطيئته ، أو تصيبني قارعة ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس ، فقال له : يا جلاس أقبلت الذي قال مصعب ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت ، فرفعها عنه رجل كان في حجره ، يقال له عُمر بن سعيد ، فأنكر ، فحلف بالله ما قالها ؛ فلما نزل فيه القرآن ، تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال أحدهم : لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير ، فقال له رجل من المؤمنين : إن ما قال لحق ، ولأنت شر من حمار ، قال : فهم المنافقون بقتله ، فذلك قوله (وَهُمْ يَبْمَأْئِمُّونَ بِمَا كَلَّمُوكُمْ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سيبك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة ، فقال « إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ ، فَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْسَى شَيْطَانٍ ، فَإِذَا جَاءَ فَلَا تُكَلِّمُوهُ » ، فلم يلبث

أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علام تشمتني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل ، فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، وما فعلوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا) ثم نعمهم جميعا ، إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول ، قالوا : والكلمة التي قالها ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا) . . . إلى قوله (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلَيْنِ اقْتَتَلَا ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَهَنِمَةِ ، وَالْآخَرُ مِنْ غِفَارٍ ، وَكَانَتْ جَهَنِمَةُ حَلْفَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَظَهَرَ الْغِفَارِيُّ عَلَى الْجَهَنِيِّ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَوْسِ : انصروا أحاكم ، فوالله ما مشئنا وممثل محمد إلا كما قال القائل : شمن كلبك يأكلك ، وقال : (لَسِنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُصْخِرَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يحلفون بالله ما قالوا : وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال : نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا . أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها ، وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قاله ، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي بن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال : ولا علم لنا بأن ذلك من أي ، إذ كان لاخبر بأحدهما يوجب الحجمة ، ويتوصل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل . فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) .

وأما قوله (وَهَمَّوْا بِمَا لَمْ يَنْتَالُوا) فإن أهل التأويل اختلفوا في الذي كان هم بذلك وما الشئ الذي كان هم به ، أقتل ابن امرأته الذي سمع منه ما قال ، وخشى أن يفشيه عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هم المنافق بقتله ، يعني قتل المؤمن الذي قال له : أنت شر من الحمار ، فذلك قوله (وَهَمَّوْا بِمَا لَمْ يَنْتَالُوا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد به .

وقال آخرون : كان الذي همّ رجلا من قريش ، والذي همّ به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شبل ، عن جابر ، عن مجاهد ، في قوله (وَهَمَّوْا)

بِمَا لَمْ يَنْتَلُوا) قال : رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له الأسود .
وقال آخرون : الذي هم عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان همه الذي لم ينله قوله (لَسِنٌ رَجَعْنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لَيْسُ خُرُوجِنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ) من قول قتادة ، وقد ذكرناه .
وقوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر
الله عنه أنه قال : كلمة الكفر كان فقيرا ، فأغناه الله بأن قتل له مولى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديته ، فلما قال ما قال ، قال الله تعالى (وَمَا نَقَمُوا) يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ
أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) وكان الجلاس قتل له مولى له ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بديته ، فاستغنى ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .
قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر
ألفا في مولى لبني عدى بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : كانت لعبد الله بن أبي دية ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .
حدثني المنثري ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال : ثنا عمرو ، قال :
سمعت عكرمة أن مولى لبني عدى بن كعب قتل رجلا من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالدية اثني عشر ألفا ، وفيه أنزلت (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال
عمرو : لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة ، يعني الدية اثني عشر ألفا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا محمد بن سنان العوفي ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو
ابن دينار ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية
اثني عشر ألفا ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : بأخذ الدية
وأما قوله (فَإِنْ يَسْتَوِيَا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من
قبيلهم الذي قالوه ، فرجعوا عنه ، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق . (وَإِنْ يَسْتَوِيَا)
يقول : وإن يدبروا عن التوبة فإبواها ، ويصروا على كفرهم (يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول :
يعذبهم عذابا موجعا في الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزي لهم فيها ، ويعذبهم في الآخرة بالنار .
وقوله (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما هؤلاء المنافقين إن عذبهم الله

في عاجل الدنيا ، من وليّ يواليه على منعه من عقاب الله ، ولا نصير ينصره من الله ، فيتمتده من عقابه ، وقد كانوا أهل عزّ ومنعة ، بعشائرتهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جلّ ثناؤه أن الذين كانوا يمتنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرتهم وحلفائهم ، لا يمتنعونهم من الله ، ولا ينصرونهم منه إن احتاجوا إلى نصرهم . وذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فَإِنْ يَسْتَوْبُوا خَيْرًا كَلِمَةٌ) قال : قال الجلاس : قد استثنى الله لي التوبة ، فأنا أتوب ، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فَإِنْ يَسْتَوْبُوا بِكَ خَيْرًا كَلِمَةٌ) . . . الآية ، فقال الجلاس : يا رسول الله إني أرى الله قد استثنى لي التوبة ، فأنا أتوب ، فتاب ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

القول في تأويل قوله

* وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنۡ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ (٧٥)
فَلَمَّآ اٰتٰهُمْ مِّنۡ فَضْلِهٖ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلّٰوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ (٧٦) فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِيۡ قُلُوْبِهِمْ
اِلٰى يَوْمٍ يَلْقَوْنَہٗ بِمَآ اٰخَلَفُوْا اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ ، وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم (مَن عَاهَدَ اللّٰهَ) يقول : أعطى الله عهدا : (لَئِنۡ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ) يقول : لئن أعطانا الله من فضله ، ورزقنا مالا ، ووسع علينا من عنده (لَنَصَّدَّقَنَّ) يقول : لنسخرجنّ انصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا . (وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ) يقول : ولنعملنّ فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم ، من صلة الرحم به ، وإنفاقه في سبيل الله . يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله وآتاهم من فضله (فَلَمَّآ اٰتٰهُمْ) الله (مِّنۡ فَضْلِهٖ) بَخِلُوْا بِهٖ . بفضل الله الذي آتاهم ، فلم يصدقوا منه ، ولم يصلوا منه قرابة ، ولم ينفقوا منه في حقّ الله . (وَتَوَلّٰوْا) يقول : وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله . (وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ) عنه . (فَاَعْقَبَهُمْ) الله (نِفَاقًا) في قُلُوْبِهِمْ) ببخلهم بحقّ الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله ، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله ، ونقضهم عهده في قلوبهم . (اِلٰى يَوْمٍ يَلْقَوْنَہٗ بِمَآ اٰخَلَفُوْا اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ) : من الصدقة والنفقة في سبيله . (وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ) في قلوبهم ، وحرّمهم التوبة منه ، لأنه جلّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهموه (اِلٰى يَوْمٍ يَلْقَوْنَہٗ) وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية ، وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار ، أتى مجلسا فأشهدهم ، فقال : لئن آتاني الله من فضله ، آتيت منه كل ذي حق حقه ، وتصدقت منه ، ووصلت منه القرابة ، فابتلاه الله ، فآتاه من فضله ، فأخلف الله ما وعده ، وأغضب الله بما أخلف ما وعده ، فقص الله شأنه في القرآن (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) . . . الآية ، إلى قوله (يَكْذِبُونَ) .

حدثني المنفي ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا محمد بن شعيب ، قال : ثنا معاذ بن رفاعة السلمي ، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد الإلهاني ، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن ، أنه أخبره ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيَحْتَكِ يَا ثَعْلَبَةَ ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ . قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما تترضى أن تكون مثل نبي الله ، فتوالذي بنفسه بيده . لو شئت أن تسيّر معي الجبال ذهاباً وفضة لتسارت ، قال : والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت الله فرزقني مالا ، لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا ، قال : فاتخذ غنما ، فتمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصل الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت ، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله اتخذ غنما ، فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره ، فقال : يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ، قال : وأنزل الله (خذ من أموالهم صدقة) . . . الآية ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة ، رجلا من جهينة ، ورجلا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرّا بثعلبة ، وبفلان ، رجل من بني سليم ، فهذا صدقاتهما ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى ، فانطلقا ، وسمع بهما السلمي ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزها للصدقة ، ثم استقبلهم بها فلما رأوها ، قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك ، قال : بلى فخذوه ، فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي لي ، فأخذوها منه ، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا ، حتى مرّا بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ، فنظر فيه فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي

صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهما قال : يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ ، قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، والذي صنع السلمى ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَسِنِّ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى قوله (وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا . فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله مننعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحشي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتكم فلم تطعيني ، فلما أتى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ؛ ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتي ، فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها ؟ فقبض أبو بكر ولم يقبضها ؛ فلما ولى عمر أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا لأقبلها منك ، فقبض ولم يقبلها ، ثم ولى عثمان رحمة الله عليه ، فاتاه فسأله أن يقبل صدقته ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لأقبلها منك فلم يقبلها منه ، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَسِنِّ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجلا من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن أتاه الله مالا ، ليؤدين إلى كل ذى حق حقه ، فاتاه الله مالا ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بني إسرائيل قالت بنو إسرائيل : إن التوراة كثيرة ، وإنما لانفرغ لها ، فسل لنا ربك جماعا من الأمر ، نحافظ عليه ، وننتفرغ فيه لمعيشنا ، قال : يا قوم مهلا مهلا ، هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعصمة الله ، قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثا ، قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا رب يقولون : كيت وكيت ، قال : فإني أمرهم بثلاث ، إن حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة ، أن ينهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤوا وضوء الصلاة ، قال : فرجع بهن نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهن ، قال : فوالله ما لبث القوم إلا قليلا حتى جنحوا ، وانقطع بهم ؛ فلما حدث نبي الله بهذا الحديث عن بني إسرائيل ، قال : « تكفلوا لى بست ، أتكفل لكم بالجنة ، قالوا : ما هن يا رسول الله ، قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا أوتمتم فلا تخونوا ، وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم ، أبصاركم عن الخيانة ، وأيديكم عن السرقة ، وفروجكم عن الزنا » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ صَارَ مُنَافِقًا ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا أَوْثَمِينَ خَانَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ .

وقال آخرون : بل المعنى بذلك : رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر مُعْتَبَّبُ بن قشير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى الآخر ، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، هما من بني عمرو بن عوف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) قال : رجلان خرجا على ملائكة قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ، فلما رزقهم الله بخلوا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) رجلان خرجا على ملائكة قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ، فلما رزقهم بخلوا به ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا : لنصدقن فلم يفعلوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ؛ فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ، ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

قال أبو جعفر : في هذه الآية الإبانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق ، أعني في قوله (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْتَقَوْهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

وينحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ، ووردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله : اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى قوله (يَكْذِبُونَ) حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن صبيح بن

عبد الله بن عميرة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : ثلاث من كنّ فيه كان منافقا إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، قال : وتلا هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَنْصَدَقَنَّهُ وَلَكِنْ كُونُوا مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول : سألت عبد الله بن عمرو ، عن المنافق ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام الخزومي ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والإخلاف ، والحيانة ، فالتسبها في كتاب الله زمانا لا أجدها ، ثم وجدتها في آيتين من كتاب الله ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ) . . . حتى بلغ (وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ، وقوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هذه الآية .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا أسامة ، قال : ثنا محمد المخرمي ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق ، وإن صلّى وصام . وزعم أنّه مسلم » : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » فقلت للحسن : يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقيني ، فتقاضاني وليس عندي ، وخفت أن يجسني ويهلكني ، فوعده أن أقضيه رأس الهلال فلم أفلح ، أمناق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث ، ثم حدث عن عبد الله بن عمرو ، أن أباه لما حضره الموت ، قال : زوجوا فلانا ، فإني وعدته أن أزوجه ، لألقى الله بثلاث النفاق ، قال : قلت : يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا ، وثلاثة مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث ، قال : فحججبت فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن ، وبالذي قلت له ، وقال لي ، فقال : أعجزت أن تقول له : أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يعدوا أباهم فأخلفوه ، وحدثوه فكذبوه ، وأتمهم فخانوه ، أمناقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبي وجدّهم نبي ؟ قال : قلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدثني بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث ، فقال : حدثني جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي فكذبوه ، وأتمهم على سره فخانوه ، ووعده أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبو سفيان في مكان كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إن أبو سفيان في مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه واكتبوا » قال : فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريدكم ، فخذوا حذرکم ، فأنزل الله (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، وأنزل في المنافقين (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا

الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت لك ، قال : فقدمت على الحسن ، فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذي حدثت ، وما قال لي ، فأخذ الحسن بيدي ، فأمالها وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثل هذا ، سمع مني حديثاً ، فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا في المنافقين خاصة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا يعقوب ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَهُوَ مُنَافِقٌ » ، فقيل له : ما هي يا رسول الله ؟ فقال النبي عليه السلام : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أَوْثَمِينَ خَانَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنا ميسرة ، عن الأوزاعي عن هارون بن رباب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل ، أنه لما حضرته الوفاة ، قال : إن فلانا خطب إلى ابنتي ، وإني كنت قلت له فيها قولاً شبيهاً بالعدة ، والله لألتي الله بثلث النفاق ، وأشهدكم أني قد زوجته . وقال قوم : كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئاً نووه في أنفسهم ، ولم يتكلموا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول : ركبنا البحر ، فأصابنا ريح شديدة ، فنذّر قوم منا ندورا ، ونويت أنا لم أتكلم به ؛ فلما قدمت البصرة ، سألت أبي سليمان ، فقال لي يا بني : فهُ به .

قال معتمر ، وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت ، قال : قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ) . . . الآية قال : إنما هو شيء نووه في أنفسهم ، ولم يتكلموا به ، ألم تسمع إلى قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) ، وأن الله علام الغيوب .

القول في تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرا ، أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، من الكفر به ورسوله . (وَنَجْوَاهُمْ) يقول : ونجواهم إذا تناجوا بينهم بالظعن في الإسلام وأهله ، وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به ، فيحذروا من الله عقوبته ، أن يُحِلَّهَا بِهِمْ ، وسطوته أن يوقعها بهم ، على كفرهم بالله ورسوله ، وعيبتهم للإسلام وأهله ، فينزعوا عن ذلك ، ويتوبوا منه . (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) : يقول : ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسمع خلقه وأبصارهم وحواسهم ، مما أكتته نفوسهم ، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة ،

فيهاهم ذلك عن خِدَاعِ أَوْلِيَاءِهِ بِالنِّفَاقِ وَالْكَذِبِ ، وَيُزَجِّرُهُمْ عَنِ إِضْهَارِ غَيْرِ مَا يَبْدُونَهُ ، وَإِظْهَارِ خِلَافِ مَا يَعْتَقِدُونَهُ .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ،
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ، ويطعنون فيها عليهم بقولهم : إنما تصدقوا به رياءً وسمعةً ، ولم يريدوا وجه الله ، ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم ، وذلك طاقتهم ، فيستقصونهم ويقولون : لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً ، تخيرية منهم بهم (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) . وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه ، في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا . (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجه مؤلم .

وذكر أن المعنى بقوله (الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدي الأنصاري ، وأن المعنى بقوله (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) أبو عقيل الأراشي أخو بني أنيف . ذكر من قال ذلك

حدثني المشني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقيةً من ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً ، وقالوا : إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم : أَنْ اجْتَمِعُوا صَدَقَاتِكُمْ . فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل من أحوجهم بمن من تمر ، فقال : يا رسول الله هذا صاع من تمر ، بت ليلتي أجر بالحرير الماء ، حتى نلت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما ، وأتيتك بالآخر ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات ، فسخر منه رجال وقالوا : والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ، وما يصنعان بصاعك من شيء . ثم إن عبد الرحمن بن عوف : رجل من قريش من بني زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندي مئة أوقية من ذهب في الصدقات ، فقال له عمر بن الخطاب : أجمنون

أنت ؟ فقال : ليس بي جنون ، فقال : أتعلم ما قلت ؟ قال : نعم ، مالى ثمانية آلاف : أما أربعة آلاف فأقرضها ربى ، وأما أربعة آلاف فلى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ ، وَفِيمَا أُعْطَيْتَ ، وكره المنافقون فقالوا : والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء ، وهم كاذبون ، إنما كان به متطوعا ، فأنزله الله عنده ، وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر ، فقال الله فى كتابه (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآية . . . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون ، وقالوا : راءى . (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) قال : رجل من الأنصار ، آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره ، فجاء به ، فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنيا عن صاع هذا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية ، قال : أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله ، فتقرب به إلى الله ، فلمزه المنافقون ، فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسمعة ، فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له : حبشاح أبو عقيل ، فقال : يا نبي الله ، بت آجر الحرير على صاعين من تمر : أما صاع فأمسكته لأهلى ، وأما صاع فهذا هو ذا ، فقال المنافقون : والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ، فأنزله الله فى ذلك القرآن : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطير ماله ، وكان ماله ثمانية آلاف دينار ، فتصدق بأربعة آلاف دينار ، فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء ، فقال الله : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . وكان لرجل صاعان من تمر ، فجاء بأحدهما ، فقال ناس من المنافقين : إن كان الله عن صاع هذا لغنيا ، فكان المنافقون يطعنون عليهم ، ويسخرون بهم ، فقال الله : (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عَدَّابٌ أَلِيمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال الأنطاقي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا » قال : فقال عبد الرحمن ابن عوف : يا رسول الله ، إن عندى أربعة آلاف : ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أُعْطَيْتَ ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ » فقال رجل من الأنصار : وإن عندى صاعين من تمر ، صاعا لربى ، وصاعا لعيالى ، قال : فلمز المنافقون ،

وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء ، وقالوا : أولم يكن الله غنيا عن صاع هذا ، فأَنْزَلَ اللهُ (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، في قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : أصاب الناس جهد شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربع مئة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِحَسْمٍ فِيمَا أَمْسَكَ» ، فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ، قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله أجرت نفسى بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلى ، وجئت بصاع من تمر ، فقال المنافقون : إن الله غنى عن صاع هذا ، فَأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية : (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآية ، وكان من المطَّوِّعِينَ من المؤمنين في الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، تصدَّق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدى آخر بنى عجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغِبَ في الصدقة ، وحضَّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فنصدَّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فنصدَّق بمئة وستى من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدَّق بجهد أبو عقيل ، أخو بنى أنيف الأراشى ، حليف بنى عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغه في الصدقة ، فتصاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبي عقيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود ، قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ، قال أبو النعمان : كنا نعمل ، قال : فجاء رجل ، فنصدَّق بشيء كثير ، قال : وجاء رجل فنصدَّق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغنى عن صاع هذا ، فنزلت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنا خالد بن يسار ، عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه ، قال : بت أجر الحرير على ظهري ، على صاعين من تمر ، فانقلبت بأحدهما إلى أهلى يتبَلَّغون به ، وجئت بالآخر ، أتقرَّب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : انثره في الصدقة ، فسخر المنافقون منه وقالوا : لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين ، فَأَنْزَلَ اللهُ (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآيتين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا الجريري عن أبي السليل ، قال : وقف على الحى رجل ، فقال : ثنى أبى أو عمى ، فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : «مَنْ

يَتَصَدَّقَ الْيَوْمَ بِصَدَقَةٍ أَشْهَدُ لَهُ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قال : وعلى عمامة لي ، قال :
 فزعت لوثنا أو لوثين لأنصدق بهما ، قال : ثم أدركني ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسي ، قال :
 فجاء رجل لأرى بالبيع رجلا أقصر قمة ، ولا أشد سوادا ، ولا أذم لعيني منه ، يقود ناقة لأرى بالبيع
 أحسن منها ، ولا أجل منها ، قال : أصدقة هي يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فدونها ، فألقى
 بخطامها أو بزمامها ، قال : فلمزه رجل جالس ، فقال : والله إنه ليتصدق بها ، ولهي خير منه ، فنظر
 إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل هو خير منك ومنها ، يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني
 عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، يقول : الذي تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون ، أبو خبيثة
 الأنصاري .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال : ثنا عامر بن يساف اليمامي ، عن يحيى
 ابن أبي كثير اليمامي ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : يا رسول الله مالي ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف ، فأجعلها في سبيل الله ، وأمسكت أربعة آلاف
 لعالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا أُعْطِيَتْ ، وَفِيهَا أُمْسِكْتَ ، وَجَاءَ رَجُلٌ
 آخَرَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَتَّ اللَّيْلَةَ أَجْرَ الْمَاءِ عَلَى صَاعِينَ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَتَرَكْتُ لِعَالِي ، وَأَمَّا الْآخَرُ
 فَجِئْتُكَ بِهِ ، أَجْعَلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا أُعْطِيَتْ وَفِيهَا أُمْسِكْتَ » فقال ناس من
 المنافقين ، والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياء وسُمعة ، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان ، فأنزله
 الله : (الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ الْمُنَافِقِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) يعني عبد الرحمن بن عوف ، (وَالَّذِينَ
 لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) يعني صاحب الصاع (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
 وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن
 عباس : أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ، أن يجمعوا صدقاتهم ، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء
 بأربعة آلاف ، فقال : هذا مالي أقرضه الله ، وقد بقي لي مثله ، فقال له : « بُوْرِكَ لَكَ فِيهَا أُعْطِيَتْ ،
 وَفِيهَا أُمْسِكْتَ » فقال المنافقون : ما أعطى إلا رياء ، وما أعطى صاحب الصاع إلا رياء ، إن كان الله
 ورسوله لغنيين عن هذا ، وما يصنع الله بصاع من شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ
 الْمُنَافِقِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . إلى قوله (وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : أمر النبي عليه
 الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا ، فقام عمر بن الخطاب ، فألقى مالا وافرا ، فأخذ نصفه ، قال :
 فجئت أحمل مالا كثيرا ، فقال له رجل من المنافقين : ترائي يا عمر ؟ فقال عمر : أرائي الله ورسوله ، وأما
 غيرهما فلا . قال : ورجل من الأنصار لم يكن عنده شيء ، فأجر نفسه ليجر الجريز على رقبتة ، بصاعين

ليلته ، فترك صاعاً لعياله ، وجاء بصاعٍ يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان ، فذلك قول الله تبارك وتعالى : (الَّذِينَ يَسْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) : هذا الأنصاري (قَيْسُ سَخْرُونَ مِنْهُمْ ، سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) . وقد بينا معنى السَّمْرِ في كلام العرب بشواهده ، وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى . وأما قوله (الْمُطَّوِّعِينَ) فإن معناه : المتطوعين ، أدغمت التاء في الطاء ، فصارت طاءً مشددة ، كما قيل (وَمَنْ يَطَّوِّعْ خَيْرًا) يعني يتطوع . وأما الجهد ، فإن للعرب فيه لغتين ، يقال : أعطاني من جهده ، بضم الجيم ، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ، ومن جهده بفتح الجيم ، وذلك لغة نجد ، وعلى الضم قراءة الأمصار ، وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحجة من القراءة عليه . وأما أهل العلم بكلام العرب ، من رواة الشعر وأهل العربية ، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد . وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه ، كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد ، بالضم والفتح من وجدت .

وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، قال : الجهد في العمل ، والجهد في القوت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، مثله . قال : ثنا ابن إدريس ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، قال : الجهد في العمل ، والجهد في المعيشة .

القول في تأويل قوله

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا اسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله ل هؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة ، أو لا تدع لهم بها ، وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم . وقوله (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) يقول : إن تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم ، بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها ، فلن يستر الله عليهم ، ولن يعفو لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رعوس الأشهاد يوم القيامة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول جل ثناؤه : هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوهم لهم عن ذنوبهم من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لا يؤقِّق للإيمان به وبرسوله من أثر الكفر به ، والخروج عن طاعته ، على الإيمان به وبرسوله .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية ، قال : « لَأَزِيدَنَّ فِي الْإِسْتِغْفَارِ »

كُفُّوا عَلَى سَبْعِينَ مَرَّةً « رجاء منه أن يغفر الله لهم ، فنزلت (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عبد الله بن أبي بن سلؤل ، قال لأصحابه : لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه ، لانفضوا من حوله ، وهو القائل (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) ، فأنزل الله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدن على السبعين ، فأنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شبك ، عن الشعبي ، قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلؤل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : حَبَابُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُؤْلٍ ، إِنَّ الْحَبَابَ هُوَ الشَّيْطَانُ ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُ قَدْ قِيلَ لِي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، فَأَنَا اسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، وَأَلْبَسَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ وَهُوَ عَرِقٌ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة ، فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) عزما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي ، قال : لما ثقل عبد الله بن أبي ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إِنْ أَبِي قَدْ احْتَضَرَ ، فَأَجِبْ أَنْ تَشْهَدَهُ وَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَا اسْمُكَ ؟ قال : الحباب بن عبد الله ، قال : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، إِنَّ الْحَبَابَ اسْمُ شَيْطَانٍ ، قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِقٌ ، وصلى عليه ، فقيل له : أتصلى عليه وهو منافق ؟ فقال : إِنْ اللَّهُ قَالَ (إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وَلَا اسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، قال هشيم : وَأَشْكُ فِي الثَّلَاثَةِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) . . . إلى قوله (الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، فقال الله من شدة غضبه عليهم (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ)، إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فقال نبي الله: قَدْ خَسِرَ لِي رَبِّي فَلَا زَيْدَ لَهُمْ عَلَى سَبْعِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) . . . الْآيَةَ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لَمَّا نَزَلَتْ (إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: : لَأَزِيدَنَّ عَلَى سَبْعِينَ، فقال الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ).

القول في تأويل قوله

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالُوا: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ: نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)

يقول تعالى ذكره: فرح الذين خلفتهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به، وجهاد أعدائه (بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ) يقول: يجلسهم في منازلهم خلاف رسول الله، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفـر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره، وجلسوا في منازلهم. وقوله (خِلْفَ) مصدر من قول القائل: خالف فلان فلانا، فهو يخالفه خلافا، فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال، كما يقال: قاتله، فهو يقاتله قتالا، ولو كان مصدرا من خالفه، لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله، لأن مصدر خلفه: خالف، لا خلاف، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف، فقرأ خلاف رسول الله، وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، وهي الصواب عندنا. وقد تأول بعضهم ذلك، بمعنى: بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوْاطِيطُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا، لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له.

(١) البيت للحارث بن خالد الخزومي (اللسان: خلف) قال: وفي التنزيل العزيز: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) قال ابن بري «خلاف» في الآية بمعنى بعد. وأنشد للحارث بن خالد الخزومي: عقب . . . الخ قال ومثله للبريق الهدلي:

وقوله (وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله : يعنى : في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه ، ميلا إلى الدعة والخفص ، وإيثارا للراحة على التعب والمشقة ، وشحنا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهي غزوة تبوك في حر شديد ، فقال المنافقون بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : نار جهنم التي أعدها الله لمن خالف أمره ، وعصى رسوله ، أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه ، يقول : الذي هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ، ويتدبرون آى كتابه ، ولكنهم لا يفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحر أقله مكروها ، وأخفه أذى ، ويوافقون أشده مكروها ، وأعظمه على من يصلاه بلاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (يَمَقُّهُونَ) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر في الحر ، فقال الله (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) قال : من غزوة تبوك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى وغيره ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد إلى تبوك ، فقال رجل من بنى سلمة : لا تنفروا فى الحر ، فأنزل الله (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك على شدة الحر ، وجدب البلاد ، يقول الله جل ثناؤه (وَقَالُوا : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) .

وما كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَعِيشَ خِلَافَهُمْ بَسِيتَ أُبَيَاتٍ كَمَا نَبَتَ الْعِصْرُ

وفى (اللسان : عقب) : عقب الرذاذ خلافهم . وكل شىء كان بعد شىء فقد عقبه . والشواطىء : من النساء : اللواتى يشقن الخوص ، ويقشرن العشب ، ليتخذن منه الحصر ، ثم ياتينها إلى المنقيات . تقول منه : شطبت المرأة الجريد شطبا : شقته فهي شاطبة ، لتعمل منه الحصر . والمنقية : التي تأخذ كل شىء عليه بسكينها ، حتى تتركه رقيقا تلقيه إلى الشاطبة ثانية . شبه آثار الربيع فى الأرض من الزرع الذى يكسرها بحصر مبسولة .

القول في تأويل قوله

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ، جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية ، بمقعدهم خلاف رسول الله ، ولهوهم عن طاعة ربهم ، فإنهم سيديكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا . جزاء : يقول : ثوابا من الله على معصيتهم ، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم . وقعودهم في منارهم خلاف رسول الله (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ماشاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع ، فذلك الكثير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : في الآخرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا سفیان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين ، في قوله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : في الآخرة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي رزين ، أنه قال في هذه الآية (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا في الدنيا قليلا ، وليبكوا في النار كثيرا ، وقال في هذه الآية (وَإِذَا لَأْتَمَتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : أجملهم أحد هذين الحديثين ١ ، رفعه إلى ربيع بن خثيم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : ليضحكوا قليلا في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) في الآخرة في نار جهنم (جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) : أي في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) : أي في النار . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . ذكر لنا أنه نودي عند ذلك ، أو قيل له : لا تقنط عبادي .

(١) أي أحد الحديثين في الآية هو الأجل ، والغرض من الحديثين القليل والكثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خيم (فَلْيَبْضُحْكُوا قَلِيلًا) قال : فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : فى الآخرة .
 قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين (فَلْيَبْضُحْكُوا قَلِيلًا) قال : فى الدنيا فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع ، فذلك الكثير .
 حدثنا على بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَبْضُحْكُوا قَلِيلًا) وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا ، يقول الله تبارك وتعالى (فَلْيَبْضُحْكُوا قَلِيلًا) فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) فى النار .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَبْضُحْكُوا) فى الدنيا (قَلِيلًا ، وَلْيَبْكُوا) يوم القيامة (كَثِيرًا) . وقال (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَبْضُحُونَ) حتى بلغ (هَلْ تُؤْثِرُونَ الكُفْرَارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ؟ .

القول فى تأويل قوله

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ،
 وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)
 يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن ردك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين : من غزوتك هذه ، فاستأذنوك للخروج معك فى أخرى غيرها (فقل) لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يقول : فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنكم منهم ، فاقعدوا بهديهم ، واعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإن الله قد سخط عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التدويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفّر فى الحر ، وذلك فى غزوة تبوك ، فقال الله (قُلْ : نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج ، فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم ، فقالوا : والله ما صنعنا شيئا ، فانطلق منهم ثلاثة ، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوه تابوا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فأنزل الله : (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ) . . . إلى قوله (وَلَا تَقْسُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلَاكَ الَّذِينَ

تَخَلَّفُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَذْرَهُمْ لَمَّا تَابُوا ، فَقَالَ (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . . . إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، وَقَالَ (إِنَّهُ يَهَيِّمُ رَأْيَهُ وَفُؤَ الرَّحِيمِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) : أَى مَعَ النِّسَاءِ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، فَقِيلَ فِيهِمْ مَا قِيلَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) وَالْخَالِفُونَ : الرِّجَالُ .

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل في قوله (الْخَالِفِينَ) ما قال ابن عباس . فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقول لا معنى له ، لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ، ولا بالواو والنون ، ولو كان معنيا بذلك النساء ، لقيل : فاقعدوا مع الخوالف ، أو مع الخالقات ، ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء ، وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر ، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) . والمعنى ما ذكرنا ؛ ولو وجّه معنى ذلك إلى : فاقعدوا مع أهل الفساد ، من قولهم : خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفاً ، إذا فسد ، ومن قولهم : هو خلتف سوء ، كان مذهبا ، وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم : خلتف اللبن يخلوفاً إذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ، ومن قولهم : خلتف فسم الصائم : إذا تغيرت ريحُه .

القول في تأويل قوله

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ (٨٤)

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين ، الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ، (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) يقول : ولا تتول دفنه وتقبيره ، من قول القائل : قام فلان بأمر فلان : إذا كفاه أمره (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ) يقول إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله ، وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمر الله ونهيه ، وقد ذكرنا هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع ، وسوَّار بن عبد الله ، قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، قال : جاء ابن عبد الله بن أبي بن سلول ، إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم حين مات أبوه ، فقال : أعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصلّ عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، وقال « إِذَا فَرَغْتُمْ فَأَذِنُونِي » فلما أراد أن يصلّي عليه ، جذبته عمر ، وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلّي على المنافقين ؟ فقال : بَلْ خَسِرْتَنِي ، وقال : (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) قال : فصلّي عليه ، قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) قال : فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر ، قال : لما تُوُفِيَ عبد الله بن أبي ابن سلول ، جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه ، يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلّي عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابن سلول أتصلّي عليه وقد نهاك الله أن تصلّي عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَأَتَمَّ خَسِرْتَنِي رَبِّي ، فقال : اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وسأزيد على سبعمين ، فقال : إنه منافق ، فصلّي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن مجالد ، قال : ثنا عامر ، عن جابر ابن عبد الله ، أن رأس المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلّي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفن في قميصه ، فكفنه في قميصه ، وصلّي عليه ، وقام على قبره ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلّي على عبد الله بن أبي بن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ، وقد أدخل حفرته ، فأخرجه ، فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتفل عليه من ريقه ، والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفّي عبد الله بن أبي بن سلول ، دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحوّلت حتى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتصلّي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا ؛ كذا وكذا ، أعدد أيامه ، ورسول الله عليه السلام يتبسّم ، حتى إذا أكثرت عليه ، قال : أَخْرَجْتَنِي يَا عُمَرُ لِأَنِّي خَسِرْتُ فَأَخْسَرْتُ ، وَقَدْ قِيلَ لِي (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،

(١) كذا في النيسابوري أيضا ، ولعله مصحف آثامه ، ورواية البخاري : أعدد قوله .

إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فَلَمَّا أَتَى أُعْلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى السَّبْعِينَ غُفْرًا لَهُ ، لَمْ يَزِدْ : قَالَ : ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَوَسَّيَ مَعَهُ ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ ، قَالَ : أَعْجَبَ لِي وَجَرَئِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مَاتَ أَبَدًا) فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى مَنْفَقٍ ، وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ قَمِيصَهُ ، فَأَعْطَاهُ ، فَكَفَّنَ فِيهِ أَبَاهُ .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، قال : لما مات عبد الله بن أبي ، فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) . . . الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر ، فَأَتَاهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَهْلَكَكَ حُبُّ الْيَهُودِ ، قَالَ : فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ لِتُؤَنِّبَنِي ، وَلَكِنْ بَعَثْتَ إِلَيْكَ لِتَسْتَغْفِرَ لِي ، وَسَأَلَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يَكْفِنَ فِيهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَات ، فَكَفَّنَ فِي قَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَفَثَ فِي جِلْدِهِ ، وَدَلَّاهُ فِي قَبْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مَاتَ أَبَدًا) . . . الآية ، قَالَ : ذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنَ اللَّهِ أَوْ رَبِّي وَصَلَاتِي عَلَيْهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِهِ الْفُؤَادُ مِنْ قَوْمِهِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول ، وهو مريض إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودٍ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتَسْتَغْفِرَ لِي ، وَلَمْ أُرْسَلْ إِلَيْكَ لِتُؤَنِّبَنِي ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يَكْفِنَ فِيهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

القول في تأويل قوله

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، فتصلى على أحدهم إذا مات، وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده، فإنني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك، لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات (وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ) يقول: ولم يوت فتخرج نفسه من جسده، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالاً عليه حينئذ، ووبالاً عليه في الآخرة بموته، جاحداً توحيد الله، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن السدي (وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ) في الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله

وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ،
وَقَالُوا: ذَرْنَا نَسْكُنَ مَعَ الْقَعْدِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن، بأن يقال هؤلاء المنافقين (آمِنُوا بِاللَّهِ) يقول: صدقوا بالله (وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ) يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يقول: استأذنتك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك، والقعود في أهله (وَقَالُوا: ذَرْنَا) يقول: وقالوا لك: دَعْنَا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرّضاهم، ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر. وبنحو الذي قلنا في معنى الطَّوْلِ، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ) قال: يعني أهل الغنى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يعني: الأغنياء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) كان منهم عبد الله بن أبي، والجد بن قيس، فنعى الله ذلك عليهم.

القول في تأويل قوله

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ، وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله ، وجاهدوا مع رسوله ، استأذنتك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو ، والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ، أن يكونوا فى منازلهم كالنساء اللواتى ليس عليهن فرض الجهاد ، فهن قعود فى منازلهن وبيوتهن (وَطَبِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين ، فهم لا يفقهون عن الله مواعظه ، فيتعظون بها ، وقد بيدنا معنى الطبع ، وكيف الختم على القلوب فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .
وبنحو الذى قلنا فى معنى الخوالف ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : والخوالف : هن النساء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يعنى : النساء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبوية أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : النساء .

قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : مع النساء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى مع النساء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قالوا : النساء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : مع النساء .

القول فى تأويل قوله

لَكِنَّ الرَّسُولُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ،
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ،

فأنفقوا في جهادهم أموالهم ، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم ، وبذلوها (وأولئك) يقول : ولرسول ، وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات ، وهي خيرات الآخرة ، وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها ، واحدها : خَيْرَةٌ ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتِ هِنْدٍ خَيْرَةَ الْمَلَكَاتِ

والخَيْرَةُ من كل شيء : الفاضلة (وَأَوْلَتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : وأولئك هم المخلدون في الجنات ، الباقون فيها الفائزون بها .

القول في تأويل قوله

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)

يقول تعالى ذكره : أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات ، وهي البساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) يقول : لا يثين فيها ، لا يموتون فيها ، ولا يظعنون عنها ، (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول : ذلك النجاء العظيم ، والحظّ الجزيل .

القول في تأويل قوله

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)

يقول تعالى ذكره (وجاء) رسول الله صلى الله عليه وسلم (المُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) في التخلف (وقعد) عن الحجى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه (الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وقالوا : الكذب ، واعتذروا بالباطل ، فيهم يقول تعالى ذكره : سيصيب الذين جعلوا توحيد الله ، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم .

فإن قال قائل : فكيف قيل (وجاء المُعَذِّرُونَ) وقد علمت أن المُعَذِّرَ في كلام العرب ، إنما هو الذي يُعَذِّرُ في الأمر ، فلا يبالغ فيه ، ولا يحكمه ، وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما يهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لرجل من بني عدى تميم ، جاهل (اللسان : خير) . قال : وقال تعالى (أولئك لهم الخيرات) جمع خيرة وهذي الفاضلة من كل شيء . وقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) ، قال الأخفش : إنه لما وصف به وقيل فلان خير ، أشبه الصفات ، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ، ولم يريدوا به أفعل ، وأنشد البيت . فإن أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ولم تقل خيرة ، وفلان خير الناس ، ولم تقل أخير ، لا يثنى ولا يجمع ، لأنه في معنى أفعل . وقال أبو منصور الأزهرى : لافرق بين الخيرة (بتشديد الياء) ، والخيرة (بتخفيفها) ، عند أهل اللغة ، يقال : هي خيرة النساء ، وشره النساء ، واستشهد بما استشهد به أبو عبيدة . وقال خالد بن جنيه : الخيرة من النساء : الكريمة النسب ، الشريفة الحسب : الحسنة الوجه ، الحسنة الخلق ، الكثيرة المال ، التي إذا ولدت أنجبت . والريلة ، بتحريك الباء وإسكانها : كل لحمه غليظة . وقيل : هي ما حول الفروع والحياض ، من باطن الفخذ ، وأمرأة ريلة وربلاء : ضخمة الربلات .

يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا ، أولى وأحقّ منهم بأن يوصفوا بأنهم عذّروا ، إذا وصفوا بذلك .

﴿ فَالضَّوَابِ ﴾ في ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما حدثناه المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحّاك ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) مخففة ، ويقول : هم أهل العذر مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه ، وإن معناه : وجاء المعتذرون من الأعراب ، ولكن التاء لما جاورت الذال ، أدغمت فيها ، فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل : يذكرون في يتذكرون ، ويذكّر في يتذكر ، وخرجت العين من المعتذرين إلى الفتح ، لأن حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة ، نقلت إليها ، فحركت بما كانت به محرّكة ، والعرب قد توجه في معنى الاعتذار إلى الإعذار ، فتقول : قد اعتذر فلان في كذا ، يعنى : أعذر ، ومن ذلك قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبِيكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

فقال : فقد اعتذر ، بمعنى : فقد أعذر .

على أن أهل التأويل ، قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذّرين ، فقال بعضهم : كانوا كاذبين في اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن الحسين ، قال : كان قتادة يقرأ (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) قال : اعتذروا بالكتب .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) قال نفر من بني غيفار جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله ، فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء ، أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا في الاعتذار بالباطل . فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء ، فغير جائز أن يوصفوا به . وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذرين غير جادّين ، يعرضون ما لا يريدون فعله ، فن وجهه إلى هذا التأويل ، فلا كلفة في ذلك ، غير أنى لأعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن ، وجه تأويله إلى ذلك ، فاستحبّوا القول به .

﴿ وَبَعْدَ ﴾ فإن الذى عليه من القراءة قرآء الأمصار ، التشديد في الذال ، أعنى من قوله (الْمُعَذِّرُونَ) ، فى ذلك دليل على صحّة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار ، لأن القوم الذين وصفوا بذلك ، لم يكلفوا أمرا عذّروا فيه ، وإنما كانوا فرقتين ، إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق ، لأمر الله مخالف ، فليس فى الفريقين موصوف بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو معذّر مبالغ ، أو معتذر ؛

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحججة من القرآء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين ، علم أن معناه ما وصفناه من التأويل ، وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد ، قال قرأ مجاهد (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) مخففة ، وقال : هم أهل العذر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان المعذرون ١ .

القول في تأويل قوله

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١)

يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ، ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج ، وهو الإثم ، يقول : ليس عليهم إثم إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما على المحسنين من سبيل) يقول : ليس على من أحسن ، فنصح الله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجهاد معه ، لعذر يعذر به ، طريق يتطرق عليه ، فيعاقب من قبله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله سائر على ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها .

وذكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني . وقال بعضهم : في عبد الله بن معقل .

ذكر من قال : نزلت في عائذ بن عمرو

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) نزلت في عائذ بن عمرو .

ذكر من قال : نزلت في ابن معقل

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى) . . . إلى قوله (حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم عبد الله ابن معقل المزني ، فقالوا : يا رسول الله احملنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللَّهِ مَا أُجِدُّ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، فتولوا ولهم بكاء ، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ، ولا تحملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم في كتابه ، فقال (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ) . . . إلى قوله (فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

(١) بياض في الأصل ، والذي ذكره السيوطي في الدر وابن كثير في تفسيره عن ابن إسحاق أنهم نقر من بني غفار ، منهم غفار ابن إيماء بن رخصة .

القول في تأويل قوله

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، قُلْتَ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره: ولا سبيل أيضا على النفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم، يسألونك الحملان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد، قلت لهم: لأجد حمولة أحملكم عليها (تَوَلَّوْا) يقول: أدبروا عنك (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون، ويتحملون به للجهاد في سبيل الله.

وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في نفر من مزينة.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) قال: هم من مزينة.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال: هم بنو مقرر من مزينة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج، قراءة عن مجاهد، في قوله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . إلى قوله (حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) قال: هم بنو مقرر من مزينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال: هم بنو مقرر من مزينة.

قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن عروة، عن ابن مغفل المزني، وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) قال: منهم ابن مقرر.

وقال سفیان: قال الناس: منهم عيرباض بن سارية.

وقال آخرون: بل نزلت في عيرباض بن سارية.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو عاصم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجرت بن حجرت الكلاعي، قالوا: دخلنا على عيرباض بن سارية، وهو الذي أنزل فيه (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية.

حدثني المنثى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الوليد ، قال : ثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحجر بن حجر بنحوه .
وقال آخرون : بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : (لا أجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) ، فَأَنْزَلَ اللهُ (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتُمْ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية ، قال : هم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، ومن بنى واقف : حيرمى بن عمرو ، ومن بنى مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلي ، ومن بنى المعلّى : سلّمان بن صخر ، ومن بنى حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة ، وهو الذى تصدّق ببعرضه ، فقبله الله منه ، ومن بنى سلّمة : عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المزنى . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتُمْ لِتَحْمِلَهُمْ) إلى قوله (حَزَنًا) وهم البكاءون ، كانوا سبعة . والله أعلم .

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

ثَاوِيلَ أَبِي الْقُرَظِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المنوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الحادي عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهارس الجزء الحادى عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٣	إنما السبيل على الذين . . .	١	١١٦	إن الله له ملك السموات والأرض . . .	٥٤
٩٤	يعتذرون إليكم إذا رجعت . . .	١	١١٧	لقد تاب الله على النبي والمهاجرين . . .	٥٤
٩٥	سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم . . .	٢	١١٨	وعلى الثلاثة الذين خلفوا . . .	٥٦
٩٦	يخلفون لكم لترضوا عنهم . . .	٣	١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٦٢
٩٧	الأعراب أشد كفرا ونفاقا . . .	٣	١٢٠	ما كان لأهل المدينة . . .	٦٤
٩٨	ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق . . .	٤	١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة . . .	٦٦
٩٩	ومن الأعراب من يؤمن بالله . . .	٥	١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . .	٦٦
١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين . . .	٦	١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا . . .	٧١
١٠١	ومن حولكم من الأعراب . . .	٩	١٢٤	وإذا ما أنزلت سورة . . .	٧٢
١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم . . .	١٢	١٢٥	وأما الذين في قلوبهم مرض . . .	٧٣
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة . . .	١٦	١٢٦	أولايرون أنهم يفتنون . . .	٧٣
١٠٤	ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة . . .	١٨	١٢٧	وإذا ما أنزلت سورة نظّر . . .	٧٥
١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم . . .	٢٠	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . .	٧٦
١٠٦	وآخرون مرجون لأمر الله . . .	٢١	١٢٩	فإن تولوا فقل حسبى الله . . .	٧٧
١٠٧	والذين اتخذوا مسجدا ضرابا . . .	٢٢	سورة يونس عليه السلام		
١٠٨	لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس . . .	٢٦	١	الرتلك آيات الكتاب الحكيم . . .	٧٩
١٠٩	أقن أسس بنيانه على تقوى . . .	٣١	٢	أكان للناس عجبا أن أوحينا . . .	٨٠
١١٠	لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة . . .	٣٣	٣	إن ربكم الله . . .	٨٣
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين . . .	٣٥	٤	إليه مرجعكم جميعا . . .	٨٤
١١٢	التائبون العابدون الحامدون . . .	٣٦	٥	هو الذى جعل الشمس ضياء . . .	٨٦
١١٣	ما كان للنبي والذين آمنوا . . .	٤٠	٦	إن فى اختلاف الليل والنهار . . .	٨٦
١١٤	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه . . .	٤٠	٧	إن الذين لا يرجون لقاءنا . . .	٨٧
١١٥	وما كان الله ليضلّ قوما . . .	٥٣	٨	أولئك مأواهم النار . . .	٨٧
			٩	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	دعواهم فيها سبحانهك . . .	٨٨	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . . .	١١٨
١١	ولو يعجل الله للناس الشر . . .	٩١	٤٠	ومنهم من يؤمن به . . .	١١٨
١٢	وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا . . .	٩٢	٤١	وإن كذبوك فقل لى عملى . . .	١١٨
١٣	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم . . .	٩٣	٤٢	ومنهم من يستمعون إليك . . .	١١٩
١٤	ثم جعلناكم خلائف فى الأرض . . .	٩٣	٤٣	ومنهم من ينظر إليك . . .	١١٩
١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . . .	٩٤	٤٤	إن الله لا يظلم الناس شيئا . . .	١٢٠
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم . . .	٩٥	٤٥	ويوم نحشركم كأن لم يلثوا . . .	١٢٠
١٧	فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً . . .	٩٧	٤٦	وإما تُرِينَك بعض الذى نعدهم . . .	١٢٠
١٨	ويعبّدون من دون الله . . .	٩٧	٤٧	ولكل أمة رسول . . .	١٢١
١٩	وما كان الناس إلا أمة واحدة . . .	٩٨	٤٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١٢١
٢٠	ويقولون لولا أنزل عليه آية . . .	٩٨	٤٩	قل لأملك لنفسى ضرراً ولا نفعاً . . .	١٢١
٢١	وإذا أدقنا الناس رحمة . . .	٩٩	٥٠	قل أرأيتم إن أتاكم عذابه . . .	١٢٢
٢٢	هو الذى يُسيركم فى البر . . .	٩٩	٥١	أأنتم إذا ما وقع آمنتم به . . .	١٢٢
٢٣	فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض . . .	١٠١	٥٢	ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا . . .	١٢٢
٢٤	إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه . . .	١٠١	٥٣	ويستنبتونك أحقّ هو . . . ؟	١٢٣
٢٥	والله يدعو إلى دار السلام . . .	١٠٣	٥٤	ولو أن لكل نفس ظلمت . . .	١٢٣
٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . .	١٠٤	٥٥	إلا إن الله ما فى السموات والأرض . . .	١٢٣
٢٧	والذين كسبوا السيئات جزاء . . .	١٠٩	٥٦	هو يحيى ويميت . . .	١٢٣
٢٨	ويوم نحشركم جميعاً ثم نقول . . .	١١١	٥٧	يا أيها الناس قد جاءكم تكم . . .	١٢٤
٢٩	فكنى بالله شهيداً بيننا وبينكم . . .	١١٢	٥٨	قل بفضل الله وبرحمته . . .	١٢٤
٣٠	هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت . . .	١١٢	٥٩	قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق . . .	١٢٧
٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض . . .	١١٣	٦٠	وما ظنّ الذين يفترون على الله . . .	١٢٨
٣٢	فذلكم الله ربكم الحقّ . . .	١١٤	٦١	وما تكون فى شأن ، وماتلو منه . . .	١٢٨
٣٣	كذلك حقّت كلمة ربك . . .	١١٤	٦٢	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم . . .	١٣١
٣٤	قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق . . .	١١٤	٦٣	الذين آمنوا وكانوا يتقون . . .	١٣٣
٣٥	قل هل من شركائكم من يهدى . . .	١١٥	٦٤	لهم البشرى فى الحياة الدنيا . . .	١٣٣
٣٦	وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . . .	١١٦	٦٥	ولا يحزنك قولهم إن العزة لله . . .	١٣٩
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفسترى . . .	١١٧	٦٦	ألا إن الله من فى السموات . . .	١٣٩
٣٨	أم يقولون افتراه . . .	١١٧			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	هو الذى جعل لكم الليل . . .	١٣٩	٩٢	فاليوم نُنَجِّيك ببدنك . . .	١٦٤
٦٨	قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه . . .	١٤٠	٩٣	ولقد بوأنا بنى إسرائيل مِبوأً صدق . . .	١٦٦
٦٩	قل إن الذين يفترون على الله . . .	١٤١	٩٤	فإن كنت فى شكّ مما أنزلنا إليك . . .	١٦٧
٧٠	متاع فى الدنيا ثم إلبنا مرجعهم . . .	١٤١	٩٥	ولا تكوننّ من الذين كذبوا . . .	١٦٩
٧١	واتل عليهم نبأ نوح . . .	١٤١	٩٦	إن الذين حقت عليهم كلمة ربك . . .	١٦٩
٧٢	فإن توليتم فما سألتكم من أجر . . .	١٤٤	٩٧	ولو جاءتهم كل آية حتى . . .	١٦٩
٧٣	فكذبوه فنجيناه ومن معه . . .	١٤٤	٩٨	فلولا كانت قرية آمنت . . .	١٧٠
٧٤	ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم . . .	١٤٤	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض . . .	١٧٣
٧٥	ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون . . .	١٤٥	١٠٠	وما كان لنفس أن تؤمن . . .	١٧٤
٧٦	فلما جاءهم بالحقّ من عندنا . . .	١٤٥	١٠١	قل انظروا ماذا فى السموات . . .	١٧٥
٧٧	قال موسى أنقولون للحقّ . . .	١٤٥	١٠٢	فهل ينتظرون إلا مثل أيام . . .	١٧٥
٧٨	قالوا أجبنا لتلفتنا عما وجدنا . . .	١٤٦	١٠٣	ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا . . .	
٧٩	وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم . . .	١٤٧	١٠٤	قل يا أيها الناس إن كنتم فى شكّ . . .	١٧٦
٨٠	فلما جاء السحرة قال لهم موسى . . .	١٤٧	١٠٥	وأن أقم وجهك للدين حنيفا . . .	١٧٧
٨١	فلما ألقوا قال موسى ما جنتم به . . .	١٤٧	١٠٦	ولاتدع من دون الله ما لا ينفعك . . .	١٧٧
٨٢	ويحقّ الله الحقّ بكلماته . . .	١٤٨	١٠٧	وإن يمسسك الله بضرّ . . .	١٧٧
٨٣	فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه . . .	١٤٩	١٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم . . .	١٧٨
٨٤	وقال موسى يا قوم إن كنتم . . .	١٥١	١٠٩	واتبع ما يوحى إليك واصبر . . .	١٧٨
٨٥	فقالوا على الله توكلنا . . .	١٥١		سورة هود عليه السلام	١٧٩
٨٦	ونجينا برحمتك من القوم الكافرين . . .	١٥٣	١	الرّ كتاب أحكمت آياته . . .	١٧٩
٨٧	وأوحينا إلى موسى وأخيه . . .	١٥٣	٢	ألاّ تعبدوا إلا الله . . .	١٨٠
٨٨	وقال موسى ربنا إنك آتيت . . .	١٥٦	٣	وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٨١
٨٩	قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيا . . .	١٦٠	٤	إلى الله مرجعكم . . .	١٨٢
٩٠	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر . . .	١٦٢	٥	ألا إنهم يثنون صدورهم . . .	١٨٣
٩١	آلان وقد عصيت قبل . . .	١٦٤			

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧١	١
يجب على كل أهل جهة أن يقاتلوا من يليه من الأعداء .	ما اعتذر به المتخلفون عن غزوة تبوك لرسول الله بعد مرجعه منها .
٧٦	٦
ما ورد فى معنى الرحمة المذكورة فى قوله « بالمؤمنين رءوف رحيم » .	من السابقون الأولون ؟ .
٧٩	١٠
تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم .	ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه ، من تعيين بعض أهل النفاق بأسمائهم .
٨٧	١٢
الأدلة لاتنفع إلا من خشى العقاب ولم يتبع هواه ، وكان ذا فطرة سليمة .	من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحين رجع ربط نفسه فى بعض السوارى تائباً ، وفيهم نزل « وآخرون اعترفوا » . . . الآية .
٨٨	١٦
الأعمال تصور يوم القيامة بصور تناسبها ، فتهدى عملها إلى منازلها .	ما ورد من الآثار فى تفسير قوله « خذ من أموالهم صدقة . »
٩٦	٢٣
العرب ربما يهزون غير المهموز وشواهدة .	بيان مسجد الضرار ومن بناه .
٩٩	٢٦
جواز إضافة المكر إليه تعالى مراداً به الاستدراج .	المسجد الذى أسس على التقوى .
١٠٤	٣٥
المراد من الحسنى : الجنة ، ومن الزيادة : النظر إلى وجه الله .	ما قائلته الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الدخول فى الإسلام .
١١١	٤٠
صيغتنا فاعلّ وفعلل لمعنى التكثير ، إذا كان الفعل لواحد .	النهى عن الاستغفار للمشركين وسببه .
١٢٤	٥٦
القرآن شفاء لداء الجهل .	الثلاثة الذين تيب عليهم بعد حصول الضيق الشديد لهم ، وذكر حديثهم .
١٣٣	٦٤
صفات أولياء الله .	كان لايسوغ لأحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الأئمة ففيه خلاف .
الرؤيا الصالحة من المبشرات .	٦٦
المشركين ممن قالوا « اتخذ الله ولداً » بقولهم فى الملائكة بنات الله .	لايسوغ لأهل الإسلام أن ينفروا جميعاً للجهاد ، ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه أحد .
١٤١	
ما أظهره نوح لقومه من الثقة بالله .	

الصفحة	الصفحة
١٦٢ عدد بني إسرائيل حين اجتمعوا بمصر مع يوسف ، وحين خرجوا منها مع موسى .	١٤٦ القول في تأويل قوله تعالى : « قالوا أجتئنا لتلفتنا » . . . الآية ، والاستشهاد على ذلك من كلام العرب .
١٦٤ فرعون بعد غرقه أُخرج على نجوة من الأرض لينظروا إليه هالكا .	١٤٩ أتباع موسى عليه السلام كانوا طائفة قليلة من بني إسرائيل ومن قوم فرعون .
١٧٠ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام .	١٥١ ما دعا به قوم موسى .
١٧٦ ما في قوله تعالى « قل يا أيها الناس إن كنتم في شك » الآية ، من لطيف التلميح .	١٥٣ ما أمر الله به قوم موسى ، من اتخاذهم بيوتهم مساجد يصلون فيها .
١٧٩ تفسير السورة التي يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم .	١٥٦ ما دعا به موسى ربه ، على فرعون وقومه .
١٨١ فوائد الاستغفار .	

٣ - فهرس القوافى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	د	أ		
١٠٠	زَجِلُّ	١٧٠	أَحَدِ	١٤٦	كَبْرِيَاءُ
١٥٧	مَجْهولُ	١٧٠	الجَلَدِ	٥٢	وَسَاءِ
٨٧	عَواسِلِ	١٠٢	وتَوَدُّدِ		ب
	م	٩٠	بجندى	١٥٧	يَصَابُ
٨٥	وَنخِيمِ			٨٥	رَقِيبُ
١٥٩	رَاغِمِ	ر		٥٢	أَكْلِبُهُ
١٤٣	تَكَمُّوا	٨٢	الْبَحْرِ	٩٧	يُعْتَبِ
١٤٣	غَمُّوا	٩٦	المُشَهَّرِ		ت
٥	الدَّمِ	١٨٦	أَطْمَارِي	١٤٦	اللَّقْنَتِ
١٤٠	بِنَأْمِ	١٠٨	والقَمَرَا	١٤٣	فَتَجَلَّتِ
	ن	٥٢	وتَنَدَّمَرَا		ح
٥٢	الْحَزِينِ	٩٦	الأَبَاعِيرَا	١٤٦	جَانِحُ
٨٦	رَمَانِي			١١٠	الأَمَادِيحُ
	هـ	٨٢	تَابِعُ	١٦٤	بِقِرْوَاحِ
٩١	التَّحِيهِ	٩١	تُبِعُ	١٤٢	وَرُمُحَا
	ى	١٤١	مُجْمَعُ	١٦٠	شِيحَا
٩٧	المَوَالِيَا	٨٠	السَّمِيعِ	١٦٠	فَتَسْتَرِيحَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله

* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ،
وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ، ولكنها على الذين يستأذنونك في التخلف خلفك ، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو ، نفاقا وشكا في وعد الله ووعيده . (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء ، وهن الخوالف خلف الرجال في البيوت ، ويتركوا الغزو معك . (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب . (فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا ، وعظيم البلاء في الآخرة .

القول في تأويل قوله

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ، قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا ، لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ ، قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ
أَخْبَارِكُمْ ، وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين ، بالأباطيل والكذب ، إذا رجعت إليهم من سفرهم وجهادكم ، (قُلْ) لهم يا محمد : (لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ) يقول : لن نصدقكم على ما تقولون . (قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم . (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم ، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟

(ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يقول : ثم ترجعون بعد مما تكلم إلى عالم الغيب والشهادة ، يعنى الذى يعلم السر والعلانية ، الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها . (فَيَسْتَبِشُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسبها ، فيجازيكم بها ، الحسن منها بالحسن ، والسيئ منها بالسيئ .

القول فى تأويل قوله

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله (إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم ، فلا تؤنبوهم (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) يقول جل ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم ، واخلّوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق . (إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : إنهم نجس ، ومأواهم جهنم ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم ، وهى مسكنهم الذى يأوون فيه فى الآخرة (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله ، وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا : ما حدثنا به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا) . . . إلى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بنى الأصفر ، لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم ، فإنهم حسان ، فقال رجلان : قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة ، فلا تفتنا بهن ، فأذن لنا ، فأذن لهما ، فلما انطلقا ، قال أحدهما : إن هو إلا شحمة لأول آكل ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل عليه فى ذلك شيء ، فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) ونزل عليه (عَنَّا اللَّهُ عَنكَ ، لَمْ أذْنِتْ لَكُمْ) ، ونزل عليه (لَإِيسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ونزل عليه (إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن ، قالوا : ما الذى سمعت ؟ قال : ما أدرى ، غير أنى سمعت أنه يقول : إنهم رِجْسٌ ، فقال رجل يدعى مغشيا : والله لو ددت أنى أجلد مئة جلدة ، وإنى لست معكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح ، وأنا فى الكن ، فأنزل الله عليه : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِثْنِي ، وَقَالُوا لَا تَنْفِثُوا فِي الْحَرِّ) ونزل عليه فى الرجل الذى قال : لو ددت أنى أجلد مئة جلدة قول الله (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) فقال رجل مع رسول الله : لئن كان هؤلاء كما يقولون : ما فينا خير ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنت صاحب الكلمة التي سمعت ، فقال : لا والذي أنزل عليك الكتاب ، فأنزل الله فيه (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) وأنزل فيه (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكّل سرائرهم إلى الله ، وصدقته حديثي ، فقال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قطّ بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسك من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذّابته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ، ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ، لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ، وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

القول في تأويل قوله

يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : يخلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب ، (لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) يقول : فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم ، وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لاتعلمون صدقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لاتعلمون ، ومن خفي اعتقادهم ما تجهلون ، وأنهم على الكفر بالله ، يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ، ومن الطاعة إلى المعصية .

القول في تأويل قوله

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ، وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ،

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : الأعراب أشدّ جحودا لتوحيد الله ، وأشدّ نفاقا من أهل الحضر في القرى والأمصار ، وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك لخفائهم وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوبا وأقلّ علما بحق الله ، وقوله (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ) يقول : وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وذلك فيما قال قتادة : السنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) قال : هم أقلّ علما بالسُّنَنِ .

حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مقَرَّرٍ عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جلس أعرابي إلى زيد بن صُوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند ، فقال : والله إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لتربيني . فقال زيد : وما يربيك من يدي ، إنها الشمال ، فقال الأعرابي : والله ما أدري : اليمين يقطعون أم الشمال ، فقال زيد بن صُوحان : صدق الله (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ، وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) . وقوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد ، حكيم في تدبيره إياهم ، وفي حلمه عن عقابهم مع علمه بسرّاتهم ، وخذاعهم أوليائه .

القول في تأويل قوله

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ ذَاتُ السُّوءِ ،
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يعدّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أوفى معونة مسلم ، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده ، مغرمًا ، يعني غرمًا لزمه ، لا يرجو له ثوابا ، ولا يدفع به عن نفسه عقابا ، (وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) يقول : وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالي ، إلى مكروه ، ونبي محبوب ، وغلبة عدو لكم ، يقول الله تعالى ذكره (عَلَيْهِمْ ذَاتُ السُّوءِ) يقول : جعل الله دائرة السُّوء عليهم ، ونزول المكروه بهم ، لا عليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم ، والله سميع لدعاء الداعين ، عليم بتدبيرهم ، وما هو بهم نازل من عقاب الله ، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء ، اتقاء أن يغزوا ، أو يحاربوا ، أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مغرمًا ، ألا تراه يقول (وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ ذَاتُ السُّوءِ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكوفة (عَلَيْهِمْ ذَاتُ السُّوءِ) ، بفتح السين ، بمعنى النعت للدائرة ، وإن كانت الدائرة مضافة إليه ، كقولهم : هو رجل السُّوء ، وامرؤ الصدق ، كأنه إذا فتح مصدر من قولهم : سؤته أسوءه سؤوا ومساءة ومساوية . وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز

وبعض البصريين (عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين ، كأنه جعله اسماً ، كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ، ومن قال (عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السُّوءِ) فضم ، لم يقل هذا رجل السُّوء بالضم ، والرجل السُّوء ، وقال الشاعر ١ :

وَكُنْتُ كَدَيْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التي تسوءهم سوءاً ، كما يقال هو رجلٌ صِدْقٌ ، على وجه النعت .

القول في تأويل قوله

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هِيَ قُرْبَةٌ لَهُمْ ، سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدق الله ، ويقرب بوحدانيته ، وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب ، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين ، وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . (قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ) القُرْبَاتُ : جمع قُرْبَةٍ ، وهو ما قرب به من رضا الله ومحبهته . (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) ، معنى بذلك ، ويتنقى بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) (عني استغفار النبي عليه الصلاة والسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) قال : دعاء الرسول ، قال : هذه ثنية الله من الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) قال : هم بنو مِزِينَةَ ، وهم الذين قال الله فيهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَهِمَهُمْ ، قُلْتُمْ لَا أُجِدُّ مَا أَمْلِكُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَمَيِّضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) قال : هم بنو مِزِينَةَ .

(١) البيت للفرزدق أورده صاحب اللسان في (سوأ) ، وهو شاهد على أن السوء ، بفتح السين مصدر ساءه تسوءه ، ويقول هذا رجل سوء : ورجل السوء ، كما قال الفرزدق : ذئب السوء . وقال ابن بري : ولم يجوز الأخفش هذا رجل سوء (بضم السين) لأن السوء اسم للضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذي هو فعله ، كما يقال : رجل الضرب والطمع . فيقوم مقامه قولك رجل ضرب وطمعان ، فلهاذا أجاز أن يقال : رجل السوء (بالفتح) ، ولم يجوز أن يقال هذا رجل السوء (بالضم) . قال الله تعالى : (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) . وتقول في النكرة : رجل سوء (بالإضافة) وإذا عرفت قلت هذا الرجل السوء ، ولم تضف (اللسان) .

قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) ثم استثنى فقال :
(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا جعفر ، عن البخترى ابن المختار العبدى ، قال : سمعت
عبد الله بن معقل قال : كنا عشرة ولد مقبرن ، فنزلت فينا (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ) . . . إلى آخر الآية ، قال الله : ألا إنها قرابة لهم ، يقول تعالى ذكره : ألا إن صلوات الرسول
قرابة لهم من الله ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إن نفقته التي ينفقها كذلك قرابة لهم عند الله ،
(سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه ، فأدخله برحمته الجنة ، إن الله غفور
لما اجتموا ، رحيم بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .

القول في تأويل قوله

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مُخَلَّدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذَلِكَ نَفْزُ الْعَظِيمِ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا
قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، والأنصار الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) يقول : والذين سلكوا سبيلهم
في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلب رضا الله ، رضى الله عنهم ورضوانه .
واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ) ، فقال بعضهم : هم الذين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان أو أدركوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن إسماعيل ، عن عامر (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ)
قال : من أدرك بيعة الرضوان .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عامر ، قال (الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ) من أدرك البيعة
تحت الشجرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال (الْمُهَاجِرُونَ
الْأَوَّلُونَ) الذين شهدوا بيعة الرضوان .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن مطرف ، عن الشعبي ، قال :
المهاجرون الأولون : من كان قبل البيعة إلى البيعة ، لفهم المهاجرون الأولون ، ومن كان بعد البيعة فليس
من المهاجرين الأولين .

(١) في خلاصة الخزرجى : البخترى بن أبي البخترى مختار العبدى الكوفى . قال ابن عدى : لا أعلم له حديثا منكرا ، توفي سنة
ثمان وأربعين ومئة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل ومطرف عن الشعبي ، قال (السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .
 حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن داود ، عن عامر ، قال : فصل ما بين المهجرتين بيعة الرضوان ، وهى بيعة الحديبية .
 حدثني المثني ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ومطرف ، عن الشعبي ، قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبث أبو زبيد ، عن مطرف ، عن الشعبي ، قال : المهاجرون الأوَّلون : من أدرك بيعة الرضوان .
 وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : المهاجرون الأوَّلون : من صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى ، قال : سألت أبا موسى الأشعري ، عن قوله (والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سُمُّوا المهاجرين الأوَّلين ؟ قال من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا ، فهو من المهاجرين الأوَّلين .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عَرَوْبَةَ ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : المهاجرون الأوَّلون : الذين صلوا القبلتين .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قوله (والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .
 حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، وعن أشعث ، عن ابن سيرين في قوله (والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ) قال : هم الذين صلوا القبلتين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأوَّلون : الذين صلوا القبلتين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله :

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبليتين جميعا ، وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم ، وسلوكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : مرَّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية (وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) قال : من أقرأك هذه الآية ؟ قال أقرأني أبي بن كعب ، قال : لانتفارقني حتى أذهب بك إليه ، فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال نعم ، قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لقد كنت أرانا رُفِعنا رُفْعَةً لا يبلغها أحد بعدنا ، قال : وتصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة ، وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال ؛ أما أول الجمعة (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) ؛ وأوسط الحشر (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) ، وأما آخر الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ) .

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : مرَّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ (وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) . . . حتى بلغ (وَرَضُوا عَنْهُ) قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبي بن كعب ، فقال : لانتفارقني حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ، قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : لقد كنت أظنُّ أنا رُفِعنا رُفْعَةً لا يبلغها أحد بعدنا ، فقال أبي : بلى تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) . . . إلى (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، وفي سورة الحشر : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) ، وفي الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

وروي عن عمر في ذلك ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حبيب بن الشهيد ، وعن ابن عامر الأنصاري : أن عمر بن الخطاب قرأ (وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فرفع الأنصار ، ولم يلحق الواو في الذين ، فقال له زيد بن ثابت : والذين اتبعوهم بإحسان ، فقال عمر : الذين اتبعوهم بإحسان ، فقال زيد : أمير المؤمنين أعلم ، فقال عمر : اتتوني بأبي بن كعب ، فأتاه فسأله عن ذلك ، فقال أبي : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فقال عمر : إذا نتابع أئبيًا ، والقراءة على خفض الأنصار عطفًا بهم على المهاجرين ، وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ (الْأَنْصَارُ) بالرفع عطفًا بهم على السابقين . والقراءة التي لأستجيز غيرها الخفض في الأنصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ،

ولحاق الواو في الذين اتبعوهم بإحسان ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعا ، على أن التابعين بإحسان غير المهاجرين والأنصار . وأما السابقون فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه ، ورضى عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به ، وبنييه عليه السلام ، وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها ، لا يمتوتون فيها ، ولا يخرجون منها ، ذلك الفوز العظيم .

القول في تأويل قوله

وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ، لَا تَعْلَمُهُمْ

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ، سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون ، وقوله (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) يقول : مَرَدُوا عَلَيْهِ وَدَرَبُوا بِهِ ، ومنه شيطان مارد ومرديد : وهو الخبيث العاتى ، ومنه قبيل : تمرّد فلان على ربه : أى عتا ومرد على معصيته واعتادها .

وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) قال : أقاموا عليه ، لم يتوبوا كما تاب الآخرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى لجنوا فيه وأبوا غيره (لَا تَعْلَمُهُمْ) يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، ولكننا نحن نعلمهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) . . . إلى قوله (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) قال : فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة ، وفلان في النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لأدرى ، لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفته الأنبياء قبلك ، قال نبي الله نوح عليه السلام (وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقال نبي الله شعيب عليه السلام (بِتَقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) وقال الله لنبى عليه الصلاة والسلام (لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) . وقوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) يقول : سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين : إحداهما في الدنيا ، والأخرى في القبر .

ثم اختلف أهل التأويل في التى في الدنيا ما هى ؟ فقال بعضهم : هى فضيحتهم ، فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ، فى قول الله : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) . . . إلى قوله (عَدَابَ عَظِيمٍ) قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة ، فقال « اخرج : يا فلان ، فإنك منافق » ، اخرج : يا فلان ، فإنك منافق » ، فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم ، فلقبهم عمر ، وهم يخرجون من المسجد ، فاحتبأ منهم ، حياءً أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبئوا هم من عمر ، ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ، فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى : عذاب القبر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه ، قال : وعذاب القبر ١ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : القتل والسياء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) بالجوع ، وعذاب القبر ، قال (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَدَابِ عَظِيمٍ) يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع والقتل ، وقال يحيى بالخوف والقتل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : بالجوع ، والقتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، وعذاب القبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، والقتل .

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذبهم عذاباً فى الدنيا ، وعذاباً فى الآخرة .

(١) يظهر أن فى الكلام سقطاً ، والأصل : وقال آخرون : هى الخوف والجوع أو القتل والسياء . ذكر الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر إلى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين ، فقال ستة منهم ، تكفيكم الديلة سراج من نار جهنم ، يأخذ في كتف أحدهم ، حتى يفضى إلى صدره ، وستة يموتون موتا ، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه ، صلى عليه ، وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أو من منها أحدا بعدك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء ، قالوا : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذابا في الدنيا ، وعذابا في القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَى عَذَابِ النَّارِ) .

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم ، والمرّة الأخرى في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : أما عذاب في الدنيا : فالأموال والأولاد ، وقرأ قول الله (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيهم ، هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر ، قال : وعذاب في الآخرة في النار (ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال النار .

وقال آخرون : بل إحدى المرتين : الحدود ، والأخرى : عذاب القبر ، ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي .

وقال آخرون : بل إحدى المرتين : أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذاب القبر . ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

وقال آخرون : بل إحدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَنَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ) قال : العذاب الذي وعدهم مرتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم في القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة ، ويخلدون فيه . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء

الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به إلى علم صفة ذنك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أثبتنا عنهم ، وليس عندنا علم بأى ذلك من بأى ، على أن فى قوله جل ثناؤه (ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ) دلالة على أن العذاب فى المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرتين أنها فى القبر ، . وقوله (ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ) يقول: ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

القول فى تأويل قوله

وَأَخْرُوجُونَ مُعْتَرِفُونَ بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ،
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم ، يقول : أقرؤا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا ، يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ : اعترفهم بذنوبهم وتوبتهم منها ، والآخري السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازيا ، وتركهم الجهاد مع المسلمين .

فإن قال قائل : وكيف قيل : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وإنما الكلام : خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ ؟ . قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فكان بعض نحوى البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائز فى العربية أن يكون بآخر كما تقول : استوى الماء والخشبة : أى بالخشبة ، وخلطت الماء واللبن ، وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم : استوى الماء والخشبة ، واعتل فى ذلك بأن الفعل فى الخلط عامل فى الأول والثانى ، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم : استوى الماء والخشبة ، وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنه بمعنى قولهم : خلطت الماء واللبن ، بمعنى خلطته باللبن . (عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : لعل الله أن يتوب عليهم ، وعسى من الله واجب ، وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت . (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها ، رحيم به أن يعذبه بها .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السوارى عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، توبة منهم من ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله :

(وَأَخْرَوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم ، فلما رأهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم ، وتعذرهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني ، وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين ؛ فلما بلغهم ذلك ، قالوا : ونحن بالله لانطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَأَخْرَوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت ، أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأطلقهم وعذرهم .

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَخْرَوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا ، وأيقنوا بالهلكة ، وقالوا : نكون في الكن والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد ، والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد ، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان طريقه في المسجد ، فرآ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ، وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عني ورغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين وجهادهم ، فأنزل الله برحمته (وَأَخْرَوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم ، وتجاوز عنهم .

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

(١) الذي في الدر : أو ثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى . . . الخ

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم (وَاخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كَرْدَمٌ ومِرْدَاسٌ وأبو لُبَابَةَ .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبولُبَابَةَ ، وكَرْدَمٌ ، ومِرْدَاسٌ ، وأبو قيس .
وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك ، فأما أربعة فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً : جَدَّ بن قيس ، وأبولُبَابَةَ ، وحَرَامٌ ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : هم نفر من تخلف عن تبوك : منهم أبولُبَابَةَ ، ومنهم جَدُّ بن قيس ، تيبَّ عليهم ، قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَاخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : هم سبعة ، منهم أبولُبَابَةَ ، كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَاخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) نزلت في أبولُبَابَةَ وأصحابه ، تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ، وقالوا : نكون في الظلال والأطعمة والنساء ونبي الله في الجهاد والأواء ، والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، ثم لانطلقها حتى يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فرآى المسجد وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبولُبَابَةَ وأصحابه تخلفوا عنك يا نبي الله ، فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ، فأنزل الله (وَاخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب فأطلقهم نبي الله وعذرهم .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذي اعترف به ، فتيب عليه منه ، ما كان من أمره في بني قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم) قال : نزلت في أبي لبابة ، قال لبني قريظة ما قال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم) قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : إن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم) فذكر نحوه ، إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لأحُلّ نفسي حتى يحلني الله ورسوله ، قال : فحله النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنزلت هذه الآية (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم خلطوا عملا صالحا) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم) قال نزلت في أبي لبابة .

وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهري : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لأحُلّ نفسي منها ، ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ ، فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا ، حتى خر مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ، فقال : والله لأحُلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث .

وقال بعضهم : عُنِيَ بهذه الآية الأعراب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وآخرون اعترفوا ببدنؤيهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) قال : فقال : إنهم من الأعراب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حجاج بن أبى ذئب ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه الأمة من قوله (وَأَخْرَجُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك : قول من قال : نزلت هذه الآية فى المعترفین بخطأ فعلهم ، فى تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الجهاد معه ، والخروج لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك ، وإن الذين نزل ذلك فىهم جماعة أحدهم أبو لُبابة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال (وَأَخْرَجُوا بِذُنُوبِهِمْ) فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه ، الموثق نفسه بالسارية فى حصار قريظة غير أبى لُبابة وحده ، فإذا كان ذلك ، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله (وَأَخْرَجُوا بِذُنُوبِهِمْ) بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا لجماعة ، وكان لاجتماع فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار ، وأجمع عليه أهل التأويل ، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صح ما قلنا فى ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لُبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

القول فى تأويل قوله

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ،

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتأبوا منها ، صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وتزكئهم بها ، يقول : وتنمئهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، واستغفر لهم منها (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : إن دعائك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم ، وقبيل توبتهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم ، وبغير ذلك من أمور عباده .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قال : جاءوا بأموالهم ، يعنى أبى لُبابة وأصحابه حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا ، فتصدق بها عنا ، واستغفر لنا ، قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) يعنى بالزكاة : طاعة الله والإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبَّابة وصاحبيه ، انطلق أبو لُبَّابة وصاحباؤه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا ، فتصدق بها عنا ، وصل علينا ، يقولون : استغفر لنا وطهرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذُ منها شيئاً حتى أومرَ ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا ، فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءاً من أموالهم ، فتصدق بها عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، قال : لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لُبَّابة ، والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم : يا نبي الله : طهر أموالنا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخرين مثله ، وكان عمي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الأربعة : جَدَّ بن قيس ، وأبو لُبَّابة ، وحرام ، وأوس ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) أى وقار لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ، ويجاهدوا ، ويتصدقوا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، قال : لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبَّابة وأصحابه ، أتوا نبي الله بأموالهم ، فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا ، فتصدق به عنا ، وطهرنا ، وصل علينا ، يقولون استغفرنا ، فقال نبي الله : لا آخذُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شيئاً حتى أومرَ فيها ، فأنزل الله عز وجل : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من ذنوبهم التي أصابوا . (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم ، ففعل نبي الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام ما أمره الله به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) أبو لُبَّابة وأصحابه (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) قال : هؤلاء ناس

من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق وقالوا : يا رسول الله ، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبة جديدة ، وصدقة نخرجها من أموالنا ، فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) بعد ما قال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

واختلف أهل العربية في وجه رفع تزكيتهم ، فقال بعض نحوي البصرة : رفع تزكيتهم بها في الابتداء ، وإن شئت جعلته من صفة الصدقة ، ثم جئت بها توكيدا ، وكذلك تطهرهم ؛ وقال بعض نحوي الكوفة : إن كان قوله (تُطَهِّرُهُمْ) للنبي عاياه الصلاة والسلام ، فالاختيار أن تجزم ، بأنه لم يعد على الصدقة ، عائدا (وَتُزَكِّيهِمْ) مستأنفاً ، وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيتهم بها ، جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما . قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول : أن قوله (تُطَهِّرُهُمْ) من صلة الصدقة ، لأن القراءة مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة . وأما قوله (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) فخبير مستأنفاً ، بمعنى وأنت تزكيتهم بها ، فلذلك رفع .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) ، فقال بعضهم : رحمة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : رحمة لهم .

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقار لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) : أى وقار لهم .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته قراءة المدينة (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى دعواتك . وقراء قرآء العراق وبعض المكيين (إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى إن دعائك ، وكأن الذين قرءوا ذلك على التوحيد ، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصح ، لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) إذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد ، دون ما هو أكثر من ذلك ، والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءة ، لاللة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ، ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته ، أنه سكن هؤلاء القوم ، لا الخبر عن العدد ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد في الصلاة أولى .

القول في تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ (١٠٤)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، أخبر به المؤمنین به، أن قبول توبة من تاب من المنافقين، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها، ليسا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، وأن نبي الله حين أبي أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغر ومعه، وحين ترك قبول صدقتهم، بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد، وأن محمدا إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله، بأمر الله، فقال جل ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنین، الموثقو أنفسهم بالسوارى، القائلون لانطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم، أن ذلك ليس إلى محمد، وأن ذلك إلى الله، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تاب من عباده، أو يردّها، ويأخذ صدقة من تصدق منهم، أو يردّها عليه، دون محمد، فيوجهوا توبتهم وصدقهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصد وجهه، دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقهم، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم. يقول: المرجع بعبئده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك: ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال الآخرون: يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء: يعنى الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون، فالحم؟ فقال الله (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات، وأن الله هو التواب الرحيم).

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس إليه، قال شعبة، قال العوام بن حوشب: هو قتادة، أو ابن قتادة، رجل من محارب قال: سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما من عبد تصدق بصدقة إلا وقعت في يد الله، فيكون هو الذى يضعها في يد السائل، وتلا هذه الآية (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن أبي قتادة الحارثي، عن عبد الله بن مسعود، قال: ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يد السائل، ثم قرأ (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات).

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله ابن أبي قتادة، عن ابن مسعود، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن أبي قتادة،

قال : قال عبد الله : إن الصدقة تقع في يد الله ، قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قال هذه الآية (هوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم ، أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يقبل الصدقة ، ويأخذها بيمينه ، فيبرئ بها لأحدكم ، كما يرئى أحدكم مهرة ، حتى إن اللقمة لتتصير مثل أحد » وتصديق ذلك في كتاب الله (إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات . ويمحق الله الربا ، ويرئى الصدقات) .
حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرئى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه ، قال : إن الله يقبل الصدقة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة ، قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرجل يتصدق بمثل اللقمة ، فيبرئها الله له ، كما يرئى أحدكم فضيله أو مهره ، فتربو في كف الله ، أو قال في يد الله ، حتى تكون مثل الجبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَتَصَدَّقُ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ فَتَمْتَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ ، حَتَّى تَقَعَ فِي يَدِ اللَّهِ » .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يعني إن استقاموا .

القول في تأويل قوله

وَقُلْ : اَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وَقُلْ) يا محمد هؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك : (اَعْمَلُوا) لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : فسيري الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله . (وَالْمُؤْمِنُونَ) في الدنيا . (وَسَتُرَدُّونَ) يوم القيامة إلى من يعلم سرايركم وعلايتكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) : يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، ومامنه خالصا ، وما منه رياء ، وما منه طاعة ، وما منه معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَقُلْ اَعْمَلُوا ، فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) قال : هذا وعيد .

القول في تأويل قوله

وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ : إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون ، آخرون ، ورفع قوله آخرون عطفًا على قوله : وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وآخرون مُرْجُونَ : يعني مرجئون لأمر الله وقضائه ، يقال منه أرجأته أرجئه إرجاء ، وهو مرجأ بالهمز ، وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد ، وقد قرأت القراء بهما جميعا . وقيل : عني هؤلاء الآخريين ، نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم ، فتاب عليهم ، وعفا عنهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : وكان ثلاثة منهم ، يعني من المتخلفين عن غزوة تبوك ، لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، أُرْجِئُوا سَبْتَةً ، لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أنى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعني قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ، يعني من أموال أبي لُبَابَةَ وصاحبيه ، فتصدق بها عنهم ، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لُبَابَةَ ، ولم يوثقوا ، ولم يذكرُوا بشيء . ولم ينزل عذرهم ، وضاق عليهم الأرض بما رحبت ، وهم الذين قال الله (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فجعل الناس يقولون : هلكوا إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم ، فصاروا مُرْجِئِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حتى نزلت (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) الذين خرجوا معه إلى الشام (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ، لِإِنَّهُ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ثم قال (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) يعني المرجئين لأمر الله ، نزلت عليهم التوبة ، فعمموا بها ، فقال (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلّفوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : هلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) هلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ، يريد غير أبي لُبابة وأصحابه ، ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لُبابة وأصحابه ، وتقول فرقة أخرى : عسى الله أن يعفو عنهم ، وكانوا مُرَجَّئِينَ لأمر الله ، ثم أنزل الله رحمته ومغفرته ، فقال (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) . . . الآية ، وأنزل (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : كنا نحدث أنهم الثلاثة الذين خلفوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، رهط من الأنصار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلفوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله .

وأما قوله (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) فإنه يعني : إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم ، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) يقول : وإما يوفقهم للتوبة ، فيتوبوا من ذنوبهم ، فيغفر لهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بأمرهم ، وما هم صائرون إليه من التوبة ، والمقام على الذنب ، حكيم في تدبيرهم ، وتدبير من سواهم من خلقه ، لا يدخل حكمه خلل .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلِيَخْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجدا ضراراً ، وهم فيما ذكرنا اثنا عشر نفساً من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة ، والحاجة ، والليلمة المطيرة ، والليلمة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فنصلي لنا فيه ، فقال : لآتي على جناح سفير ، وحال شغل ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَلَوْ قَدَّمْنَا مِنْهُمَا أَتَيْنَاكُمْ** ، إن شاء الله ، **فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ** ، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى أخا بني العجلان ، فقال : **انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ** ، فاهندماه وحرِّقاه ، فخرجوا سريعين ، حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : **أَنْظِرْنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكَ بَنَارَ مِنْ أَهْلِي** ، فدخل أهله فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان ، حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا**) إلى آخر القصة ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد ، وهو إلى بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سنبل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : **تُجَمِّعُ** بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، وهم من بني ضبيعة ، وبخديج ، وهو إلى بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت ، وهو إلى بني أمية ، رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله ، لمخادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرقوا به المؤمنين ، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفرقوا ، (**وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ**) يقول : وإعداداً له ، لأبي عامر الكافر ، الذي خالف الله ورسوله ، وكفر بهما ، وقاتل رسول الله من قبل : يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أباعمر هو الذي كان حزب الأحزاب ، يعني حزب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خذله الله ، لحق بالروم ، يطلب النصر من ملكهم على نبي الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار ، يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ، ليصلي فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ، ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه (**وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ** ، **وَلَيَسْخَلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى**) : يقول

جل ثناؤه، وليحلفن بانؤه إن أردنا إلا الحسنى ببنائنا، إلا الرفق بالمسلمين، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلّة، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه، وتلك هي الفعلة الحسنة (وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِمَن لَّمْ يَلْمِ يَلْمِيهِمْ) في حلقهم ذلك، وقيلهم ما بيننا إلا ونحن نريد الحسنى، ولكنهم بنوه، يريدون ببنائه السوأى، ضاررا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفرا بالله، وتفريقا بين المؤمنين، وإرصادا لأبي عامر الفاسق .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المننى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قصر ملك الروم ، فأتى بجند من الروم ، فأخرج محمدا وأصحابه ؛ فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحب أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة ، فأنزل الله فيه (لَا تَقْسُمُ فِيهِ أَبَدًا ، لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْسِيرًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء، خرج رجال من الأنصار، منهم بنجدج جد عبد الله بن حنيف ، وديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصارى ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج : وَيَلْتَكُ؟ ما أردت إلى ما أرى؟ فقال : يا رسول الله، والله ما أردت إلا الحسنى ، وهو كاذب ، فصدقه رسول الله ، وأراد أن يعذره ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْسِيرًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يعنى رجلا منهم يقال له أبو عامر ، كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلى فيه ، وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله (وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِمَن لَّمْ يَلْمِ يَلْمِيهِمْ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال أبو عامر الراهب انطلق إلى قيصر ، فقالوا إذا جاء يصلى فيه ، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبى عامر الراهب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْهِيمًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : نزلت في المنافقين ،
وقوله (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : هو أبو عامر الراهب .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم بنو غنم بن عوف .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم حتى يقال لهم بنو غنم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب عن سعيد بن
جبیر ، في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم حتى يقال لهم بنو غنم .
قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ) أبو عامر الراهب انطلق إلى الشام ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا) . . . الآية ، عمد ناس من أهل النفاق ، فابتدؤا مسجدا بقاء ، ليضاهاوا به مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلي فيه ، ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعهم الله على ذلك .
وأما قوله (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فإنه كان رجلا يقال له أبو عامر ، فر من المسلمين .
فلحق بالمشركين فقتلوه بإسلامه ، قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله (لَاتَقْسِمُ فِيهِ أَبَدًا ، كَلَسَجِدُ
أَسْسَ عَلَى التَّقْوَى) . . . الآية .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک
يقول في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقاء
يضارون به نبي الله والمسلمين (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) كانوا يقولون : إذا رجع أبو عامر
من عند قيصر من الروم صلى فيه ، وكانوا يقولون : إذا قدم ظهر على نبي الله صلى الله عليه وسلم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْهِيمًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال :
مسجد بقاء ، كانوا يصلون فيه كلهم ، وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل
الملائكة وصيفي وأخيه ، وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هاربا هو وابن بالين من
ثقيف ، وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لحقوا بصاحب الروم ، فأما
(١) كذا في الأصل ، ولعله مصحف ، والأصل : فبنوه بإشارته وقالوا : إذا الخ .

علقمة وابن بالين ، فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما ، وأما أبو عامر فتنصر وأقام . قال : وبني ناس من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : حتى يأتي أبو عامر يصلى فيه ، وتفريقا وبين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد قباء ، وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادى ، ويحول بيننا وبين القوم ، فنصلى فى مسجدنا ، فإذا ذهب السيل صلينا معهم ، قال : وبنتوه على الاتفاق ، قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وألقى الناس عليه النسب والقيامة فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) لئلا يصلى فى مسجد قباء جميع المؤمنين (وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أبى عامر (وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ، وَاللَّهُ يُشْهِدُ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبى جعفر ، عن ليث : أن شقيقا لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر ، فقبيل له مسجد بنى فلان ، لم يصلوا بعد ، فقال : لا أحب أن أصلى فيه ، فإنه بنى على ضِرَارٍ ، وكل مسجد بنى ضرارا أو رياء أو سمعة ، فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بنى على ضِرَارٍ .

القول فى تأويل قوله

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا مَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تقم يا محمد فى المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ، ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، ثم أقسم جل ثناؤه فقال : (مَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ) أنت (فيه) ، يعنى بقوله (أُسُسٌ عَلَى التَّقْوَى) ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته ، من أول يوم ابتدئ فى بنائه . (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) يقول : أولى أن تقوم فيه مصليا . وقيل : معنى قوله (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) مبدأ أول يوم كما تقول العرب : لم أره من يوم كذا ، بمعنى مبدؤه ، ومن أول يوم يُراد به من أول الأيام ، كقول القائل : لقيت كل رجل ، بمعنى كل الرجال .

واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله (مَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى فيه منبره وقبره اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عثمان بن عبيد الله ، قال : أرسلنى محمد بن أبى هريرة إلى ابن عمر ، أسأله عن المسجد الذى أسس على التقوى ، أى مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد ، المدينة .

قال : ثنا القاسم بن عمرو العنقزي ، عن الدرّاوردي ، عن عثمان بن عبيد الله ، عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد ، قالوا : المسجد الذي أسس على التقوى : مسجد الرسول .
قال : ثنا أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : هو مسجد الرسول .
قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد الرسول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا حميد الخراط المدني ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرّني عبد الرحمن بن أبي سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال لي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أرى مسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء ، فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، هكذا سمعت أباك يذكره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : المسجد الذي أسس على التقوى : هو مسجد النبي الأعظم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : إن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، هو مسجد المدينة الأكبر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : الأعظم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، قال : أحسبه عن أبيه ، قال : مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى . وقال آخرون : بل عني بذلك : مسجد قباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (لمسجد)
أسس على التقوى من أول يوم (يعني مسجد قباء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس نحوه .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (لمسجد) أسس على التقوى من أول يوم (هو مسجد قباء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حيّان ، عن ابن بريد ، قال : مسجد قباء الذى أُسِّس على التقوى ، بناه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المسجد الذى أُسِّس على التقوى : مسجد قُبا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عمرو بن الزبير : الذين بنى فيهم المسجد الذى أُسِّس على التقوى : بنو عمرو بن عوف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قال أبو كريب ، ثنا وكيع ، وقال ابن وكيع : ثنا أبى ، عن ربيعة ابن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس : رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أُسِّس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبيّ ، وقال الآخر : هو مسجد قُبا ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : هو مسجدى هذا . اللفظ لحديث أبى كريب ، وحديث سفيان نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبى بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذى أُسِّس على التقوى ، فقال : مسجدى هذا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : ثنى الليث ، عن عمران بن أبى أنس ، عن ابن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : « تمارى رجلان فى المسجد الذى أُسِّس على التقوى من أوّل يوم ، فقال رجل : هو مسجد قُبا ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : هو مسجدى هذا » .

حدثنى بحر بن نصر الحولانى ، قال : قرئ على شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سعيد بن أبى سعيد الخدرى ، قال : تمارى رجلان ، فذكر مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سبل بن محمد بن أبى يحيى ، قال : سمعت عمى أنيس بن أبى يحيى يحدث ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسجد الذى أُسِّس على التقوى مسجدى هذا ، وفي كُلىّ خير » .

حدثنى المنفى ، قال : ثنى الحمّانى ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا أنيس بن أبى يحيى ، عن أبيه ،

عن أبي سعيد، أن رجلاً من بني خُدرة ، ورجلاً من بني عمرو بن عوف ، امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخُدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال العوفي : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه ، فقال : « هُوَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ » .

القول في تأويل قوله

(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) :

يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم : رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحب المتطهرين بالماء .
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا الطُّهُورُ الَّذِي أُنْتِنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟ » قالوا : يا رسول الله ، نغسل أثر الغائط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذَكَرْنَا لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَهْلِ قَبَاءَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدَ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ ، فَمَا تَصْنَعُونَ ؟ » قالوا : إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، مَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أُنْتِنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ؟ » قالوا : إنا نستطيب بالماء إذا جئنا من الغائط . »

حدثني جابر بن الكردى ، قال : ثنا محمد سابق ، قال : ثنا مالك بن مِغُول ، عن سيار أبي الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَلَا أَخْبِرُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدَ أُنْتِنِي عَلَيْهِمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنا نجد عندنا مكتوبا في التوراة : الاستنجاء بالماء . »

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن مالك بن مِغُول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة ، يحدث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال : إِنَّ اللَّهَ قَدَ أُنْتِنِي عَلَيْهِمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، يَعْنِي قَوْلَهُ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) » قالوا : إنا نجد مكتوبا عندنا في التوراة : الاستنجاء بالماء . »

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، قال : ثنا مالك بن مِغُول ، عن سيار ، عن شهر ابن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه ، قال : قال النبي صلى

الله عليه وسلم لأهل قباء : « إِنَّ اللَّهَ قَدَ أُنْتِنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا ، قَالُوا : إنا نجده مكتوبا علينا فى التوراة : الاستنجاء بالماء ، وفيه نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) . »

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكرى ، قال : ثنا أبو أويس المدينى ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : « إِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ قَدَ أُنْتِنَى عَلَيْكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ جِيرَانًا لَنَا مِنَ الْيَهُودِ ، رَأَيْنَاهُمْ يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ ، فغسلنا كما غسلوا . »
حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) قال : كانوا يغسلون أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عامر ، قال : كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء ، فنزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .
حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شيبان بن سوار ، عن شعبة ، عن مسلم القرى ، قال : قلت لابن عباس : أصب على رأسى وهو محرم ، قال : ألم تسمع الله يقول : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن داود وابن أبي ليلى ، عن الشعبي ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء « مَا هَذَا الَّذِى أُنْتِنَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا مَا مَنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَنْجِي مِنَ الْخَلَاءِ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدينى ، عن إبراهيم ابن إسماعيل الأنصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : « مَا هَذَا الَّذِى أُنْتِنَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) قال : نوشك أن نغسل الأَدْبَارَ بِالْمَاءِ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن حصين عن موسى بن أبي كثير ، قال : بدء حديث هذه الآية فى رجال من الأنصار من أهل قباء (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجى بالماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرج ، قال أخبرنى ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن أبي الزناد ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة : من بنى عمرو بن عوف ، ومعن بن عدى من بنى العجلان ، وأبى الدَّحْدَاح ، فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من الذين قال الله فيهم : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّ الرَّجَالُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ » لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان ، قال : ثنا الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا هَذَا الَّذِي ذَكَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ فِي أَمْرِ الطُّهُورِ ، فَأَتَيْتَنِي بِهِ عَلَيَّكُمْ ؟ » قالوا : نغسل أثر الغائط والبول .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم يحدث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أو قال : قدم علينا رسول الله ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدَ اثْتَمَى عَلَيَّكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا ، أَفَلَا تُخْبِرُونِي ؟ » قالوا : يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوبا في التوراة : الاستنجاء بالماء . قال مالك : يعني قوله (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) سأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا طُهُورُكُمْ ؟ » هَذَا الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نستنجى بالماء في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعه ، قال : فَلَا تَدَعُوهُ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان في مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون ستملتهم بالماء ، يدخلون النخل والماء يجرى ، فيتوضئون ، فأثنى الله بذلك عليهم ، فقال (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) . وقيل : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) وإنما هو المتطهرون ، ولكن أدمعت التاء في الطاء ، فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج إحداهما من الأخرى .

القول في تأويل قوله

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ

فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَاللَّهُ لَآيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) على وجه ما لم يسم فاعله في الحرفين كليهما ، وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمَّنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ) على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيَّب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى مَنْ إذ كان مَنِْ المؤسس أعجب إلى .

فتأويل الكلام إذاً: أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم؟ الذين ابتدعوا بناء مسجدهم على اتقاء الله، بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ، ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك ، وفعلهم ما فعلوه ، خير ، أم الذين ابتدعوا بناء مسجدهم على شفا جِرْفٍ هار ؟ يعنى بقوله (على شفا جِرْفٍ) على حرف جرف ، والجِرْف من الركى ما لم يبين له جُؤول . هار ، يعنى متهوّر ، وإنما هو هائر ، ولكنه قلب ، فأخترت ياؤها ، فقيل هار كما قيل : هو شاك السلاح وشائك ، وأصله من هار يهور فهو هائر ؛ وقيل : هو من هار يهار : إذا انهدم ، ومَنْ جعله من هذه اللغة قال : هَرَّتْ يا جِرْفُ ، ومن جعله من هار يهور قال : هَرَّتْ يا جِرْفُ ، وإنما هذا مثل . يقول تعالى ذكره : أى هذين الفريقين خير ، وأى هذين البنائين أثبت ، أَمَّنْ ابتداء أساس بنائه على طاعة الله وعِلم منه ، بأن بناءه لله طاعة والله به راض ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة منه ، بصواب فعله من خطئه ، فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله ، وعظيم ذنبه ، فيهدمه ، كما يأتي البناء على جِرْفٍ ركية لاحابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ، ترى به التراب متناثرا ، لتلبثه السيول أن تهدمه وتثره . يقول الله جل ثناؤه : (فأنهار بهِ في نارِ جهنم) يعنى فانتثر الجِرْفُ الهارى ببنيانه فى نار جهنم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فأنهار به قواعدُه فى نار جهنم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فأنهار بهِ) يقول : فخر به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أَمَّنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ على تَقْوَى مِنْ اللَّهِ) . . . إلى قوله (فأنهار بهِ في نارِ جهنم) قال : والله ما تنهى أنْ وقع فى النار ، ذِكْرٌ لنا أنه حُفرت بقعة منه ، فرُوى منها الدخان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ^١ : بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة ، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد ، قال : وانهار يوم الاثنين ، قال : وكان قد استنظرهم ثلاثا : السبت والأحد والاثنين فأنهار به فى نار جهنم ، مسجد المنافقين أنهار ، فلم يتناه دون أن وقع فى النار .

قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحماتى ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الدانا ، عن طلق

(١) الذى تقدم له عن غير ابن جريج أن باقى مسجد الضرار بنو غم بن عوف ، وأن باقى مسجد قباء بنو عمرو بن عوف ، فإن لم يكن مصحفاً أو رواية ، فهو اشتباه .

ابن حبيب ، عن جابر ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) قال : رأيت المسجد الذي بنى ضيرارا ، يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن مرزوق البصري ، قال : ثنا أبو سلمة ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، قال : ثنى طلق العنزي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار . حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا خلف بن ياسين الكوفي ، قال : حججت مع أبي في ذلك الزمان ، يعني زمان بني أمية ، فررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين ، يعني مسجد الرسول ، وفيه قبلة بيت المقدس ؛ فلما كان زمان أبي جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ، فهذا البناء الذي يرون جرى على يد عبد الصمد بن علي ، ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزبلة .

قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لا يوفق للرشاد في أفعاله من كان بانيا بناءه في غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله .

القول في تأويل قوله

لَا يَزَالُ بُنِيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره : لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضاررا وكفرا ، ريبة ؛ يقول : لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم ، يعني شكوا ونفاقا في قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعني إلا أن تصدع قلوبهم فيموتوا ، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار ، من شكهم في دينهم ، وما قصدوا في بنائهم وأرادوه ، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة ، وفي الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم ، حكيم في تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه ؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَزَالُ بُنِيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) يعني شكوا (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعني الموت ؛ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : شكوا في قلوبهم (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) إلى أن يموتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَزَالُ بُنِيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يقول : حتى يموتوا ؛ حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : إلا أن يموتوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (لا يزال بنياً منهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم) قالوا : شكوا في قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، قال : ثنا أبو سنان ، عن حبيب (لا يزال بنياً منهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم) قال : غيظا في قلوبهم .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا .

قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن حبيب (إلا أن تقطع قلوبهم) : إلا أن يموتوا . قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن السدي (ريبه في قلوبهم) قال : كفر ، قلت : أكفر مجتمع ابن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزازة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي (لا يزال بنياً منهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم) قال : حزازة في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا يزال بنياً منهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم) لا يزال ريبه في قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حُيب العجل في قلوب أصحاب موسى ، وقرأ (وأشربوا في قلوبهم العجل يكفرهم) قال : حبه (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا ، يعنى المنافقين .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن السدي ، عن إبراهيم (ريبه في قلوبهم) قال : شكوا ، قال : قلت يا أبا عمران : تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هي حزازة . واختلفت القراء في قراءة قوله (إلا أن تقطع قلوبهم) فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (إلا أن تقطع قلوبهم) بضم التاء من تقطع ، على أنه لم يسم فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة (إلا أن تقطع قلوبهم) بفتح التاء من تقطع على أن الفعل للقلوب ، بمعنى : إلا أن تقطع قلوبهم ، ثم حذف إحدى التاءين ، وذكر أن الحسن كان يقرأ (إلى أن تقطع قلوبهم) بمعنى : حتى تقطع قلوبهم ، وذكر أنها في قراءة عبد الله : ولو قطعت قلوبهم ، وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك (إلا أن تقطع) بضم التاء .

❦ والقول عندى فى ذلك : أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تنقطع إذا تقطعت إلا بتقطع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهى متقطعة ، وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فحسب الصواب فى قراءته . وأما قراءة من قرأ ذلك : إلى أن تُقَطَّعَ ، فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة .

القول فى تأويل قوله

* **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ ، وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)**

❦ يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة ، وعدا عليه حقا ، يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه ، وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزلة : التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه ، فقتلوا وقتلوا ، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟) يقول جل ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضمن بشرط من الله . (فاستبشروا) يقول ذلك للمؤمنين ، فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا (ببيعكم) أنفسكم وأموالكم ، بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : ما من مسلم إلا والله فى عنقه بيعة ، وفى بها أو مات عليها ، فى قول الله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى قوله (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ثم حلاهم فقال (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) . . . إلى (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) . حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) (يعنى بالجنة .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن يسار ، عن قتادة أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ) قال : تأمتمهم الله ، فأغلى لهم الثمن . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزاري ، عن أبى رجاء ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) قال : بايعهم ، فأغلى لهم الثمن .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا : « قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : اشترط لربى : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسي : أن تمنعوني مما تمنعون

مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع لانقيل ولا نستقبل ، فنزلت (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبيد بن طفيل العبسى ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) . . . الآية ، قال الرجل : ألا أهل على المشركين ، فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك ! أين الشرط ؟ (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) .

القول فى تأويل قوله

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّا كِمُونَ السَّجِدُونَ الْأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ،
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)

يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ، ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها ، والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدم بياننا ذلك فى قوله (صَمُّ بِكُمْ عُمَى) ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ومعنى التائبون : الراجعون مما كرهه الله وخطئه ، إلى ما يحبه ويرضاه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن فى قول الله (التَّائِبُونَ) قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنا أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، أنه قرأ (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب ، قال : قرأ الحسن (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء عن الحسن ، قال : التائبون من الشرك .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال الحسن : تابوا والله من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (التَّائِبُونَ) قال : تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا فى الإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (التَّائِبُونَ) قال : الذين تابوا من الذنوب ، ثم لم يعودوا فيها .

وأما قوله (الْعَابِدُونَ) فهم الذين ذلوا خشية لله ، وتواضعا له ، فجدوا فى خدمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْعَابِدُونَ) : قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم .

- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن في قول الله (العابدُونَ)
قال : عبدوا الله على أحيائهم كلها في السراء والضراء .
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن
أبي رجاء ، عن الحسن : (العابدُونَ) قال : العابدون لربهم .
- وأما قوله (الحامِدُونَ) فمنهم الذين يحمّدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر .
- كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الحامِدُونَ) قوم حمدوا الله على كل حال .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، قال : قال الحسن (الحامِدُونَ) : الذين حمدوا الله
على أحيائهم كلها ، في السراء والضراء .
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن
أبي رجاء ، عن الحسن (الحامِدُونَ) قال : الحمدون على الإسلام .
- وأما قوله (السَّائِحُونَ) فإنه الصائمون .
- كما حدثني محمد بن عيسى الدامغاني وابن وكيع ، قالوا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير .
- حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد
ابن عمير ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين ، فقال : هُمُ الصَّائِمُونَ .
- حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا حكيم بن حزام ، قال : ثنا سليمان ، عن أبي صالح ،
عن أبي هريرة ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ » .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن
أبي هريرة قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ،
قال (السَّائِحُونَ) الصائمون .
- قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، بمثله .
- حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن
أبي عبد الرحمن ، قال : السياحة : الصيام .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن
ابن عباس ، قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، وإسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .
- حدثنا المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، قال :
(السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله ، مثله .
قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ، قال : (السَّائِحُونَ) : هم الصائمون .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (السَّائِحُونَ) قال : يعنى بالسائحين : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (السَّائِحُونَ) هم الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كل ما ذكر الله في القرآن السياحة : هم الصائمون .

قال : ثنا أبي عن المسعودي ، عن أبي سينان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن أبي عمرو العبدى ، قال (السَّائِحُونَ) : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن (السَّائِحُونَ) الصائمون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .
قال : ثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كل شيء في القرآن (السَّائِحُونَ) فإنه الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (السَّائِحُونَ) يعنى : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال (السَّائِحُونَ) الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة في بني إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة ، رأى ما كان يرى السائحون

قبله ، فساح ولدُ بغيّ أربعين سنة ، فلم ير شيئا ، فقال : أي ربّ أرأيت إن أساء أبرأى وأحسنّت أنا ؟ قال : فأرى ما رأى السائحون قبله .

قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء ، فهو السائح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن

عائشة ، قالت : سياحة هذه الأمة : الصيام .

وقوله (الرَّأكِعُونَ السَّاجِدُونَ) يعنى : المصلين الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزاريّ ، عن

أبى رجاء ، عن الحسن (الرَّأكِعُونَ السَّاجِدُونَ) قال : الصلاة المفروضة .

وأما قوله (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فإنه يعنى أنهم يأمرّون الناس بالحق

فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى والعمل ، وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيم الناس عن كلّ فعل وقول

نهى الله عباده عنه .

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن

أبى إسحاق الفزاريّ ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) : لا إله إلا الله (وَالنَّاهُونَ عَنِ

الْمُنْكَرِ) : عن الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن ، فى قوله (الْآمِرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ) قال : أما إنهم لم يأمرّوا الناس حتى كانوا من أهلها (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) قال : أما

إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ،

قال : كلّ ما ذُكر فى القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام ،

والنهى عن المنكر : نهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا : من أن الأمر بالمعروف : هو كلّ ما أمر الله به عباده أو رسوله

صلى الله عليه وسلم . والنهى عن المنكر : هو كلّ ما نهى الله عنه عباده أو رسوله . وإذ كان ذلك كذلك ولم

يكن فى الآية دلالة على أنها عنيّ بها خصوص " دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا فى فطرة عقل ،

فالعموم بها أولى لما قد بينا فى غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) فإنه يعنى : المؤدّونَ فَرَائِضَ اللَّهِ ، المنهون إلى أمره

ونهيّه ، الذين لا يضيعون شيئا ، ألزمهم العمل به ، ولا يركبون شيئا نهاهم عن ارتكابه .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس

(وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) يعنى : القائمون على طاعة الله، وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد، إذا وفوا الله بشرطه، وفي لهم شرطهم.

حدثني محمد بن سعد، قال : ثنا أبي، قال : ثنا عبيد بن عمير، قال : ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : القائمون على طاعة الله.

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام، عن ثعلبة، بن سهيل، قال : قال الحسن، في قوله (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : القائمون على أمر الله.

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا منصور، بن هارون، عن أبي إسحاق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : لفرائض الله.

وأما قوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) فإنه يعنى : وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده، أنه موف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة.

كما حدثنا ابن بشار، قال : ثنا هروذة بن خليفة، قال : ثنا عوف، عن الحسن (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) ... حتى ختم الآية، قال : الذين وفوا ببيعهم (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ) حتى ختم الآية، فقال : هذا عملهم وسيرهم في الرخاء، ثم لقسوا العدو، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه. وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال، يعنى قوله (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) ... إلى آخر الآية، وإن لم يغزوا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا منصور بن هارون، عن أبي إسحاق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) قال : الذين لم يغزوا.

القول في تأويل قوله

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)

يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا، يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربي، ذوى قرابة لهم (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى ألا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله.

فإن قالوا : فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ، فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه ، فلما تبين له ، وعلم أنه لله عدو ، خلاه وتركه ، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمره عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره .

واختلف أهل التأويل في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه ؛ فقال بعضهم : نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عمّ قل : لا إله إلا الله ، كَلِمَةَ أَحْجُجْكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَكُنْ مِنْهُ عِنْتُكَ ، فنزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ، ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الزهري ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّ قل : لا إله إلا الله ، كَلِمَةَ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ، قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَكُنْ مِنْهُ عِنْتُكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) قال : يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا ؟ وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافرا ، فأنزله الله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَلَا أزالُ اسْتَغْفِرُ لِأَبِي طَالِبٍ حَتَّى يَنْتَهَانِي »

عَنْهُ رَبِّي ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : لِنَسْتَغْفِرَنَّ لَابَائِنَا كَمَا اسْتَغْفِرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (تَبَرَّأ مِّنْهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْ عَمَّ إِنَّكَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقًّا ، وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًا ، وَلَا تَنْتَ أَعْظَمُ عَلَيَّ حَقًّا مِنْ وَالِدِي ، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِيبُ لِي بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهَا ، فَنِعَ مِنْ ذَلِكَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل ، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى تخمنت عليه الشمس ، رجاء أن يؤذن له ، فيستغفر لها ، حتى نزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (تَبَرَّأ مِّنْهُ) .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رَسْمًا ، قال : وأكثر ظني أنه قال قبراً ، فجلس إليه ، فجعل يخاطب ، ثُمَّ قَامَ مُسْتَعْبِرًا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَرَأَيْتَا مَا صَنَعْتَ ، قَالَ : لَأَتِيَّ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي ، فَأَذِنَ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهَا ، فَلَسَمَّ يَا ذَنْ لِي ، فَارَوَى بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) . . . إِلَى (أَسْتَأْذِنُكُمْ أَصْحَابُ الْحَجَّيمِ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلَ اللَّهِ قَدِ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ) . . . إِلَى (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لمه تاهم من المشركين ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثني عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الْآيَةَ ، فَكَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَمْسَكُوا عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لِأَمْوَاتِهِمْ ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْأَحْيَاءِ حَتَّى يَمُوتُوا ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ (وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ) . . . الْآيَةَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا من كان يُحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفي بالذم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى والله ، لا تستغفرون لأبي كما استغفرت إبراهيم لأبيه ، قال : فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . . . حتى بلغ (الجحيم) ، ثم عذر الله إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فسلمنا تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قال : وذكر لنا أن نبي الله قال : أوحى إلى كلمات ، فدخلن في أذني ، ووقرن في قلبي ، أمرت ألا أستغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على كثاف .

واختلف أهل العربية في معنى قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار ، وكذلك معنى قوله (وما كان لينفس أن تؤمن) وما كان لنفس الإيمان إلا بإذن الله . وقال بعض نحوي الكوفة : معناه : ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم ، قال : وكذلك إذا جاءت أن مع كان ، فكلها بتأويل ينبغي ، ما كان لني أن يغل : ما كان ينبغي له ، ليس هذا من أخلاقه ، قال : فلذلك دخلت أن تدل على الاستقبال ، لأن ينبغي تطلب الاستقبال . وأما قوله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فإن أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه ، فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ، ظنا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن ، قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن إبراهيم ، قال : (سلام عليك سألستغفرك ربّي إنّه كان لي حقيبا) ، وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسنذكر عن لم تذكره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي قال : سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ، قال : فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فأنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم) . . . إلى (تبرأ منه) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان ، حتى نزلت (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) . . . إلى قوله (تبرأ منه) ، وقيل (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) ، ومعناه : إلا من بعد موعدة ، كما يقال : ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا ، بمعنى : من بعد ذلك السبب ، أو من أجله ، فكذلك قوله (إلا عن موعدة) : من أجل موعدة وبعدها .

وقد تأول قوم قول الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا

أولى قُرْبَى) . . . الآية ، أن النَّهَى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد ماتهم ، لقوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) وقالوا : ذلك لا يتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حتى ، فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر الرقى ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثورى ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودى ، وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ، فقال : كان ينبغي له أن يمشى معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حيا ، فإذا مات وكله إلى شأنه ، ثم قال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : لم يدع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل نصرانى ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأثبت ابن عباس ، فذكرت ذلك له فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنه واستغفر له ، ثم تلا (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) . . . الآية .

وتأول آخرون الاستغفار فى هذا الموضع بمعنى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، قال : ثنا حبيب ابن أبى مرزوق ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا ، لأنى لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول الله (ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين) . وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار ، الذى هو دعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عصمة بن راشد ، عن أبىه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلا استغفر لأبى هريرة ولأمه ، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، إن أبى مات وهو مشرك . قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى الاستغفار : مسألة العبد ربه غفر الذنوب ؛ وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ، لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا ، لأن الله عم بالنهى عن الاستغفار للمشرك بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له .

وأما قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) فإن معناه : ما قد بينت من أنه من بعد

ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار ، وقيل : أصحاب الجحيم ، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها ، كما يقال لسكان الدار : هؤلاء أصحاب هذه الدار ، بمعنى سكانها .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) قال : تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات ، أن التوبة قد انقطعت عنه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تبين له حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه ، يعني في قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . . .) الآية . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركا بالله ، تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه ، حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) يعني استغفر له ما كان حيا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالوا : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا البراء بن عتبة ، عن أبيه ، عن الحكم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)
قال : حين مات ولم يؤمن .
حدثنى المنبى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : موته وهو كافر .
قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) لما
مات على شركه تبرأ منه .
حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول فى قوله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن
يؤمن أبوه ما دام حيا ؛ فلما مات على شركه تبرأ منه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : موته وهو كافر .
حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله ،
فلم يستغفر له .
قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن على بن بزيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) قال : فلما مات .
وقال آخرون : معناه : فلما تبين له فى الآخرة ، وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط ،
فيمر به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه حانت من إبراهيم التفاتة ، فإذا هو بأبيه فى صورة قرد أو ضبع ، فخلى
عنه ، وتبرأ منه حينئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن على ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا عبد الله بن سليمان ، قال : سمعت سعيد
ابن جبير يقول : إن إبراهيم يقول يوم القيامة : ربّ والدى ، ربّ والدى ، فإذا كان الثالثة أخذ بيده ،
فياثفت إليه وهو ضبعان ، فيتبرأ منه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد بن عمير ، قال : « إنكم مجموعون يوم
القيامة فى صعيد واحد يسمعكم الداعى ، وينفذكم البصر ، قال : فزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا
نبي مرسل إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه ، قال : فحسبته يقول : نفسى نفسى ، قال : ويضرب الصراط

على جسر جهنم كحدّ السيف، وحضر من له وفي جانبه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان ، قال : فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال ، والملائكة يقولون : ربّ سلّم سلّم ، فجاج سالم ، ومخدوش ناج ، ومكدوس في النار ، فيقول إبراهيم لأبيه : إني كنت أمرك في الدنيا فتعصيتني ، ولست تاركك اليوم ، فخذ بحقّي ، فياخذ بضبعيه ، فيمسخ ضبعاً ، فإذا رآه قد مسخ تبرأ منه .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول الله ، وهو خبره عن إبراهيم ، أنه لما تبين له أن أباه لله عدو ، تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدو ، وهو به مشرك ، وهو حال موته على شركه .

القول في تأويل قوله

(إن إبراهيم لأواه حليم) :

اختلف أهل التأويل في الأواه ، فقال بعضهم : هو الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله ، قال : الأواه : الدعاء .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله قال : الأواه : الدعاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زير بن حبيش ، قال : سألت عبد الله عن الأواه ، فقال : هو الدعاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله مثله .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأواه : الدعاء . قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله مثله . حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : نبئت عن عبيد بن عمير ، قال : الأواه : الدعاء .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبيه ، قال : الأواه : الدعاء .

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن

أبي العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن الأواه ، فقال : الرحيم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار يحدث ، عن أبي العبيدين : رجل ضرير البصر ، أنه سأل عبد الله عن الأواه فقال : الرحيم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المخاربي ، وحدثنا خلاد بن أسلم ، قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا ، عن المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود ، فقال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم . حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، أنه جاء إلى عبد الله ، وكان ضرير البصر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له ، قال : أخبرني عن الأواه ، قال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سألت عبد الله عن الأواه ، فقال : هو الرحيم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، قال : جاء أبو العبيدين إلى عبد الله ، فقال له : ما حاجتك ؟ قال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين رجل من بنى سؤاة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فسأله عن الأواه ، فقال له عبد الله : الرحيم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، قال : الأواه : الرحيم .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عليه ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بنى نمير ، قال : يعقوب كان ضرير البصر ، وقال ابن وكيع : كان مكفوف البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : الأواه : الرحيم .

قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفیان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : هو الرحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدث إن الأواه : الرحيم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن إبراهيم لأواه ،

قال : رحيم .

قال عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ،

قال : الأواه : الرحيم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البَطِينِ ، عن أبي العبيدين ، أنه سأَلَ عبد الله ، عن الأَوَاهِ ، فقال : الرحيم .

قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأَوَاهِ : الرحيم .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : الأَوَاهِ : الرحيم بعباد الله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو خيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأَوَاهِ : الرحيم ، بِلِسَانِ الحَبْشَةِ .
وقال آخرون : بل هو الموقِن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن ، بِلِسَانِ الحَبْشَةِ .

قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن ، بِلِسَانِ الحَبْشَةِ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : سمعت سفيان ، يقول : الأَوَاهِ : الموقِن . وقال بعضهم الفقيه الموقِن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن ، بِلِسَانِ الحَبْشَةِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : هو الموقِن بِلِسَانِ الحَبْشَةِ .

قال : ثنا ابن نمير ، عن الثَّوْرِيِّ ، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثَّوْرِيُّ ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الأَوَاهِ : الموقِن .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد آواه : موقِن .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : آواه ، قال : مؤمِّن موقِن .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأواه : الموقن . وقال آخرون : هى كلمة بالحبشية معناها : المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأواه : هو المؤمن بالحبشة .
حدثنا على بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) يعنى : المؤمن التواب .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : المؤمن .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : الأواه : المؤمن بالحبشة . وقال آخرون : هو المسيح الكثير الذكر لله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : الأواه : المسيح .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق ، أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « إِنَّهُ أَوَّاهٌ » .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن ابن كهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن على بن رباح ، عن عقبه بن عامر ، قال : الأواه : الكثير الذكر لله . وقال آخرون : هو الذى يكثر تلاوة القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا المهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء : عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتا ، فقال « يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إِنَّ كُنْتَ لَأَوَّاهًا » يعنى تلاء للقرآن .

قال آخرون : هو من التأوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى يونس القشيري ، عن قاص كان بمكة ، أن رجلا كان فى الطواف ، فجعل يقول : أوه ، قال : فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « دَعَهُ إِنَّهُ أَوَّاهٌ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى يونس

الباهلي ، قال : سمعت رجلا بمكة كان أصله روميا يحدث عن أبي ذر ، قال : كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوّه أوّه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّهُ أَوْاهٌ » . زاد أبو كريب في حديثه ، قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحبيب ، عن جعفر بن سليمان ، قال : ثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : الأواه : إذا ذكر النار قال أوّه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن عبد الصمد القسبي ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : كان إذا ذكر النار قال : أوّه . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنا أبو عمران ، قال : سمعت عبد الله بن رباح الأنصاري يقول : سمعت كعبا يقول : إن إبراهيم لأواه ، قال : إذا ذكر النار قال : أوّه من النار .

وقال آخرون : معناه : أنه فقيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إن إبراهيم لأواه) قال : فقيه . وقال آخرون : هو المتضرع الخاشع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، قال رجل : يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : المتضرع ، قال (إن إبراهيم لأواه حليم) » .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأواه : الخاشع المتضرع » .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله عبد الله بن مسعود ، الذي رواه عنه زير أنه الدعاء . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ، ووصف به إبراهيم خليله ، صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه ، فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبسّين له أنه عدو لله تبرأ منه) وترك الدعاء والاستغفار له ، ثم قال : إن إبراهيم لدعاء لربه ، شاك له ، حليم عن سببه وناله بالمكروه ، وذلك أنه صلوات الله عليه ، وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاء الله له بالمغفرة ، عند وعيد أبيه إياه ، وتهده له بالشتم بعد ما رده عليه نصيحته في الله ، وقوله (أرأيت أنت عن آلهمي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك ، وأهجرني مليا) فقال له صلوات الله عليه (سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حقيقيا ، وأعتزلكم)

وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُوا رَبِّي، عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِبِدْعَاءِ رَبِّي شَقِيبًا، فوفى لأبيه بالاستغفار له، حتى تبين له أنه عدو لله، فوصفه الله بأنه دعاء لربه، حلیم عن سقمه عليه، وأصله من التأوه وهو التضرع، والمسألة بالحزن والإشفاق، كما روى عبد الله بن شداد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكما روى عقبه بن عامر الخبر الذي حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن كلبية، قال: ثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن عقبه بن عامر: أنه قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه، وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء، ويرفع صوته، ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تتأوه؟ كما قال المثقب العبدى:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأْوَهُ أَهْمَةُ الرَّجُلِ الْخَزِينِ^١

ومنه قول الجعدي:

ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تَكْبَعُ الْوُرُقَ بَعْدَمَا يُعْرَسُنَ تَشْكُو أَهْمَةً وَتَدْمُرُ^٢

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل، وإنما تقول فيه: تفعلل يتفعل، مثل تأوه يتأوه، وأوه يؤوه، كما قال الراجز:

فَأَوْهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهُ^٣

وقالوا أيضا: أوه منك، ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده:

فَأَوْهٍ مِينَ الذِّكْرَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضِ بَيْتِنَا وَسَمَاءِ^٤

قال: وربما أنشدنا: فأوه من الذكرى بغير هاء، ولو جاء فعل منه على الأصل لكان آه يثوه أوها، ولأن معنى ذلك: توجع وتحزن وتضرع. اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذي ذكرت، فقال من قال: معناه الرحمة، إن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس.

(١) البيت للمثقب العبدى (اللسان: أوه). قال: قال ابن سيده: وقد تأوه آها وآهة. قال المثقب: إذا ما قتت... البيت قال ابن سيده: وعندي أنه وضع الاسم موضع المصدر، أى تأوه تأوه الرجل. قال: ويروى: تهوه هاهة الرجل الخزين. ويروى: آهة (بشد الهاء) من قولهم (أه بالتشديد) أى توجع.

(٢) البيت للتأفة الجعدي من رأيته المشهورة، أوردها صاحب بجمرة أشعار العرب طبعة بولاق ص ١٤٥: وروايتها عنده؛ ولعلها أوثق الروايات:

خَنْوْفٌ مَرُوحٌ تَعَجَلُ الْوُرُقَ بَعْدَمَا تُعْرَسُنَ تَشْكُو أَهْمَةً وَتَدْمُرُ^٥

وقال في شرحه: الخنوف: لينة اليدين في السير. والآهة: التأوه. ورواه ابن قتيبة في كتاب (المعاني الكبير، طبع الهند سنة ١٩٤٩ ص ٢١٥) باختلاف في قوله «يعرسن شكوى» وقال في شرحه: الخنوف: التي ترمى بيديها إلى وحشها. والمروح: التي تمرح. والورق: القطا. تعجلهن: أى تذرهن إذا عرسن من آخر الليل، توقظهن. آهة: يعنى تأوها. والضروح في رواية الطبرى: وصف للناقة، يقال ضرحمت الدابة برجلها تضرح ضرحا وضراحا. فهى ضروح، إذا رحمت، وهو من صفات الخيل، ولذلك كانت رواية خنوف أليق بالمقام. والمروح: من المرح، وهو النشاط أو التبختر والاختيال. والنون في «يعرسن» راجعة إلى الورق. والتذمر: التنفص ورفع الصوت. والعبارة الأخيرة من صفة الناقة.

(٣) أوه: تأوه وصاح: وضوضى: نبج وصاح. ولم نقف على قائله.

(٤) البيت في (لسان العرب: أوه) قال: وأوه (بشد الواو وسكون الهاء) وأوه (بسكون الواو وكسر الهاء): كلمة معناه التحزن. وأنشد الفراء في أوه: «فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها». البيت. ويررى: فأوه (بتشديد الواو المكسورة) ويروى: فآه لذكراها. وقوله «من الذكرى»: قال الفراء أنشده أبو الجراح: «فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتها».

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذي أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربه ، وكل ذلك عائد إلى ما قلت ، وتقارب معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الخزين المتضرع إلى ربه ، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ، ودعائه إياه في حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التي وجه المفسرون إليها تأويل قول الله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

القول في تأويل قوله

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ (١١٥)

يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضللال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه ، فتتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالضللال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي ، فأما من لم يؤمر ولم ينه ، فغير كائن مطيعاً أو عاصياً ، فيما لم يؤمر به ، ولم ينه عنه . (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم ، عند نهى الله إياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين ، من الخزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم ، قبل تقدمه إليكم بالنهي عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ، ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته ، فافعلوا أو ذروا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذروا .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبْصِرِينَ كَلِمًا مَا يُتَّقُونَ) قال : يبين الله للمؤمنين في ألا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

القول في تأويل قوله

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)

يقول تعالى ذكره إن الله أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما ، وكل من دونه من الملوك فعبده ومماليكه ، بيده حياتهم وموتهم ، يحيي من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بي من الملوك ، ملوك الروم كانوا ، أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي ، فإنني المعز من أشاء منهم ومنكم ، والمذل من أشاء ، وهذا حصن من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك ، وإغراء منه لهم بحريهم .

وقوله (وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله ، يظاھرکم عليه إن أنتم خالفتم أمر الله ، فعاقبكم على خلافكم أمره ، يستنقذكم من عقابه ، ولا نصير ينصرکم منه ، إن أراد بكم سوءا . يقول : فبالله فتقوا ، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا في سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم ، بأن لكم الجنة ، (تقاتلون في سبيله ، فتقتلون وتقتلون) .

القول في تأويل قوله

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ

يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ، وأنصار رسوله في الله ، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم ، من النفقة والظهر والزاد والماء (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك في دينه ، ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه . (ثم تاب عليهم) يقول : ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم (إنه بهم رءوف رحيم) يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك ، لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة ، رءوف بهم رحيم أن يهلكهم ، فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء والضراء .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) فِي غزوة تبوك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل (فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) قال : خرجوا في غزوة تبوك : الرجلان والثلاثة على بعير ، وخرجوا في حر شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم ، فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءها ، وكان ذلك عُسْرَةً من الماء ، وعُسْرَةً من الظهر ، وعُسْرَةً من النفقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (سَاعَةَ الْعُسْرَةِ) قال : غزوة تبوك . قال : العسرة : أصابهم جهد شديد حتى إن الرجلين ليشقان التمرة بينهما ، وإنهم ليصنّون التمرة الواحدة ، ويشربون عليها الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) قال : غزوة تبوك .

قال : ثنا زكريا بن عليّ ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) قال : عُسْرَةُ الظهر ، وعُسْرَةُ الزاد ، وعُسْرَةُ الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) . . . الآية ، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قبل الشام في لُهبان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يَمصُّها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، فتاب الله عليهم ، وأقبلهم من غزوهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة ، فقال عمر : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع ، حتى إن الرجل لينحدر بعيره ، فيعصير فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع لنا ، قال : « تحب ذلك ؟ قال نعم ، فرفع يديه ، فلم يرجعهما حتى مالت السماء ، فأظلت ، ثم سكبت ، فثلثوا ما معهم ، ثم رجعنا ننظر ، فلم نجد ما جاوزت العسكر » .

حدثني إسحاق بن زيادة العطار ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « قيل لعمر بن

الخطاب رحمة الله عليه : حدثنا عن شأن جيش العُسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

القول فى تأويل قوله

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ، وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل ، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه (وَأَخْرَجُوا مُرَجُوتَ لِمَ مَرِ اللَّهُ ، إِمَّا يُعَدُّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَنْتُوبَ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فتاب عليهم عز ذكره ، وتفضل عليهم . وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عن تاب عليه ، ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن سمع عكرمة ، فى قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : خلفوا عن التوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله (خَلَفُوا) فخلفوا عن التوبة ، (حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) يقول : بسعتها نعمًا وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) بما نالهم من الوجد والكرب بذلك : (وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ) يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شىء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء ، بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربه ، ولا مما يجذرون من عذاب الله إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته ، والانتباه إلى أمره ونهيه . (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته ، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه .

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، فى قوله

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .

حدثني عبيد بن الوراق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بنحوه ، إلا أنه قال : ومُرارة بن الربيع ، أو ابن ربيعة ، شك أبو أسامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : أُرَجِّئُوا فِي أَوْسَطِ بَرَاءة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : الذين أُرَجِّئُوا فِي أَوْسَطِ بَرَاءة ، قوله (وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) هلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) الذين أُرَجِّئُوا فِي وَسْطِ بَرَاءة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : الذين أُرَجِّئُوا .

قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : (الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا) : كعب ابن مالك وكان شاعرا ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصار .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر والمحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال ابن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هاشم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع : كلهم من الأنصار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . . . إلى قوله (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) كعب بن مالك ، وهلال

ابن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، تخلفوا في غزوة تبوك ، ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية فقال : لا أطلقها أو لا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه إن شاء . وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك ، فجعله صدقة في سبيل الله ، وقال : والله لا أطعمه . وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ، ترفعه أرض ، وتضعه أخرى ، وقدماه تشلشان دما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبي مالك ، قال : الثلاثة الذين خَلَفُوا : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومُرارة بن ربيعة .

قال : ثنا أبو داود الحَفْرِيُّ ، عن سلام أبي الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) قال : هلال بن أمية ، ومُرارة ، وكعب بن مالك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، قال : قال كعب بن مالك : ما كنت في غزاة أيسر للظهور والنفقة منى في تلك الغزاة ، قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أتجهز غدا ثم ألقه ، فأخذت في جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ؛ فلما كان اليوم الثالث أخذت في جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيات ، سار الناس ثلاثا ، فأقمت ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجيئت حتى قمت بين يديه ، فقلت : ما كنت في غزاة أيسر للظهور والنفقة منى في هذه الغزاة ، فأعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس ألا يكلمونا ، وأمرت نساؤنا أن يتحوكن عنا ، قال : فتسورت حائطا ذات يوم ، فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أي جابر نَشَدْتُكَ بالله : هل علمتني غششت الله ورسوله يوما قط ، فسكت عني ، فجعل لا يكلمني ، فبينما أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلا على الثنية يقول : كعب كعب ، حتى دنا مني ، فقال : بشروا كعبا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيثلة ، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) . . . الآية ، والثلاثة الذين خلفوا : رهط ، منهم كعب بن مالك ، وهو أحد بنى سلمة ؛ ومُرارة بن ربيعة ، وهو أحد بنى عمرو بن عوف ؛ وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ، في بضعة وثمانين رجلا ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صدقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وباعهم ، ووكلهم في سائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خَلَفُوا ، وقال لهم حين حدثوه حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم : « قَدْ صَدَقْتُمْ ، فَاقْبَلُوا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكُمْ » فلما أنزل الله القرآن ، تاب على الثلاثة ، وقال للآخرين (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُعْرَضُوا عَنْهُمْ) . . . حتى بلغ (لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيهِ حين عمي ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تواقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفاز، واستقبل عدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجه الذي يريد، والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد بذلك الديوان، قال كعب: فارجل يريد أن يتغيب إلا يظن أن ذلك سيخفى، ما لم ينزل فيه وحى من الله، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وأنا إليهما أصغر، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فلم أقض من جهازي شيئا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتأدى، حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل، فأدركتهم، فباليثني فعلت، فلم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزني أني لأرى لي أسوة، إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق، أو رجلا من عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برده، والنظر في عطفه، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُنْ أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر، فلمزه المنافقون، قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرتني همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بم أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأى من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدا، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس؛ فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويخلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووَكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابست ظهرك؟ قال: قلت يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدًا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن

يسخظك على ، ولئن حدثتكَ حديث صدق تجد على فيه ، إنى لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لى عذر ،
والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هَذَا
فَقَدْ صَدَقَ ، قُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ ، فقمتم ، وثار رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى وقالوا :
والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عَجَزْتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، قال : فوالله
ما زالوا يؤنبوننى ، حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى ، قال : ثم
قلت لهم : هل لى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان ، قال ما مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل
لك ، قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع العامرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، قال : فذكروا لى
رجلين صالحين قد شهدا بدرا ، لى فيهما أسوة ، قال : فضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أئبها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، قال : فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا
حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى
فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ، فكنيت أشب القوم وأجلدهم ، فكنيت أخرج ، وأشهد الصلاة ،
وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه
بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرك شفثيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت
على صلاتى نظر إلى وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى
تسورت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى ، وأحب الناس لى ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام ،
فقلت : يا أبأ قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، قال : فعدت فناشدته . فسكت ، فعدت
فناشدته ، فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عينائى ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، فبينما أنا أمشى فى سوق
المدينة ، إذا بنبى من نبط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ، قال :
فطفيق الناس يشيرون له ، حتى جاءنى ، فدفع لى كتابا من ملك غسان ، وكنيت كاتبها ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد
فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك ، قال :
فقلت حين قرأته . وهذا أيضا من البلاء ، فتأملت به التنور فسجرت به ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين
واستلبت الوحى ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرك أن تعزل امرأتك ، قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعزلها ، فلا تقر بها ، قال :
وأرسل لى صاحبى بذلك ، قال : فقلت لامرأتى : الحق بأهلك تكونى عندهم ، حتى يقضى الله فى هذا
الأمر ، قال : فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ
ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : « لا ، ولكن لا يقرُبَنَّكَ » قالت : فقلت : إنه والله
ما به حركة لى شىء ، ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان لى يومه هذا . قال : فقال لى بعض
أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ، قال : فقلت

لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يُدْرِيني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا ، قد ضاقت على نفسي ، وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أُبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبيل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي ، فكسوتهما إياه يبشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجا فوجا ، يهتفون بالتوبة ، ويقولون : لَسْهَنَكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول ، حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَكِدْتَكَ أُمُوكَ » . فقلت : أمين عندك يا رسول الله ، أم من عند الله ؟ قال « لا بَلْ مِينَ عِنْدِ اللَّهِ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أُمْسِكْ بَعْضَ مَا لَيْكَ ، فَهَوَّ خَيْرٌ لَّكَ » قال : فقلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخير ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، قال : فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني أرجو أن يحفظني الله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي ، قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ) . . . حتى بلغ (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . . . إلى (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط ، بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسي ، من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد (سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، لَأَنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال كعب : خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين خلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ)

الَّذِينَ خَسَفُوا) وليس الذى ذكر الله مما خَلَفْنَا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : لم تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها إلا بدر ، ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السلمى ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب ، وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه ، حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها ، غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه .

القول فى تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفتهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، اتقوا الله وراقبوه ، بأداء فرائضه ، وتجنب حدوده ، وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة ، يعنى مع من صدق الله الإيمان به ، فحقق قوله بفعله ، ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قلوبهم فعلهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة ، باتقاء الله فى الدنيا ، كما قال جل ثناؤه (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) .

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافع بأى وجه الكون كان معهم ، إن لم يكن عاملا عملهم ، وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم كان لاوجه فى الكلام أن يقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسّر ذلك من فسر من أهل التأويل ، بأن قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو مع النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم .

ذكر من قال ذلك أو غيره في تأويله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، في قول الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حَبَّوِيه أبو يزيد ، عن يعقوب القُسمي ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، قال : قيل للثلاثة الذين خُلفوا (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) محمد وأصحابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما ، رحمة الله عليهم .

قال : ثنا محمد بن يحيى ، قال : ثنا إسحاق بن بشر الكاهلي ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبي بكر وعمر ، رحمة الله عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع المهاجرين الصادقين . وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه (وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) ويتأوله أن ذلك نهى من الله عن الكذب .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة ابن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لا يخل منه جيد ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم : (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : وكذلك هي قراءة ابن مسعود : من الصادقين ، فهل ترون في الكذب رخصة ؟ .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة يحدث ، عن عبد الله قال : الكذب لا يصلح منه جيد ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) وهي كذلك في قراءة عبد الله ، فهل ترون من رخصة في الكذب ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : لا يصلح الكذب في هزل ولا جيد ، ثم تلا عبد الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا) ما أدرى أقال (مِنَ الصَّادِقِينَ) أو (مَعَ الصَّادِقِينَ) وهو في كتابي (مَعَ الصَّادِقِينَ) .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

❖ والصحيح من التأويل في ذلك : هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك ، وذلك أن رسوم المصحف

كلها مجمعة على (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ، وهى القراءة التى لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها ، وتأويل عبد الله ، رحمة الله عليه ، فى ذلك على قراءته ، تأويل صحيح ، غير أن القراءة بخلافها .

القول فى تأويل قوله

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حولهم من الأعراب سكان البوادي ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ، ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، فى صحبته فى سفره ، والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانیه فى غزوه ذلك . يقول : إنه لم يكن لهم هذا . بأنهم ، من أجل أنهم ، وبسبب أنهم لا يصيبهم فى سفرهم إذا كانوا معه ظمأ ، وهو العطش ولا نصب ، يقول : ولا تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته ، وهدم منار الكفر (وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا) يعنى أرضاً ، يقول : ولا يطئون أرضاً يغيظ الكفار وطوهم إياها (وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا) : يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيئاً فى أمرهم وأنفسهم وأولادهم ، إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه . (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) : يقول : إن الله لا يدع محسناً من خلقه أحسن فى عمله ، فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، أن يجازيه على إحسانه ، ويشبهه على صالح عمله ، فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر فى هذه الآية : الثواب على كل ما فعل ، فلم يضيع له أجر فعله ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلفه ، فيقعد عنه ، إلا من كان ذا عذر ، فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلفه ، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) : هذا إذا غزا نبي الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا تَخَلَّفْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكَيْتِي لِأَجْدِ سَعَةٍ ، فَاَنْطَلِقُ بِهِمْ مَعِيَ ، وَيَشُقُّ عَلَيَّ أَوْ أَكْرَهُ أَنْ أَدْعَهُمْ بَعْدِي . »

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ، والفزاري ، والسبيعي ، وابن جابر ، وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) . . . إلى آخر الآية : إنها لأول هذه الأمة وآخرها ، من المجاهدين في سبيل الله .

وقال آخرون : هذه الآية نزلت وفي أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء ، فقال (وما كان المؤمنون ليستفروا كافةً) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) فقرأ حتى بلغ (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) قال : هذا حين كان الإسلام قليلا ، فلما كثر الإسلام بعد ، قال (وما كان المؤمنون ليستفروا كافةً ، فلو لا نمر من كل فرقة منهم طائفة) . . . إلى آخر الآية .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن الله عني بها الذين وصفهم بقوله (وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم) . . . الآية ، ثم قال جل ثناؤه : ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولا لمن حولهم من الأعراب ، الذين قعدوا عن الجهاد معه ، أن يتخلفوا خلفه ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه ، إلى الشحوص ، إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده ، فلم يكن لمن قدر على الشحوص التخلف ، فعدّ جل ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا ، وعدّ من كان تخلفه لعذر ، وتاب على من كان تخلفه تفريطا ، من غير شك ولا ارتياب في أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه في حال استغنائه ، فلم يكن محظورا ، إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم ، فليس يفرض على جميعهم النهوض معه ، إلا في حال حاجته إليهم لما لا بد للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم ، واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته ، وإذا كان ذلك معنى الآية ، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى ، إذ لم تكن إحداهما نافية حكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجه الحججة بأن إحداهما ناسخة للأخرى .

وقد بينا معنى الخمصة ، وأنها الحجاعة بشواهد ، وذكرنا الرواية عن قال ذلك في موضع غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا . وأما النيل : فهو مصدر من قول القائل : نالني ينالني ، ونلت الشيء : فهو منيل ، وذلك إذا كنت تناهه بيدك ، وليس من تناول ، وذلك أن تناول من النوال ، يقال منه : نلت له ، أنول له ، من العطية ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : النيل مصدر من قول القائل : نالني بخير

ينولنى نوالا ، وأنالنى خيرا إنالة ، وقال : كأنّ السّيل من الواو ، أبدلت ياء نخفها وثقل الواو ، وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت ، وانفتح ما قبلها ، كتقولهم : القول ، والعول ، والحول ، ولو جاز ما قال بلخاز القليل .

القول فى تأويل قوله

وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ، وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ
أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)

يقول تعالى ذكره : ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ، وسائر ما ذكر ، ولا ينالون من عدو نيلا ، ولا ينفقون نفقة صغيرة فى سبيل الله ، ولا يقطعون مع رسول الله فى غزوه واديا ، إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك ، جزاء لهم عليه ، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم ، التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) . . . الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهلهم فى سبيل الله بعبدا ، إلا ازدادوا من الله قربا .

القول فى تأويل قوله

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَّقَهُوا
فِي الدِّينِ ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا . وقد بيّنا معنى الكافة بشواهد وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما انفروا الذى كرهه لجميع المؤمنين ؟ فقال بعضهم : هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام ، فلما نزل قوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ) انصرفوا عن البادية إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، ومن عصى بالآية ، فأنزل الله فى ذلك عندهم بقوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) ، قال : ناس من

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي ، فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الحصب ما ينتفعون به ، ودَعَوْا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا ، وأقبلوا من البادية كلهم ، حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله (فَكَلَّوْا نَفَرَ مِّنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يبتغون الخير (لِيَتَفَقَّهُوْا) وليسمعوا ما في الناس ، وما أنزل الله بعدهم (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ) الناس كلهم (إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال في حديثه : فقال الله (فَكَلَّوْا نَفَرَ مِّنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) خرج بعض ، وقعد بعض ، يبتغون الخير .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحو حديثه ، عن أبي حذيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد نحو حديث المثنى ، عن أبي حذيفة ، غير أنه قال في حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وقال (لِيَتَفَقَّهُوْا) ليسمعوا ما في الناس .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوهم ، ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) قال : ليذهبوا كلهم ، فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة ليتفقهوا في الدين ، ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين ، ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده (فَكَلَّوْا نَفَرَ مِّنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يعني عصابة ، يعني السرايا ، ولا يتسروا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا ، وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا ، وقد تعلمناه ، فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ، ويبعث سرايا آخر ، فذلك قوله (لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ) يقول : يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ، ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ، لعلهم يحذرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كافّةً) ... إلى قوله (لَعَلَّاهُمْ يَحْذَرُونَ) قال : هذا إذا بعث نبيّ الله الجيوش أمرهم أن لا يُعسروا نبيه ، وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها ، وتحذّرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

حدثنا الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . الآية ، كان نبيّ الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر ، وكان إذا أقام فأسرت السرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه ، فكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبيّ الله على أصحابه القاعدين معه ، فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرءونهم ، ويفقهونهم في الدين ، وهو قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يعنى بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبيّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيّ الله تسرت السرايا ، وقعد معه معظم الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون ، ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون ، لنفر بعض ليتفقه في الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) فإنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضّر بالسنين ، أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تُقبّل بأسرها ، حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ، ويعتسوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائريهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله (وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قول ثالث ، وهو ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّاهُمْ يَحْذَرُونَ) قال : كان ينطلق من كلّ حيّ من العرب عصابة فيأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون لنبيّ الله : ماتأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا ما نقول لعشائرينا إذا انطلقنا إليهم ، قال فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : أن من أسلم فهو منا وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعرف أباه وأمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم بالجنة .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله للمنافقين أزرّوا بأعراب المسلمين ، وعزّروهم في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .
ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) . . . إلى (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ، فنزلت (وما كان المؤمنون لينتفروا كافة) . . . إلى (لعنهم يحدّرون) ، ونزلت (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة) . . . الآية .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا سليمان الأحول عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت (إلا تنفروا بعد بكم عدّاباً أليماً) - وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) . . . إلى قوله (لينتفروا) الله أحسن ما كانوا يعملون قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ، ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو ، إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله (وما كان المؤمنون لينتفروا كافة) ، فكلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة) . . . إلى قوله (لعنهم يحدّرون) ، ونزلت (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) . . . الآية .

واختلف الذين قالوا : عنى بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية ، وترك النبي عليه الصلاة والسلام وحده في المعنيين بقوله (لينتفروا في الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فقال بعضهم : عني به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : معنى الكلام : فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون في الدين ، وليندروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ، وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبي عروبة .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فكلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) . . . الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله (وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم) يقول : ليندروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقاتدة (وما كان المؤمنون لينتفروا كافة) قالوا : كافة ويدعوا النبي صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرة المتخلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فكلوا نفر من

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) قال : ليتفقوا الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : تأويله : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ، ولكن عليهم إذا سرت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفروا معها من كل قبيلة من قبائل العرب ، وهى الفرقة ، طائفة ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ، كما قال الله جل ثناؤه (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) يقول : فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، وهذا إلى هاهنا على أحد الأقوال التى رويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة . وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف

رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الأعراب لغير عنر يُعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ؛ ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرفهم فى الآية التى قبلها اللانهم من فرض النفس ، والمباح لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخصه عن مدينته لجهاد عدو ، وأعلمهم أنه لايسعهم التخلف خلفه إلا لعذر ، بعد استنهاضه بعضهم ، وتخليفه بعضهم ، أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ، وإشخاص غيره عنها ، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخصه وتخليفه بعضهم .

وأما قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) .

فإن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : ليتفق الطائفة النافرة بما تعين من نصر الله أهل دينه ، وأصحاب رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان ، من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذى نزل بمن شاهدوا وعانوا ، ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك ، إذا هم رجعوا إليهم من غزاهم (لَعَلَّهُمْ يَحذَرُونَ) يقول : لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عانوا من ذلك يحذرون ، فيؤمنون بالله ورسوله ، حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهو قول الحسن البصرى الذى روينا عنه ، لأن النفر قد بينا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشىء ، أن الأغلب من استعمال العرب إياه فى الجهاد والغزو ، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعانى فيه ، وكان جل ثناؤه قال (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) علم أن قوله : ليتفقوا إنما هو شرط للنفر لا لغيره ، إذ كان يليه دون غيره من الكلام .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون في الدين ؟ قيل : ننكر ذلك لاستحالته ؛ وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم ، وترك التفقه ، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا ، لم يكن سببا لمنعهم من التفقه . وبعد ، فإنه قال جل ثناؤه (وَلِيَسْتَذِيرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) عطفنا به على قوله (لِيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ) ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نغرت ، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة ، وقد تساوت في المعرفة بإنذار الله إياهما ، ولو كانت إحداهما جائر أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله ، ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاین المقيمة ، ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيا وقبيلها ، من لم يؤمن بالله ، إذا رجعت إليه ، أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك .

القول في تأويل قوله

يَسَاءَ لِمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ،
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار ، دون من بعد منهم ؛ يقول لهم : ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارا ، دون الأبعد فالأبعد ، وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم ، لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء ، دون الأبعد منهم ، ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام ، فإن اضطروا إليهم لزم عونهم ونصرهم ، لأن المسلمين يدعى من سواهم ، ولصحة كون ذلك ، تأول كل من تأول هذه الآية ، أن معناها لإيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء .

ذكر الرواية بذلك عنهم

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن شبيب بن غرقة ، عن عروة البارقي ، عن رجل من بني تميم ، قال : سألت ابن عمر ، عن قتال الديلم ، قال : عليك بالروم .
حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس عن الحسن (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) قال : الديلم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا عمران أخي ، قال : سألت جعفر بن محمد بن علي بن

الحسين ، فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال : قاتلوهم وربطوهم ، فإنهم من الذين قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم ، فقال (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) : الديلم .

حدثنى على بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يربط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأولان قول الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) قال : كان الذين يلوونهم من الكفار العرب ، فقاتلهم حتى فرغ منهم ، فلما فرغ قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . حتى بلغ (وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب ، قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

وأما قوله (وَلَيَسْجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم . فيكم : أى منكم شدة عليهم . (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) يقول : وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا؟ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول : أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ يقول تصديقا بالله وبآياته ، يقول الله : فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك ، فزادتهم السورة التى أنزلت إيماناً ، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .

فإن قال قائل : أو ليس الإيمان فى كلام العرب : التصديق والإقرار؟ قيل : بلى . فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقا وإقراراً؟ قيل : زادتهم إيماناً حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها ، والعمل بها بعينها ، إلا فى جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحق ؛ فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادهم نزول السورة حين نزلت ، من الإيمان والتصديق بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيماناً وتصديقاً ، وكانوا يستبشرون .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : (فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) قال : خشية .

القول في تأويل قوله

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره : (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) : نفاق وشك في دين الله ، فإن السورة التي أنزلت زادتهم رجساً إلى رجسهم ، وذلك أنهم شكروا في أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ، فكان ذلك زيادة شك حادثة ، في تنزيل الله ، لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نكث من أفعالهم ، إلى ما سلف منهم نظيره من النكث والنفاق ، وذلك معنى قوله (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا) يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا (وَهُمْ كَافِرُونَ) : يعني وهم كافرون بالله وآياته .

القول في تأويل قوله

أَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَوَّلًا يَرَوْنَ) فقرأته عامة قراء الأمصار (أَوَّلًا يَرَوْنَ) بالباء ، بمعنى أولاً يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرض النفاق . وقرأ ذلك حمزة (أَوَّلًا تَرَوْنَ) بالفاء ، بمعنى أولاً ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون ؟

والصواب عندنا من القراءة في ذلك : الياء على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه وصحة معناه . فتأويل الكلام إذن : أولاً يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة ، وفي بعضها مرتين . ثم لا يتوبون : يقول : ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله ، والاختبار الذي يعرض لهم ، لا ينيبون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ، ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرون على نفاقهم . واختلف أهل التأويل في معنى الفتنة التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها ، فقال بعضهم : ذلك اختبار الله إياهم بالقسط والشدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
 فى قول الله (يُفْتَنُونَ) قال : يُبْتَلُونَ (فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .
 حدثنى المثنى ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ
 فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبْتَلُونَ بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يُفْتَنُونَ
 فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .
 وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ
 فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبْتَلُونَ بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .
 وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه ، فيفتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن
 حذيفة (أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : كنا نسمع فى كل عام
 كذبة أو كذبتين ، فيضل بها فئام من الناس كثير .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة ، قال :
 كان لهم فى كل عام كذبة أو كذبتان .

﴿ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : أن يقال : إن الله عَجَّبَ عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبخ
 المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكروهم ، وسوء تنبيههم لمواعظ الله التى يعظهم بها ، وجائز أن تكون تلك المواعظ
 الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط ، وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر
 به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم ، وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم ، وخبث
 سرائرهم بركوبهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا خبر
 يوجب صحة بعض ذلك دون بعض ، من الوجه الذى يجب التسليم له ، ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من
 التسليم لظاهر قول الله ، وهو : أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، بما يكون زاجرا لهم ،
 ثم لا ينجرون ولا يتعظون .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نظر بعضهم إلى بعض ، فتناظروا : هل يراكم من أحد إن تكلمتم أولتناجيتهم بمعاب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معانيهم ، ثم ابتداء جل ثناؤه قوله (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين . ذلك (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات ، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه ، استكبارا ونفاقا .

واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام ، فقال بعض نحوِّي البصرة ، قال : نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد؟ كأنه قال : قال بعضهم لبعض ، لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماء وتنبها به ، والله أعلم . وقال بعض نحوِّي الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض : هل يراكم من أحد؟ وقال آخر منهم : هذا النظر ليس معناه القول ، ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام كقول العرب : تناظروا أيهم أعلم ، واجتمعوا أيهم أفقه : أي اجتمعوا لينظروا ، فهذا الذي يجلب الاستفهام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمير بن تميم الثعلبي ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا ، فصرف الله قلوبهم .

قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) . . . الآية ، قال : هم المنافقون .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) : هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم ، قال : وهم المنافقون ، قال : وقرأ (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيسكم زادته هده إيمانا) . . . حتى بلغ (نَظَرَ)

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) أخبره بهذا ، أكان معكم أحد سمع كلامكم ، أحد يخبره بهذا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : لا تنقل انصرفنا من الصلاة ، فإن الله غير قوما فقال : (انصرفوا صرّف الله قلوبهم) ولكن قل : قد صلينا .

القول فى تأويل قوله

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)

يقول تعالى ذكره للعرب : (لَقَدْ جَاءَكُمْ) أيها القوم (رَسُولٌ) الله إليكم (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) تعرفونه لامن غيركم ، فتهموه على أنفسكم فى النصيحة لكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) : أى عزيز عليه عنتكم ، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى . (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) يقول : حريص على هدى ضلالتكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) : أى رفيق (رَحِيمٌ) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، فى قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : لم يصبه شيء من شرك فى ولادته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، فى قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية ، قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : جعله الله من أنفسهم ، ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة .

وأما قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ماضلتم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، قال : ثنا الحكم بن ظهير عن السدى ، عن ابن عباس ،

فى قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : ما ضلتم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عنتت مؤمنكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) عزيز عليه عنتت مؤمنهم .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس ؛ وذلك أن الله عمّ بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنتت قومه ، ولم يخصص أهل الإيمان به ؛ فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به ، عزيزا عليه عنتت جميعهم .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم ، وهو يقتل كفارهم ، ويسبي ذراريهم ، ويسلبهم أموالهم ؟ قيل : إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله ؛ وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يُعنتهم ، وذلك أن يضلوا ، فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي . وأما « ما » التي في قوله (ما عنتتكم) فإنه رفع بقوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ) لأن معنى الكلام ما ذكرت : عزيز عليه عنتكم .

وأما قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) فإن معناه : ما قد بينت ، وهو قول أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) حريص على ضالهم أن يهديه الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

القول في تأويل قوله

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)

يقول تعالى ذكره : فإن تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ، ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى ، فقل حسبي الله ، يكفيني ربي (لا إلهَ إلا هو) لا معبود سواه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) ، وبه وثقت ، وعلى عونته اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى ، وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الذى يملك كل ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده ؛ وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم ، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفى ملكه وسلطانه ، لأن العرش

العظيم إنما يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه فى سلطانه وملكه ، جار عليه حكمه وقضاؤه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) يعنى الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى المؤمنين . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ) فقال عمر : لأسألك عليهما بيعة أبدا ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح الحنفى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ ، يَضَعُ رَحْمَتَهُ عَلَى كُلِّ رَحِيمٍ ، قالوا : يا رسول الله إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا ، قال : وأراه قال : وأزواجنا ، قال : ليس كذلك ، ولكن كُونُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) » أراه قرأ هذه الآية كلها .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهرة ، عن ابن عباس ، عن أبي ، قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهرة ، عن أبي ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآيتين .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبي ابن كعب ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) . . . إلى آخر السورة .

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يونس

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : تأويله أنا الله أرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (الرَّ) : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى عن ابن عباس ، قوله (الرَّ) قال : أنا الله أرى .

وقال آخرون : هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه ، قال : ثنا علي بن الحسين ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة عن ابن عباس (الرَّ ، وحم ، ونون) حروف الرحمن مقطعة .

حدثنا ابن أحمد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان ، قال : ذكر سالم بن عبد الله (الرَّ ، وحم ، ونون) فقال : اسم الرحمن مقطوع ، ثم قال الرحمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبي حماد ، قال : ثنا مندل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، قال (الرَّ ، وحم ، ونون) هو اسم الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن عامر أنه سئل عن (الرَّ ، وحم ، وصر) قال : هي أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلها كانت أسماء من أسماء الله تعالى .

وقال آخرون : هي اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الرَّ) اسم من أسماء القرآن . وقد ذكرنا اختلاف الناس ، وما إليه ذهب كل قائل في الذي قال فيه ، وما الصواب لدينا من

القول فى ذلك فى نظيره ، وذلك فى أوّل سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، وإنما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا ، قوله فى (الم) ، فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك ، فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفياً عن الإعادة ههنا .

القول فى تأويل قوله

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)

اختلف فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تلك آيات التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)

قال : التوراة والإنجيل .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال :

الكتُب التى كانت قبل القرآن .

وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ، ووجه معنى تلك إلى معنى هذه .

وقد بيّنا وجه توجيه تلك إلى هذا المعنى فى سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته ، والآيات الأعلام ، والكتاب اسم من أسماء القرآن ، وقد بيّنا كل ذلك فيما مضى قبل .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب ، لأنه لم يجيء للتوراة والإنجيل قبل ذكر ولا تلاوة

بعده ، فيوجه إليه الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم .

ومعنى الحكيم فى هذا الموضع : المُحكّم صرف مُفعّل إلى فَعِيل ، كما قيل عذاب أليم ، بمعنى مؤلم ، وكما

قال الشاعر :

أَمِينٌ رِيحَانَةٌ الدَّاعِي السَّمِيعُ

وقد بيّنا ذلك فى غير موضع من الكتاب ، فعناه إذن : تلك آيات الكتاب المحكّم ، الذى أحكمه الله وبيّنه

لعباده ، كما قال جل ثناؤه (الر . كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ

لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، قَالَ الْكُفْرُونَ ، إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٢)

يقول تعالى ذكره : أكان عجباً للناس إحيائنا القرآن على رجل منهم بإنذارهم عقاب الله على معاصيه ،

كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر ، فتعجبوا من وحينا إليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لعمر بن معد يكرب الزبيدى (اللسان : سمع) . وهو شاهد على أن السميع بمعنى المسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكروا منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، فأنزل الله تعالى (أكان للناس عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ) . . . وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عجبنا قريش أن بعث رجل منهم ، قال : ومثل ذلك (وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) قال الله (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) :

يقول جل ثناؤه : أكان عجبًا للناس ، أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ، وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق ، عطف على أنذر .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (قَدَمٌ صِدْقٍ) فقال بعضهم : معناه : أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الأعمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : ثواب صدق .

قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : الأعمال الصالحة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبي مغيث عن مجاهد (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : صلاتهم ، وصومهم ، وصدقهم ، وتسبيحهم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمٌ صِدْقٍ) قال : خير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمٌ صِدْقٍ) مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (قَدَمَ صِدْقٍ) : ثواب صدق عند ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ) قال : القدم الصدق : الثواب الصدق بما قدموا من الأعمال .
وقال آخرون : معناه : أن لهم سابق صدق فى اللوح المحفوظ من السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : سبقت لهم السعادة فى الذكر الأول .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيح لهم قدم صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل بن عمرو بن الجون ، عن قتادة أو الحسن (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد شفيح لهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) : أى سلف صدق عند ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال معناه : أن لهم أعمالا سالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكى عن العرب : هؤلاء أهل القدام فى الإسلام : أى هؤلاء الذين قداموا فيه خيرا ، فكان لهم فيه تقديم ، ويقال له عندى قدام صدق وقدم سوء ، وذلك ما قدم إليه من خير أو شر ، ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَّفْنَا لِأَوْلَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعًا
وقول ذى الرمة :

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَتْمَهَا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ ٢

(١) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠) بعناية لجنة جب التذكارية (ص ٥٨ من قصيدة له أحد عشر بيتا ، وهو العاشر فيها) يذكر الأيام الأولى من تاريخ المسلمين فى المدينة : ويذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، والبيت خطاب للرسول .
(٢) البيت لذى الرمة ، أنشده الزمخشرى فى الأساس (قدم) ، قال : ولفلان قدم فى هذا الأمر : سابقة وتقدم . وله قدم صدق ؛ قال ذى الرمة : لكم قدم . . . البيت . والبيت فى ديوانه طبعة كيمبر دج . وروايته فيه « طمت على الفخر » . وقال فى شرحه : أى لكم سابق تقدمت من الخير والفضل والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره . والعاذى : القديم .

فتأويل الكلام إذًا : وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمه خير من الأعمال الصالحة عند ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى

(قال الكافرونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) :

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) بمعنى : إن هذا الذي جئنا به ، يعنون القرآن لسحر مبين . وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين (إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) . وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته ، وصفته عليه ، فالقارئ مخير في القراءة في ذلك ، وذلك نظير هذا الحرف (قال الكافرونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) ولساحر مبين ، وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر ، ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو : فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي ، قال الكافرون إن هذا الذي جاءنا به لسحر مبين .

فتأويل الكلام إذًا : أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم ، أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما أتاهم بوحي الله ، وتلاه عليهم ، قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله إن هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين : أي يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذي له عبادة كل شيء ، ولا تنبغي العبادة إلا له ، هو الذي خلق السموات السبع ، والأرضين السبع في ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير شريك ، ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مدبراً للأمر ، وقاضياً في خلقه ما أحب ، لا يضاده في قضائه أحد ، ولا يتعقب تدبيره متعقب ، ولا يدخل أموره خلل (ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) يقول : لا يشفع عنده شافع يروم القيامة في أحد إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة . (ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول جل جلاله : هذا الذي هذه صفته سيدكم ومولاكم ، لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ، ولا يقضى من الآلهة والأوثان . فاعبدوه : يقول : فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة والربوبية ، بالذلة منكم له دون أوثانكم ، وسائر ما تشركون معه في العبادة (أفلا تذكرون) يقول : أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج ، فتنبهون إلى الإذعان بتوحيد ربكم ، وإفراده بالعبادة ، وتخلعون الأنداد ، وتبرعون منها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)
قال : يقضيه وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزرة ،
عن مجاهد (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) قال : يقضيه وحده .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)
قال : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا، إِنَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : إلى ربكم الذى صفته ما وصف جل ثناؤه فى الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم
القيامة جميعا (وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا) فأخرج وَعَدَّ اللهُ مصدرًا من قوله (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) ، لأن فيه معنى
الوعد ، ومعناه : يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدًا حقا ، فلذلك نصب وعد الله حقا (إِنَّهُ يَبْدُوُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده ، فيوجده
حيا كهينته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته .
قال أبو جعفر : وأحسبه أنه قال : ثم يحييه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد
(يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته ، ثم يحييه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ يَبْدُوُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) : يحييه ثم يميته ، ثم يبدؤه ثم يحييه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

وقرأت قرآء الأمصار ذلك (إنه يُبَدَأُ الخَلْقَ) بكسر الألف ، من إنه على الاستثناف . وذكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه : أنه ، بفتح الألف من أنه ، كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، فأن حينئذ تكون رفعا ، كما قال الشاعر :

أَحَقُّمَا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ زَائِرًا أبا حَبَّسَةَ إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ ١

وقوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ) يقول : ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ، ليجزي الذين آمنوا ، يقول : ليثيب من صدق الله ورسوله ، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال ، واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط ، يقول : ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب ، والصالح من الجزاء في الآخرة ، وذلك هو القسط ، والقسط العدل والإنصاف .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْقِسْطِ) بالعدل .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَرُوا وَكَفَرُوا) فإنه جل ثناؤه ابتداء الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب ، وفيه معنى العطف على الأول ، لأنه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم : كفارهم ومؤمنينهم إليه ؛ ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كل فريق بما عمل ، المحسن منهم بالإحسان ، والمسيء بالإساءة ، ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ، ما يدل سامع ذلك على المراد ابتداء الخبر ، والمعنى العطف ، فقال : والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله ، هم شراب في جهنم من حميم ، وذلك شراب قد أغلى واشتد حره ، حتى إنه فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ليتساقط من أحدهم حين يدينه منه فروة رأسه ، وكما وصفه جل ثناؤه (كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) وأصله مفعول صرف إلى فاعيل ، وإنما هو محموم : أي مسخن ، وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، ومنه قول المرقش :

فِي كُلِّ يَوْمٍ كَلَّمَا مِقْطَرَةً فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ ٣

يعنى بالحميم : الماء المسخن . وقوله (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم مع ذلك عذاب موجه سوي الشراب من الحميم . (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بالله ورسوله .

(١) الشاهد في هذا البيت أن « حقا » مصدر منصوب جار مجرى الظرف ويؤيد ذلك أن العرب نطقت قبله بنى في مثل قولهم « أفي الحق أفي مغرم بك هائم » والمصدر من قوله : « أن لست . . . الخ » مرفوع : إما على أنه فاعل بالظرف ، وهو مذهب سيبويه والأخفش والكوفيين وإما على أنه مبتدأ أو الظرف قبله خبره ، وهو مذهب الخليل ؛ وإما على أنه فاعل للمصدر ، لأنه نائب عن فعله حق ، وهو مذهب المبرد . (انظر عزازة الأدب لعبد القادر البغدادي ١ : ١٩٣) . وفي الحماسة (٣ : ١٧١) بيت يشبه هذا البيت ، لعبد الله ابن الدمينية وهو :

أَحَقُّمَا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ

(٢) البيت للمرقش الأصغر (اللسان : قطر) . قال : والمقطرة : الحجر . وأشد أبو عبيد للمرقش الأصغر : في كل يوم . . . البيت . والحميم : الماء الحار تحم به . والكباء : نوع من البخور . وقد سبق الكلام على هذا البيت في (ج ٧ : ٢٣٤) .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ، لَتَعْلَمُوهُمُ أَعْدَادَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ،
مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) بالنهار (وَالْقَمَرَ نُورًا) بالليل ، ومعنى ذلك : هو الذى أضاء الشمس وأنار القمر . (وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ) : يقول : قضاه فسواه منازل لا يجاوزها ، ولا يقصر دونها ، على حال واحدة أبداً ، وقال (وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ) فوحده ، وقد ذكر الشمس والقمر ، فإن فى ذلك وجهين : أحدهما أن تكون الهاء فى قوله (وَقَدَرَهُ) للقمر خاصة ، لأن بالأهله يعرف انقضاء الشهور والسنين ، لا بالشمس . والآخر : أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، كما قال فى موضع آخر (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) وكما قال الشاعر :

رَمَانِي بِأَمِيرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَسْرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقوله (لَتَعْلَمُوهُمُ أَعْدَادَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يقول : وقد ر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين : دخول ما يدخل منها ، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها ، يقول : وحساب أوقات السنين وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول جل ثناؤه : لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق ، يقول الحق تعالى ذكره : خلقت ذلك كله بحق وحدى ، بغير عون ولا شريك . (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول : بين الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إذا تدبروها ، حقيقة وحدانية الله ، وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، من خلع الأنداد ، والبراءة من الأوثان .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره منها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته ، وأنه خالق كل ما دونه : إن فى اعتقاب

(١) البيت أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ الورقة ١٣٣ ، قال عند قوله تعالى : (جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل) : لم يقل : وقدرهما ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ، لأن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعاً ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر : «رمانى بأمر . . . البيت» . وهو مثل قوله . (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل : أن يرضوهما . وأنشد البيت صاحب اللسان فى «جول» قال ابن برى : البيت لابن أحر . وقيل : هو للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراضى ؛ أى رمانى بأمر عاد عليه قبحه ، لأن الذى يرمى من جول البئر يعود ما رمى به عليه . ويروى ومن أجل الطوى قال : وهو الصحيح ، لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة فى بئر ، فقال خصمه : إنه لص ابن لص فقال هذه القصيدة . وبعد البيت :

دَعَانِي لِيَصًّا فِي نَصُوصٍ وَمَا دَعَا بِهَا وَالْيَدِي فِيهَا مَضَى رَجْلَانِ

والجول : قال أبو عبيد : هو كل ناحية من نواحي البئر إلى أعلاها من أسفلها . والطوى : البئر المبطنة نواحيها بالحجارة .

الليل والنهار واعتقاب النهار الليل، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفى الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صناعاً (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (آيات): يقول الأدلة وحججاً وأعلاماً واضحة، لقوم يتقون الله، فيخافون وعيده، ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم.

فإن قال قائل: أو لادلالة فيما خلق الله فى السموات والأرض على صناعه إلا لمن اتقى الله؟ قيل: فى ذلك الدلالة الواضحة على صناعه لكل من صحت فطرته، وبرئ من العاهات قلبه، ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله، وإنما معناه: إن فى ذلك آيات لمن اتقى عقاب الله، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق، لأن ذلك يدل كل ذى فطرة صحيحة على أن له مدبراً، يستحق عليه الإذعان له بالعبودة، دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين (والَّذِينَ هُمْ) عن آيات الله، وهى أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده فى إخلاص العبادة له. (غافلون) معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه، فيعلموا بها حقيقة ما دلهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون (أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ) يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، مأواهم: مصيرهم. إلى النار: نار جهنم فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فى الدنيا من الآثام والإجرام، ويبحر حون من السيئات والعرب تقول: فلان لا يرجو فلانا: إذا كان لا يخافه. ومنه قول الله جل ثناؤه (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا). ومنه قول أبى ذؤيب.

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ كَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوْبٍ عَوَّاسِلٍ^١

وبنحو ما قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد:

(١) البيت أنشده صاحب اللسان ونسبه لأبى ذؤيب (اللسان: رجا) قال: قال ثعلب: قال الفراء: الرجا: فى معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد، تقول: ما رجوتك: أى ما خفتك، ولا تقول: رجوتك فى معنى: خفتك. وأنشد لأبى ذؤيب: إذا لسعتك البيت... أى لم يخف ولم يبال. والنوب: هنا معناه السود: شبه النحل الصغيرة العاسلة فى سواد لونها بالنوب. والعوامل: التى تفرز العسل. ويروى: عوامل بالميم، أى تعمل فى خلية النحل. وقد سبق الاستشهاد بالبيت فى (ج ٥: ٢٦٤).

(واطمأننوا بها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفًا لِيَسِيهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) . .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا) قال : هو مثل قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفًا لِيَسِيهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) قال : إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ، ولها يحزن ، ولها يسخط ، ولها يرضى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا) . . الآية كلها ، قال : هؤلاء أهل الكفر ، ثم قال (أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ : أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)

يقول تعالى ذكره (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ، وذلك العمل بطاعة الله ، والانتهاى إلى أمره : (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) : يقول : يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) . بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُرِّحَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ مَا أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ امْرَأًا صِدْقِي ، فَيَقُولُ ، أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورٌ وَقَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُرِّحَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشَارَةٍ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ مَا أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ امْرَأًا سَوْءٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ ، حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن قول الله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يكون لهم نورا يمشون به .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقال ابن جريج (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يُمَثَّلُ له عمله في صورة حسنة ، وريح طيبة ، يعارض صاحبه ، ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه ، حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) والكافر يُمَثَّلُ له عمله في صورة سيئة ، وريح منتنة ، فيلازم صاحبه ويلاذه ، حتى يقذفه في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه ، يقول : بتصديقهم هداهم .

ذكر من قال ذلك

١ . . .

وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) يقول : تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ، أنهار الجنة (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول : في بساتين النعيم الذي نعم الله به أهل طاعته والإيمان به .
فإن قال قائل : وكيف قيل تجرى من تحتهم الأنهار ، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات ، وكيف يمكن الأنهار أن تجرى من تحتهم ، إلا أن يكونوا فوق أرضها ، والأنهار تجرى من تحت أرضها ، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة ، لأن صفتها أنها تجرى على وجه الأرض ، في غير أخاديد ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهب ، وإنما معنى ذلك : تجرى من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم ، وذلك نظير قول الله (قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبًّا) وَتَحْتِكَ سَرِيًّا) ومعلوم أنه لم يجعل السرى تحتها ، وهي عليه قاعدة ، إذ كان السرى هو الجدول ، وإنما عنى به : جعل دونها : بين يديها ، وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) ، بمعنى : من دوني بين يدي .

وأما قوله (دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : دعاؤهم فيها : سبحانك اللهم .
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن قوله (دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) قال : إذا مر بهم الطير فيشبهونه ، قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعاؤهم ، فيأتيهم الملك بما اشبهوا ، فيسلم عليهم ، فيردون عليه ، فذلك قوله (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) :
قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله (وَأَخِيرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(١) بآخر صفحة ١٠٣ من الجزء الثاني عشر من النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية بياض بقدر سطرين أو ثلاثة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) يقول : ذلك قولهم فيها . (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله الأشجعي ، قال : سمعت سفيان يقول (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : إذا أرادوا الشيء قالوا : اللهم ، فيأتيهم ما دعوا به .
 وأما قوله (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : تنزيها لك يا رب مما أضاف إليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن غير واحد ، عطية فيهم : سبحان الله : تنزيه لله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : سمعت موسى بن طلحة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، قال : « إِبْرَاءُ اللَّهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاص بن أسلم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه أن ابن الكواء سأل عليا رضى الله عنه ، عن سبحان الله قال : كلمة رضىها الله لنفسه .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد الثورى ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحى ، عن موسى بن طلحة ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن سبحان الله ، فقال : تَنْزِيهَا لِلَّهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثني على بن عيسى البزار ، قال : ثنا عبيد الله بن محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حماد ، قال : ثنا حفص بن سليمان ، قال : ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله ، فقال : هُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ » .

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنا أبى ، عن جدى ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : « قلت : يا رسول الله ، قول سبحان الله ، قال : تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ السُّوءِ » (وَتَحِيَّتُهُمْ) يقول : وتحية بعضهم بعضا (فِيهَا سَلَامٌ) : أى سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار ، والعرب تسمى الملك التحية ، ومنه قول عمرو بن معديكرب .

أزورُ بها أبا قابوسَ حتى أُنيخَ على تحيتهِ بِجُنْدِي

(١) البيت أنشده صاحب (اللسان : حيا) ونسبه إلى عمرو بن معديكرب الزبيدى . قال : والتحية : تفعلة من الحياة . قال أبو عمرو : والتحية : الملك (بضم الميم) ، وأنشد قول عمرو بن معديكرب : « أسير به إلى النعمان حتى . . . البيت » . يعنى : على ملكه . قال ابن برى : ويروى : أسير بها . ويروى : أوم بها . وقيل البيت :

ومنه قول زهير بن جَنَاب الكلبِي :

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ ١

وقوله (وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ) يقول : وآخر دعائهم (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وآخر دعائهم أن يقولوا : الحمد لله رب العالمين ، ولذلك خُفِّفَتْ (أَنْ) ولم تشدّد ، لأنه أريد بها الحكاية .

القول في تأويل قوله

﴿ وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ ، فَتَنْذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) ﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ) إجابة دعائهم في (الشَّرَّ) ، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال (اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) يقول : كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) يقول : هلكوا ، وعُجِّلَ لهم الموت ، وهو الأجل . وعنى بقوله (لَقَضَى) : لفرغ إليهم من أجلهم ، وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَصَاةمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تَبَعُ ٢

(فَتَنْذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) يقول : فندع الذين لا يخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالبعث ، ولا بالنشور (فِي طُغْيَانِهِمْ) يقول : في تمردهم وعترهم (يَعْمَهُونَ) يعني ، يترددون ؛ وإنما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث ، بما أخبر به عنهم من طغيانهم ، وترددهم فيه ، عند تعجيله إجابة دعائهم في الشرِّ ، لو استجاب لهم ، أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرب إلى التوثن الذي يشرك به أحدهم ، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

وَكُلُّ مَفَاظَةٍ بِيضَاءَ زَعْفٍ وَكُلُّ مُعَاوِدِ الْغَارَاتِ جَنْدٌ

(١) البيت أنشده في (اللسان : حيا) قال : والتحية : البقاء . والتحية : الملك . وقول زهير بن جناب الكلبِي :

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ

قيل : أراد الملك . وقال ابن الأعرابي : أراد البقاء ، لأنه كان ملكا في قومه . قال ابن بري : زهير هذا : هو سيد كلب في زمانه ، وكان كثير الغارات ، وعمر عمرا طويلا ، وهو القائل (وأنشد ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد) ثم قال : والمعروف بالتحية هنا : إنما هي بمعنى البقاء ، لا بمعنى الملك . . . قال أبو عبيدة : والتحية في غير هذا : السلام .

(٢) هذا البيت من عينية أبي ذؤيب الهدل المشهورة في الرثاء التي مطلعها : « أمن المنون » . ذكرها صاحب جهرة أشعار العرب (ص ١٢٨ - ١٣٣ طبعة بولاق) . وبيت الشاهد قبل آخرها بثلاثة أبيات ، وروايته « وعليهما ماذ يتين » أي درعان من الحديد لبيتان سهلتان . وقصاهما : أحكهما . ويقال : رجل صنع ، وامرأة صناع : إذا كانا صاندين . وتبع : من ملوك اليمن ، قيل كان يصنع الدروع ، أو يأمر بصنعها بحكمة . وداود النبي عليه السلام أشبه كذلك بصنع الدروع : « وعلماؤه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » . وقوله « مسرودتان » : هذه رواية المفضل الضبي وفي المفضليات . والمسرودة : الدرع التي سموت حلقاتها . والسرود : الحلق . وقوله تعالى : « وقدر في السرود » : هو ألا يجعل المسار غليظا والثقب دقيقا ، فيفصم الحلق . ولا يجعل المسار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف ، أي اجعله على القصد وقدر الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَكَوَّ يَعْجَلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان إذا غضب لولده وماله : لا بارك الله فيه ولعنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَكَوَّ يَعْجَلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه ، فلو يعجل الله الاستجابة لهم في ذلك ، كما يستجاب في الخير ، لأهلكهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَكَوَّ يَعْجَلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه . (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَكَوَّ يَعْجَلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الرجل لولده إذا غضب عليه ، أو ماله : اللهم لا تبارك فيه والعنه . قال الله (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته . قال (فَتَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) قال : يقول : لانهلك أهل الشرك ، ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَكَوَّ يَعْجَلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكرهه أن يستجاب له . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) : قال : لأهلكناهم ، وقرأ (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) قال : يهلكهم كلهم ، ونصب قوله (اسْتِعْجَالَهُمْ) بوقوع يعجل عليه ، كقول القائل : قمت اليوم قيامك ، بمعنى قمت كقيامك ، وليس بمصدر من يعجل ، لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف ، أعني كاف التشبيه فيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق : (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) على وجه ما لم يسم فاعله ، بضم القاف من قضى ، ورفع الأجل . وقرأ عامة أهل الشام (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) بمعنى : لقضى الله إليهم أجلهم ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أنى أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله ، لأن عليه أكثر القراء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ، كَذَلِكَ زَيْنَ لِمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد (دَعَانَا لِجَنبِهِ) يقول : استغاث بنا في كشف ذلك عنه . جنبه : يعني مضطجعا جنبه (أو قاعيداً أو قائماً) : بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به (فَدَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ) يقول : فلما فرّجنا عنه الجهد الذي أصابه ، (مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ) يقول : استمرّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرّ ، ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء ، أو تناساه ، وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به ، وعاد للشرك ، ودعوى الآلهة والأوثان أرباباً معه ، يقول تعالى ذكره (كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَسُونَ) يقول : كما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته ، استمراره على كفره ، بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضرّ ، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا في القول فيهم ، إلى غير ما أذن الله لهم به ، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (دَعَانَا لِجَنبِهِ) قال : مضطجعا .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا : لما أشركوا ، وخالفوا أمر الله ونهيه (وجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) من عند الله (بالبيِّنَاتِ) وهي الآيات والحجج التي تبين عن صدق من جاء بها .

ومعنى الكلام : وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق (وما كانوا ليؤمنوا) يقول : فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسولهم ، ويصدقوهم إلى ما دعوهم إليه ، من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له . (كذلك نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون ، بظلمهم أنفسهم ، وتكذيبهم رسولهم ، وردّهم نصيحتهم ، كذلك أفعال بكم ، فأهلككم كما أهلككم ، بتكذيبكم رسولكم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ، إن أنتم لم تنبؤوا وتتوبوا إلى الله من شرككم ، فإن من ثواب الكافر لى على كفره عندي ، أن أهلكه بسخطي في الدنيا ، وأورده النار في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) أَيْهَا النَّاسُ (خَلَائِفَ) مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاكُمْ ، لِمَا ظَلَمُوا ، تَخْلَفُونَهُمْ (فِي الْأَرْضِ) وَتَكُونُونَ فِيهَا بَعْدَهُمْ (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يَقُولُ : لِيَنْظُرَ رَبُّكُمْ أَيْنَ عَمَلِكُمْ مِنْ عَمَلٍ مِنْ هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ ، تَحْمَدُونَ مِثْلَهُمْ فِيهِ ، فَتَسْتَحِقُونَ مِنَ الْعِقَابِ مَا اسْتَحَقُّوا ، أَمْ تَخَالِفُونَ سَبِيلَهُمْ ، فَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَقْرَأُونَ بِالْبَيْعِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، فَتَسْتَحِقُونَ مِنْ رَبِّكُمْ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ذِكْرٌ لَنَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَدَقَ رَبُّنَا ، مَا جَعَلْنَا خَلَفَاءَ إِلَّا لِيَنْظُرَ كَيْفَ أَعْمَلْنَا ، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَيْرًا ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يزيد بن عوف أبو ربيعة بهذا . قال : ثنا حماد ، عن ثابت السُّبَيْبِيِّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عوف بن مالك رضى الله عنه قال لأبي بكر رضى الله عنه : رأيت فيما يرى النائم كأن سيبا دلى من السماء ، فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم دلى فانتشط أبو بكر ، ثم ذرع الناس حول المنبر ، ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر ، فقال عمر : دعنا من رؤياك ، لا آرب لنا فيها ؛ فلما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ؟ قال : وهل لك في رؤياى من حاجة ، أو لم تنهرنى ؟ قال : وَوَيْحَكَ إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ تَسْعَى خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ، ذَرَعَ النَّاسَ إِلَى الْمَنْبَرِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ الْأَذْرَعِ ، قَالَ : أَمَا إِحْدَاهُنَّ فَإِنَّهُ كَاتِنٌ خَلِيفَةٌ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ . وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ ، قَالَ : فَقَالَ : يَقُولُ اللَّهُ : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ، لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ يَا بَنَ أُمِّ عَمْرٍ ، فَانظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « فَإِنِّي لَا أَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » فَمَا شَاءَ اللَّهُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « فَإِنِّي شَهِيدٌ » فَإِنِّي لِعَمْرِ الشَّهَادَةِ وَالْمُسْلِمُونَ مُطِيفُونَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُلِيَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ : الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ، قُلْ : مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَإِذَا قُرِئَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ ، الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ عَلَى الْحَقِّ دَالَاتٍ (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) يَقُولُ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ

عقابنا ، ولا يُوقنون بالمعاد إلينا ، ولا يصدقون بالبعث ، لك : (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) يقول :
أوغیره (قُلْ) لهم يا محمد (ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي) : أى من عندى .
والتبديل الذى سألوه فيما ذُكر ، أن يحول آية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيدا ، والحرام حلالا ،
والحلال حراما ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه ، وأن ذلك إلى من لا يرد
حكمه ، ولا يتعقب قضاؤه ، وإنما هو رسول مبلغ ، ومأمور متبع .

وقوله (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) يقول : قل لهم : ما أتبع في كل ما أمركم به أيها القوم
وأناكم عنه إلا ما ينزله إلى ربي ، ويأمرني به (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يقول :
إني أخشى من الله إن خالفت أمره ، وغيرت أحكام كتابه ، وبدلت وحيه ، فعصيته بذلك ، عذاب يوم
عظيم هو له ، وذلك (يَوْمَ تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ،
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ، أَفَلَا

تَعْقِلُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه ، معرفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له : ائت بقُرْآنٍ غير هذا أو بدله ،
قل لهم يا محمد (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ) : أى ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس ، بأن كان
لا ينزله على ، فيأمرني بتلاوته عليكم (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أعلمكم به (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ) يقول : فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ، ومن قبل أن يوحى
إلى ربي . (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أنى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول ، كنت قد انتحلته فى أيام شبابه
وحدثى . وقبل الوقت الذى تلوته عليكم ، فقد كان لى اليوم لو لم يوحى إلى وأمر بتلاوته عليكم ،
مندوحة عن معاداتكم ، ومُتَّسَع فى الحال التى كنت بها منكم ، قبل أن يوحى إلى ، وأمر بتلاوته عليكم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا
أَدْرَاكُمْ بِهِ) : وَلَا أَعْلَمَكُمْ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : لو شاء الله لم أعلمكموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ما حذرتكم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) ، وهو قول مشركى أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لنييه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ؟ لبث أربعين سنة . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) ولا أعلمكم به .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أنه كان يقرأ (ولا أدراؤكُم به) يقول : ما أعلمتكم به .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله (ولا أدراؤكُم به) يقول : ولا أشعركم الله به . وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط ، وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال : ولا أدراؤكُم به . قال : فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت ، فلعل الحسن ذهب إليها ، وأما أن يصلح من دريت أو أدريت ، فلا ، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكتنا ، صحتا ولم تنقلبا إلى ألف ، مثل قضيت ودعوت ، ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها ، لأنها تضارع درأت الحدّ وشبهه . وربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز ؛ وسمعت امرأة من طى تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج ، وحسأت السويق ، يتغلطون ، لأن حالات قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت : ذهبت به إلى اللبأ ، لبأ الشاة ؛ ورثأت زوجى : ذهبت به إلى رثأت اللبن : إذا أنت حلبت الحليب على الرائب ، فتلك الرثية ، وكان بعض البصريين يقول : لاوجه لقراءة الحسن هذه ، لأنها من أدريت مثل أعطيت ، إلا أن لغة بنى عقيل أعطأت ، يريدون أعطيت ، تحوّل الياء ألفا ، قال الشاعر :

لَقَدْ أَذِنَتْ أَهْلَ الْبَيْمَةِ طَبِيَّ
بِحَرْبٍ كَنَاصَةَ الْأَعْرَ الْمُشَهَّرِ

يريد كناصية ، حكى ذلك عن المفضل ، وقال زيد الخيل :

لَعَمْرُكَ مَا أَحْسَى التَّصَعُّلُكَ مَا بَقَا
عَلَى الْأَرْضِ قَبَيْسِيَّ يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا

فقال بقا ؛ وقال الشاعر :

(١) البيت لحريث بن عتاب الطائى . (اللسان : نسا) وفيه : « الحصان المشهر » وهو شاهد على أن الناصاة لغة طيبية فى الناصية ؛ قال : وليس لها نظير إلا حرفين : بادية وبداة ، وقارية وقارة ، وهى الحاضرة . والناصية : منبت الشعر فى مقدم الرأس ، لا الشعر الذى تسميه الناس ناصية ، وسمى الشعر ناصية ، لنباته من ذلك الموضع .

(٢) زيد الخيل : لقبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد الخير . وهو طائى ، والبيت شاهد على لغة طيبى ، فى أنها تجعل بى وما مثله : بقا . بفتح القاف . قال فى (اللسان : بى) ولغة طيبى : بقا بيق ؛ وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا ، نحو : بى ورضى وبنى (بفتح ثائنيهما) . ولا تزال بقية من هذه اللغة تجرى على لسان أهل مصر والقاهرة . والتصعلك : الفقر .

زَجَرَتْ فَمَقَلْنَا لَانْرِيعُ لِيَزَاجِرِ إِنَّ الْغَوِيَّ إِذَا نُهَا لَمْ يُعْتَبِ
 يريدُ نهي ، قال : وهذا كله على قراءة الحسن ، وهي مرغوب عنها ، قال : وطبيُّ تصير كل ياء انكسر
 ما قبلها ألفا يقولون : هذه جارة ، وفي الترقوة ترقاة ، والعرقوة عرقاة ، قال : وقال بعض طبيُّ قد
 لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحولها ألفا لسكون التاء ، فيلتقى ساكنان . وقال : زعم
 يونس أن نسا ورضالعة معروفة ، قال الشاعر :

وَأَبْتَيْتُ بِالْأَعْرَاضِ ذَا الْبَطْنِ خَالِدًا نَسَا أَوْ تَنَاسَى أَنْ يَتَعَسَّدَ الْمَوَالِيَا
 وروى عن ابن عباس في قراءة ذلك أيضا رواية أخرى ، وهي ما حدثنا به المشنى ، قال : ثنا المعلى بن
 أسد ، قال : ثنا خالد بن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
 مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أُنذَرْتُكُمْ بِهِ) .
 والقراءة التي لا أستجيز أن تعدُّوها هي القراءة التي عليها قرأ الأمصار (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ
 عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) بمعنى : ولا أعلمكم به ، ولا أشعركم به .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : قل هؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتم به
 من عند ربك إلى الكذب : أى خلق أشرف بعدنا وأوضع ، لتقلبه في غير موضعه ، ممن اختلق على الله كذبا ،
 وافتري عليه باطلا (أو كذَّبَ بآيَاتِهِ) يعنى بحججه ورسله وآيات كتابه ، يقول له جل ثناؤه : قل لهم
 ليس الذى أضفتمونى إليه ، بأعجب من كذبكم على ربكم وافتراءكم عليه ، وتكذيبكم بآياته (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْمُجْرِمُونَ) يقول : إنه لا ينجح الذين اجترأوا الكفر فى الدنيا يوم القيامة ، إذا لقوا ربهم ، ولا ينالون الفلاح .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ،
 قُلْ : أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)

(١) لانريع : لانرجع ، أى لانستجيب . الغوى : الضال . لم يعتب : من الإعتاب وهو الإرضاء ، يقال قد أعتبني فلان ،
 أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أَرْضاني عنه ، بعد إسقاطه إبانى عليه . والشاهد في قوله : نها ، بصيغة المجهول
 إذ أصله نهي ، فتحت هاءه على لغة طيية ، فقلبت ياءه ألفا .

(٢) أبليت الرجل : أعطيته بناء ، أو ما يبتى به داره . والأعراض : موضع جاءه في قول لبيد :

على الأعراضِ أَيْمَنُ جَانِبَيْهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى كَوْرِي أُنَالِ

أو الأعراض : جمع عرض ، وهو كما في تاج العروس : جانب الوادى والبلد ، وقيل ناحيتهما وجوهما من الأرض ، وكذا عرض كل
 شىء ناحيته . يقول : من صناعى أى أعطيت خالدا بناء يسكته ، أو أعطيته ما يتخذ به بناء بالأعراض ، ولكنه نسي أو تناسى أن يذكر
 من أحسن إليه . والشاهد في قوله نسا ، فإنه على لغة طيية ، وأصله نسي ، بكسر السين .

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم ، من دون الله الذى لا يضرهم شيئاً ، ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها ، (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله ، قال الله لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَسْمُ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) يقول : أخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الأرض ، وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الأرض ، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، فقال الله لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهم : أخبرون الله أن ما لا يشفع فى السموات ولا فى الأرض يشفع لكم فيما ، وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لا تشفع لأحد ، ولا تنفع ولا تضر (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وعلوا عما يفعلها هؤلاء المشركون ، من إشراكهم فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، وافترأهم عليه الكذب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَاخْتَلَفُوا ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ

يَنْهَاهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة ، فاختلَفوا فى دينهم ، فافترقت بهم السبل فى ذلك (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول : ولولا أنه سبق من الله ، أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم (لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول : لقضى بينهم ، بأن يهلك أهل الباطل منهم ، ويُنَجِّى أهل الحق .

وقد بيَّنا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة ، وذلك فى قوله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) وبيَّنا الصواب من القول فيه بشواهد ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع . حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) حين قتل أحد ابنى آدم أخاه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول فى تأويل قوله

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ، فَانْتَظِرُوا ، إِنِّي مَعَكُمْ

مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يقول : علم ودليل نعلم به أن محمداً محقّ فيما يقول ؟ قال الله له : فقل يا محمد : إنما الغيب لله ، أي لا يعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه ، لأنه لا يعلم الغيب ، وهو السرّ والخفيّ من الأمور إلا الله ، فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا ، بتعجيل عقوبته للمبطل منا ، وإظهاره المحقّ عليه ، (إني معكم) ممن ينتظر ذلك ، ففعل ذلك جلّ ثناؤه ، ففضى بينهم وبينه ، بأن قتلهم يوم بدر بالسيف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ، قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ، إِن رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وإذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ، ورخاء بعد شدة أصابهم ، وقيل : عُسِي به المطر بعد القحط ، والضراء : هي الشدة ، والرحمة : هي الفرج ، يقول (إذا لهم مكرٌ في آياتنا) ، استهزاء وتكذيب .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إذا لهم مكرٌ في آياتنا) قال : استهزاء وتكذيب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورّاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) يقول تعالى ذكره : قل هؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا ، يا محمد الله أسرع مكرًا : أي أسرع محالًا بكم ، واستدراجًا لكم ، وعقوبة منكم من المكر في آيات الله ، والعرب تكتفي بإذا من فعلت وفعلوا ، فلذلك حذف الفعل معها . وإنما معنى الكلام : وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مسّتهم مكروا في آياتنا ، فاكتفى من مكروا ، بإذا لهم مكر ، (إن رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) يقول : إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي يُسِيرُ كُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ رِيحَ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ، جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : لَنْ أَنْجِيَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذي يسيركم أيها الناس في البرّ على الظهر ، وفي البحر في الفلّك (حتى إذا

كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) وهى السفن (وَجَرَيْنَ بَيْمٍ) يعنى : وجرت الفلك بالناس (بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ) فى البحر (وَقَرِحُوا بِهَا) يعنى : وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التى يسرون بها ، والهاء فى قوله : بها عائدة على الريح الطيبة (جاءتها ریحٌ عاصِفٌ) يقول : جاءت الفلك ریح عاصف ، وهى الشديدة ، والعرب تقول : ریح عاصف وعاصفة ، وقد أعصفت الريح وأعصفت فى بنى أسد ، فيها ذُكِرَ ، قال بعض بنى دُبَيْرٍ :

حتى إذا أعصفت ریحٌ مِرْعَزِعَةٌ فيها قِطارٌ ورعدٌ صَوْتُهُ زَجِيلٌ^١

(وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يقول تعالى ذكره : وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان (وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطَ بِبَيْمٍ) يقول : وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحرق (دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم ، وكان مَقَرَّعَهُمْ حينئذ إلى الله دونها . كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال : إذا مسهم الضر فى البحر أخلصوا له الدعاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) هيا شراها ، تفسيره : يا حى يا قيوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَذًا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون ، فإذا كان الضر لم يدعوا إلا الله ، فإذا نجاهم إذا هم يشركون ، لئن أنجيتنا من هذه الشدة التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك ، وتخليصك إيانا مما نحن فيه بإخلاصنا العبادة لك ، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ) فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ) من السَّيْرِ بالسين . وقرأ ذلك أبو جعفر القارى (هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ) من النشر ، وذلك البسط من قول القائل : نَشَرْتُ الثوب ، وذلك بسطه ونشره من طيه ؛ فوجه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عباده ، فيبسطهم برآ وبحرا ، وهو قريب المعنى من التسيير ، وقال (وَجَرَيْنَ بَيْمٍ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقال فى موضع آخر (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) فوحد ، والفلك : اسم للواحدة والجماع ، ويذكر ويؤنث ، قال (وَجَرَيْنَ بَيْمٍ) وقد قال (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ) ، فخاطب ثم عاد إلى الخبر عن الغائب ، وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وجواب قوله (حتى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ ، جاءتها ریحٌ عاصِفٌ) . وأما جواب قوله (وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطَ بِبَيْمٍ) (فَدَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) .

(١) فى لسان العرب : (عصف) : عصفت الريح تعصف عصفاً وعصوفاً ، وهى ریح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، وعصوف وأعصفت فى بنى أسد ، وهى معصف ، من رياح معاصف ومعاصيف : إذا اشتدت . والمِرْعَزِعَةُ : الشديدة ، التى تحرك كل ما على الأرض من شجر وتراب ومدى . والقطار : المطر . والزجل : المرتفع فيه تطريب .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا في البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذي كانوا فيه ، أخلفوا الله ما وعدوه ، وبغوا في الأرض ، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به ، والعمل بمعاصيه على ظهرها ، يقول الله : يا أيها الناس إنما اعتداؤكم الذي تعتدون على أنفسكم وإياها تظلمون ، وهذا الذي أنتم فيه متاع الحياة الدنيا ، يقول ذلك بلاغ تبغون به في عاجل دنياكم ، وعلى هذا التأويل ، البغي يكون مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله (على أنفسكم) ، ويكون قوله (متاع الحياة الدنيا) مرفوعا على معنى : ذلك متاع الحياة الدنيا ، كما قال (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) بمعنى : هذا بلاغ ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : إنما بغيكم في الحياة الدنيا على أنفسكم ، لأنكم بكفركم تكسبون غضب الله ، متاع الحياة الدنيا ، كأنه قال : إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا ، فيكون البغي مرفوعا بالمتاع ، وعلى أنفسكم من صلة البغي ، وبرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبي إسحاق ، فإنه نصبه بمعنى : إنما بغيكم على أنفسكم متاعا في الحياة الدنيا ، فجعل البغي مرفوعا بقوله (على أنفسكم) والمتاع منصوبا على الحال ، وقوله (ثم إلينا مرجعكم) يقول : ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم ، وذلك بعد الممات (فننبئكم بما كنتم تعملون) يقول : فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله ، ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ، كَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : إنما مثل ما تباهون في الدنيا ، وتفاخرون به من زيتها وأموالها ، مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص ، وزواله بالفناء والموت ، كمثل (ماء أنزلناه من السماء) يقول : كمثل أرسلناه من السماء إلى الأرض (فاختلط به نبات الأرض) يقول : فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ،

عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) قال : اختلط فنبت بالماء كل لون (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار ، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمرعى .

وقوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) يعنى : ظهر حسنها وبهاؤها (وَأَزْيَنْتَ) يقول : وتزينت (وَظَنَّ أَهْلُهَا) يعنى أهل الأرض (أَتَاهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) يعنى على ما أنبتت ، وخرج الخبر عن الأرض ، والمعنى للنبات ، إذ كان مفهوماً بالخطاب ما عني به . وقوله (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا) يقول : جاء الأرض أمرنا ، يعنى قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلاً وإما نهاراً (فَجَعَلْنَاهَا) يقول : فجعلنا ما عليها (حَصِيدًا) يعنى مقطوعة مقلوعة من أصولها ، وإنما هى محصودة صرفت إلى حصيد (كَأَنَّ لَمْ تَغْنَنَّ بِالْأَمْسِ) يقول : كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس ، وأصله من غنى فلان بمكان كذا ، يعنى به : إذا أقام به ، كما قال النابغة الذبياني :

غَنِيَّتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بَعِطْفٍ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدٍ

يقول : فكذلك يأتى الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها ، فيفنيها ويهلكها ، كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها ، حتى صارت (كَأَنَّ لَمْ تَغْنَنَّ بِالْأَمْسِ) كأن لم تكن قبل ذلك نباتاً على ظهرها ؛ يقول الله جل ثناؤه (كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ) يقول : كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا ، وعرفناكم حكمها وأمرها ، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر ، وخص به أهل الفكر ، لأنهم أهل التمييز بين الأمور ، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور . وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) . . . الآية : أى والله لئن تشبث بالدنيا وحديب عليها ، لتوشكن الدنيا أن تلفظه وتقصي منه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَزْيَنْتَ) قال : أنبتت وحسنت .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال : سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَتَاهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) وما كان الله ليهلكها

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو السابع من داليته المطولة فى وصف المنجدة (بخنار الشعر الجاهلى ، طبعة الحلبي ص ١٨٣) وفيه : « إذوم لك » وغنيت أقامت . يقول : أقامته مع مودته ، وهى جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . وفى (اللسان : غنى) : أغنى القوم بالدار غنى : أقاموا قال الله عز وجل : « كان لم يفتونا فيها » : أى لم يقيموا فيها .

إلا بذنوب أهلها ، قال : قد قرأتها ، وليست في المصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن العباس ، هكذا يقرؤها ابن عباس ، فأرسلوا إلى ابن عباس فقال : هكذا أقرأني أبي بن كعب .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
بِالْأَمْسِ) يقول : كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ ، كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول في قراءة أبي (كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ وَمَا أَهْلَكْنَاهَا إِلَّا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَأَزَيَّنَّتْ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (وَأَزَيَّنَّتْ) بمعنى : وترزنت ، ولكنهم أذعموا التاء في الزاي ، لتقارب مخرجيهما ، وأدخلوا ألفا ، ليوصل إلى قراءته ، إذ كانت التاء قد سكنت ، والساكن لا يثبت له . وحكى عن أبي العالية وأبي رجاء والأعرج وجماعة آخر غيرهم ، أنهم قرءوا ذلك (وَأَزَيَّنَّتْ) على مثال أفعلت .

❦ والصواب من القراءة في ذلك (وَأَزَيَّنَّتْ)^١ ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)

❦ يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها ، فإن مصيرها إلى فناء وزوال ، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ، ولها فاعملوا ، وما عند الله فالتمسوا بطاعته ، فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهي جناته التي أعدّها لأولياؤه ، تسلموا من المومم والأحزان فيها ، وتأمنا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها ، وهو يهدي من يشاء من خلقه ، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم ، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سبيلا للوصول إلى رضاه ، وطريقا لمن ركبته ، وسلك فيه إلى جنانه وكرامته .

كما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الله السلام ، وداره الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ) قال : الله هو السلام ، وداره الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « قِيلَ لِي : لَتَتَمَّ عَيْنُكَ ، وَلَتَعْقِلَ قَلْبُكَ ، وَلَتَسْمَعَ أُذُنُكَ ، فَتَنَامَتْ عَيْنِي ، وَعَقِلَ قَلْبِي ، وَسَمِعَتْ أُذُنِي ، ثُمَّ قِيلَ سَيِّدُ بَيْتِي دَارًا ، ثُمَّ صَنَعَ مَا دُبَّه ، ثُمَّ أَرْسَلَ دَاعِيَا ، فَفَنَّ أَجَابَ الدَّاعِي دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكْبَلَ مِنَ الْمَادُبَّةِ ، وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ ،

(١) أي صارت ذات زينة .

وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُوبَةِ ، وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ السَّيِّدُ ، فَاللَّهُ السَّيِّدُ ، والدَّارُ الإسلامُ ، والمَأْدُوبَةُ الجَنَّةُ ، والدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ انْتَه .

حدثني الحسين بن سلمة بن أبي كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، قال : ثنا خُلَيْدُ العَصْرِيُّ ، عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَبِحَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، إِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالنَّهْيُ » قال : وأنزل ذلك في القرآن في قوله (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَانَ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ رَأْسِي ، وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مِثْلًا ، فَقَالَ : اسْمَعْ سَمِعْتَ أَذُنُكَ ، وَأَعْقِلْ عَقَلَ قَلْبِكَ ، إِنَّمَا مِثْلُكَ وَمِثْلُ أُمَّتِكَ كَمِثْلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَأْدُوبَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَفَتَنَهُمْ مِنْ أَجَابِ الرَّسُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ ، فَاللَّهُ الْمَلِكُ ، والدَّارُ الإسلامُ ، والبَيْتُ الجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ ، مَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الإسلامَ ، وَمَنْ دَخَلَ الإسلامَ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ أَكَلَ مِنْهَا » .

القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه ، فأطاعوه فيما أمر ونهى ، الحسنى .
ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه ، فقال بعضهم : الحسنى : هى الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء ، والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن أبي بكر الصديق (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .
حدثنا سفيان ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن

سعيد بن نمران ، عن أبي بكر (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تعالى .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد :
(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن
سعد ، قال في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم بن نذير ، عن
حذيفة (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول في قول الله (وَزِيَادَةٌ)
قال : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني علي بن عيسى ، قال : ثنا شيابة ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، قال : سمعت أبا تميمه الهُجيميّ
يحدث عن أبي موسى الأشعري ، قال : « إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي : هل
أنجزكم الله ما وعدكم ، فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة ، فيقولون نعم ، فيقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) النظر إلى وجه الرحمن » .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : أخبرنا
أبو تميمه الهُجيميّ ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : « إن الله يبعث يوم
القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم
من الكرامة ، فيرون الحلى والحلّل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم ، قد أنجزنا الله
ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرّات ، فلا يفقدون شيئا مما وعيدوا ، فيقولون
نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله يقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) ، ألا إن الحسنى
الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني شيب ، عن أبان ، عن أبي تميمه الهُجيميّ ،
أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مُنَادِيًا يُنَادِي أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوْلِيَهُمْ وَأَخِيرَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ الْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةً ، فَالْحُسْنَى الْجَنَّةُ ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت البُستاني ، عن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم ، وقرأ (وَلَا يَرَهُمْ
وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) قال : بعد النظر إلى وجه ربهم .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، قال :
أخبرنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله (وَزِيَادَةٌ) قال : قيل له : رأيت قوله (لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً" قال: إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، فأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم، قال: نودوا: يا أهل الجنة، إن الله قد وعدكم الزيادة، فيتجلى لهم. قال ابن أبي ليلى: فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم، وحين صارت الصحف في أيانهم، وحين جاوزوا جسر جهنم، ودخلوا الجنة، وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم، كل ذلك لم يكن شيئاً فيما رأوا.

قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر وسليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال: النظر إلى وجه ربهم.

قال: ثنا الحجاج ومعلّى بن أسد، قالوا: ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال لهم: إنه قد بقي من حكم شيء لم تُعطوه، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى. قال: فيصغر عندهم كل شيء أعطوه. قال: ثم قال (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه ربهم، ولا يبرهق وجوههم قسراً ولا ذلة بعد ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) : النظر إلى وجه الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قول الله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) : النظر إلى الرب.

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن بشار، قالوا: ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، قالوا ما هو؟ ألم تُبَيِّضْ وجوهنا، وتثقل موازيننا، وتدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فيتجلى لهم، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه. » ولفظ الحديث لعمرو.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: « تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن يسجزكموه، فيقولون وما هو؟ ألم يشقل الله موازيننا، ويبييض وجوهنا؟ » ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن عليّ وابن بشار، عن عبد الرحمن.

قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة « قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ (بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد: إن الله وعدكم الحسنى ، وهي الجنة . وأما الزيادة : فالنظر إلى وجه الرحمن » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عَجْرَةَ ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم « في قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ») قال : الزيادة :
النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى » .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : الحسنى : النضرة ، والزيادة : النظر
إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت زهيراً عن سمع أبا العالية ، قال : ثنا
أبي بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى
وَزِيَادَةٌ ») قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

وقال آخرون في الزيادة بما حدثنا به يحيى بن طلحة ، قال ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن
الحكم ، عن علي رضي الله عنه « (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ») قال : الزيادة : غرفة من لؤلؤة
واحدة ، لها أربعة أبواب » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم ، عن علي رضي الله عنه ،
نحره ، إلا أنه قال : فيها أربعة أبواب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن علي رضي الله عنه ، مثل حديث يحيى بن
طلحة ، عن فضيل سواء .

وقال آخرون : الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة ، والزيادة : التضعيف إلى تمام العشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ») قال : هو مثل قوله (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ») يقول : يجزيهم
بعملهم ويزيدهم من فضله ، وقال (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ») .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن علقمة بن قيس (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ») قال : قلت : هذه الحسنى ، فما الزيادة ؟ قال : ألم تر أن الله يقول (مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا ») .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في هذه الآية

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة ضعف .
وقال آخرون : الحسنى : حسنة مثل حسنة ، والزيادة : زيادة مغفرة من الله ورضوان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَى) مثلها حسنى ، وزيادة مغفرة ورضوان .
وقال آخرون : الزيادة : ما أُعْطُوا في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، وزيادة : ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة .
وقرأ (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : ما آتاه مما يحب في الدنيا عجل له أجره فيها .
وكان ابن عباس يقول في قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى) بما حدثني المنفى ، قال : ثنا عبد الله
ابن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى) يقول :
للذين شهدوا أن لا إله إلا الله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم
الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن تُبَيِّضَ وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن
الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرفا من لآلى ، وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا ،
كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته ، وعم ربنا جل ثناؤه بقوله
(وَزِيَادَةٌ) : الزيادات على الحسنى ، فلم يخص منها شيئا دون شيء ، وغير مستنكر من فضل الله أن
يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يُعَمَّ كما
عمه عز ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى

(وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) :

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) لا يغشى وجوههم كآبة ولا
كسوف ، حتى تصير من الحزن كأنما علاها قَتَرٌ ، والقَتَرُ : الغبار ، وهو جمع قَتْرَةٍ ، ومنه قول الشاعر :

مَتَّوِّجٌ بِرِدَائِ الْمَلِكِ يَتَّبِعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَ

يعنى بالقَتَرِ : الغبار ، ولا ذلة : ولا هوان ، أولئك أصحاب الجنة ، يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم

(١) البيت للفرزدق (لسان العرب : قتر) ؛ قال : القتر : جمع القتر ، وهى الغبرة ، ومنه قوله تعالى : « وجوه يومئذ
عليها غبرة ، ترهقها قتر » عن أبي عبيدة ، وأنشده للفرزدق : متوج . . . البيت .
وقال الأزهرى فى التهذيب : القتر : غبرة يعلوها سواد كالدخان .

أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها هم فيها خالدون، يقول هم فيها ما كثرون أبدا، لا يتبدد فيخافوا زوال نعيمهم ، ولا هم بمخرجين ، فتنغصص عليهم لذتهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

وكان ابن أبي ليلى يقول في قوله (وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ) ما حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) قال : بَعْدَ نَظَرِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ومعل بن أسد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ) قال : سواد الوجوه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا، وَتَرَهُقُهُمْ ذِلَّةٌ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ،
كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : والذين عملوا السيئات في الدنيا ، فعصروا الله فيها ، وكفروا به وبرسوله ، جزاء سيئة من عمله السيى الذى عمله في الدنيا بمثلها من عقاب الله في الآخرة (وَتَرَهُقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم (مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) يقول : ما لهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم ، يحول بينه وبينهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَتَرَهُقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَهُقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال : تغشاهم ذلة وشدة .

واختلف أهل العربية في الرفع للجزاء ، فقال بعض نحويي الكوفة : رفع باضمار لهم ، كأنه قيل : ولهم جزاء السيئة بمثلها ، كما قال (فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) والمعنى : فعليه صيام ثلاثة أيام قال : وإن شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) .

وقال بعض نحويي البصرة : الجزاء مرفوع بالابتداء ، وخبره بمثلها .

قال : ومعنى الكلام : جزاء سيئة مثلها ، وزيدت الياء كما زيدت في قوله : بحسبك قولُ السوء ؛ وقد أنكر ذلك من قول بعضهم فقال : يجوز أن تكون الباء في حسب ، لأن التأويل : إن قلت السوء فهو حسبك ، فلما لم تدخل في الجزاء أدخلت في حسب بحسبك ، أن تقوم : إن قمت فهو حسبك ، فإن مدح

ما بعد حَسَّبَ ، أدخلت الباء فيما بعدها كقولك : حسبك بزيد ، ولا يجوز : بحسبك زيد ، لأن زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء .

❦ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يكون الجزاء مرفوعاً باضمار بمعنى : فلهم جزاء سيئة بمثلها ، لأن الله قال فى الآية التى قبلها (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) فوصف ما أعدّ لأولياته ، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه ، فأشبهه بالكلام أن يقال : وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة ، وإذا وجه ذلك إلى هذا المعنى كانت الياء صلة للجزاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

(كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) :

❦ يقول تعالى ذكره : كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قِطْعًا من الليل ، وهى جمع قطعة . وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) قال : ظلمة من الليل .

واختلفت القرآءة فى قراءة قوله تعالى (قِطْعًا) فقرأته عامة قرآءة الأمصار (قِطْعًا) بفتح الطاء ، على معنى جمع قطعة ، وعلى معنى أن تأويل ذلك : كأنما أغشيت وجه كل إنسان منهم قطعة من سواد الليل ، ثم جُمِعَ ذلك فقيل : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من سواد ، إذ جمع الوجه . وقرأه بعض متأخرى القرآءة (قِطْعًا) بسكون الطاء ، بمعنى : كأنما أغشيت وجوههم سواداً من الليل ، وبقية من الليل ، ساعة منه ، كما قال (فَأَسْرَبَ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) : أى ببقية قد بقيت منه ، ويعتدل لتصحيح قرآءته ذلك كذلك أنه فى مصحف أبى ، ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم .

والقراءة التى لا يجوز خلافها عندى : قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء ، لإجماع الحجة من قرآءة الأمصار على تصويبها ، وشذوذ ما عداها ، وحسب الأخرى دلالة على فساده ، خروج قارئها عما عليه قرآءة أهل الأمصار والإسلام .

فإن قال لنا قائل : فإن كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت ، فما وجه تذكير المظلم وتوحيده ، وهو من نعت القِطْعِ ، والقِطْعُ جمع لمؤنث ، قيل فى تذكيره ذلك وجهان : أحدهما : أن يكون قطعاً من الليل ، وأن يكون من نعت الليل ، فلما كان نكرة ، والليل معرفة نصب على القطع . فيكون معنى الكلام حينئذ : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل المظلم ، ثم حذفت الألف واللام من المظلم ، فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع ، وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالاً ، والكوفيون قِطْعًا .

والوجه الآخر : على نحو قول الشاعر : لو أن مِدْحَةَ حَىٰ مُنْشِرٌ أَحَدًا ١

والوجه الأول أحسن وجهيه .

(١) هذا شطر من بيت لأبى ذؤيب نقله الأصمعى ، ورواية البيت عنده :

لَوْ كَانَ مِدْحَةَ حَىٰ أَنْشَرَتْ أَحَدًا أَحْبَابًا أَبَوْتِكَ الشَّمَّ الْأَمَادِيحُ

وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها ، (هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هم فيها ما كانوا .

القول في تأويل قول تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ، فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ، وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ : مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكم : أى امكنوا مكانكم ، وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون ، وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) يقول : ففرقنا بين المشركين بالله ، وما أشركوه به وبين غيره ، وأبنته منه ، وقال : فزيلنا إرادة تكثير الفعل وتكريره ، ولم يقل : فزلنا بينهم . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزيلنا بينهم ، كما قيل (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ولا تصاعر خدك ، والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت ، يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد ، فيقولون : فاعلت إذا كان الفعل لواحد . وأما إذا كان لاثنين فلا تكاد تقول إلا فاعلت ، وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون ، وذلك حين (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا، وَرَأَوْا الْعَذَابَ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ، ونصبت لهم آلهتهم ، قالوا : كنا نعبد هؤلاء ، فقالت الآلهة لهم : ما كنتم إيانا تعبدون .

كما حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون ، فيقال : هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله ، فتقول الآلهة : والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون : والله لإياكم كنا نعبد ، فتقول لهم الآلهة : (فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ، إن كنا عن عبادتكم لغافلين . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، فقالوا (كفَى) فرقنا بينهم (وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ) قالوا : بلى قد كنا نعبدكم ، فقالوا (كفَى) بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) ما كنا نسمع ولا نبصر ، ولا نتكلم فقال الله (هَذَا تَبَلُّوْكُمْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَمَتْ) . . . الآية .

وروى عن مجاهد ، أنه كان يتأول الحشر في هذا الموضع : الموت .

= ووجه الاستشهاد بالبيت على رواية المؤلف ، أن يقول لفظ مدحة بمعنى المدح ، وهو مذكر ، فيسوغ الإخبار عنه بمنشئ ، كما يقول لفظ قطعا من الليل (جمع قطعة) بأن في معنى كثير ، كما أشار إليه أبو البقاء العكبري في إعراب القرآن ، فيسوغ نعتة بمظلمة . وأما على رواية الأصمعي ، فلا شاهد في البيت .

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ ، والأصل يقال زلت بين الشيء وبين غيره أبنته منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، قال : سمعهم يذكرون عن مجاهد ، فى قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) قال : الحشر : الموت .

والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم ، ومعلوم أن ذلك غير كائن فى القبر ، وأنه إنما هو خبر عما يقال لهم ، ويقولون فى الموقف بعد البعث .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل شركاء المشركين ، من الآلهة والأوثان ، لهم يوم القيامة ، إذ قال المشركون بالله لها : إياكم كنا نعبد ، كفى بالله شهيداً بيننا وبينكم : أى إنها تقول : حسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم أيها المشركون ، فإنه قد علم أننا ما علمنا ما تقولون ، إنا كنا عن عبادتكم لغافلين ، يقول : ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين ، لانشعرُ به ، ولا نعلم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) قال : ذلك كل شىء يُعبد من دون الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) قال : يقول ذلك كل شىء كان يعبد من دون الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَذَا لِكِ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

اختلفت القراء فى قراءة قوله (هَذَا لِكِ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ) بالباء ، بمعنى : عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر ، وكان ممن يقرؤه ، ويتأوله كذلك مجاهد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَذَا لِكِ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) قال : تختبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ، وبعض أهل الحجاز (تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) بالياء .

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه وتأويله : هنالك تتبع كل نفس ما قدمت فى الدنيا لذلك اليوم . ورؤى بنحو ذلك خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه

قال : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَتَكَبَّرُونَ فِيهَا ، حَتَّى يُورَدُ وَهُمْ النَّارُ » قال : ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هُنَالِكَ تَتْلَوُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) وقال بعضهم : بل معناه : تتلو كتاب حسناته وسيئاته ، يعنى تقرأ ، كما قال جل ثناؤه : (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) .
وقال آخرون : تَبَلَّوْا : تعابن .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) قال : ما عملت . تَبَلَّوْا : تعابنه .
والصواب من القول فى ذلك ، أن يقال : لِنَهْمَا قَرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ ، قَدْ قُرِئَا بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أُمَّةٌ مِنَ الْقُرَاءِ ، وَهُمَا مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى ، وَذَلِكَ أَنْ مِنْ تَبِعَ فِي الْآخِرَةِ مَا أَسْلَفَ مِنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا ، هَجَمَ بِهِ عَلَى مَوْرَدِهِ ، فَيُخْبِرُ هُنَالِكَ مَا أَسْلَفَ مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ أَسْلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَلِنَمَّا يُخْبِرُ بَعْدَ مُصِيبِهِ إِلَى حَيْثُ أَحْلَهُ مَا قَدَّمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِهِ ، فَهُوَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مُتَبِعٌ مَا أَسْلَفَ مِنْ عَمَلِهِ ، مُخْتَبِرُهُ ، فَبِأَيْتِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ كَمَا وَصَفْنَا ، فَصِيبَ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ .

وأما قوله (وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ) فإنه يقول : ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الذى هوربهم ومالكهم الحق ، لاشك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب ، من الآلهة والأنداد (وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وبطل عنهم ما كانوا يتخترصون من الفرية والكذب على الله ، بدعواهم أو ثابهم أنها لله شركاء ، وأنها تقرتهم منه زئفى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) قال : ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة : ما كانوا يفترون الآلهة ، وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله ، افتراء وكذبا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؟ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام : (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الغيث والقطر ، ويطلع لكم شمسها ، ويغططش ليلها ، ويخرج ضحاها (وَمَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) أفواتكم وغذاءكم الذى يتنبه لكم ، وثمار أشجارها (أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ) يقول : أم من ذا الذى يملك أسماعكم وأبصاركم التى تسمعون بها : أن يزيد فى قواها أو يسلبكموها ، فيجعلكم

صَمًا ، وأبصاركم التى تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها، أو يذهب بنورها، فيجعلكم نُميا لاتبصرون .
(وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) يقول : ومن يخرج الشئ الحى من الميت (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) يقول : ويخرج الشئ الميت من الحى .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل، والصواب من القول عندنا فى ذلك ، بالأدلة الدالة على صحته فى سورة آل عمران ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ) وقل لهم : من يدبر أمر السماء والأرض وما فىهن ، وأمركم وأمر الخلق ، (فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه : فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذى يفعل ذلك كله الله (فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخافون عقاب الله على شرككم ، وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته ، وعبادتكم معه ، من لا يرزقكم شيئا ، ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس ، فهذا الذى يفعل هذه الأفعال ، فيرزقكم من السماء والأرض ، ويملك السمع والأبصار ، ويخرج الحى من الميت ، والميت من الحى ، ويدبر الأمر (اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ) لاشك فيه (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ) يقول: فأى شئ سوى الحق إلا الضلال، وهو الجور عن قصد السبيل . فإذا كان الحق هو ذا ، فادعائكم غيره لها وربا هو الضلال، والذهاب عن الحق، لاشك فيه (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول: فأى وجه عن الهدى والحق تصرفون، وسواهما تتسلكون وأنتم مقررون بأن الذى تصرفون عنه هو الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) يقول : وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه (عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته ، وكفروا به (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول: لا يصدقون بوحدانية الله، ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : هَلْ مِنْ شَرِكَا نِكُمْ مَنِ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ ؟ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ ،

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) : يعنى من الآلهة والأوثان (مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) ؟ يقول : من يُنشِئُ خلقَ شيءٍ من غير أصل ، فيحدث خلقه ابتداءً ، ثم يعيد ؛ يقول : ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه ، فإنهم لا يقدرّون على دعوى ذلك لها ، وفي ذلك الحجة القاطعة ، والدلالة الواضحة ، على أنهم في دعواهم أنها أرباب ، وهى لله فى العبادة شركاء ، كاذبون مُفْتَرُونَ ، (قُلْ) لهم حينئذ يا محمد (اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) ، فينشئه من غير شيء ، ويحدثه من غير أصل ، ثم يفنيه إذا شاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) إذا أراد كهيئته قبل الفناء ؛ (فَأَتَى تُوْفِكُونَ) يقول : فأى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقبلون :

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَأَتَى تُوْفِكُونَ) قال : أتى تُصْرَفُونَ .

وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله (أَتَى تُوْفِكُونَ) ، والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهد ، فى سورة الأنعام .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ (٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء المشركين (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) الذين تدعون من دون الله ، وذلك آلهتهم وأوثانهم (مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يقول : من يرشد ضالاً من ضالته إلى قصد السبيل ، ويسدّد جائرًا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم ؟ فإنهم لا يقدرّون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالاً ، أو تهدي حائرًا ، وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها ، أكذبهم المشاهدة ، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعينة ، فإذا قالوا لا . وأقرّوا بذلك . فقل لهم : فالله يهدي الضالّ عن الهدى إلى الحقّ (أَفَمَنْ يَهْدِي) أيها القوم ضالاً (إِلَى الْحَقِّ) ، وجائرًا عن الرشد إلى الرشد (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) إلى ما يدعو إليه (أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى) ؟

واختلف القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى) بتسكين الهاء ، وتشديد الدال ، فجمعوا بين ساكنين ، وكان الذى دعاهم إلى ذلك أنهم وجّهوا أصل الكلمة إلى أنه أَمْ من لا يهتدى ، ووجدوه فى خطّ المصحف بغير ما قرروا ، وأن التاء حذفّت لما أدغمت فى الدال ، فأقرّوا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه ، وشدّدوا الدال ، طلباً لإدغام التاء فيها ، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال ، وكذلك فعلوا فى قوله (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ) فى قوله (يَخِصِّمُونَ) . وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة (يَهْدَى) بفتح الهاء وتشديد الدال ، وأمّراً ما أمه المدينون من الكلمة ، غير أنهم

نقلوا حركة التاء من يهتدى ، إلى الهاء الساكنة ، فحركوها بحركتها ، وأدغموا التاء فى الدال ، فشدّ دوها .
وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (يَهْدَى) بفتح الياء ، وكسر الهاء ، وتشديد الدال ، بنحو ما قصده قرّاء أهل
المدينة ، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استئقلا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد . وقرأ ذلك
بعض عامة قرّاء الكوفيين (أمّ منّ لا يَهْدَى) بتسكين الهاء ، وتخفيف الدال ، وقالوا : إن العرب تقول :
هَدَيْتَ : بمعنى اهتديت ، قالوا : فعنى قوله (أمّ منّ لا يَهْدَى) : أم من لا يهتدى (إلاّ أن يَهْدَى) .
* وأولى القراءة فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (أمّ منّ لا يَهْدَى) بفتح الهاء ، وتشديد الدال ، لما وصفنا
من العلة لقارى ذلك كذلك ، وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب ، وفيهم المنكر غيره ، وأحقّ
الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها ، كلام الله تبارك وتعالى .

فتأويل الكلام إذن : أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، أم من لا يهتدى إلى شيء إلاّ أن يَهْدَى .

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك : أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلاّ أن ينتقل .
وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلى ، عن ابن
أبي نجيح ، عن مجاهد (أفمن يَهْدَى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّ منّ لا يَهْدَى إلاّ أن يَهْدَى)
قال : الأوثان ، الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أمّ منّ
لا يَهْدَى إلاّ أن يَهْدَى) قال : قال الوثن .

وقوله (فتألكم كيف تحكمون) : ألا تعلمون أن من يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، من الذى
لا يهتدى إلى شيء ، إلاّ أن يهدى إليه هاد غيره ، فتركوا اتباع من لا يهتدى إلى شيء وعبادته ، وتبعوا من
يهديكم فى ظلمات البرّ والبحر ، وتخلصوا له العبادة ، فنفردوه بها وحده ، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم
وأوثانكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

* يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلاّ ظنا ، يقول : إلاّ ما لا علم لهم بحقيقته وصحته ،
بل هم منه فى شكّ وريبة (إنّ الظنّ لا يغنى من الحقّ شيئا) يقول : إنّ الشكّ لا يغنى من اليقين
شيئا ، ولا يقوم فى شيء مقامه ، ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين (إنّ الله عليمٌ بما يفعلون) :
يقول تعالى ذكره : إنّ الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ ، وتكذيبهم الحقّ اليقين ،
وهو لهم المرصاد ، حيث لا يغنى عنهم ظنهم من الله شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ
الْكِتَابِ، لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : ما ينبغي لهذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله ، يقول : ما ينبغي له أن يتخَرَّصه أحد من عند غير الله ، وذلك نظير قوله (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلِبَ) بمعنى : ما ينبغي لنبي أن يَغْلِبَهُ أصحابه . وإنما هذا خبر من الله جل ثناؤه أن هذا القرآن من عنده ، أنزله إلى محمد عبده ، وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا : هو شعر وكهانة ، والذين قالوا : إنما يتعلمه محمد من يعيَّش الرومي . يقول لهم جل ثناؤه : ما كان هذا القرآن ليخترقه أحد من عند غير الله ، لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول تعالى ذكره : ولكنه من عند الله أنزله مصداقاً لما بين يديه : أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله ، كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ، التي أنزلها على أنبيائه (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ) يقول : وتبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه (لَا رَيْبَ فِيهِ) يقول : لا شك فيه أنه تصديق الذي بين يديه من الكتاب ، وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين ، لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : افترى محمد هذا القرآن من نفسه ، فاختلقه وافتعله ، قل يا محمد لهم : إن كان كما تقولون إنى اختلقته وافتريته ، فإنكم مثلي من العرب ، ولساني وكلامي مثل لسانكم ، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن . والهاء في قوله : مثله كناية عن القرآن . وقد كان بعض نحويي البصرة يقول : معنى ذلك : قل فأتوا بسورة مثل سُورته ، ثم أقيت سورة ، وأضيف المثل إلى ما كان مضافاً إليه السورة ، كما قيل (وَأَسْئَلُ الْقَرْيَةَ) يراد به : وأسأل أهل القرية . وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن .

والصواب من القول في ذلك عندي أن السورة إنما هي سورة من القرآن ، وهي قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فمقابل لهم (فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) ولم يقل : مثلها ، لأن الكناية أخرجت على المعنى ، أعني معنى السورة ، لا على لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقليل : فأتوا بسورة مثلها (وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها ، من قدرتم أن تدعوا

على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله ، يقول : من عند غير الله ، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا ، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا .
وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين في أن محمدا افتراه ، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها ، فإن لم تفعلوا ذلك ، فلا شك أنكم كذّابة في زعمكم أن محمدا افتراه ، لأن محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم ، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله ، فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعة أعجز .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ، وَلَمَّا يَا تِهِمِ تَأْوِيلُهُ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن ، من وعيدهم على كفرهم بربهم (ولما يأتهم تأويله) يقول : ولما يأتهم بعد بيان ما يثول إليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن (كذلك كذّب الذين من قبليهم) يقول تعالى ذكره : كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله ، كذلك كذّب الأمم التى خلت قبلهم ، بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسوله ، وكفرهم بربهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عاقبة كفر من كفر بالله ، ألم نهلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالحسف ، وبعضهم بالغرق ، يقول : فإن عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ، ويحسدون بآياتى من كفار قومك ، كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفررة الأمم ، إن لم يتأيبوا من كفرهم ، ويسارعوا إلى التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ومن قومك يا محمد من قريش ، من سوف يؤمن به ، يقول : من سوف يصدق بالقرآن ، ويقر أنه من عند الله (ومنهم من لا يؤمن به) أبدا ، يقول : ومنهم من لا يصدق به ، ولا يقر أبدا (وربك أعلم بالمفسدين) يقول : والله أعلم بالملكذبين به منهم ، الذين لا يصدقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه ، وهو من وراء عاقبه . فأما من كتبت له أنه يؤمن به منهم ، فإنى سأتوب عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكم عملكم ، أأنتم بريئون مما أعمل ، وأنا بريء مما
تعملون (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وإن كذبتك يا محمد هؤلاء المشركون ، وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ، فقل لهم : أيها القوم ، لي ديني وعملي ، ولكم دينكم وعملكم ، لا يضرتني عملكم ، ولا يضركم عملي ، وإنما يجازي كل عامل بعمله (أنتم برئون مما أعمل) لا تؤاخذون بجريرته (وأنا برئ مما تعملون) لا تؤاخذ بجريرة عملكم ، وهذا كما قال جل ثناؤه (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد) وقيل : إن هذه الآية منسوخة ، نسخها الجهاد والأمر بالقتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وإن كذبتك فقل) لي عملي وأعمالكم . . . الآية ، قال : أمره بهذا ، ثم نسخه ، وأمره بجهادهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك ، (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) يقول : أفأنت تخلق لهم السمع ، ولو كانوا لا يسمعون ، يقولون به ، أم أنا ؟ وإنما هذا إعلام من الله عباده ، أن التوفيق للإيمان به بيده ، لا إلى أحد سواه ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع ، فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهي ، قلبا سلبته فهم ذلك ، لأنني ختمت عليه أنه لا يؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المشركين ، مشركي قومك ، من ينظر إليك يا محمد ، ويرى أعلامك وحججك على نبوتك ، ولكن الله قد سلبه التوفيق ، فلا يهتدي ، ولا تقدر أن تهديه ، كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصرا يهتدي به (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) يقول : أفأنت يا محمد تحدث هؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك ، فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون ؛ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ، ولا يقدر عليه أحد سواي ، فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد ، أنت ولا أحد غيري ، لأن ذلك بيدي وإلى ، وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ، عن جماعة ممن كفر به من قومه ، وأدبر عنه فكذب ، وتعزية له عنهم ، وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : إن الله لا يفعل بخلقهم ما لا يستحقون منه ، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه ، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به (ولكنَّ النَّاسَ) يقول : ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ، ما يورثها غضب الله وتخطئه ، وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون بالإيمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم ، وإخبار أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها ، فحق عليهم قول ربهم (وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ، يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المشركين ، فنجمعهم فى موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ، ثم انقطعت المعرفة ، وانقضت تلك الساعة . يقول الله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) ، قد غسب الذين جحدوا ثواب الله وعقابه ، وحفظتهم من الخير ، وهلكوا . وما كانوا مهتدين ، يقول : وما كانوا موفقين لإصابة الرشد ، مما فعلوا من تكذيبهم بقاء الله ، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ، ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وإما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ، أو نتوقفينك قبل أن نرينك ذلك فيهم (فإلينا مرجعهم) يقول : فصيرهم بكل حال إلينا ومستقلبهم (ثمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) يقول جل ثناؤه : ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا ، وأنا عالم بها ، لا يخفى على شىء منها ، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلى ومرجعهم ، جزاءهم الذى يستحقونه .

كما حدثنى المنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وإما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك (أو تتوقفينك) قبل (فإلينا مرجعهم) . حدثنى المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولكل أمة خلعت قبلكم أيها الناس ، رسولاً أرسلته إليهم ، كما أرسلت محمداً إليكم ، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ، فإذا جاء رسولهم ، يعني في الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ) قال : يوم القيامة . وقوله (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) يقول : قضى حينئذ بينهم بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) من جزاء أعمالهم شيئاً ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء من أهل الإيمان ، إما أن يعاقبه الله ، وإما أن يعفو عنه ، والكافر يخلد في النار ، فذلك قضاء الله بينهم بالعدل ، وذلك لاشكّ عدل لا ظلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) قال : بالعدل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ (٤٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد (متى هَذَا الْوَعْدُ) الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله ، وذلك قيام الساعة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنت ومن تبعك ، فيما تعدوننا به من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا

يَسْتَنْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : : قل : يا محمد لمستعجلك وعيد الله ، القاتلين لك : متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين : لا أملك لنفسي أيها القوم : أي لا أقدر لها على ضرر ولا نفع في دنيا ولا دين ، إلا ما شاء الله أن أملكه ، فأجله إليها بإذنه . يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه ، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ، ومعرفة قيام الساعة ، أعجز وأعجز ، إلا بمشيئته وإذنه لي في ذلك . لكل أمة أجل ، يقول : لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم ، فإذا جاء

وقت انقضاء أجلهم ، وفناء أعمارهم ، لا يستأخرون عنه ساعة ، فيسْمَهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ ، ولا يستقدمون قبل ذلك ، لأن الله قضى ألا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ يَتَّبِعُوا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ؟ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك : أرايتم إن أتاكم عذاب الله بيانا ، يقول : ليلا أو نهارا ، وجاءت الساعة ، وقامت القيامة ، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ؟ يقول الله تعالى ذكره : ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله ، وهم الصالون بجره دون غيرهم ، ثم لا يقدرُونَ على دفعه عن أنفسهم ؟

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ، وَاللَّسَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به ، يقول : صدقتم به ، في حال لا ينفعكم فيها التصديق ، وقيل لكم حينئذ : آلآن تصدقون به ، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون ، وأنتم بنزوله مكذبون ، فدوقوا الآن ما كنتم به تكذبون . ومعنى قوله (أَنْتُمْ) في هذا الموضع : أهنالك وليست «ثم» هذه ههنا التي تأتي بمعنى العطف .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ، هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ؟ (٥٢)

يقول تعالى ذكره (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بكفرهم بالله (ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) : تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا ، الذي لا فناء له ولا زوال (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : يقال لهم : فانظروا (هَلْ تُجْزَوْنَ) أي هل تثابون (إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : إلا بما كنتم تعملون في حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْتَنْبِئُونَا بِحَقِّ هُوَ؟ قُلْ: إِي وَرَبِّي، إِنَّهُ لِحَقِّ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد ، فيقولون لك : أحق ما تقول ، وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة ، جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا ؟ قل لهم يا محمد : إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ ، لاشك فيه ، وما أنتم بمعجزى الله إذا أراد ذلك بكم ، بهرب أو امتناع ، بل أنتم في قبضته وسلطانه ومملكه ، إذا أراد فعل ذلك بكم ، فاتقوا الله في أنفسكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ، وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا
الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : ولو أن لكل نفس كفرت بالله ، وظلمها في هذا الموضع : عبادتها غير من يستحق عبادته ، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ، (ما في الأرض) من قليل أو كثير لافتدت به ، يقول : لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته . وقوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) يقول : وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسيفنائهم ؛ الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم (وقضى بينهم بالقسط) يقول : وقضى الله يؤمئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل . (وهم لا يظلمون) وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم إلا بجريرته ، ولا يأخذه بذنب أحد ، ولا يعذب إلا من قد أعذر إليه في الدنيا وأندر ، وتابع عليه الحجج .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)

يقول جل ذكره : ألا إن كل ما في السموات وكل ما في الأرض من شيء ، لله ملك ، لا شيء فيه لأحد سواه ، يقول : فليس لهذا الكافر بالله يؤمئذ شيء يملكه ، فيفتدي به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه ، ولو كانت له الأشياء التي هي في الأرض ، ثم افتدى بما لم يقبل منه بدلا من عذابه ، فيصرف بها عنه العذاب ، فكيف وهو لا شيء له يفتدي به منه ، وقد حُقّ عليه عذاب الله . يقول الله جل ثناؤه (ألا إن وعد الله حق) يعني أن عذابه الذي أوعده هؤلاء المشركين على كفرهم حق ، فلا عليهم ألا يستعجلوا به ، فإنه بهم واقع لا شك . (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم ، فهم من أجل جهلهم به مكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : إن الله هو الحي المميت ، لا يتعدّر عليه فعل ما أراد فعله ، من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ، وإلاماتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره لخلقهِ (يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مِّن رَّبِّكُمْ) يعنى : ذكرى ،
تذكركم عقاب الله ، وتخوفكم وعيده من ربكم ، يقول : من عند ربكم ، لم يخلقها محمد صلى الله عليه وسلم ،
ولم يفتعلها أحد ، فتقولوا : لانأمن أن تكون لاصحة لها ، وإنما يعنى بذلك جل ثناؤه القرآن ، وهو الموعظة
من الله . وقوله (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) يقول : ودواء لما فى الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهل
الجهال ، فيبرى به داءهم ، ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به . (وَهُدًى) يقول : وهو بيان لخالل الله
وحرامه ، ودليل على طاعته ومعصيته (وَرَحْمَةٌ) يرحم بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى
الهدى ، وينجيه به من الهلاك والردى ، وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به ، دون الكافرين به ، لأن من
كفر به فهو عليه عى ، وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود فى لظى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين بك ، وبما أنزل
إليك من عند ربك (بِفَضْلِ اللَّهِ) أيها الناس الذى تفضل به عليكم ، وهو الإسلام ، فبيته لكم ، ودعاكم
إليه . (وَبِرَحْمَتِهِ) التى رحمكم بها ، فأنزلها إليكم ، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه ، وبصركم بها
معالم دينكم ، وذلك القرآن . (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يقول : فان الإسلام الذى
دعاهم إليه ، والقرآن الذى أنزله عليهم ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد
الخدري ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بفضل الله : القرآن . وبرحمته :
أن جعلكم من أهله .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن هلال بن يساف (قُلْ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بالإسلام الذى هداكم ، وبالقرآن الذى علمكم .
حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال: بالإسلام والقرآن (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) : من الذهب والفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، في قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، في قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : الإسلام والقرآن .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم وقبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أما فضله : للإسلام ، وأما رحمته : فالقرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : الأموال وغيرها .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثني أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) يقول : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بكتاب الله وبالإسلام (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال آخرون : بل الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : بفضل الله :

القرآن ، ورحمته : حين جعلهم من أهل القرآن .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، قال : فضل الله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : كان أبى يقول : فضله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .
واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (فليفرحوا) بالياء (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء أيضا ، على التأويل الذى تأولناه ، من أنه خبر عن أهل الشرك بالله ، يقول : فبالإسلام والقرآن الذى دعاهم إليه ، فليفرح هؤلاء المشركون ، لا بالمال الذى يجمعون ، فإن الإسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون .

وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن أبى التياح (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى الكفار .

وروى عن أبى بن كعب فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفیان ، عن أسلم المنقرى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بن كعب ، عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالتاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بن كعب ، عن أبى بن كعب مثل ذلك ، وكذلك كان الحسن البصرى يقول : غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء الأول على وجه الخطاب . والثانى على وجه الخبر عن الغائب ، وكان أبو جعفر القارى فيما ذكر عنه ، يقرأ ذلك نحو قراءة أبى بالتاء جميعا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، من قراءة الحرفين جميعا بالياء : (فليفرحوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القراء عليه . والثانى : صحته فى العربية ، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول ، افعل ولا تفعل . وبعد : فإنى لأعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستر دى أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير المقرء ، فإنه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له ، واجهت به أم لم تواجه ، إلا أن العرب حذف اللام من فعل المأمور المواجه ، لكثرة الأمر خاصة فى كلامهم ، كما حذفوا التاء من الفعل ، قال : وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان إلا على الفعل الذى أوله الياء والتاء ، والنون والألف ، فلما حذفت التاء ذهب اللام ، وأحدثت الألف فى قولك : اضرب وافرح ، لأن الفاء ساكنة ، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن ، فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء ، كما قالوا : ادركتم واثاقلم . وهذا الذى اعتل به القراء عليه لاله ، وذلك أن العرب إن كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركها ، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها ، أن يدخل فيه ما ليس منه ، ما دام متكلمها بلغتها ، فإن فعل ذلك كان خارجا عن لغتها ، وكلام

الله الذي أنزله على محمد بلسانها ، فليس لأحد أن يتلوّه إلا بالأفصح من كلامها ، وإن كان معروفاً بعض ذلك من لغة بعضها ، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حتى ولا قبيلة منها ، وإنما هو دعوى لا تثبت بها ولا حجة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً ، قُلْ : ءاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ؟ (٥٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء المشركين (أَرَأَيْتُمْ) أيها الناس (ما أنزل الله لكم) يقول : ما خلق الله لكم من الرزق فحولكموه ، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة (فجعلتكم منه حراماً وحلالاً) يقول : جعلتكم بعض ذلك لأنفسكم ، وحرمتكم بعضه عليها ، وذلك كتحريرهم ما كانوا يحرمونه من حرثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم ، كما وصفهم الله به ، فقال (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) ، ومن الأنعام ما كانوا يحرمونه بالتبحير والتسيب ، ونحو ذلك مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل) يا محمد (آله أذن لكم) بأن تحرموا ما حرمتكم منه ، (أم على الله تفترون) : أي تقولون الباطل وتكذبون ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً) وهو هذا ، فأنزل الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ) . . . إلى قوله (أم على الله تفترون) قال : هم أهل الشرك .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (فجعلتكم منه حراماً وحلالاً) قال : الحرث والأنعام ؟ قال ابن جريج : قال مجاهد : البحائر والسيب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فجعلتكم منه حراماً وحلالاً) قال : في البحيرة والسائبة .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) . . . الآية ، يقول : كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم ، من نساتكم وأموالكم وأولادكم ، الله أذِنَ لَكُمْ فِيهَا حَرَمْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْسَرُونَ ؟) حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) فقرا حتى بلغ (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْسَرُونَ) ؟ وقرأ (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا) . وقرأ (وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حَيْجِرٌ) . . . حتى بلغ (لَا يَذُكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) ، فقال : هذا قوله : جعل لهم رزقا ، فجعلوا منه حراما وحلالا ، وحرّموا بعضه ، وأحلّوا بعضه . وقرأ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ : مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلَّذُكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ ، أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ) ؟ أى هذين حرم على هؤلاء الذين يقولون وأحل هؤلاء؟ (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا) ؟ . . . إلى آخر الآيات .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) : هو الذى قال الله : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) . . . إلى قوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وما ظنّ هؤلاء الذين يتخربصون على الله الكذب فيسضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاء ، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفيرتهم عليه ، يحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلا ، بل يصلبهم سعيرا خالدن فيها أبدا . (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) : يقول : إن الله لذو فضل على خلقه ، بتركه معاملة من افتري عليه الكذب ، بالعقوبة في الدنيا ، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة (وَأَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك ، وبغيره من سائر نعمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ، وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ، إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ، وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِي شَأْنٍ) : يعنى فى عمل من الأعمال (وَمَا تَتَلَوْنَا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) يقول : وما تقرأ من كتاب الله من قرآن (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) يقول : ولا تعملون من عمل أيها الناس ، من خير أو شر (إِلَّا كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ شُهُودًا) يقول : إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم ، إذ تعملونها وتأخذون فيها .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس وجماعة .
ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) : يقول : إذ تفعلون .
وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تُشيعُونَ فى القرآن الكذب .
ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : فتشيعون فى القرآن من الكذب .
وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تفيضون فى الحق .
ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فى الحق ما كان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأنه تعالى ذكره ، أخبر أنه لا يعمل عباده عملاً إلا كان شاهده ، ثم وصل ذلك بقوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فكان معلوماً أن قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) إنما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين ، أنه له شاهد ، لاعتن وقت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، لأن ذلك لو كان خبراً عن شهوده تعالى ذكره وقت إفاضة القوم فى القرآن ، لكانت القراءة بالياء (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ) : خبراً منه عن المكذبين فيه .

فإن قال قائل : ليس ذلك خبراً عن المكذبين ، ولكن خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم أنه شاهده إذ تلا القرآن . فإن ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل : إذ تُفِيضُ فِيهِ ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع (١) قوله « فإن ذلك » : هو ابتداء رد المؤلف على الاعتراض الذى قدمه .

كما قال (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) فأفرده بالخطاب . ولكن ذلك ^١ فى ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالإفراد ، ثم عوده إلى إخراج الخطاب على الجمع ، نظير قوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) وذلك أن فى قوله (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) دليلا واضحا على صرفه الخطاب إلى جماعة المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مع جماعة الناس غيره ^٢ ، لأنه ابتداء خطابه ، ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس ، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم ، وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا إلا وهو له شاهد ، يخصى عليه ويعلمه ، كما قال (وَمَا يَعْرُزُ عَنْ رَّبِّكَ) يا محمد عمل خلقه ، ولا يذهب عليه علم شىء حيث كان من أرض أو سماء ، وأصله من عزوب الرجل عن أهله فى ماشيته ، وذلك غيبته عنهم فيها ، يقال منه : عزب الرجل عن أهله يعزب ، ويعزب لغتان فصيحتان ، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرآء ، وبأيتهما قرأ القارىء فصيب ، لاتفاق معنيهما ، واستفاضتهما فى منطق العرب ، غير أنى أميل إلى الضم فيه ، لأنه أغلب على المشهورين من القرآء .

وقوله (مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) يعنى : من زنة تلمة صغيرة . يُحكى عن العرب : خذ هذا ، فإنه أخف مثقالا من ذاك : أى أخف وزنا ، والذرة : واحدة الذر ، والذر : صغار النمل ، وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء ، وإن خفى فى الوزن كل الخفة ، ومقادير ذلك ومبسلغه ، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه ، وكم مبلغ ذلك ؟ يقول تعالى ذكره لخلقته : فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم ، فإننا شهود لأعمالكم ، لا يخفى علينا شىء منها ، ونحن محصوها ومجازوكم بها .

واختلفت القرآء فى قراءة قوله (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ) فقرأ ذلك عامة القرآء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض ، عطفا بالأصغر على الذرة ، وبالأكبر على الأصغر ، ثم فتحت راؤها ، لأنهما لا يُجْرَيَان . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ) رفعا ، عطفا بذلك على معنى المثقال ، لأن معناه الرفع ، وذلك أن من لو أقيمت من الكلام ، لرفع المثقال ، وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ، ولا أصغر من مثقال ذرة ، ولا أكبر ، وذلك نحو قوله : (مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ) وغير الله .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح ، على وجه الخفض ، والرد على الذرة ، لأن ذلك قراءة قرآء الأمصار ، وعليه عوام القرآء ، وهو أصح فى العربية مخرجا ، وإن كان للأخرى وجه معروف . وقوله : (إِلَّا فِي كِتَابٍ) يقول : وما ذلك كله إلا فى كتاب عند الله ، مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه ، أنه لا شىء كان أو يكون ، إلا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه ، وأنه لا يعزب عن الله علم شىء من خلقه ، حيث كان من سمائه وأرضه .

(١) قوله « ولكن ذلك . . الخ » : هو من استدراك المؤلف على ذلك الاعتراض المتقدم فى قوله « فإن قال قائل » .

(٢) قوله « مع جماعة الناس غيره » عبارة زائدة ، يستغنى عنها الكلام ، أو لعلها سقط منها شىء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا تَعَزُّبُ) يقول : لا يغيب عنه .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَمَا تَعَزُّبُ عَنْ رَبِّكَ) قال : ما يغيب عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله ، لأن الله رضى عنهم ، فأمنهم من عقابه ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا . والأولياء : جمع ولي ، وهو النصير . وقد بينا ذلك بشواهد .

واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم ، فقال بعضهم : هم قوم يُذكر الله لرؤيتهم ، لما عليهم من سبأ الخير والإحبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يُذكر الله لرؤيتهم .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يُذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا ابن مهدي وعبيد الله ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى ، قال : سمعته يقول في هذه الآية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) : قال : من الناس مفاتيح ، إذا رءوا ذُكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن سهل بن الأسد ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، فقال « الَّذِينَ إِذَا رءُوا ذُكِرَ اللَّهُ » .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي وائل ، عن عبد الله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين إذا رءوا ذُكِرَ الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبو يزيد الرازى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا فرات ، عن أبي سعد ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن عبد الله بن أبي الهذيل فى قوله (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) . . . الآية ، قال : إن ولى الله إذا رُئى ذكر الله وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو فضيل ، قال : ثنا أبى ، عن عمارة ، ابن القعقاع الضبى ، عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حزمة البجلى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله عباداً يغضبهم الأنبياء والشهداء ، قيل : من هم يا رسول الله ، فقلنا نجهم ؟ قال : هم قوم تحابوا فى الله ، من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم من نور ، على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ : (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن أبى زرعة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغضبهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ، بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا من هم ؟ وما أعمامهم ؟ فإنا نجهم لذلك ، قال : هم قوم تحابوا فى الله ، بى روح الله ، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، ولأنهم لعل نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) » .

حدثنا الحسن بن نصر الخولانى ، قال : ثنا يحيى بن حسنان ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبى مالك الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتى من أفناء الناس ونوازح القبائل ، قوم لم يتصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا فى الله ، وتصافوا فى الله ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، يفرح الناس فئلاً يفرحون ، وهم أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » .
والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : الولى : أعنى ولى الله : هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها ، وهو الذى آمن واتقى ، كما قال الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان ابن زيد يقول : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) من هم يارب ؟ قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) قال : أبى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : الذين صدقوا الله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ، وكانوا يتقون الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا) : من نعت الأولياء . ومعنى الكلام : ألا إن أولياء الله : الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لاخوف عليهم ولا هم يخزنون .

فإن قال قائل : فإذا كان معنى الكلام ما ذكرت عندك ، أفي موضع رفع الذين آمنوا ، أم في موضع نصب ؟ قيل : في موضع رفع ، وإنما كان كذلك ، وإن كان من نعت الأولياء ، لحيثه بعد خبر الأولياء ، والعرب كذلك تفعل خاصة في إن ، إذا جاء نعت الاسم الذي عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه ، فقالوا : إن أخاك قائم الظريف ، كما قال الله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَّقِ بِالْحَقِّ ، عَلَافُ الْغُيُوبِ) وكما قال (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ ، تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) .

وقد اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك ، مع أن إجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب ، وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : البشرى من الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون . ثم اختلف أهل التأويل في البشرى التي بشر الله بها هؤلاء القوم : ما هي ، وما صفاتها ؟ فقال بعضهم : هي الرؤية الصالحة ، يراها الرجل المسلم ، أو ترى له ، وفي الآخرة : الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن شيخ ، عن أبي الدرداء ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ » . حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الأوزاعي ، قال : أخبرني يحيى بن أبي كثير ، قال : ثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : « سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، أَوْ قَالَ : غَيْرَكَ ، قال : هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ » .

حدثنا المنثى ، قال : ثنا أبو داود عن ذكره ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو قلابة ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المنثى وأبو عثمان بن عمر ، قالا : ثنا على بن يحيى ، عن أبي سلمة ، قال : « نُبِيتُ أَنْ عَبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فَقَالَ : سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ ، أَوْ تُرَى لَهُ » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : « سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا سَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ رَجُلٍ سَأَلَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، بِبُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَبُشْرَاهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةِ » .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : « سَأَلْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فَقَالَ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مَنذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَكَ ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مَنذُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ غَيْرَكَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ، هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع عطاء بن يسار ، يخبر عن رجل من أهل مصر ، أنه سأل أبا الدرداء عن (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ، ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني ، عن عثمان بن سعيد .

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عمر بن عمرو بن عبد الأحموشي ، عن حميد بن عبد الله المُرْتَبِي ، قال : « أَتَى رَجُلٌ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ، فَقَالَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَسْأَلُكَ عَنْهَا ، قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فَقَالَ عَبَادَةُ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ ؛ سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ : الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَنَامِ أَوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ هِيَ الْبُشْرَى ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ » .
قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : قال أبو هريرة : « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ بَشْرَى
مِنَ اللَّهِ ، وَهِيَ الْمُبَشِّرَاتُ » .

حدثنا محمد بن حاتم المؤدَّب ، قال : ثنا عمار بن محمد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن
أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « (لَمْ يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا
الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ : الْجَنَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ،
عن أبي الشيخ ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال « (لَمْ يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يُبَشِّرُ بِهَا الْعَبْدُ جُزْءًا مِّنْ تِسْعَةٍ
وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِّنَ النَّبُوءَةِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن
صفوان ، عن عبادة بن الصامت « أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لَمْ يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقد عرفنا بُشْرَى الْآخِرَةِ ، أَمْ بَشْرَى الدُّنْيَا ؟ قال : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْعَبْدُ ،
أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِّنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا ، أَوْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنَ النَّبُوءَةِ » .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ،
عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية (لَمْ
يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِّنْ أُمَّتِي
قَبْلِكَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ : الْجَنَّةُ » .

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع
ابن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ ، وَبَقِيَتِ
الْمُبَشِّرَاتُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن
ذكوان ، عن رجل ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَمْ يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا) قال : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ : الْجَنَّةُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل
كان بمصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَمْ يُبَشِّرْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)
فقال أبو الدرداء : ما سألتني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : ما سألتني عنها أحد قبلك : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي
الْآخِرَةِ : الْجَنَّةُ » .

قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء ، قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : ما سألتني عنها أحدٌ غيرك : هي الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو تُرى له » .

قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء في قوله « (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألتني عنها أحدٌ قبلك : هي الرؤيا الصالحة ، يراها العبد أو تُرى له ، وفي الآخرة ، الجنة » .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح ، قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : ما سألتني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألتني عنها أحدٌ منذ أنزلت عليّ إلا رجلاً واحداً : هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو تُرى له » .

قال : ثنا عبد الله بكر السهمي ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلاً من أهل مصر فتيها ، قدم عليهم في بعض تلك المواسم ، قال : « قلت : ألا تخبرني عن قول الله تعالى (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : سألت عنها أبا الدرداء ، فأخبرني أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هي الرؤيا الحسنة ، يراها العبد أو تُرى له » .

قال : ثنا أبي ، عن عليّ بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : « هي الرؤيا الصالحة ، يراها العبد أو تُرى له » .

حدثني المنني ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم وأبو الوليد الطيالسي ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : « قلت : يا رسول الله ، قال الله تعالى : (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال : لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحدٌ قبلك ، أو أحدٌ من أممي ، قال : هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح أو تُرى له » .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، قال : « سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : ما سألتني عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سألتني عنها أحدٌ قبلك : هي الرؤيا الصالحة ، يراها العبد أو تُرى له » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جبير ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَكُمُْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : « هي الرؤيا الحسنة ، يراها الإنسان أو تُرى له » .

وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن أبي الدرداء ، أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ »
وقال ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : هِيَ الرَّؤْيَا يَرَاهَا الرَّجُلُ .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : هِيَ
الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (كَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)
قال : هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ .
قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن طلحة القناد ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن
ابن عباس (كَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هِيَ الرَّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ لِبَعْضِ
إِخْوَانِهِ .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كانوا يقولون : الرَّؤْيَا مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد « أَنْ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْذُ أَنْزَلْتِ عَلَيَّ قَبْلَكَ ، قَالَ :
هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ أَوْ تَرَى لَهُ » .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي ، أن ابن مسعود قال :
ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو ترى له .
قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (كَهْمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فهو قوله لنبية (وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ كَهْمًا مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَسِيرًا) قال : هِيَ الرَّؤْيَا
الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن طبيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن عطاء ،
في قوله (كَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هِيَ رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ يُبَشِّرُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجا أبا السمع
حدثه عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (كَهْمُ
الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : « الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يُبَشِّرُ بِهَا الْمُؤْمِنُ جُزْءًا مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا
مِنَ النَّبُوَّةِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن هشام ، عن أبيه في هذه الآية (كَهْمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تَرَى لَهُ .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا حميد بن عبد الله « أَنْ رَجُلًا

سأل عبادة بن الصامت ، عن قول الله تعالى (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال عبادة : لقد سألتني عن أمر ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني ، فقال لى : يا عبادة لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، تِلْكَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ أَوْ تُرَى لَهُ .

وقال آخرون : هى بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، وقتادة (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هى البشارة عند الموت فى الحياة الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبى بسطام ، عن الضحاك (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : يعلم أين هو قبل الموت .

وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى فى الحياة الدنيا ، ومن البشارة فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له . منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَخْضَعُ لَهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ : اخْرُجِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ » ، ومنها : بشرى الله إياه ما وعده فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل ، كما قال جل ثناؤه (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) . . . الآية ، وكل هذه المعانى من بشرى الله إياه فى الحياة الدنيا ، بشره بها ، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى ، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وأما فى الآخرة فالجنة .

وأما قوله (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) فإن معناه : أن الله لاخلف لوعده ، ولا تغيير لقوله عما قال ، ولكنه يمضى لخلق مواعيده ، وينجزها لهم .

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية عن أيوب ، عن نافع ، قال : أطال الحجاج الخطبة ، فوضع ابن عمر رأسه فى حجرى ، فقال الحجاج : إن ابن الزبير بدّل كتاب الله ، فقعد ابن عمر فقال : لا تستطيع أنت ذلك ولا ابن الزبير (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) فقال الحجاج : لقد أوتيت علما أنّ تفعل^١ ، قال أيوب : فلما أقبل عليه فى خاصة نفسه سكت .

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذه البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة هى الفوز العظيم ، يعنى الظفر بالحاجة والطلبية والنجاة من النار .

(١) قوله « أن تفعل » كذا المحفوظة رقم ١٠٠ بدار الكتب : ولكن الكلمة عارية عن النقط .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَخْزَنُكَ قَوْمُهُمْ؛ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يخزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون ، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام ، فإن العزة لله جميعا ، يقول تعالى ذكره : فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة ، لا شريك له فيها ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون ، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد ، لأنه لا يعاذه شيء (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول : وهو ذو السمع لما يقولون ، من الفرية والكذب عليه ، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه ، تحصى ذلك عليهم كله ، وهو لهم بالميرصاد . وكسرت « إن » من قوله (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ، ولم يعمل فيها القول ، لأن القول عني به قول المشركين ، وقوله (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) لم يكن من قيل المشركين ، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ) يا محمد كل (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) مملوكا وعبيدا لا مالك لشيء من ذلك سواه ، يقول : فكيف يكون لها معبودا من يعبد هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام ، وهى لله مملوك ؟ وإنما العبادة للمالك دون المملوك ، وللرب دون المربوب (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ) أى شىء يتبع من يدعو من دون الله ، يعنى غير الله وسواه شركاء . ومعنى الكلام : أى شىء يتبع من يقول : لله شركاء فى سلطانه ومملكه كاذبا ؟ والله المنفرد بملك كل شىء فى سماء كان أو أرض . (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) يقول : ما يتبعون فى قلوبهم ذلك ودعواهم إلا الظن ، يقول : إلا الشك لا اليقين . (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يقول : وإن هم إلا يتقرلون الباطل ، تظننا وتخترصا للإفك ، عن غير علم منهم بما يقولون .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيها الناس الذى استوجب عليكم العبادة (هُوَ) الرب (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ) ، وفصله من النهار (لَتَسْكُنُوا فِيهِ) مما كنتم فيه فى نهاركم من التعب والنصب ، وتهدهوا

فيه من التصرف والحركة للمعاش ، والعناء الذى كنتم فيه بالنهار (والنهار مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرًا ، فأضاف الإبصار إلى النهار ، وإنما يُبْصِرُ فيه ، وليس النهار مما يُبْصِرُ ، ولكن كان مفهوماً في كلام العرب معناه ، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم ، وذلك كما قال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْسَ الْمَطْيَى بِنَائِمًا

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به ، ومعناه نفسه أنه لم يكن نائماً فيه هو ولا بعيره ، يقول تعالى ذكره : فهذا الذى يفعل ذلك هو ربكم الذى خلقكم وما تعبدون ، لاما لا ينفع ولا يضر ، ولا يفعل شيئاً .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في اختلاف حال الليل والنهار ، وحال أهلها فيهما دلالة وحججا على أن الذى له العبادة خالصا بغير شريك ، هو الذى خلق الليل والنهار ، وخالف بينهما ، بأن جعل هذا للخلق سكنا ، وهذا لهم معاشا ، دون من لا يخلق ولا يفعل شيئاً ، ولا يضر ولا ينفع ، وقال (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) لأن المراد منه : الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها ، فيعتبرون بها ويتعظون ، ولم يرد به الذين يسمعون بأذانهم ، ثم يعرضون عن عبره وعظاته .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، هُوَ الْغَنِيُّ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، إِنْ عِنْدَكُمْ

مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا ، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله ، يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك : سبحان الله ، تنزيها لله عما قالوا وادّعوا على ربهم . (هُوَ الْغَنِيُّ) يقول : الله غنى عن خلقه جميعا ، فلا حاجة به إلى ولد ، لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عوناً له في حياته ، وذكرنا له بعد وفاته ، والله عن كل ذلك غنى ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد ، فيكون به حاجة إلى خلف بعده (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله ما في السموات وما في الأرض ملكا ، والملائكة عباده وملكه ، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا ؟ يقول : أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ؟ (إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) يقول : ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهى السلطان (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ) قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته ، وتصيغون إليه ما لا يجوز إضافته إليه جهلا منكم بغير حجة ولا برهان ؟

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥٤) . . وأم غيلان ابنة جرير . والسرى : سيرهم بالليل ، وقوله : « ما ليل المظي بنائم » : أسند النوم إلى الليل إسنادا مجازيا عقليا ، وأراد أنه نفسه لا ينام في ليل السرى ، والإسناد هنا إلى ظرف الزمان وهو الليل ، لأن النوم يقع فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ: إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. (٦٩) مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ،
ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهم (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) ، فيقولون عليه الباطل ، ويدعون له ولدا ، (لَا يُفْلِحُونَ) يقول : لا يبقون في الدنيا ، ولكن لهم (مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا) يمتعون به ، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه . (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) يقول : ثم إذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم ، إلينا مصيرهم ومنقلبهم (ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) وذلك لإصلاؤهم جهنم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بالله في الدنيا ، فيكذبون رسله ، ويجحدون آياته ، ورفع قوله (مَتَّعَ) بمضمرة قبله إما ذلك ، وإما هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي
بِثَأْتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ
غُمَّةً، ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونِ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وأتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا من قومك (نَبَأَ نُوحٍ) يقول : خبر نوح (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي) يقول : إن كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم ، وشق عليكم (وَتَذْكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ) يقول : ووعظى إياكم بحجج الله ، وتنبهى إياكم على ذلك (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إن كان شقاً عليكم مقامى بين أظهركم ، وتذكيرى بآيات الله ، فعزمت على قتلى أو طردى من بين أظهركم ، فعلى الله اتكالى ، وبه ثقى ، وهو سندی وظهري . (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) يقول : فأعدوا أمركم ، واعزموا على ما تشقون عليه فى أمرى ، يقال منه : أجمعت على كذا ، بمعنى : عزمت عليه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ » بمعنى : من لم يعزم ، ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُسْتَى لَا تَنْشَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ ١

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١٣٨) مصورة الجامعة رقم (٢٤٠٥٩) وأورده صاحب اللسان فى (جمع) . قال : وجمع أمره ، وأجمعه ، وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له . والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا : وقوله تعالى « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » أى وادعوا شركاءكم ، قال : كذلك هى فى قراءة عبد الله (يريد عبد الله بن عامر مقرئ) =

وروى عن الأعرج فى ذلك ما حدثنى بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) يقول : أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم ، ونصب قوله : وشركاءكم بفعل مضممر له ، وذلك : وادعوا شركاءكم ، وعطف بالشركاء على قوله (أَمْرَكُمْ) على نحو قول الشاعر :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَسِيْفًا وَرُمْحًا

فالرمح لا يتقلد ، ولكن لما كان فى ما أظهر من الكلام دليل على ما حذف ، فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف ، فكذلك ذلك فى قوله (وَشُرَكَاءَكُمْ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار (وَشُرَكَاءَكُمْ) نصبا . وقوله (فَأَجْمِعُوا) بهمز الألف وفتحها ، من أجمعت أمرى فأنا أجمعه إجماعا ؛ وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) بفتح الألف وهمزها (وَشُرَكَاءَكُمْ) بالرفع على معنى : وأجمعوا أمركم ، وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاءكم .

والصواب من القول فى ذلك : قراءة من قرأ (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) بفتح الألف من أجمعوا ، ونصب الشركاء ، لأنها فى المصحف بغير واو ، وإجماع الحجة على القراءة بها ، ورفض ما خالفها ، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو ، وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم .
وقوله (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) يقول : ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم : غم على الناس الهلال ، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ، ومنه قول رؤبة :

أهل الشام) لأنه لا يقال : أجمعت شركائى إنما يقال : جمعت قال الشاعر :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدَّ غَدَاً مُتَقَلِّدًا سَسِيْفًا وَرُمْحًا

أراد : وحاملا رمحا . وقال الفراء : الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصبت الشركاء بفعل مضممر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم . قال أبو إسحاق (يعنى إبراهيم بن السرى الزجاج من نخاعة البصريين توفى سنة ٣١١ هـ) : الذى قاله الفراء غلط ، فى إضماره : « وادعوا شركاءكم » لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . قال : وإذا كان الدعاء لغير شيء (أى لأن الأصنام لا تعقل الدعاء) فلا فائدة فيه . قال : والواو بمعنى مع ، كقولك (لو تركت الناقة وفصلتها لرضعها) . المعنى : لو تركت الناقة مع فصلتها . قال : ومن قرأ : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال ويجوز : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . وقال الفراء فى معانى القرآن وقد قرأها الحسن (يعنى ابن أبى الحسن البصرى) : وشركاءكم ، بالرفع ، وإنما الشركاء هاهنا آلهتهم . كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاءكم . قال : ولست أشبهه ، لخلافه للكتاب . ولأن المعنى فيه ضعيف ، لأن الآلهة لا تعمل ولا تجمع .

(٢) هذا البيت تكرر الاستشهاد به فى هذا التفسير (انظره فى ٣ : ٢٧٥ ، ٧ : ٢٩٤) والرمح لا يتقلد ، وإنما يتقلد السيف ، فلا يكون الرمح معطوفا على سيف ، ولا مفعولا معه . وقد روا أنه منصوب بمضممر ، أى وحاملا رمحا . وقال محمد بن يزيد المبرد (كما فى تفسير القرطبى ٨ : ٣٦٣) : هو معطوف على المعنى ، والرمح لا يتقلد إلا أنه محمول كالسيف . فذهب المبرد إذن هو تأويل لفظ متقلدا بلفظ يصلح تسليطه على كل من المعطوف والمعطوف عليه ، مثل لفظه « حاملا » ، وتكون الواو إذن عاطفة .

بَلْ لَوْ شَهِدَتِ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بِغِمَّةٍ لَوْ لَمْ تُسْرَجْ غُمُوا

وقيل : إن ذلك من الغم ، لأن الصدر يضيق به ، ولا يتبين صاحبه لأمره مصدرا يصدره ، يتفرج عنه ما بقلبه ، ومنه قول الخنساء :

وَذِي كُرْبَةِ رَاخِي ابْنِ عَمْرٍو خِنَاقَهُ وَغَمَّتَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتْ

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ) قالوا : لا يكبر عليكم أمركم .

وأما قوله (ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى) فإن معناه : ثم امضوا إلى ما في أنفسكم ، وافرغوا منه .

كما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى وَلَا تُنْظِرُونَ) قال : اقضوا إلى ما كنتم قاضين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى وَلَا تُنْظِرُونَ) قال : اقضوا إلى ما في أنفسكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله (ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى) فقال بعضهم : معناه : امضوا إلى ، كما يقال : قد قضى فلان : يراد : قدم مات ومضى .

وقال آخرون منهم : بل معناه : ثم افرغوا إلى ، وقالوا : القضاء : الفراغ ، والقضاء من ذلك ، قالوا : وكان قضى دينه من ذلك : إنما هو فرغ منه . وقد حكى عن بعض القراء أنه قرأ ذلك (ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى) بمعنى : توجهوا إلى ، حتى تصلوا إلى ، من قولهم : قد أفضى إلى الوجد وشبهه . وقوله (وَلَا تُنْظِرُونَ) يقول : ولا تؤخرون ، من قول القائل : أنظرت فلانا بما لي عليه من الدين ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه : إنه بنصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وتوابعهم غير خائف ، وإعلام منه لهم أن آفتهم لا تضرب ولا تنفع ، يقول لهم : امضوا ما تحدثون أنفسكم به في علي عزم منكم صحيح ، واستعينوا من شايحكم على بآذنتكم التي تدعون من دون الله ، ولا تؤخروا ذلك ، فإنني قد توكلت على الله ، وأنا به واثق أنكم لا تضروني إلا أن يشاء ربي ، وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى عن نوح ، فإنه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به ، وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه .

(١) البيتان في ديوان العجاج طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٦٣ (وهما مطلع أرجوزة له يذكر مسعود بن عمرو العتكي من الأزد) . ونسبه له القرطبي في تفسيره ، وابن منظور في اللسان (كم) قال : وكم الفصيل : إذا أشفق عليه ، فستر حتى يقوى ، قال العجاج : « بل لو شهدت . . . البيت . . . وبين بيتي الشاهد بيت : وهو « بقدر حم لم حوا » . والغم والغمة : الكرب . وتكوا : أي غطوا بالغم . وحم لهم : قدر .

(٢) الكربة : الغم الذي يأخذ بالنفس . راخي : وسع . وابن عمرو : تريد أباها صخر بن عمرو بن الشريد السلمى . وخناقه : الخبل الذي يوضع في الرقبة للخنق . تريد كم مكروب أخذ الغم بمخنته وكاد يقتله ، نفس أخي عنه كربته ونعمه يجوده ، حتى انقشع عنه ما ألم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه : فإن توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى لياكم ، وتبليغ رسالته ربه لياكم ، مدبرين ، فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحق ، والإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة فى عبادته ، فتضییع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم ، لا بسبب من قبلى ، فإنى لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرا ؛ ولا عوضا اعتاضه منكم ، بإجابتكم لياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى ، ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء . (إن أجري إلا على الله) يقول جل ثناؤه : إن جزائى وأجر عملى وثوابه إلا على ربه لا عليكم أيها القوم ، ولا على غيركم . (وأمرت أن أكون من المسلمين) : وأمرنى ربه أن أكون من المدعين له بالطاعة ، المتقادين لأمره ونهيه ، المتذللين له ، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه ، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَجَعَلْنَاَهُمْ خَلْفًا، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِنَايِنَا، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ؟ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : فكذب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى ، فنجيناه ومن معه ، ممن حمل معه فى الفلك ، يعنى فى السفينة ، وجعلناهم خلفا ، يقول : وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة خلفا فى الأرض من قومه الذين كذبوه ، بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، يعنى حجبنا وأدلتنا على توحيدنا ، ورسالة رسولنا نوح ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين ، وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله ، على تكذيبهم إياه ، وعبادتهم الأصنام ، يقول له جل ثناؤه : انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم ، فإن عاقبة من كذبك من قومك ، أن تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربه نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه ؛ يقول جل ثناؤه : فليحذروا أن يحل بهم مثل الذى حل بهم إن لم يتوبوا .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
بِهِ مِنْ قَبْلُ، كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤)

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم ، فأتوهم بينات من الحجج والأدلة على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، وأن ما يدعونهم إليه حق ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، يقول : فما كانوا ليصدقوا بما جاءهم به رسلهم ، بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم . (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) . يقول تعالى ذكره : كما طبعنا على قلوب أولئك ، فحتمنا عليها ، فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ، ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم ، بما اجترموا من الذنوب ، واكتسبوا من الآثام ، كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه ، فتجاوز ما أمره به من توحيده ، وخالف مادعاهم إليه رسلهم من طاعته ، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم ، من هؤلاء الآخرين من بعدهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا ، فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥)

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل ، الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم ، موسى وهارون ابني عمران ، إلى فرعون مصر . (وملائه) : يعني وأشراف قومه وسادتهم . (بآياتنا) : يقول : بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه ، من الإذعان لله بالعبودية ، والإقرار لهما بالرسالة . (فاستكبروا) : يقول : فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون . (وكانوا قوماً مجرمين) : يعني آثمين بربهم ، بكفرهم بالله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا : إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ . (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ : أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧)

﴿ يقول تعالى ذكره (فلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) يعني : فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون ، وذلك الحجج التي جاءهم بها ، وهي الحق الذي جاءهم من عند الله (قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) يعنون : أنه يبين لمن رآه وعينه ، أنه سحر لا حقيقة له . (قَالَ مُوسَىٰ) لهم : (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) من عند الله : (أَسِحْرٌ هَذَا ؟) .

واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله (أَسِحْرٌ هَذَا ؟) ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم ، لأنهم قالوا : أسحر هذا ؟ فقال : أتقولون : أسحر هذا ؟ وقال بعض نحويي الكوفة : إنهم قالوا : هذا سحر ، ولم يقولوه بالألف ، لأن أكثر ما جاء بغير ألف ، قال : فيقال : فلم أدخلت الألف ؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قبيلهم : وهم يعلمون أنه سحر ، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : أحق هذا ؟ وقد علم أنه حق . قال : وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ، ما أعظمه !

﴿ وأولى ذلك في هذا بالصواب عندى : أن يكون المقول محذوفا ، ويكون قوله (أَسِحْرٌ هَذَا) من قبيل موسى منكرا على فرعون وملئه ، قولهم للحق لما جاءهم : سحر ، فيكون تأويل الكلام حينئذ ، قال موسى لهم (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه ، سحر ، أسحر هذا الحق الذى ترونه ؟ فيكون السحر الأول محذوفا ، اكتفاء بدلالة قول موسى (أَسِحْرٌ هَذَا ؟) على أنه مراد فى الكلام ، كما قال ذو الرمة :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبَتْ لَهُ مِنْ خَدَا آذَانِهَا وَهُوَ جَانِحٌ
يريد : أو حين أقبل ، ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، وكما قال جل ثناؤه (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ
الْآخِرَةَ لَيَسُوْا وَأُجُوْهُكُمْ) والمعنى : بعثناهم ليسوا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام
عليه ، فى أشباه لما ذكرنا كثيرة ، يتعب إحصاؤها . وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) يقول :
ولا ينجح الساحرون ولا يبقون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتِنَا عَمَّآ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

﴿ يقول تعالى ذكره : قال فرعون وملؤه لموسى : (أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتِنَا) يقول : لتصرفنا وتلويبنا (عَمَّآ
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من قبل مجيئك من الدين ؛ يقال منه : لفت فلان عنق فلان إذا لواهها ، كما قال
ذو الرمة :

لَفْتْنَا وَتَهْرِيْعًا سَوَاءَ اللَّفْتِ

التهريج : الدق ، واللفت : اللى .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِنَلْفِتِنَا) قال :
لتلويبنا (عَمَّآ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) .
وقوله (وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) يعنى : العظمة ، وهى الفعلية من الكبر . ومنه قول
ابن الرقاع :

سُوْدُودًا غَيْرَ فَاحِشٍ لَا يُدَا نِيهِ تَجْبِيْرُهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ^٢

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة . وقوله : لبس الليل : أدخل فيه . وغدا آذانها : استرخاؤها . والأخذى : المسترخى الأذن . وجانح :

يعنى الليل

(٢) السؤدد : السيادة والرياسة والشرف . وغير فاحش : أى لا يفتى معه ولا تجبر ، ولا يخالطه كبرياء . والتجبار : مصدر
بمعنى الجبر والقهر . والكبرياء : بوزن فعلية : العظمة إذا كانت وصفا لله . وإذا وصف بها المخلوقون ، فهى التكبر والاستعلاء
على الناس ، مع التجبر والتهم والإذلال والظلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْأَرْضُ) قال : الملك .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْأَرْضُ) قال : السلطان في الأرض .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني ، عن مجاهد ، قال : الملك في الأرض .
قال : ثنا المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْأَرْضُ) قال : الطاعة .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْأَرْضُ) قال : الملك .

قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : السلطان في الأرض .

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني ، وذلك أن الملك سلطان ، والطاعة ملك ، غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب ، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك . وقوله (وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : وما نحن لكما ياموسى وهارون بمؤمنين ، يعنى بمقرئين بأنكما رسولان أرسلنا إلينا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى : أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لقومه : اتوني بكل من يسحر من السحرة ، عليم بالسحر ؛ فلما جاء السحرة فرعون ، قال موسى : ألقوا ما أنتم ملقون من جبالكم وعصيتكم . وفي الكلام مخذوف قد ترك ، وهو : فأتوه بالسحرة ، فلما جاء السحرة ؛ ولكن اكتفى بدلالة قوله (فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ) على ذلك ، فترك ذكره ، وكذلك بعد قوله (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) مخذوف أيضا ، قد ترك ذكره ، وهو فألقوا جبالهم وعصيتهم ، فلما ألقوا قال موسى ؛ ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه ، فترك ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ ، السَّحْرُ ، إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا أَلْقُوا) ما هم ملقوه (قال) لهم (مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والعراق (ما جئتم به السحر) على وجه الخبر من موسى ، عن الذى جاءت به سحرة فرعون أنه سحر ، كأن معنى الكلام على تأويلهم ، قال موسى : الذى جئتم به أيها السحرة هو السحر ، وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين (ما جئتم به السحر) على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به ، أ سحر هو ، أم غيره ؟

❦ وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه على وجه الخبر ، لاعلى الاستفهام ، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاككاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر للاحقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أى شئ هو ؟ وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة أنما جاء بهم فرعون ليغالبه على ما كان جاءهم به من الحق الذى كان الله آتاه ، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل ، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذى آتاه ، ومبطل كيدهم بجدّه ، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخرى .

فإن قال قائل : فما وجه دخول الألف واللام في السحر ، إن كان الأمر على ما وصفت ؟ وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا : ما جاءني به عمرو درهم ، والذى أعطاني أخوك دينار ، ولا يكادون أن يقولوا : الذى أعطاني أخوك الدرهم ، وما جاءني به عمرو الدينار ؟ قيل له : بلى كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر ما والذي ، إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب ، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام ، لأن الخبر حينئذ خبر عن شئ بعينه معروف عند الفريقين ، وإنما يأتي ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شئ بعينه ، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر ، وخبر موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة ، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله عامماً له على صدقه ونبوته إلى أنه سحر ، فقال لهم موسى : السحر الذى وصفتم به ما جئتمكم به من الآيات ، أيها السحرة ، هو الذى جئتم به أنتم ، لا ما جئتمكم به أنا ، ثم أخبرهم أن الله سيظلمه ، فقال (إن الله سيبطله) يقول : سيذهب به ، فذهب به تعالى ذكره ، بأن سلط عليه عصا موسى ، قد حوّلنا ثعبانا يتلفه ، حتى لم يبق منه شئ (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى : أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه ، وعميل فيها بمعاصيه ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب : ما أتيتم به سحر . وفي قراءة ابن مسعود : ما جئتم به سحر ، وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢)

❦ يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى ، أنه قال للسحرة : (ويحق الله الحق) يقول : ويثبت الله الحق

الذي جئتكم به من عنده ، فيعليه على باطلكم ، ويصححه بكلماته ، يعني بأمره (وَلَوْ كَرِهَ لِمُجْرِمُونَ)
يعني الذين اكتسبوا الإثم برحمهم بمعصيتهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ، وَإِنْ
فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة ، إلا ذرية من قومه ، خائفين من
فرعون وملئهم .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذرية في هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذرية في هذا الموضع : القليل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ
قَوْمِهِ) قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) الذرية : القليل ، كما قال الله تعالى (كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل ، لطول الزمان ،
لأن الآباء ماتوا وبقى الأبناء ، فقليل لهم ذرية ، لأنهم كانوا ذرية من هلك ، ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد ، في قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم من
طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمَا آمَنَ
لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا
ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ) قال : أبناء أولئك الذين
أرسل إليهم ، فطال عليهم الزمان ، ومات آباؤهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : كانت الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير ، منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه ؛

وقد روى عن ابن عباس خبر يدل على خلاف هذا القول ، وذلك ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) يقول : بني إسرائيل ، فهذا الخبر ينفي عنه أنه كان يرى أن الذرية في هذا الموضع هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون .

وأولى هذه الأقوال عندى بتأويل الآية : القول الذي ذكرته عن مجاهد ، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل ، فهلكوا قبل أن يقرؤا بنبوته ، لطول الزمان ، فأدركت ذريتهم ، فآمن منهم من ذكر الله بموسى .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى ، فلأن تكون الهاء في قوله من قومه ، من ذكر موسى ، لقربها من ذكره ، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها ، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر .

وبعد : فإن في قوله (عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) الدليل الواضح على أن الهاء في قوله (إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) من ذكر موسى ، لا من ذكر فرعون ، لأنها لو كانت من ذكر فرعون ، لكان الكلام على خوف منه ، ولم يكن على خوف من فرعون .

وأما قوله (عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ) فإنه يعنى على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى . فتأويل الكلام : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل ، وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوه . وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل ، وآباؤهم من القبط ، فقيل لهم الذرية من أجل ذلك ، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم : أبناء . والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب : أنها أعقاب من نسبت إليه من قبيل الرجال والنساء ، كما قال الله جل ثناؤه (ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) وكما قال (وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) ثم قال بعد (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ) فجعل من كان من قبيل الرجال والنساء من ذرية إبراهيم .

وأما قوله (وَمَلَئِهِمْ) فإن الملاء : الأشراف . وتأويل الكلام : على خوف من فرعون ومن أشرفهم . واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله (وَمَلَئِهِمْ) فقال بعض نحوي البصرة : عني بها الذرية ، وكأنه وجه الكلام إلى : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون ، وملاء الذرية من بني إسرائيل . وقال بعض نحوي الكوفة : عني بهما فرعون ، قال : وإنما جاز ذلك وفرعون واحد ، لأن الملك إذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ، ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، وقال : ألا

ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثرت الناس ، تريد بمن معه ، وقدم فعلت الأسعار ، لأننا ننوي بقدمه قدوم من معه . قال : وقد يكون أن يريد بفرعون آل فرعون ، ويحذف آل فرعون فيجوز ، كما قال (وأسئل القرية) يريد أهل القرية ، والله أعلم .

قال : ومثله قوله (يا أيها النسيب إذا طلقتم النساء فطلقوهن ليعيدتهن) .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : الهاء والميم عائدتان على الذرية ، ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون ، وملاً للذرية ، لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية ، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى . وقوله (أن يقتلهم) يقول : كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يقتلهم بالعذاب ، فيصدّهم عن دينهم ، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله ، وقال : (أن يقتلهم) فوحّد ولم يقل : أن يقتلهم ، للدليل الخبر عن فرعون بذلك ، أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدّم من قوله (على خوف من فرعون) ، وقوله (وإن فرعون لتعال في الأرض) يقول تعالى ذكره : وإن فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه ، (وإنه لمن المتجاوزين الحق إلى الباطل ، وذلك كفره بالله ، وتركه الإيمان به ، وجحوده وحدانية الله ، وادّعاؤه لنفسه الألوهة ، وسفكه الدماء بغير حلها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمِ إِنِ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل موسى نبيه لقومه : يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وصدّقتم بربوبيته (فعليه توكّلوا) يقول : فبه فتقوا ، ولأمره فسلموا ، فإنه لن يخذل وليه ، ويسلم من توكل عليه . (إن كنتم مسلمين) يقول : إن كنتم مذعنين لله بالطاعة ، فعليه توكّلوا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالُوا عَلَىٰ اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : فقال قوم موسى لموسى (على الله توكّلنا) أي به وثقنا ، وإليه فوَضنا أمرنا . وقوله (ربنا لا تجعلنا فتنَةً للقوم الظالمين) يقول جل ثناؤه مخبراً عن قوم موسى إنهم دعوا ربهم فقالوا : يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ، ولا تمتحنهم بنا ، يعنون قوم فرعون . وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سألوه ربهم ، من إعادته ابتلاء قوم فرعون بهم ، فقال بعضهم : سألوه أن لا يظهرهم عليهم ، فيظنوا أنهم خير منهم ، وأنهم إنما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهو الآن الآخري .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجاز ، فى قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا يظهروا علينا ، فيروا أنهم خير منا .
 حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجاز ، فى قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : قالوا : لا نظهرهم علينا ، فيروا أنهم خير منا .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضحى (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .
 حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تسلطهم علينا فيضلونا .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ، وقال أيضا : فيفتنونا .
 حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا ، فيفتنوا بنا .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ، ولا عذبوا ، فيفتنوا بنا .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزرة ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم . فيفتنوا ، ويقولوا : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ، وما عذبوا .
 حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله تعالى (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) : لا تبتلنا ربنا فتجهدنا ، وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة ؛ وقرأ : فتنة للظالمين ، قال المشركون حين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ويرمونهم ، أليس ذلك فتنة لهم ، وسوء لهم ، وهى بلية للمؤمنين .

﴿ والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن القوم رغبوا إلى الله في أن يجبرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء ، وكل ما كان من أمر ، كان لهم مَصَدَّة عن اتباع موسى والإقرار به ، وبما جاءهم به ، فإنه لاشك أنه كان لهم فتنه ، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادا من الإيمان بالله ورسوله ، وكذلك من المَصَدَّة كان لهم عن الإيمان ، أن لو كان قوم موسى عاجلهم من الله محنة في أنفسهم ، من بلية تنزل بهم ، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادقا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : ونجنا ياربنا برحمتك ، فخلصنا من أيدي القوم الكافرين ، قوم فرعون ، لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القذرة من خدمتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ مَكْمًا بِمِصْرَ بِيُوتَا، وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)

﴿ يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذوا القوم كما بمصر بيوتا ، يقال منه : تبوأ فلان لنفسه بيتا : إذا اتخذ ، وكذلك تبوأ مصحفا : إذا اتخذ ، وبوأته أنا بيتا : إذا اتخذته له (واجعلوا بيوتكم قبلة) يقول : واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (واجعلوا بيوتكم قبلة) فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال : مساجد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال : أمروا أن يتخذوها مساجد .

قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال : كانوا يقرءون من فرعون وقومه أن يصلوا ، فقال لهم : اجعلوا بيوتكم قبلة ، يقول : اجعلوها مسجدا ، حتى تصلوا فيها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال : خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأَمروا أن يصلوا في بيوتهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شبل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين فأَمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا لا يصلون إلا فى البيع ، وكانوا لا يصلون إلا خائفين ، فأَمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كانوا خائفين ، فأَمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون ، فأَمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس فى قوله (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : مساجد .

قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى سنان ، عن الضحاك (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا) قال : مساجد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأَمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قال أبى زيد : اجعلوا فى بيوتكم مساجد كم تصلون فيها تلك القبلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا مساجدكم قبيل الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يعنى : الكعبة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : لانستطيع أن نُنْظِرَ صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم ، وأَمروا أن يجعلوا بيوتهم قبيل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس

في قوله : (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ، ألا ترى أنه يقول (فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قِبَلِ الْقِبْلَةِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة ، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرّاً .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ثم ذكر مثله سواء .

قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأُوْحَيْتَنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ آلِ قَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا) مساجد .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَنْ تَبَوَّءَ آلِ قَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مصر : الإسكندرية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُوْحَيْتَنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ آلِ قَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : وذلك حين منعهم فرعون الصلاة ، فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو القبلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن أبي سنان ، عن الضحاك (وَأُوْحَيْتَنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ آلِ قَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مساجد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قِبَلِ الْقِبْلَةِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : يقابل بعضها بعضاً .

بِبَيْتِهِ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : القول الذي قدمنا بيانه ، وذلك أن الأغلب من معاني البيوت ، وإن كانت المساجد بيوتاً ، البيوت المسكونة ، إذا ذكرت باسمها المطلق ، دون المساجد ، لأن المساجد لها اسم هي به معروفة ، خاصاً لها ، وذلك المساجد . فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء ، فالبيوت المسكونة ، وكذلك القبلة ، الأغلب من استعمال الناس إياها في قبيل المساجد والصلوات ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذي

نزل به ، دون الخفى الجهول ، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك ، ولم يكن على قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل فى كلام العرب ، لم يجوز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذى وصفنا ، وكذلك القول فى قوله : (قِبْلَتَهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول تعالى ذكره : وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه لنبى عليه الصلاة والسلام : وبشر مقيمى الصلاة ، المطيعى الله يا محمد ، المؤمنين بالثواب الجزيل منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨)

✽ يقول تعالى ذكره : وقال موسى : يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم ، وهم المملأ ، زينة من متاع الدنيا وأثائها ، وأموالا من أعيان الذهب والفضة فى الحياة الدنيا . (رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ) يقول موسى لربه : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ، ليضلوا عن سبيلك .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا الناس عن سبيلك ، ويصدّوهم عن دينك .

وقرأ ذلك آخرون (لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلواهم عن سبيلك ، فيسجوروا عن طريق الهدى .

فإن قال قائل : أفكان الله جل ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا عن الناس عن دينه ، أو ليضلوا هم عنه ، فإن كان لذلك أعطاهم ذلك ، فقد كان منهم ما أعطاهم ، لأجله فلا عتب عليهم فى ذلك ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العلم بالعربية فى معنى هذه اللام التى فى قوله (لِيُضِلُّوا) فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ربنا فضلوا عن سبيلك ، كما قال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) : أى فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا ، وإنما التقطوه فكان لهم ؛ قال : فهذه اللام تجىء فى هذا المعنى . وقال بعض نحويى الكوفة : هذه اللام لام كى ١ . ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كى يضلوا ، ثم دعا عليهم . وقال آخر : هذه اللامات فى قوله ليضلوا ، وليكون لهم عدوًّا ، وما أشبهها بتأويل الخفض : آتيتهم ما آتيتهم لفضلاهم ، والتقطوه لكونه ، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك ، والعرب تجعل لام كى فى معنى

(١) قائل هذا : هو القراء فى معانى القرآن (انظر مصورة جامعة القاهرة ٢٤٠٥٩ ص ١٣٩) .

لام الخفض ، ولام الخفض في معنى لام كى ، لتقارب المعنى ، قال الله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ) أى لإعراضكم ، ولم يملفوا لإعراضهم ؛ وقال الشاعر :

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلًا لِيَتَسَمَوْا وَلَكِنَّ الْمُضْصِيعَ قَدْ يُصَابُ^١

قال : وإنما يقال : وما كنت أهلا للفعل ، ولا يقال لتفعل إلا قليلا ، قال : وهذا منه .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنها لام كى ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويضلوا عن سبيلك عبادك ، عقوبة منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه (لَأَسْفَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَبْتِنِهِمْ فِيهِ) ، وقوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) هذا دعاء من موسى ، دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيبتها ، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها ، وذلك نحو قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا ، فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) يعنى به : من قبل أن نغيرها عن هيبتها التي هي بها ، يقال منه : طمست عينه أطمسها ، وأطمسها طمسا وطموسا ، وقد تستعمل العرب الطمس في العفوّ والدثور ، وفي الاندقاق والدروس ، كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرَقَتْ عُرْضَتَهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^٢

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع ، فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : بلغنا عن القرظي ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعلها حجارة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس ، في قوله (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

(١) هذا البيت شاهد لنحاة البصرة على أن اللام في « لتسمو » للجد ، وأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وجوبا ، وأن المصدر المؤول مجرور باللام ، وإجار والمجرور متعلق بغير تكن المنفية بلم ، وهو كلمة « أهلا » وقد صرح القائل بهذا الخبر ، والأكثر في كلام العرب ألا يصرح به نحو « ما كان الله ليعذبهم » التقدير : لم يكن مريدا لتعذيبهم . وخالفهم الكوفيون في ذلك ، وجعلوا اللام ناصبة بنفها ، لا بأن مضمرة بعدها .

(٢) البيت لكعب بن زهير (انظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٤ : ١٤٩) . والنضاح : كثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة خلف أذن الناقة ، وهي يقرب غدة العرق . وعرضتها : همها . وطماس الأعلام : الدار من المتغير من علامات الطريق ، وهي ما يستدعى به المسافرون من أحجار وآبار ونحوها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق . لنشاطها في سيرها ، وجهدها نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق ، وإن درست أعلامه ، وتغيرت مسالكه ، لكثرة مسافرت فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ)
قال : بلغنا أن زروعهم تحوَّلت حجارة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى
أَمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حُرُوثاً لهم صارت حجارة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال :
يقولون : صارت حجارة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى الحماني ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل ،
عن أبي صالح ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (رَبَّنَا
اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حُرُوثاً لهم صارت حجارة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ)
قال : قد فعل ذلك ، وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم ، فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم

وكل شيء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أهلكتها .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : أهلكتها .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) يقول : دَمَّرَ عليهم ، وأهلك أموالهم .

وأما قوله (وَأَشَدُّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فإنه يعنى : واطبع عليها ، حتى لاتلين ، ولا تنشرح بالإيمان .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، وقال موسى

قبل أن يأتي فرعون (رَبَّنَا اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فاستجاب الله

له ، وحال بين فرعون وبين الإيمان ، حتى أدركه الغرق ، فلم ينفعه الإيمان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(وَأَشَدُّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : واطبع على قلوبهم (حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وهو الغرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَشَدُّ دُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالضلالة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَشَدُّ دُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : بالضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : (وَأَشَدُّ دُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : أهلكتهم كفارا .

وأما قوله (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فإن معناه : فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقرؤا بوحدانيته ، حتى يروا العذاب الموجه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا يُؤْمِنُوا) بالله فيما يرون من الآيات (حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : سمعت المنقرى يقول (فَلَا يُؤْمِنُوا) يقول : دعا عليهم .
واختلف أهل العربية في موضع (يُؤْمِنُوا) فقال بعض نحويي البصرة : هو نصب ، لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا . وقد حكى عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب عطفا على قوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) وقال آخر منهم : وهو قول نحويي الكوفة ، موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم ، بمعنى : فلا آمنوا ، كما قال الشاعر :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوَى وَلَا تَلْقَيْنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاعِمٌ ۱

بمعنى : فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ، ولا لقيتني على الدعاء . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهم فلا يؤمنوا ، قال : وإن شئت جعلتها جوابا لمسئلته إياه ، لأن المسئلة خرجت على لفظ الأمر ، فتعجل (فَلَا يُؤْمِنُوا) في موضع نصب على الجواب ، وليس بسهل ، قال : ويكون كقول الشاعر :

(١) البيت للأعشى ، أنشده (اللسان : زوى) . قال : وزوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع وقبضه ، قال الأعشى :

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ عِنْدِي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْمُحَاجِمِ

ثم أورد بعده بيت الشاهد كما رواه المؤلف . وهو يهجو يزيد بن مسهر الشيباني ، كما في ديوانه طبعه القاهرة ص ٧٩ يقول : إنه ينفر مني حين يلتقي ، ويتجهم لي مقلبا وجهه ، كأنما وضعت بين عينيه المحاجم ، وما أبالي أن يديم الله غصه في ، وأن أكون شجافا حلقه .

يا ناقَ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحًا إِلَى سَلِيمَانَ فَتَسْتَرِيحًا

قال : وليس الجواب بسهل في الدعاء ، لأنه ليس بشرط .

والصواب من القول في ذلك : أنه في موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا ، وإنما اخترت ذلك لأن ما قبله دعاء ، وذلك قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ، فإلحاق قوله (فَلَا يُؤْمِنُوا) إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى .

وأما قوله (حتى يَرَوْا العَدَابَ الأليم) فإن ابن عباس كان يقول : معناه : حتى يروا الغرق : وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس (فلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوْا العَدَابَ الأليم) قال : الغرق .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)

وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهارون دعاءهما ، على فرعون وأشراف قومه وأموالهم ، يقول جل ثناؤه (قَالَ) الله لهما (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) في فرعون وملئه وأموالهم . فإن قال قائل : وكيف نسبت الإجابة إلى اثنين ، والدعاء إنما كان من واحد ؟ قيل : إن الداعي وإن كان واحدا ، فإن الثاني كان مؤمنا ، وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما ، لأن المؤمن داع ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن عكرمة في قوله (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين ، وأنشد في ذلك :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تُعْجِلْنَا بِبِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْتِزَّ شَيْحَا

(١) هذان البيتان من شواهد النحويين على نصب المضارع بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالطلب ، وهو قوله : سيرى . وهما لأى النجم العجل الراجز ، يقصد سليمان بن عبد الملك الأموى . والعنق بفتح الحاء : ضرب من السير ، والفسيح الواسع انظر شرح التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ، (طبعة الأميرية ٢ : ٣٠٢) . وانظره أيضا في معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ٢٩٤) .

(٢) هذا البيت لمصر بن ربيع الفقهى الأندلسى (انظره في اللسان : جز ٢ . وفي شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الأستراباذى طبعة حجازى بالقاهرة ، وهو الشاهد رقم ٢٣٣ ص ٤٨١ وما بعدها) والبيت من مقطوعة ذكرها الرضى ، وذكر منها صاحب اللسان ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد . والرواية فيه « لا تحبسانا » في موضع « لا تعجلنا » عن الخالدين . قال : إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وكذلك رواه الكسائى أيضا ، كما في الصحاح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زكريا بن عدى ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وزيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن شيخ له ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمن هارون .
حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، وعبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قال : دعا موسى وأمن هارون ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن عكرمة في قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) لموسى وهارون .

قال ابن جريج : قال عكرمة : آمن هارون على دعاء موسى ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فاستقيما) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان هارون يقول : آمين ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها .

وأما قوله (فاستقيما) فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون ، بالاستقامة والثبات على أمرهما ، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتيهم عقاب الله ، الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (فاستقيما) : فامضيا لأمرى ، وهي الاستقامة .

قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .
وقوله (وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : وَلَا تَسْلُكَا طَرِيقَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ

كما قال سويد بن كراع العكل يهجو عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه :

فإن تَزَجْرَانِي يَا بَنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرُ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُنَمَّعًا

ويروى : « لحاطبي » في مكان « لصاحبي » وذكر ياقوت أنه قرأها بخط يزيد . ويروى « أجدز » بالدال ، أبدل تاء الافعال دالا ، لمكان الزاى بعدها . وهذا موضع الشاهد في البيت عند الرضى . وأخطأ الكسائي في نسبة البيت ليزيد بن الطرية . ورواية اللسان : « ولا تحبنا » خطاب الواحد ، وعليها فلا شاهد في البيت . أى لا تحبنا عن شئ اللحم ، بأن تقلع أصول الشجر ، بل نخذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه ، وأسرع لنا في الشئ .

وعدى ، فاستعجلان قضائى ، فان وعدى لاخلف له ، وإن وعيدى نازل بفرعون ، وعذابى واقع به وبقومه .

الفرق فى تأويل قوله تعالى

وَجَوْزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزه (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) يقول : فتبعهم فرعون (وَجُنُودُهُ) يقال منه : أتبعته وتبعته بمعنى واحد ، وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهز الألف ، وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم ، فإنه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الألف (بَغْيًا) على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بنى إسرائيل (وَعَدُوًّا) يقول : واعتداء عليهم ، وهو مصدر من قولهم : عدا فلان على فلان فى الظلم ، يعدو عليه عدوا ، مثل : غزا يغزو وغزوا . وقد روى عن بعضهم أنه كان يقرأ (بَغْيًا وَعَدُوًّا) وهو أيضا مصدر من قولهم : عدا يعدو عدوا ، مثل علايلعوا علوا (حتى إذا أدركه الغرق) يقول : حتى إذا أحاط به الغرق ، وفى الكلام متروك قد ترك ذكره ، بدلالة ماظهر من الكلام عليه ، وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه ، فغرقناه ، حتى إذا أدركه الغرق .

وقوله (قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل فرعون ، حين أشرف على الغرق ، وأيقن بالهلكة : (ءَأَمِنْتُ) يقول : أقررت (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم ، وهو قراءة عامة المدينة والبصرة أنه بفتح الألف من أنه ، على إعمال آمنت فيها ونصبها به . وقرأ آخرون : آمنت إنه ، بكسر الألف من إنه على ابتداء الخبر ، وهى قراءة عامة الكوفيين .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وبأيتهما قرأ القارى فمصيب .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد ، قال : اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر ، حين خرجوا وهم ست مئة ألف ، فلما أدركهم فرعون فرأوه ، قالوا : ياموسى ، أين اخرج؟ فقد أدركنا ، قد كنا نلقى من فرعون البلاء ؛ فأوحى الله إلى موسى (أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَتَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) وبيس لهم البحر ، وكشف الله عن وجه الأرض ، وخرج فرعون على فرس حصان أدهم ، على لونه من الدُّمُّ ثم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدواب ، وكانت تحت جبريل

عليه السلام فرس وديق^١ ، ليس فيها أنثى غيرها ، وميكائيل يسوقهم ، لا يشدّ رجل منهم إلا ضمه إلى الناس ، فلما خرج آخر بني إسرائيل ، دنا منه جبريل ولصق به ، فوجد الحصان ريح الأنثى ، فلم يملك فرعون من أمره شيئا ، وقال : أقدموا ، فليس القوم أحقّ بالبحر منكم ، ثم أتبعهم فرعون ، حتى إذا همّ أن يخرجوا ، ارتطم ونادى فيها : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وتودى : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وعن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : رفعه أحدهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنْ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فَمِّ فِرْعَوْنَ الطَّيْنِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « جَعَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدُسُّ أَوْ يَحْشُو فِي فَمِّ فِرْعَوْنَ الطَّيْنِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قَالَ لِي جِبْرَائِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَعْطُهُ وَأَدُسُّ مِنْ حَمَمِهِ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ فَيَغْفِرَ لَهُ » يعني فرعون .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخْذُ مِنْ حَمَاةِ الْبَحْرِ وَأَدُسُّ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، عن حكام ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، جَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَحْشُو فِي فِيهِ الطَّيْنِ وَالشَّرَابَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرني من سمع ميمون بن مهران يقول في قوله (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) قال : أخذ جبرائيل من حمأة البحر ، فضرب بها فاه ، أو قال : ملأ بها فاه ، مخافة أن تدركه رحمة الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسين بن علي عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خطب الضحاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله ، فلما أدركه الغرق (قال : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال الله (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) ؟

(١) يقال فرس وديق ، وبغلة وديق : إذا أرادت الفعل وحرصت عليه .

قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن فرعون لما أدركه الغرق ، جعل جبرائيل يحثو فى فيه التراب ، خشية أن يغفر له .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن عيسى بن المغيرة ، عن إبراهيم التيمى ، أن جبرائيل عليه السلام قال : ما خشيت على أحد من بنى آدم الرحمة إلا فرعون ، فإنه حين قال ما قال خشيت أن تصل إلى الرب فيرحمه ، فأخذت من حمأة البحر وزبدته ، فضربت به عينيه ووجهه .

قال أخبرنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن يعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال جبرائيل عليه السلام : لقد حشرت فاه الحمأة ، مخافة أن تدركه الرحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

«الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)»

يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته ، وإساءته إلى نفسه أيام صحته ، بتأديه فى طغيانه ومعصيته ربه ، حين فرغ إليه فى حال حلول سخطه به ، ونزول عقابه ، مستجيرا به من عذابه الواقع به ، لما ناداه وقد علتة أمواج البحر ، وغشبهت كرب الموت : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) له ، المنقادين بالذلة له ، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ الله بالعبودية ، وتستسلم له بالذلة ، وتخلص له الألوهة ، وقد عصيته قبل نزول نعمته بك ، فأخطته على نفسك ، وكنت من المفسدين فى الأرض ، الصادّين عن سبيله ، فهلا وأنت فى مهمل ، وباب التوبة لك منفتح ، أقررت بما أنت به الآن مقرّ ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ أَنْجِيكَ بِيَدِنَا لَتَسْكُونَ لِمَنْ خَافَكَ آيَةً ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره لفرعون : فالיום نجعلك على نجوة من الأرض بيدنا ، ينظر إليك هالكا من كذب بهلاكك (لَتَسْكُونَ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً) يقول : لمن بعدك من الناس عبيرة يعتبرون بك ، فيزجرون عن معصية الله والكفر به ، والسعى فى أرضه بالفساد . والنجوة : الموضع المرتفع على ماحوله من الأرض ، ومنه قول أوس بن حجر :

فَمَنْ بَعَقْتُوهُ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحٍ

(١) فى (السان : عفا) العقوة : الساحة ، وما حول الدار والمحلة ، جمعها : عقاء . يقال : نزل بعقوته ، وما بعقوة هذه الدار مثل فلان ، أى بساحتها . وفى اللسان : نجا : النجوة : ما ارتفع من الأرض ، ونسب بيت الشاهد إلى عبيد بن الأبرص . والمستكن : المستتر فى الكن ، والكن والكنة والكنان (بكر الكاف فىهن) : وقاه كل شيء وسره . والكن : البيت أيضا ، والجمع : أكنان وأكنة . والقرواح : الأرض البارزة للشمس ، قال عبيد : « فن بعقوته » (كذا فى اللسان : قرح) وأشد البيت ونسبه لعبيد أيضا .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد وغيره ، قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، قال : فأخرجه الله إليهم ، ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن سعيد الجريري ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس ، أو أحدث الناس عن بني إسرائيل ، قال : فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر ، هابت الخيل للهب ، قال : ومثّل لحصان منها فرس وديق ، فوجد ريحها ، أحسبه أنا ، قال : فانسلّ فاتبعته ، قال : فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر ، وخرج آخر بني إسرائيل ، أمر البحر فانطبق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : ما مات فرعون ، وما كان ليوت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر ، يتراءاه بنو إسرائيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بدنه : جسده ، رمى به البحر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : يجسدك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما جاوز موسى البحر يجمع من معه ، التقى البحر عليهم ، يعنى على فرعون وقومه ، فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إننا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه ، فدعاه ربه ، فأخرجه ، فنبذه البحر ، حتى استيقنوا بهلاكه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) يقول : أنكر ذلك طوائف من بني إسرائيل ، فقذفه الله على ساحل البحر ، ينظرون إليه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) قال : لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله آية وعظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد أو غيره ، بنحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن معمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : يجسدك .

(١) الوديق من الخيل والبغال والأتان : التي تريد الفحل .

قال : ثنا محمد بن بكير ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَيْدَتِكَ) قال : بجسدك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كذب بعض بنى إسرائيل بموت فرعون ، فرمى به على ساحل البحر ، ليراه بنو إسرائيل ، قال : كأنه ثور أحمر . وقال آخرون : تنجو بجسدك من البحر ، فخرج منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَيْدَتِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً) يقول : أنجى الله فرعون لبنى إسرائيل من البحر ، فنظروا إليه بعد ما غرق .

فإن قال قائل : وما وجه قوله : بيدتك ، وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه بيدتك ؟ قيل : كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا ، كما دخل البحر ، فلما كان جائزا ذلك ، قيل : فاليوم ننجيك بيدتك ، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميتا .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا لَخَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كثيرا من الناس عن آياتنا ، يعنى : عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة . لغافلون : يقول : لساهاون ، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا بنى إسرائيل منازل صدق ، قيل : عنى بذلك الشام وبيت المقدس ، وقيل : عسى به الشام ومصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك (مَبْوَءَ صِدْقٍ) قال : منازل صدق : مصر والشام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَبْوَءَ صِدْقٍ) قال : بواهم الله الشام وبيت المقدس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ) الشام ، وقرأ (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) ، وقوله (وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقنا بنى إسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب .

وقوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) يقول جل ثناؤه : فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل ، حتى جاءهم ما كانوا به علمين ؛ وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد ، والإقرار به وببعثه ، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعضهم ، وآمن به بعضهم ، والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا ، فذلك قوله : فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الذي كانوا يعلمونه نبيا لله ، فوضع العلم مكان المعلوم .

وكان بعضهم يتأول العلم ههنا : كتاب الله ووحيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) قال : العلم : كتاب الله الذي أنزله ، وأمره الذي أمرهم به ، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم . بغيا بينهم ، أهل هذه الأهواء ، هل اقتتلوا إلا على البغي ؟ قال : والبغي وجهان : وجه النفاسة في الدنيا ، ومن اقتتل عليها من أهلها ، وبغي في العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ، ويرى نفسه مصيبا عالما ، فيبغى بإصابته وعلمه على هذا المخطئ .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بني إسرائيل فيك يوم القيامة ، فيما كانوا فيه من أمرى في الدنيا يختلفون ، بأن يدخل المكذبين بك منهم النار ، والمؤمنين بك منهم الجنة ، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ، لَقَدْ

جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه ، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم : في التوراة والإنجيل ، فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل ، كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم ، دون أهل الكذب والكفر بك منهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) نظم هذه الآية (حتى جاءهم العلم إن ربك . . . الخ) وأما آية الجاثية : (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا . . . الخ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (فاسْتَسْأَلِ الَّذِينَ يَاقُرْءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : التوراة والإنجيل ، الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فأمنوا به ، يقول : فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) قال : هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) قال : هم أهل الكتاب .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) يعنى أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ، ممن أدرك نبي الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك من خبر الله أنه حق يقين ، حتى قيل له : (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك)؟ قيل : لا ، وكذلك قال جماعة من أهل العلم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) فقال : لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) قال : ما شك ، وما سأل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : لم يشك صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا أشك ، ولا أسأل» .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك) قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا أشك ولا أسأل» .

فإن قال : فما وجه مخترج هذا الكلام إذن ، إن كان الأمر على ما وصفت ؟ قيل : قد بينا في غير موضع

(١) في العبارة اختصار كبير ، ولعل الأصل : قال : الكتاب : التوراة والإنجيل . والذين يقرون الكتاب : الذين أدركوا . . . الخ .

من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : إن كنت مملوكي فانته إلى أمري ، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده ؛ كذلك قول الرجل منهم لابنه : إن كنت ابني فبيري ، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه ، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم ، وذكرنا ذلك بشواهد ، وأن منه قول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْسِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك ، وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا في حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا ، إذ كان القرآن بلسانهم نزل .

وأما قوله (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) . . . الآية ، فهو خبر من الله مبتدأ ، يقول تعالى ذكره : أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر ، بأنك لله رسول ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ، ويجحدون نعتك عندهم في كتبهم . (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يقول : فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته ، ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنيبها له على موضع تعرف حقيقة أمره ، الذي يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جل ثناؤه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْغِبِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) كان قولها غير مدفوعة صحته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَّاتِ اللَّهِ ، فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تكونن يا محمد من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته ، فتكونن ممن غيبن حفظه ، وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهي لعنته إياهم ، بقوله (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) فثبتت عليهم ، يقال منه : حق على فلان كذا يحق عليه : إذا ثبت ذلك عليه ووجب . وقوله (لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) يقول : لا يصدقون بحجج الله ، ولا يقرؤون بوحداية ربهم ، ولا بأنك لله رسول ، ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعابنوها ، حتى يعابنوا العذاب الأليم ، كما لم يؤمن فرعون وملؤه ، إذ حقت عليهم كلمة ربك ، حتى عابنوا العذاب الأليم ، فحينئذ قال : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) حين لم ينفعه قبيله ، فكذلك هؤلاء الذين حقت

عليهم كلمة ربك من قومك ، من عبدة الأوثان وغيرهم ، لا يؤمنون بك فيتبعونك ، إلا فى الحين الذى لا ينفعهم إيمانهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثل شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إن الذين حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : حَقَّتْ عَلَيْهِمْ سَخَطُ اللَّهِ بِمَا عَصَوْهُ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إن الذين حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) حَقَّتْ عَلَيْهِمْ سَخَطُ اللَّهِ بِمَا عَصَوْهُ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ءَأَمَّنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآذَابَ
الْحَزْمِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : فهلا كانت قرية آمنت ، وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبى .

ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سخط الله بها بعضيها ربه ، واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك فى ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق ، بعد تماديه فى غيئه ، واستحقاقه سخط الله بمعصيته (إلا قوم يونس) فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة ، وحلول السخط بهم ، فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى ، الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت من أن قوله (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) بمعنى : فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود ، فكيف نصب قوم ، وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحداً كان ما بعده مرفوعاً ، وأن الصحيح من كلام العرب : ما قام أحد إلا أخوك ، وما خرج أحد إلا أبوك ، قيل : إن ذلك إنما يكون كذلك ، إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله ، وذلك أن الأخ من جنس أحد ، وكذلك الأب . ولكن لو اختلف الجنس ، حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله ، كان الفصحى من كلامهم النصب ، وذلك لوقلت : ما بقى فى الدار أحد إلا الوتد ، وما عندنا أحد إلا كلبا أو حمارا ، لأن الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ، ومنه قول النابغة الذبياني :

أُعِيَّتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِـنْ أَحَدٍ

ثم قال :

إِلَّا أَوَارِيَّ لِأَيَّا مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ ١

(١) هذا الشاهد من كلام النابغة الذبياني : زياد بن معاوية . وقد سبق الاستشهاد به فى الجزء الخامس من التفسير ص ٢٧٧ .

فَنَصَبَ الْأَوَارِيَّ إِذْ كَانَ مُسْتَفْتًى مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ فَكَذَلِكَ نَصَبَ قَوْمَ يُونُسَ ، لِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ غَيْرُ الْأُمَّةِ الَّذِينَ اسْتَنْوَا مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِمْ وَشَكْلِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَهَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ الَّذِي يُسَمِّيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمُنْقَطِعَ ، وَلَوْ كَانَ قَوْمَ يُونُسَ بَعْضُ الْأُمَّةِ الَّذِينَ اسْتَنْوَا مِنْهُمْ ، كَانَ الْكَلَامُ رَفَعًا ، وَلَكِنَّهُمْ كَمَا وَصَفْتُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثُبِّي حِجَااجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَنْفَعَهَا إِيمَانُهَا) يَقُولُ : لَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ « آمَنَتْ فَنَفَعَهَا الْإِيمَانُ إِذَا نَزَلَ بِهَا بِأَسِ اللَّهِ ، إِلَّا قَرْيَةُ يُونُسَ .

قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ : قَالَ مُجَاهِدٌ : فَلَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ، كَمَا نَفَعَ قَوْمَ يُونُسَ إِيمَانُهُمْ ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ . حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الْأُمَّةِ قَبْلَهُمْ ، لَمْ يَنْفَعِ قَرْيَةً كَفَرَتْ ثُمَّ آمَنَتْ حِينَ حَضَرَهَا الْعَذَابُ ، فَتَرَكْتَ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ دَنَا مِنْهُمْ ، قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ ، وَلَبَسُوا الْمُسُوحَ ، وَأَلْهَوْا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا ، ثُمَّ عَجَّوْا إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ؛ فَلَمَّا عَرَفَ اللَّهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَالتَّوْبَةَ وَالنَّدَامَةَ عَلَى مَا مَضَى مِنْهُمْ ، كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ ، بَعْدَ أَنْ تَدَلَّى عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ قَوْمَ يُونُسَ كَانُوا بَنِي سَوَى : أَرْضُ الْمَوْصِلِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَنَزَلُوا عَلَى تَلٍّ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا ، يَدْعُونَ اللَّهَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى تَابَ عَلَيْهِمْ . حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : غَشِيَ قَوْمَ يُونُسَ الْعَذَابُ ، كَمَا يَغْشَى الثُّوبَ الْقَبْرَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثُبِّي حِجَااجٌ ، عَنْ صَالِحِ الْمُرِّيِّ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ الْعَذَابَ كَانَ هَبِطَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِلَّا قَدْرُ ثَلَاثِي مِيلٍ ، فَلَمَّا دَعَوْا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَإِسْحَاقَ . قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ وَرْقَاءَ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) قَالَ : كَمَا نَفَعَ قَوْمَ يُونُسَ ، زَادَ أَبُو حَازِمَةَ فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : لَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ حِينَ رَأَتْ الْعَذَابَ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ مَتَّعْنَاهُمْ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : ثَنَا رَجُلٌ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَحَدَّثَ عَنْ قَوْمِ يُونُسَ . (١) أَلْهَوُا : فَرَقُوا . وَالْهَمْزَةُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ . وَفِي حَيْثُ نَقَادَةُ الْأَسَدِيِّ : « غَيْرَ أَنْ لَا تَوَلِّهِ ذَاتٌ وَوَلَدٌ عَنْ وَوَلَدِهِ » . (الأسديان) .

حين أنذر قومه فكذبوه، فأخبرهم أن العذاب يصيبهم، ففارقهم، فلما رأوا ذلك، وغشيبهم العذاب، ليكنهم أخرجوا من مساكنهم، وصعدوا في مكان رفيع، وأنهم جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب، وأن يرجع إليهم رسولهم، قال: ففي ذلك أنزل: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)، فلم تكن قرية غشيبها العذاب، ثم أمسك عنها، إلا قوم يونس خاصة؛ فلما رأى ذلك يونس، لكنه ذهب عاتبا على ربه، وانطلق مغاضبا، وظن أن لن نقدر عليه، حتى ركب في سفينة، فأصاب أهلها عاصف الريح، فذكر قصة يونس وخبره.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال: لما رأوا العذاب ينزل، ففرقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام، ثم قاموا جميعا، فدعوا الله وأخلصوا إيمانهم، فرأوا العذاب يكشف عنهم، قال يونس حين كشف عنهم العذاب: أرجع إليهم وقد كذبتهم، وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة، فعند ذلك خرج مغضبا، وساء ظنه.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: لما أرسل يونس إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، وترك ما هم عليه، قال: فدعاهم فأبوا، فقبل له: أخبرهم أن العذاب مُصَبَّحُهُمْ، فقالوا: إننا لم نجرب عليه كذبا، فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان في جوف الليل أخذ مختلته، فترود فيها شيئا، ثم خرج، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، كما يتغشى الإنسان الثوب في القبر، ففرقوا بين الإنسان وولده، وبين البهيمة وولدها، ثم عَجَّوا إلى الله، فقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وصدقنا، فكشف الله عنهم العذاب، فخرج يونس ينظر العذاب، فلم ير شيئا، قال: جربوا على كذبا، فذهب مغاضبا لربه، حتى أتى البحر. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: ثنا ابن مسعود في بيت المال، قال: إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والد وولدها، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه، فكشف الله عنهم العذاب، وغدا يونس ينظر العذاب، فلم ير شيئا، وكان من كذب ولم تكن له بيعة قَتِيل، فانطلق مغاضبا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا صالح المرسي، عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجليل جيلان^٢، قال: لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فأتري؟ فقال: قولوا يا حي حين لحي، وياحي يحي الموتى، وياحي لا إله إلا أنت، فكشف عنهم العذاب، ومنتعوا إلى حين.

(١) لكنهم: اللام حرف جر والكن: البيت والمأوى، أي غشيبهم العذاب وهم في بيوتهم.

(٢) أبو الجليل: جيلان بن فروة الأسدي بصرى، روى عنه أبو عمران الجوني وغيره (تاج العروس).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : بلغني في حرف ابن مسعود :
فلولا ، يقول : فهلا .

وقوله (لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول : لما صدقوا رسولهم ،
وأقرؤا بما جاءهم به بعد ما أظلمهم العذاب ، وغشيم أمر الله ، ونزل بهم البلاء ، كشفنا عنهم عذاب
الهُوان والذل في حياتهم الدنيا (وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : وأخرنا في آجالهم ، ولم نعالجهم بالعقوبة ،
وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ، ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره لئيبه (وَلَوْ شَاءَ) يا محمد (رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا)
بك ، فصدقوك أنك لى رسول ، وأن ما جئتهم به ، وماتدعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ،
حق ، ولكن لا يشاء ذلك ، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا ، أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك ،
فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور ، إلا من سبق له السعادة في الكتاب الأول ، قبل أن يخلق
السموات والأرض وما فيهن ، وهؤلاء الذين عَجَبُوا من صدق إخبارنا إليك هذا القرآن ، لتندربه من
أمرتك بإنذاره ، ممن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) ، وما كان لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ (ونحو هذا فى القرآن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَحْرِصُ أَنْ يُؤْمِنَ جَمِيعُ النَّاسِ وَيَتَابِعُوهُ عَلَى
الْهُدَى ، فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول ، ولا يضل إلا
من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الأول .

فإن قال قائل : فما وجه قوله (لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) فالكل يدل على الجميع ،
والجميع على الكل ، فما وجه تكرار ذلك ، وكل واحدة منهما تغنى عن الأخرى ؟ قيل : قد اختلف أهل
العربية فى ذلك ؛ فقال بعض نحوى أهل البصرة : جاء بقوله جميعا فى هذا الموضع توكيدا ، كما قال :
(لَا تَتَّخِذُوا الْهَيْبِينَ اثْنَيْنِ) فى قوله : إلهين دليل على الاثنين ، وقال غيره : جاء بقوله : جميعا ،
بعد كلهم ، لأن جميعا لاتقع إلا توكيدا ، وكلهم يقع توكيدا واسما ، فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم . قال :

ولو قيل: إنه جمع بينهما ليعلم أن معناه واحد، لحاز ههنا، قال: وكذلك (الْحَسْبُ اثْنَتَيْنِ) العدد كله يفسر به، فيقال: رأيت قرما أربعة، فلما جاء باثنين، وقد اكتفى بالعدد منه، لأنهم يقولون: عندي درهم ودرهمان، فيكفى من قولهم: عندي درهم واحد، ودرهمان اثنان، فإذا قالوا دراهم، قالوا ثلاثة، لأن الجمع يلتبس، والواحد والاثنان لا يلتبسان، لم يثن الواحد والثنية على تنافى الجمع، لأنه ينبغي أن يكرن مع كل واحد واحد، لأن درهما يدل على الجنس الذى هو منه، وواحد يدل على كل الأجناس، وكذلك اثنان يدلان على كل الأجناس، ودرهمان يدلان على أنفسهما، فلذلك جاء بالأعداد، لأنه الأصل. وقوله (أَفَأَنْتَ تُكذِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك، ويقر بما جئت به، إلا من شاء ربك أن يصدقك، لا ياكراهك إياه، ولا يجرصك على ذلك، أفأنت تكذره الناس حتى يكرنوا مؤمنين لك، مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك، يقول له جل ثناؤه: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبىه: وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك يا محمد، إلا بأن أذن لها فى ذلك، فلا تجهدن نفسك فى طلب هداها، وبلغها وعيد الله، وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها، ثم خلقتها، فإن هداها بيد خالقها.

وكان الثورى يقول فى تأويل قوله (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ما حدثنى المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، فى قوله (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) قال: بقضاء الله.

وأما قوله (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) فإنه يقول تعالى ذكره: إن الله يهدى من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد، ويأذن له فى تصديقك فيصدقك ويتبعك، ويقر بما جئت به من عند ربك، ويجعل الرجس، وهو العذاب، وغضب الله على الذين لا يعقلون، يعنى الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته، التى دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وحقيقة مادعاهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد والأوثان.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن على، عن ابن عباس، قوله (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ) قال: السخط.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا تُنْبِئُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ

لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد. لهؤلاء المشركين من قومك ، السائلينك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان (انظُرُوا) أيها القوم (ماذا في السموات) من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ، من شمسها وقمرها ، واختلاف ليلها ونهارها ، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سماها ، (و) في (الأرض) من جبالها وتصدها بنباتها ، وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم ، موعظةً ومعتبراً ، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكرن له في ملكه شريك ، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات . يقول الله جل ثناؤه (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول جل ثناؤه : وما تغني الحجج والبر والرسائل المنيرة عباد الله عقابه ، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار ، لا يؤمنون بشيء من ذلك ، ولا يصدقون به (ولقد جاءتهم كآياتنا حتى يروا العذاب الأليم) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، قُلْ فَأَنْتَظِرُوا ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، محذراً مشركي قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم ، نحو الذي حلّ بنظرهم من قبلهم ، من سائر الأمم الخالية من قبلهم ، السالكة في تكذيب رسل الله ، وجحود ترحيد ربهم سبيلهم ، فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك ، المكذّبون بما جشتم به من عند الله ، إلا يوماً يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب ، الذين مضوا قبلهم ، فحلّوا من قوم نوح وعاد وثمود ، قل لهم يا محمد : إن كانوا ذلك ينتظرون ، فانتظروا عقاب الله إياكم ، ونزول منخطه بكم ، إني من المنتظرين هلاككم وبواركم ، بالعقوبة التي تحلّ بكم من الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ

أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : وقائع الله فى الذين خَلَوْا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبىه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) قال : خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه ، فقال الله (ثُمَّ يَنْجِى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ حَقَّقْنَا عَلَيْكَ نُسُجِى الْمُؤْمِنِينَ)

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقَّقْنَا عَلَيْكَ نُسُجِى الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ، ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ، ثم ننجى هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن آمن به وصدقته واتبعه على دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برسولنا الذين أهلكنا أممهم ، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا ، حين حق على أممهم (كَذَلِكَ حَقَّقْنَا عَلَيْكَ نُسُجِى الْمُؤْمِنِينَ) يقول : كما فعلنا بالماضين من رسولنا ، فأنجيناها والمؤمنين معها ، وأهلكنا أممها ، كذلك نفعل بك يا محمد بالمؤمنين ، فننجيك وننجى المؤمنين بك ، حقا علينا غير شك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،
وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحى إليك : إن كنتم فى شك أىها الناس من دىنى الذى أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنه حق من عند الله ، فإنى لأعبد الذين تعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان ، التى لاتسمع ولا تبصر ، ولا تغنى عنى شيئا ، فتشكوا فى صحته . وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف .

وإنما معنى الكلام : إن كنتم فى شك من دىنى ، فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه ، وإنما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الأصنام التى لاتعقل شيئا ، ولا تضر ولا تنفع . فأما دىنى ، فلا ينبغى لكم ، أن تشكوا فيه ، لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق ، فيميتهم إذا شاء ، وينفعهم ويضر من يشاء ، وذلك أن عبادة من كان كذلك ، لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة . وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح . وقوله (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم

فيميتكم عند آجالكم . (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وهو الذي أمرني أن أكون من المصدقين بما جاءني من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥)

يقول تعالى ذكره : وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم . وأن الثانية عطف على أن الأولى ، ويعنى بقوله (أقيم وجهك للدين) أقم نفسك على دين الإسلام ، حنيفا مستقيما عليه ، غير معوج عنه إلى يهودية ولا نصرانية ، ولا عبادة وثن (ولا تكونن من المشركين) يقول : ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والأنداد ، فتكون من الهالكين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعل في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يضر في دين ولا دنيا ، يعنى بذلك الآلهة والأصنام ؛ يقول : لاتعبدها راجيا نفعها ، أو خائفا ضررها ، فإنها لا تنفع ولا تضر ، فإن فعلت ذلك ، فدعوتها من دون الله ، فإنك إذن من الظالمين ، يقول : من المشركين بالله ، الظالم لنفسه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يصيبك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به ، دون ما يعبد هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد . (وإن يردك بخير) يقول : وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور (فلا راد لفضله) يقول : فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ، ولا يردك عنه ، ولا يحرم مكته ، لأنه الذي بيده السراء والضراء ، دون الآلهة والأوثان ، ودون ماسواه (يصيب به من يشاء) يقول : يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء ، من يشاء ويريد من عباده ، وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده ، من كفره وشركه ، إلى الإيمان به وطاعته ، الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه ، أن يعذبه بعد التوبة والإنابة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للناس (يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى : كتاب الله ، فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم (فَمَنْ اهْتَدَى) يقول : فمن استقام فسلك سبيل الحق ، وصدق بما جاء من عند الله من البيان (فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) يقول : وإنما يستقيم على الهدى ، ويسلك قصد السبيل لنفسه ، فإياها يعنى الخير بفعله ، ذلك لا غيرها (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن اعوج عن الحق الذى أتاه من عند الله ، وخالف دينه ، وما بعث به محمدا ، والكتاب الذى أنزله عليه (فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) يقول : فإن ضلّاله ذلك إنما يجنى به على نفسه ، لا على غيرها ، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها ، ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) يقول : وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم ، إنما أمركم إلى الله ، وهو الذى يقوم من شاء منكم ، وإنما أنا رسول مبلغ ، أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يُحْكُمَ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : واتبع يا محمد وحى الله الذى يوحى إليك ، وتزيله الذى يُسَنِّزُله عليك ، فاعمل به ، واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك ، من الأذى والمكاره : وعلى ما نالك منهم ، حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعل فاضل ، وهو خير الحاكمين ، يقول : وهو خير القاصين ، وأعدل القاصلين ، فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر ، وقتلهم بالسيف ، وأمر نبىه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم ، أن يسألك به سبيل من أهلك منهم ، أو يتوبوا وينيبوا إلى طاعته .

كما حدثنى يرنس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) . وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يُحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) قال : هذا منسوخ . حتى يحكم الله : حكم الله بجهادهم ، وأمره بالغلظة عليهم .

والله الموفق للصواب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

تفسير السورة التي يذكر فيها هود

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (الر) ، والصواب من القول في ذلك عندنا بشراجه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) يعني : هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، ورفع قوله : كتاب بنية : هذا كتاب . فأما على قول من زعم أن قوله (الر) مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن ، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها ، وأن معنى الكلام : هذه الحروف كتاب أحكمت آياته ، فإن الكتاب على قوله ، ينبغي أن يكون مرفوعا بقوله (الر) .

وأما قوله (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : أحكمت آياته بالأمر والنهي ، ثم فصلت بالثواب والعقاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرني أبو محمد الثقفى ، عن الحسن ، في قوله (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمت بالأمر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن (الر) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) قال : أحكمت في الأمر والنهي ، وفصلت بالوعيد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن رجل ، عن الحسن (الر) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) قال : بالأمر والنهي (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : بالثواب والعقاب .

وروى عن الحسن قول خلاف هذا ، وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : وحدثنا عبادة بن العوام ، عن رجل ، عن الحسن ،

(أُحْكِمَتْ) بالثواب والعقاب ، (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بالأمر والنهي .

وقال آخرون : معنى ذلك : أحكمت آياته من الباطل ، ثم فصلت ، فبين منها الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الر) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِ حَكِيمِ خَبِيرٍ (أَحْكَمَهَا اللَّهُ مِنَ الْبَاطِلِ ثُمَّ فَصَّلَهَا بِعَلْمِهِ ، فَبَيَّنَ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَطَاعَتَهُ وَمَعْصِيَتَهُ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصِّلَتْ) قال : أَحْكَمَهَا اللَّهُ مِنَ الْبَاطِلِ ، ثُمَّ فَصَّلَهَا : بَيَّنَّهَا .
 وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : أَحْكَمَ اللَّهُ آيَاتِهِ مِنَ الدَّخَلِ وَالتَّحَلُّلِ وَالتَّحَلُّلِ وَالتَّحَلُّلِ ، ثُمَّ فَصَّلَهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَذَلِكَ أَنْ إِحْكَامَ الشَّيْءِ : إِصْلَاحُهُ وَإِتْقَانُهُ ، وَإِحْكَامَ آيَاتِ الْقُرْآنِ : إِحْكَامُهَا مِنْ خَلَلٍ يَكُونُ فِيهَا ، أَوْ بَاطِلٍ يَتَقَدَّرُ ذَوْزِيغٌ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا مِنْ قِبَلِهِ . وَأَمَّا تَفْصِيلُ آيَاتِهِ فَإِنَّهُ تَمْيِيزُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ ، بِالْبَيَانِ عَمَّا فِيهَا مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ . وَكَانَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ يَفْسِرُ قَوْلَهُ (فَصَّلَتْ) بِمَعْنَى : فَسَّرَتْ ، وَذَلِكَ نَحْوَ الَّذِي قَلْنَا فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (ثُمَّ فَصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَّلَتْ) قال : فسرت .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني ، عن مجاهد (ثُمَّ فَصَّلَتْ) قال : فسرت .
 حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقال قتادة : معناه : بَيَّنَّتْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ قَبْلُ ، وَهُوَ شَبِيهُ الْمَعْنَى بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ (مِنْ لَدُنِ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) فَإِنَّ مَعْنَاهُ : حَكِيمٌ بِتَدْبِيرِ الْأَشْيَاءِ وَتَقْدِيرِهَا ، خَبِيرٌ بِمَا يَثْوُلُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُهَا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ لَدُنِ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) يقول : من عند حكيم خبير .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)

يقول تعالى ذكره : ثُمَّ فَصَّلَتْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِأَنَّهَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وَتَخَلَعُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ : إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ يَنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ عَلَى مَعْصِيَةِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَبَشِيرٌ يَبْشُرُكُمْ بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)

يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته ، بأن لاتعبدوا إلا الله ، وبأن استغفروا ربكم ، ويعنى بقوله (وأن استغفروا ربكم) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضى ربكم عنكم ، فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام ، وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته .

وقوله (ثم توبوا إليّ) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم ، بإخلاص العبادة له ، دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه ، بعد خلعكم الأنداد ، وبراءتكم من عبادتها ، ولذلك قيل : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليّ) ولم يقل : وتوبوا إليّ ، لأن التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله ، والاستغفار : استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين ، والعمل لله لا يكون عملا له إلا بعد ترك الشرك به ، فأما الشرك فإن عمله لا يكون إلا للشيطان ، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه ، بعد الاستغفار من الشرك ، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم ، وهم على شركهم مقيمون .

وقوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ، ورزقكم من زينتها ، وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) فأنتم في ذلك المتاع ، فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه ، فإن الله منعم يحب الشاكرين ، وأهل الشكر في مزيد من الله ، وذلك قضاؤه الذي قضى . وقوله (إلى أجل مسمى) يعنى الموت .

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلى أجل مسمى) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلى أجل مسمى) وهو الموت . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلى أجل مسمى)

قال : الموت .

وأما قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) فإنه يعنى : يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معرفته على غيره ، محتسبا بذلك ، مريدا به وجه الله ، أجزل ثوابه وفضله في الآخرة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : ما احتسب به من ماله ، أو عمل بيده أو رجله ، أو كلبه ، أو ما تطوع به من أمره كله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه ، وما تطول به من أمره كله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : وما نطق به من أمره كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أى فى الآخرة .

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود ، فى قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإن عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا ، بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها فى الدنيا ، أخذ من الحسنات العشر واحدة ، و بقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحاده أعشاره .

وقوله (وَإِنْ تَوَلَّوْا فإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العباداة لله ، وترك عباداة الآلهة ، وامتنعوا من الاستغفار لله ، والتوبة إليه ، فأدبروا مولين عن ذلك ، فإنى أياها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه ، عظيم هوله ، وذلك (يَوْمٌ مُّجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) . وقال جل ثناؤه (وَإِنْ تَوَلَّوْا فإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ولكنه مما قد تقدمه قول ، والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولاً خاطبت ، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ، ثم رجعت بعد إلى الخطاب ، وقد بينا ذلك فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : إلى الله أياها القوم ما بكم ومصيركم ، فأحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه ، من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام ، فإنه مخلدكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على إحيائكم بعد مماتكم ، وعقابكم على إشرائكم به الأوثان ، وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ، يَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صُدُورَهُمْ) ، فقراءته عامة الأمصار ، (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) على تقدير يَنْتَعِلُونَ من ثيبت ، والصدور منصوبة . واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ؛ فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين ، كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، غطى وجهه ، وثنى ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عبد الله بن شداد في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ^١ بثوبه على وجهه ، وثنى ظهره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كان المنافقون إذا مروا به ، ثنى أحدهم صدره ، ويطأ رأسه ، فقال الله (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) . . . الآية .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، قال : سمعت عبد الله بن شداد يقول ، في قوله (يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثنى صدره ، وتغشى بثوبه ، كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله ، وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمه صدورهم إذا فعلوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) قال : شكوا وامترأ في الحق ، ليستخفوا من الله إن استطاعوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) شكوا وامترأ في الحق (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكاً .

(١) قال بثوبه على وجهه : غطاه به وستر به .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكاً وامترأء فى الحق ، قال : (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : من جهالتهم به ، قال الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم (يَعْلَمُ) تلك الساعة (مَا يُسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ عَدِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : كان أحدهم يحنى ظهره ، ويستغشى بثوبه .

وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) .. الآية قال : كانوا يحنون صدورهم ، لكيلا يسمعوا كتاب الله ، قال تعالى (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حسنى صدره ، واستغشى بثوبه ، وأضمر همه فى نفسه ، فإن الله لا يحنى ذلك عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرّ فى نفسه شيئاً ، وتغطى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، والله يطلع على ما فى نفوسهم ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون .

وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودة ، وأنهم معه وعلى دينه ؛ يقول جل ثناؤه : أَلَا إِنَّهُمْ يَطْوُونَ صُدُورَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَسْتَخْفُوا مِنَ اللَّهِ ، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يحنى عليه سرائرهم وعلانياتهم .

وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : هذا حين يناجى بعضهم بعضاً . وقرأ (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) .. الآية . ورؤى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنَوْنِي صُدُورَهُمْ) على مثال : تَحْلَوْنِي التمرة : تَفْعَوْنِي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال : كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم ، كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت محمد بن عباد ابن جعفر يقول : سمعت ابن عباس يقرأها (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال : سألته عنها ، فقال : كان ناس يستحيون أن يتخللوا ، فيفضوا إلى السماء ، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء .^١

وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرت عن عكرمة ، أن ابن عباس ، قرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس : تَشْنُونِي صدورهم : الشك في الله وعمل السيئات (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) : يستكبر ، أو يستكن من الله ، والله يراه (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال عكرمة : تَشْنُونِي صدورهم ، قال : الشك في الله وعمل السيئات ، فيستغشى ثيابه ، ويستكن من الله ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرأ الأمصار ، وهو (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) على مثال يفعلون ، والصدور نصب بمعنى : يحنون صدورهم ويكبونها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكبون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكتمون ما في قلوبهم (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ) ما عملوا بالليل والنهار .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : تشنوني صدورهم ، وهذا التأويل الذي تأوله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس ، إلا أن الذي حدثنا هكذا ذكر القراءة في الرواية ، فإذا كانت القراءة التي ذكرنا أولى القراءتين في ذلك بالصراب ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يحنى عليه ما تضمه نفوسهم ، أو تناجوه بينهم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن قوله (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الهاء في قوله (مِنْهُ) عائدة على اسم الله ، ولم يجر لمحمد ذكر قبل ، فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهي في سياق الخبر عن الله ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى ، وإذا صح أن

(١) يريد أنهم كانوا يستحيون أن يتبرزوا في الخلا ، أو يصيبوا نساءهم . . الخ .

ذلك كذلك ، كان معلوما أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به ، فلما أخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلائيها على أى حال ، كانوا تَغَشَّوْا بالثياب ، أو ظهرُوا بالبرّاز ، فقال (ألا حينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يعنى : يتغشّون ثيابهم : يتغطّونها ويلبسون ، يقال منه : استغشى ثوبه وتغشاه ، قال الله : واستغشوا ثيابهم ، وقالت الخنساء :

أرعى النجومَ وما كلفنتُ رعيّتها وتارةً أتغشى فضّلَ أطمارى

(يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ) يقول جل ثناؤه : يعلم ما يسرّ هؤلاء الجهلة بربهم ، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حسّوها على ما فيها وتسرّوها ، وما تناجوه بينهم فأخفوه (وَمَا يُعْلِنُونَ) سواء عنده سرائر عبادته وعلائيهم . (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بكلّ ما أخفته صدور خلقه ، من إيمان وكفر ، وحقّ وباطل ، وخير وشرّ ، وما تستجته مما لم يُجنّته بعد .

كما حدثنى المنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (ألا حينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يقول : يغطّون رءوسهم .

قال أبو جعفر : فاحذروا أن يطّلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشكّ فى شيء من توحيدته ، أو أمره أو نهيّه ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق ، فهلكوا باعتقادكم ذلك .

والله أعلم

تمّ الجزء الحادى عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

وبليه الجزء الثانى عشر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)

استدراك

١ - الشاهد : لَفْتًا وَتَهْزِيعًا سِوَاءَ اللَّفْتِ

الوارد فى ص ١٤٦ ليس لذى الرمة ، كما قال المؤلف ، وإنما هو لرؤبة بن العجاج ، من أرجوزة له ، قالها فى نفسه مطلعها : « يابنت عمرو لاتسبى بنتى » (ديوانه طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣) وهو البيت الحادى والعشرون فيها . قال شارحه (لعله ابن حبيب) فى شرح ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم ٥١٦ أدب ص ١١٢ : اللفت : اللى ؛ لفته يلفته لفتا ؛ إذا لواه وصرفه . والتهزيع : التفسير . وقوله « سواء اللفت » يقول : التهزيع غير اللفت ؛ ومهزوع : مكسراه .

٢ - بيت عدى ابن الرقاع فى ص ١٤٦ صواب كتابته هكذا :

سُوْدُ دَا غَيْرَ فَاحِشٍ لَا يَدْأِنِيهِ تَجْبَارُهُ وَلَا كِسْبِيَاءُ

(١) البيت للخنساء ، أنشده صاحب اللسان فى (رعى) قال : ورعى النجوم رعى ورعاها : راقبها وانظر مفيها ، قالت الخنساء : أرعى النجوم . . . البيت . . . وفى (اللسان : غشى) : استغشى بثوبه ، وتغشى : أى تغطى . وأطمارى : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق . ومنه فى الحديث : « رب ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » . أى رب ذى خلقين أطاع الله ، حتى لو سأله أجابه .

④

The first part of the paper discusses the general principles of the theory of the atom. It is shown that the atom is a system of particles which are bound together by forces of attraction. The forces of attraction are of two kinds: the forces of attraction between the particles of the atom and the forces of attraction between the atoms themselves. The forces of attraction between the particles of the atom are of the kind which is called the "strong force" and the forces of attraction between the atoms themselves are of the kind which is called the "weak force".

The second part of the paper discusses the properties of the atom. It is shown that the atom has a definite size and a definite mass. The size of the atom is of the order of 10^{-8} cm. and the mass of the atom is of the order of 10^{-23} gm. The atom is also shown to have a definite charge and a definite spin.

The third part of the paper discusses the structure of the atom. It is shown that the atom is made up of a central nucleus and a cloud of electrons. The nucleus is made up of protons and neutrons and the electrons are distributed in shells around the nucleus.

The fourth part of the paper discusses the spectrum of the atom. It is shown that the atom emits light of a definite wavelength when it is excited. The spectrum of the atom is of the kind which is called the "line spectrum" and it is shown that the lines of the spectrum are of the kind which is called the "Balmer series".

The fifth part of the paper discusses the theory of the atom. It is shown that the theory of the atom is based on the principles of quantum mechanics. The theory of the atom is shown to be in agreement with the experimental facts and it is shown that the theory of the atom is of the kind which is called the "quantum theory".

The sixth part of the paper discusses the applications of the theory of the atom. It is shown that the theory of the atom has many important applications in the field of physics and chemistry. The theory of the atom is shown to be of the kind which is called the "modern physics".







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

